

سح ٢٩ خازن لحل لباب بن خازن

الم يرضك الرحمن في سورة الضحى
فحاشاك ان ترضى وفينا معذب

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير اغاء دار السعادة
الشريف الشهير بحاجي ...
وما يتوقف

من كتب العبد الراجي شفاعة
سيد الكونين الحاجي بشير ناظر
الحرمين الشريفين
سنة ١١٤٣



هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
صاحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر
الاكمل الا وهو اغا دار السعادة الحاج بشير وفقه للخير المزيد والبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره الفقير الى الله سبحانه وتعالى
محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين
عفى له



٢٧

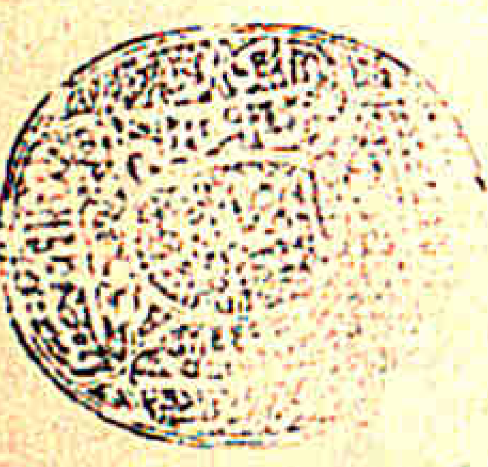
كتاب ... تفسير القران العظيم
تاليف الامام العالم العلامة المفسر المحدث على بن
محمد بن ابراهيم بن خليل الشيحي البغدادي
الصوفي علاء الدين خازن الكتب بالسميساطية
الشهير بالخازن لذلك ولد سنة ثلاث
وسبعين وستماية ببغداد وسمع بها
من ابن الثعالبي وقدم دمشق
فسمع القاسم بن مظفر ووزيرة
بنت عمر وجمع هذا التفسير
وسماه كتاب التاويل
لمعالم التنزيل
رحمة الله عليه
ومشايخه
ونفعنا
الله
ببركاته وبركات علومه
في الدين والدنيا والاخرة
والمسلمين امين وصلى الله على
سيدنا محمد واله وصحبه
وسلم والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي خلق الاشيا فقدرها تقديرا • وصور شكل الانسان فاحسنه
تصويرا • وميزه بالعقل وجعله سميعا بصيرا • وشرفه بما عرفه من العلم ونوره تنويرا •
وهداه الى معرفته فيا لها نعمة وفضلا كبيرا • وانطق لسانه فادمن بشكره تحميدا
وتهليلا وتكبيرا • وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا • وانزل
عليه كتابا منيرا • واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا • والهم حفاظه تلاوته
له وتحبيرا • وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا • وضرب فيه الامثال ليزيل جهالة
وتحييرا • وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا • ووفر فضله توفيرا • في الصدور
محفوظا • وبالالسنة متلوا وفي الصحف مسطورا • يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا • وجعل كل بليغ على الاتيان بمثله حسيرا •
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا **احمده** على تواتر انعامه حمدا كثيرا • واتوكل عليه مفوضا
امري اليه مستخيرا • **واشهد** ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب
قائلها مطمئنا مستنيرا • **واشهد** ان محمدا عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزا
ومهابة وتوقيرا • صلى الله عليه وعلى اله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا • **وبعد** فان الله جل ذكره ونفذ امره ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وبشيرا للمومنين ونذيرا للمخالفين • كمل به بنيان
النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله في الافاق
وانزل عليه نورا هدى به من الضلالة وانقذ به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح
لمن اتبعه وبالخسران لمن اعرض عنه بعدما سمعه عجز الخلائق عن معارضته حين
تحداهم على ان ياتوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على عباده المومنين
مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر • وبشر وانذر • وذكر المواعظ
ليتذكر • وضرب فيه الامثال ليتدبر • وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر • ودل فيه
على ايات التوحيد ليتفكر • ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده • ولا
باقامة كلماته دون العمل بمحكماته • ولا بتلاوته دون تدبر اياته • في قراته ولا بدراسته
دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية
تفسيره واحكامه • ومعرفة حلاله وحرامه • واسباب نزوله واقسامه • والوقوف
على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبغها فرعا
وفضلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا • فلا شرف الا وهو السبيل اليه • ولا خير الا وهو

الدال عليه • وقد قيض الله تعالى رجالا موفقين • وبالحق ناطقين • حتى صنفوا في
سائر علومه المصنفات • وجمعوا سائر فنونه المتفرقات • كلا على قدر فهمه ومبلغ
علمه • نظرا للخلق فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم **ولما** كان معالم التنزيل الذي
صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة الاسلام
وامام الايمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود
البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها
وانبلها واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف
والتبديل **محلا** بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشى بالقصص
الغريبة • واخبار الماضين العجيبة • مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح
العبارات • مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل
ثوابه وجعل الجنة منقلبه ومابه **ولما** كان هذا الكتاب كما وصفت احببت
ان انتخب من غرر فوايده • ودرر فرايده • وزواهر نصوصه • وجواهر فصوصه •
مختصرا جامعا لمعاني التفسير • وبيان التاويل والتعبير • حاويا لخلاصة
منقوله • متضمنا لنكته واصوله • مع فوايد نقلتها • وفرايد لخصتها من كتب
التفاسير المصنفة في سائر علومه المولفة • ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل
والانتخاب • متجنبا حد التطويل والاسهاب • وحذفت منه الاسناد لانه اقرب
الى تحصيل المراد • فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية
على تفسير اية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع
واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا
يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسماعيل
البخاري فعلامته قبل ذكر الصحابي الراوي للحديث خ وما كان من صحيح ابي الحسين
مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته م وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق
وما كان من كتب السنن كسنن ابي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه بغير
علامة وما لم اجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد اخرجه بسند له انفرد
به قلت روى البغوي بسنده • وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى البغوي
باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث زايدة والفاظ متغيرة فاعتمدت فاني
اجتهدت في تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلما كالجمع بين الصحيحين
للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني حذفت الاسناد وعوضت
بشرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فايدة في هذا الكتاب واهون

كتاب

واقتدا بالسلف



خ
والانتهاب

اشم

خ
واشهر

على الطلاب وسقته بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب
مع التسهيل والتقريب وينبغي لكل مولف كتابا في فن قد سبق اليه ان لا يخلو
كتابه من خمس فوايد استنباط كل شي كان مفصلا او جمعه ان كان متفرقا او شرحه
ان كان غامضا او حسن نظم وتاليف او اسقاط حشو وتطويل وارجو ان لا يخلو
هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت وسميته كتاب التاويل في معاني
التنزيل والله تعالى اسال التوفيق لاتمام ما قصدت واليه ارغب في تيسير
ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم
وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه انيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير
اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول الفصل الاول في فضل القران وتلاوته
وتعليمه م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا
بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما
بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك
فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان
على الهدى ومن اخطاه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى
ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الاخر وهو كتاب الله
حبل ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض
فانظروا كيف تخلفوني فيهما م عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين ت عن الحارث الاعور قال مررت
في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا امير المومنين
الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله
قال كتاب الله فيه نبا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل
من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو
الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة
ولا تشبع منه العلما ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه هو الذي لم تنته الجن اذ
سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن
عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم خذها اليك
يا اعور اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب واسناده مجهول وفي الحارث مقال

وفي رواية [illegible] كتاب الله [illegible] واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي [illegible]

قوله

قوله هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اي هو جد كله ليس فيه
شي من الهزل والجبار في صفة الادمي هو المتسلط العالي المتكبر على الناس قصمه الله
اي اهلكه قوله هو حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان
فاذا اعتصم به الانسان اداه الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من
الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق ومعنى لا تزيغ به الاهوا اي
لا تميل عن الحق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس
في جوفه شي من القران كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح
خ عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه ق عن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا
القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر بالقران يعني الحاذق الكامل
الحفظ الجيد التلاوة قوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملايكة سمي بذلك
لانه يسفر برسالات الله الى انبيايه وقيل السفرة الكتبة من الملايكة والبررة المطيعون
لله تعالى فيما يامرهم به ومعنى كونه مع الملايكة ان له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم قوله
يتتعتع اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني يحصل له اجر بسبب القراءة
واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي يجدها فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر
افضل منه واكثر اجرا ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن
الذي يقرا القران كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي لا يقرا
القران كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي لا يقرا القران كمثل الحنظلة
طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القران واستحباب ضرب الامثال
لايضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من
كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف
ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد
رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما
الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب
القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقراها اخرجه
الترمذي وقال الحديث حسن صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يجي القران يوم القيمة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده

الواضح

فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرا وارقا ويزداد
بكل اية حسنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهنى
عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا القران وعمل به البس والداه تاجا
يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل
بهذا اخرجه ابو داود عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة
وشفعه فى عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذى وقال حديث
غريب وليس له اسناد صحيح ق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اذن الله لشىء كاذنه لنبى يتغنى بالقران يجهر به معنى اذن فى اللغة
استمع ولا نحمله على الاصغا لانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه
قارى القران واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تاويل الحديث
وقوله يتغنى بالقران اى يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق فى القراة وقيل
معناه يستغنى به عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله
يجهر به خ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا
من يتغنى بالقران الفصل الثانى فى وعيد من قال فى القران برايه ووعيد من اوتى
القران فنسيه ولم يتعاهده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال فى القران بغير علم فليتبوا مقعده من النار وفى رواية من قال فى القران
برايه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله فليتبوا معناه فليتخذ له مباءة اى
منزلا من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى
كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطا اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث
غريب وسئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله عز وجل وفاكهة وابا فقال
اى سما تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله بغير علم قال العلما النهى عن القول
فى القران بالراى انما ورد فى حق من يتاول القران على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا
لا يخلو اما ان يكون عن علم او لا فان كان عن علم كمن يحتج لبعض ايات القران على تصحيح
بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه حجته بما يقوى
حجته على بدعته كما تستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع فى المقاصد
الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول فى القران بغير علم لكن عن جهل وذلك
ان تكون الاية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعانى والوجوه فهذان
القسمان مذمومان وكلاهما داخل فى النهى والوعيد الوارد فى ذلك فاما التاويل وهو صرف

الاية

الاية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف
للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضى الله عنهم قد
فسروا القران واختلفوا فى تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبى صلى
الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القران تكلموا فى معانيه وقد دعا النبى
صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل فكان اكثر
ما نقل عنه التفسير والله اعلم ق عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القران فوالذى نفس محمد بيده لهو اشد
تفلتا من الابل فى عقلها ق عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انما مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها امسكها
وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة التى حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القران
ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى ق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيس ما لاحدهم ان يقول نسيت اية كيت وكيت
بل هو نسى استذكروا القران فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها
وفى رواية لا يقل احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نسى قوله بيس ما لاحدهم اى
بيست الحالة من حفظ القران ثم غفل عنه حتى نسيه قوله لا يقل نسيت اية كذا
وكذا معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشيا
كلها وهو الذى انساه اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القران
او قصدت الى نسيانه وقوله نسى هو بضم النون وتشديد السين وفتح اليا اى
عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او لسوء تعهده القران وقوله اشد تفصيا اى
خروجا من صدور الرجال وفى معناه تفلتا من الابل من عقلها اى تخلصا من العقال
وهو الحبل الذى يربط به عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من امرئ يقرا القران ثم ينساه الا لقى الله يوم القيمة اجذم اخرجه
ابو داود الاجذم هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذى به جذام
عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على اجور
امتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتى فلم ار فيها ذنبا
اعظم من سورة من القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود والترمذى
وقال حديث غريب ق عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تسافروا بالقران الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو اراد بالقران
المصحف ولا يجوز حمله الى بلاد العدو وهى بلاد الكفار للنهى الوارد فيه ولو كتب كتابا

اليهم فيه اية من القران فلا باس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل
ملك الروم قل يا اهل الكتاب تعالى الى كلمة سوا بيننا وبينكم عن عمران بن حصين
انه مر على رجل يقرا ثم يسال فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قرا القران فليسال الله به فانه سيجي اقوام يقرءون القران يسالون به الناس
اخرجه الترمذى عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امن بالقران
من استحل محارمه اخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بالقوى عن عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة
والمسر بالقران كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذى وقال الحديث حسن غريب

الفصل الثالث في جمع القران وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة احرف خ عن
زيد بن ثابت قال بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر
جانى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقرا القران واني اخشى ان يستحر القتل بالقرا في
كل المواطن فيذهب من القران كثير واني ارى ان تامر بجمع القران قال قلت لعمر وكيف
افعل شيا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى
في ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذى راى عمر قال
زيد فقال لى ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان
اثقل علي مما امرني به من جمع القران فقلت كيف تفعلان شيا لم يفعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى
للذى شرح له صدر ابى بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى
شرح له صدر ابى بكر وعمر ورايت في ذلك الذى رايا قال فتتبعت القران اجمعه من
الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة
او مع ابى خزيمة الانصارى لم اجدها مع احد غيره لقد جاكم رسول من انفسكم الى خاتمة
سورة براة فالحقتها في سورتها فكانت الصحف عند ابى بكر حياته حتى توفاه الله ثم
عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف
يعني الخزف خ عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى اهل الشام في فتح
ارمينة واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراة فقال حذيفة
لعثمان يا امير المومنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود
والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف
ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد

ابن

ابن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها في المصاحف
وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شي من القران
فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف
رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى
ذلك من القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة
ابن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة الاحزاب حين نسخت
المصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها فالتمسناها فوجدناها
مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها
في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية اخرى قال ابن شهاب
اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد
ابن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش
شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قوله بعث الى ابو بكر لمقتل اهل
اليمامة اى لاوان قتلهم واراد بها الوقعة التى كانت باليمامة في زمان ابى بكر الصديق
وهى وقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قرا القران واليمامة
مدينة باليمن على يومين من الطايف وعلى اربعة ايام من مكة ولها عماير وهى تعداد
اهل نجد قوله استحر القتل اى كثر ونسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح
الصدر سعته وتبوكه للخير قوله فتتبعت القران اجمعه من الرقاع جمع رقعة وهى
ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه
واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة قوله يغازى اهل الشام اى مع اهل الشام
في فتح ارمينة بكسر الهمزة وتخفيف اليا لا غير سميت بارمين بن لنطى بن كومى بن يافث
ابن نوح وهو اول من نزلها سميت به واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الزاى وغير ذلك
في ضبطها وقال ابن جنى فيها خمس موانع من الصرف التعريف والتانيث والعجمة والتركيب
والالف والنون وهى موضع من بلاد العجم مشتمل على بلاد كثيرة قوله حتى وجدت
اخر سورة التوبة مع خزيمة او ابى خزيمة وفي الحديث الاخر فقدت اية من
سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية واعلم ان المذكور في الحديث الاول غير
المذكور في الحديث الثانى وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو ابو خزيمة
ابن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرا وما بعدها

وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره
ابن عبد البر واما المذكور في الحديث الثاني فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن
الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد
بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن ابي طالب قوله فقدت اية من
سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القران
من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الاية
الا مع خزيمة وليس فيها اثبات القران بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث فقد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القران العزيز
كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع
القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احد
عمومتي اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد واخرج الترمذي من
حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة
من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة قال الحديث
حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه استحر القتل بقراء القران
فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على هذا التاليف والجمع من زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد
على بعضه ويرفع الشي بعد الشي من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع
في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته ادى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر
الدين فحفظ الله تعالى كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفا
الراشدين رضي الله عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القران
بين الدفتين كما انزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان
زادوا فيه او نقصوا منه شيا والذي حملهم على جمعه ما جا مبينا في الحديث وهو انه
كان متفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب
حفظته ففزعوا فيه الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بكر ودعوه الى جمعه
فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيا او وضعوا له ترتيبا لم

ياخذوه

ياخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القران على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا
بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية
تكتب عقيب اية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في
موضع واحد لا في ترتيبه فان القران مكتوب في اللوح المحفوظ على النمط
الذي هو في مصاحفنا الان وقد صح في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان
وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت
شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا
اقام ابو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزمه بها لانه قرا على النبي
صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين وكان جمع القران سببا
لبقايه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه
على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى
انزل القران المجيد في اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سما الدنيا في شهر
رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث
ما يحدث على ما يشا الله تعالى وترتيب نزول القران غير ترتيبه في التلاوة
والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل
من القران بمكة اقرا باسم ربك الذي خلق ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل
ثم المدثر ثم تبت يدا ابي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك
الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم الم نشرح ثم
والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر
ثم ارايت ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله احد ثم والنجم
ثم عبس ثم سورة القدر ثم البروج ثم والتين ثم لايلاف قريش ثم القارعة
ثم القيامة ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت
الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم
ثم طه ثم الواقعة ثم الشعرا ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرايل ثم يونس
ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات ثم لقمان ثم سبا

ثم الزمر ثم المومن ثم السجدة ثم حمعسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم
الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل
ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبيا ثم المومنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور
ثم الملك ثم الحاقة ثم سال سايل ثم عم يتسالون ثم النازعات ثم اذا
السما انفطرت ثم اذا السما انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا في
اخرها نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطا المومنون
وقال عطا ومجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القران بمكة وه
فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما اشتهرت عليه روايات الثقات واما ما نزل
بالمدينة فاحدى وثلاثون سورة فاول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال
ثم ال عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النسا ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد
ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى على الانسان
ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جا نصر الله ثم النور
ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة
ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المايدة ومنهم من يقدم المايدة على
التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القران بالمدينة واختلفوا في سور فقيل نزلت
بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكرها في مواضعها ان شا الله تعالى **فصل**
في كون القران نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك **ق** عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرانيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره فتربصت حتى سلم فلببته بردايه
فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقراها قال اقرانيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها
على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرينيها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراة التي سمعته
يقراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات القراة التي اقراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هكذا انزلت ان هذا القران نزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه قوله فكدت
اساوره في الصلاة اي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت قوله

فلببته

فلببته بردايه هو بتشديد البا الاولى ومعناه اخذت بمجامع ردايه
في عنقه وجذبته به ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتنا
بالقران والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه
العربية واما امر النبي صلى الله عليه وسلم بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي
تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم
من جواز القراة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرا وهو ملبب لا يتمكن من
حضور القلب وتحقق القراة تمكن المطلق قوله ان هذا القران نزل على سبعة
احرف فاقروا ما تيسر منه قال العلما انزاله على سبعة احرف التخفيف والتسهيل
واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد
به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة احرف ثم قيل هي في سبع
من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال
والامر والنهي وقيل هي صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القران من ادغام
واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات
في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرا كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على
لسانه **وقال** ابو عبيد هي سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهي افصح
لغات العرب واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل
السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في كلمة
واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت
ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب بيس وقيل هي سبع قرات وهو الصحيح
الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم
وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها
وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها
اخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف سبع معان
مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطا محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار
الى جواز القراة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين
انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول من قال المراد خواتم الاي فيجعل مكان غفور
رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطا للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القران والله اعلم
ق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقراني جبريل على حرف
فراجعته فزادني فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف معنى الحديث

لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة
والتخفيف ويسال جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة
ق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقراني
جبريل على حرف فراجعته م عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت
في المسجد فدخل رجل يصلي يقرا قراة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراءة
سوى قراة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرا قراة انكرتها عليه فدخل اخر فقرا قراءة
سوى قراة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن
النبي صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت
في الجاهلية فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري
ففضت عرقا وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا ابي ارسل الي
ان اقرا على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية ان اقراه
على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثالثة ان اقراه على سبعة احرف
ولك بكل ردة رددتكها مسلة تسلنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي
واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم قوله فسقط في نفسي
من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا
للنبوة اشد ما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا
فوسوس له الشيطان في نفسه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر
عليها الانسان لا يواخذ بها قوله ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي
عياض ضربه صلى الله عليه وسلم تثبيتا له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم
قوله وكانما انظر الى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه
غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما ازال عنه ذلك الخاطر قوله
ولك بكل ردة رددتكها مسلة تسلنيها معناه مسلة مجابة قطعا واما باقي
الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم وروى البغوي
بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القران نزل
على سبعة احرف لكل اية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع
قيل في معناه الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل الظهر ما حدث عن قوم
انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة
باللسان كما انزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان تكون

بالتعليم

بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة
واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض قوله ولكل حد مطلع معناه
مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله
تعالى على المتدبر والمتفكر في القران العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتحه على
غيره وفوق كل ذي علم عليم فصل في معنى التفسير والتاويل فاما
التفسير فاصله في اللغة من الفسر وهو الكشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة
وكل ما يعرف به الشي ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ
وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب
فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الاية وشانها وقصتها
واما التاويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته
فال اي صرفته فانصرف وهو رد الشي الى الغاية المرادة منه وبيان غايته
المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ
الاية والفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع
والتاويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم القول في الاستعاذة
ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ بالله من الشيطان ومعنى اعوذ بالله التجي اليه وامتنع به مما
اخشاه من عاذه يعوذه من الشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من
شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عاتي من الجن
والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم
كفعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم
بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم يعني مطرود
عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملا الاعلى واما حكم الاستعاذة ففيه
مسايل المسلة الاولى اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها
لم تبطل صلاته سوا تركها عمدا ام سهوا ويستحب لقارى القران خارج الصلاة
ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطا وجوبها سوا اكانت في الصلاة او غيرها
وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب
دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى
الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا دليل الجمهور ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتاخير البيان

العارم القوي الشديد الشر
والعاتي المتكبر المجاوز للحد
كذا في القاموس

عن وقته غير جايز واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير
العلما اذا اردت القراة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه
اذا اردتم القيام الى الصلاة واجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم
بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة من افعال الصلاة ليست بواجبة
كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها المسيلة
الثانية وقت الاستعاذة قبل القراة عند الجمهور سوا كان في الصلاة او
خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراة وهو قول داود واحدى الروايتين
عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روي عن ابي سعيد الخدري قال كان صلى الله
عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا
الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي
داود والنساي عن ابي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر
كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه
ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن قد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه
في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته
واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ واجيب عنه بما تقدم
وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراة لما تقدم
المسيلة الثالثة المختار من لفظة الاستعاذة عند الشافعي رضي الله عنه اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الاية وبين قوله تعالى فاستعذ
بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي ان يقول
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة
تطهير القلب عن كل شي يشغل عن الله تعالى ومن لطايف الاستعاذة ان قوله
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد
بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والافات واعتراف

من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجا الى الله القادر في
دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله
سبحانه وتعالى والله اعلم **تفسير سورة الفاتحة** وهي سبع ايات بالاتفاق وسبع
وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلما في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو
قول اكثر العلما وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة
ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسما وكثرة الاسما
تدل على شرف المسمى وفضله فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح
القران وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة الثاني سورة الحمد
سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله الثالث ام القران وام الكتاب سميت بذلك
لانها اصل القران وام كل شي اصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور الرابع السبع
المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرا بها في كل ركعة وقيل لان الله
تعالى استثناها لهذه الامة فادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت
مرتين الخامس الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراة في الصلاة كما يقسم
غيرها من السور السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة
ولا يكفي عنها غيرها **فصل** في فضلها خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي
في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله
اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال الا اعلمنك
سورة هي اعظم السور في القران قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد
ان يخرج فقلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران قال الحمد لله رب
العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته ورواه مالك في الموطا وقال
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم
وهي سورة ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلي وذكر نحو رواية
الموطا وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انزل الله في التوراة والانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة
بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال اخرجه الترمذي والنساي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القران وام الكتاب
والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابن عباس
قال بينما جبريل قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه

فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فسلم
وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة لم تقرا بحرف منها الا اعطيته قوله سمع نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة
اي صوتا كصوت فتح الباب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يقرا فيها بام القران فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام
قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون ورا الامام فغمز ذراعي وقال اقراها في
نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت
الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال
فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم
قال اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض
الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي
ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال قوله فهي خداج اي ناقصة
فغمز ذراعي اي كبس ساعدي بيده قوله قسمت الصلاة اراد بالصلاة هنا القراءة
لانه فسره بها ولان القراة ركن من اركانها وجزء من اجزايها قوله نصفين حقيقة هذه
القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة
من جهة المعنى نصفها ثنا ونصفها مسلة ودعا وقسم الثنا انتهى عند قوله
اياك نعبد واياك نستعين من قسم الدعا ولهذا قال هذه بيني وبين عبدي
ولعبدي ما سال قوله تعالى حمدني عبدي ومجدني اي اثنى علي لان الحمد هو الثنا
بجميل الفعال والتمجيد هو الثنا بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم
وقوله وربما قال فوض الي عبدي وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين ان التفويض
فلان امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة
الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستاتي هذه المسالة ان شا الله
تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم
البا في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف
لدلالة الكلام عليه تقديره ابدا بسم الله وبسم الله ابدا او اقرا وانما طولت البا
في بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طولها
على البا ليدل طولها على الالف المحذوفة واثبتت الالف في قوله تعالى فسبح باسم
ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا البا لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب

بلغ

الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصلت بسم الله ارتفعت
واستعلت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا البا من بسم الله
واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى
عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال
يا يحيى وقال سبح اسم ربك الاعلى وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي
والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما يعرف به ذات
الشي وذلك لان الاسم الاصوات المقطعة والحروف المولفة الدالة على ذات ذلك
الشي المسمى به فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى وايضا قد تكون الاسما كثيرة
والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسما الحسنى وقد يكون الاسم واحد والمسميات به
كثيرة كالاسما المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعا
الله باسمايه فالاسم الة الدعا والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات
المدعو وبين اللفظ المدعو به واجيب عن قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد
ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم واجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك
الاعلى وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى
واضافة الشي الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص
فكذلك يجب تنزيه اسمايه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين
اللفظ المعين لتعريف ذات الشي والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر
واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشي ما علاه
حتى ظهر به وعلى عليه فكانه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة
وهي العلامة فكانه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة
لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام واجمعوا على ان تصغيره سمي وجمعه اسما واسامي
الله هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه
فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله عز وجل هل تعلم له سميا يعني لا يقال
لغير الله وقيل هو مشتق من اله يا له الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله
ويذرك والهتك اي وعبادتك وقيل معناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل
من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه في حوايجهم قال بعضهم
ولهت اليكم في بلايا تنوبني فالفيتكم فيها كرايم محتدا وقيل اصله الاه يقال
الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمينون بذكره وقيل اصله
ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتسخير او بالارادة

الله

ومن هذا قيل محبوب كل الاشيا يدل عليه وان من شي الا يسبح بحمده ومن خصايص
هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف
بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقي اله وان حذفتها بقي له وان حذفت الالف
واللامين معا بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو
الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسما تدل على الصفات الرحمن الرحيم
قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم
ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر احدهما بعد الاخر تعظيما القلوب
الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه الخصوص فالرحمن بمعنى
الرازق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المومن والكافر والرحيم بمعنى الغفور
الكافي للمومنين في الاخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة
ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق
العقاب واسدا الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب
واسدا الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني
صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن
تبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق فصل في حكم البسملة وفيه مسلتان
المسئلة الاولى في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براة اختلف
العلما في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلما الى انها اية من الفاتحة ومن كل سورة
ذكرت في اولها سوى سورة براة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن
جبير وعطا وابن المبارك واحمد في احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقي
هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي
ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست باية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها
من السور وانما هي بعض اية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك
ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من اوايل السور
مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها
حديث انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عايشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراة بالحمد لله رب العالمين
قالوا ولان اول ما نزل به جبريل اقرا باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في اولها
فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القران لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة
ولان الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون اية وسورة

الكوثر

١١

الكوثر ثلاث ايات وسورة الاخلاص اربع ايات فلو كانت البسملة منها لكانت
خمسا واما حجة من ذهب الى اثباتها في اوايل السور من جهة النقل فقد صح
عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها
اية وعن ابن عباس في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قال
هي فاتحة الكتاب قيل فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم اخرجهما ابن خزيمة
وغيره وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي
رواية انقضا السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود
والحاكم ابو عبد الله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى
الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراتم الحمد
فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم
الله الرحمن الرحيم احد اياتها قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات
وروي موقوفا وروى الدارقطني عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى اخرها قطعها اية اية وعدها عد
الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم اية ولم يعد عليهم واخرج مسلم في افراده
عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاة ثم رفع
راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر قال البيهقي احسن ما احتج به
اصحابنا ان بسم الله الرحمن الرحيم اية من القران وانها من فواتح السور سوى
سورة براة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا
فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة سوى سورة براة فكيف يتوهم متوهم
انهم كتبوا فيها مائة وثلاث عشرة اية ليست من القران قال وقد علمنا بالروايات
الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة
وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام
القران والسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لم كتبت في المصحف ان لم تقرا
وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير اية في
القران وفي افراد البخاري من حديث انس انه سيل كيف كانت قراة رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله
ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة
من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وايضا فاجماع الصحابة على اثباتها في المصاحف

وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجديد كلام الله عز وجل المنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه من ان يزيدوا فيه او ينقصوا منه ولهذا
لم يكتبوا فيه لفظة امين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن
البسملة من القران في اوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم امين المسيلة الثانية
في حكم الجهر بالبسملة والاسرار اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة اية من الفاتحة
ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها
مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال
بالجهر بالبسملة من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين
فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطا وطاووس ومجاهد
وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع
مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد
واليه ذهب الشافعي واحد قولي ابن وهب صاحب مالك ويحكى ايضا عن ابن المبارك
وابي ثور وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ما حجة من قال بالجهر فقد روى
جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن
جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك
ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه
وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن انس
وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم عن
عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا
بام القران وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله
الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا وهو يوم الناس افتتح ببسم الله
الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني
وقال البيهقي في رواته مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة
وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة
ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح

واخرجه

واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك قال الشيخ ابو شامة اي لا يماثل
اسناد ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة ترجح على ما في الصحيح
وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم
اخرجه الدارقطني وقال اسناده صالح وفيه عن محمد بن ابي السري العسقلاني
قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر
ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلو
ان اقتدي بصلاة انس بن مالك وقال انس ما آلو ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله
وقال رواة هذا الحديث عن اخرهم كلهم ثقات قلت وفي الباب احاديث
وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله
التوفيق والله اعلم قوله عز وجل الحمد لله لفظه خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر ان
المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف
يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان
وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه واما
الحمد فمامور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثنا بجميل الافعال
تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من
الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل
الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق
كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على
الاطلاق رب العالمين الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء اي مالكه
ويكون بمعنى التربية والصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها
فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل
يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم
لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن
والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملايكة
والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم
فقيل لله الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقيل ثمانون الف عالم
اربعون الفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم
واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحرا الفسطاط الخيمة واشتقاق

العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد سمي مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه وانت غيث الورى ما زلت رحمانا قلت هو باب من تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية قلت ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه قوله تعالى مالك يوم الدين يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزا والمالك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اخراج الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشيا وانه لا يكون مالكا للشي الا وهو يملكه وقد يكون ملكا لشي ولا يملكه وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملك وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزا ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها قلت لان ملك الاملاك يومئذ زايلة فلا ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا احاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله عز وجل اياك نعبد رجع من الخبر الى الخطاب وفايدة ذلك ان من اول السورة الى هنا ثنا والثنا في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعا والخطاب في الدعا اولى وقيل فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يودي به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله

تعالى

تعالى لانه مولى اعظم النعم وهي ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له واياك نستعين اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكروا فيه وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعني من اتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة اهدنا الصراط المستقيم اي ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقايم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعا من المومنين مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة والصراط الطريق قال جرير امير المومنين على صراط اذا اعوج الوارد مستقيم اي على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القران وروي ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة صراط الذين انعمت عليهم هذا بدل من الاول اي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبيا والمومنون الذين ذكرهم الله في قوله اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته غير المغضوب عليهم يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل هو ثوران دم القلب وارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة توقد في قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المومنين انما يلحق الكافرين ولا الضالين اي وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الما في اللبن اذا غاب فيه وهلك

وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم **فصل** في امين وحكم الفاتحة وفيه مسيلتان الاولى السنة للقارى بعد فراغه من الفاتحة ان يقول امين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال امين وقال في القصر امين فزاد الله ما بينا بعداه ومعنى امين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسما الله تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الافات ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فان من وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين وفي رواية البخاري ان الامام اذا قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين فان الملايكة تقول امين وان الامام يقول امين فمن وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه قوله فمن وافق تامينه تامين الملايكة معناه وافقهم في وقتا لتامين فامن مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هولاء الملايكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملايكة وقوله غفر له ما تقدم من ذنبه يعني غفر له الذنوب الصغاير دون الكباير وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين معناه ان هذه صيغة تامينه صلى الله عليه وسلم **المسيلة الثانية** في حكم الفاتحة اختلف العلما في وجوب قراة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجمهور العلما الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولا تجزي الا بها واحتجوا بما روي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب اخرجاه في الصحيحين وبحديث ابي هريرة من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراة اية من القران طويلة او ثلاث ايات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسي صلاته

ثم

ثم اقرا بما تيسر معك من القران اخرجاه في الصحيحين ودليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان **قيل** المراد من الحديث لا صلاة كاملة **قلنا** هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزي صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه احمد وابو داود واجيب عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على الفاتحة او على العاجز عن قراة الفاتحة والله اعلم **تفسير سورة البقرة** قال ابن عباس هي اول ما نزل بالمدينة قيل سوى اية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مايتان وست وقيل وسبع وثمانون اية وستة الاف وثمانماية واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسماية حرف **فصل في فضلها** م عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا القران فانه ياتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وال عمران فانهما ياتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرءوا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة قوله اقرءوا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما وهداهما يقال لكل مستنير زاهر قوله كانهما غمامتان او غيايتان قال اهل اللغة الغمامة والغياية كل شي اظل الانسان فوق راسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما ياتي كغمامتين وقوله فرقان من طير صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف اجنحتها عند الطيران تحاجان المحاجة والمجادلة والمخاصمة اظهار الحجة والبطلة السحرة كما جا في الحديث مبينا يقال ابطل اذا جا بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة ال عمران وكذا با في السور وانه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا با في السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام وان سنام القران سورة البقرة وفيها اية هي سيدة اي القران اية الكرسي اخرجه

الترمذي وقال حديث غريب **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الم**
قيل ان حروف التهجي في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر بعلمه وهي سر الله
في القران فنحن نومن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفايدة ذكرها
طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القران
اوايل السور وقال علي بن ابي طالب ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب
حروف التهجي واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون
واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل
والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها
ولا يلزم البحث عنها وقال اخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا
فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسما الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله
واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف الاوه واللام
لطفه والميم ملكه ويويد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز
قلت لها قفي فقالت قاف • لا تحسبيني نسيت الايجاف • قولها قاف اي وقفت
فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير قال ابن عباس الم انا الله
اعلم وقيل هي اسما الله مقطعة لو علم الناس تاليفها تعلموا اسم الله الاعظم الا
ترى انك تقول الر وحم ون فمجموعها الرحمن وكذلك سايرها ولكن لم يهتدوا
تاليفها جميعا وقيل اسما السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس
هي اقسام وقيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة
واسمايه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما
تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرات السورة بكمالها فكانه تعالى اقسم بهذه
الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى
لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل الله
هذه الاحرف ومعناه ان هذا القران ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون
عليها فكان يجب ان تاتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله
تعالى لا من عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القران واراد الله صلاح
بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى
ما يجي به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم
فكان سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتدا خطابه ليعلموا
ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة

خطابه واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة في اوايل السور اربعة عشر حرفا في تسع
وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والرا والكاف والها واليا والعين
والطا والسين والحا والقاف والنون وهي نصف حروف المعجم وسياتي الكلام
على باقيها في مواضعها ان شا الله تعالى قوله تعالى **ذلك الكتاب** اي هذا الكتاب
هو القران وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب ذلك الذي وعدتك به وكان الله قد
وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا يخلق على كثرة
الرد فلما انزل القران قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به وقيل ان الله وعد
بني اسرايل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من بني اسماعيل فلما هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الاية الم
ذلك الكتاب اي هذا ذلك الكتاب الذي وعدت على لسان موسى ان انزله على النبي
الذي من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال
للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب
اسم من اسما القران **لا ريب فيه** اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق
وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب به قوم فما معنى
لا ريب فيه قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة
ذلك **هدى للمتقين** الهداية عبارة عن الدلالة وقيل هي دلالة بلطف وقيل الهداية
الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاديا لا ريب في هدايته والمتقي اسم
فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في
عرف الشرع حفظ النفس مما يوثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات
قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكباير والفواحش وهو ماخوذ من الاتقا واصله
الحجز بين الشيين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث
كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه كنا اذا اشتد الحرب جعلنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال اوامره
واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من
احد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وادا ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية
وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتدا
بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا باس به حذرا مما به باس وخص
المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية

ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين لكفاهم
فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت كقولك للعزيز
الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله اهدنا
الصراط المستقيم **الذين يؤمنون بالغيب** اي يصدقون بالغيب واصل الايمان في اللغة
التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد
ولا ينقص لان التصديق لا يتجزى حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى والايمان في
لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا
فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم
وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى التصديق
العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين
هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا
لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فنفى عنه اسم
الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى
قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي اهل السنة
ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال
ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة
الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق
قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك
ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم
ولا يتزلزل واما غيرهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق
ابي بكر لا يساويه تصديق غيره من احاد الامة وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا
لوجه من المناسبة لانه من شرايعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة
افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من
الايمان اخرجاه في الصحيحين البضع بكسر البا ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة
القطعة من الشي واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه
والحيا بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب
لان المستحيي ينزجر باستحيايه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ
من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد

والخضوع

والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق
وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن ق عن ابي
هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال
يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملايكته وكتبه ولقايه ورسله وتؤمن
بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله لا تشرك به
شيا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان
قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لا تراه فانه
يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السايل ولكن
ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت
الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعا البهم في البنيان
فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله ان الله
عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل
جا ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث
وبمعناه وقد تقدم الكلام على الايمان والاسلام وبقي اشيا تتعلق بمعنى الحديث
فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اي ظاهرا وقوله وتؤمن بالله
ولقايه وتؤمن بالبعث الاخر بكسر الخا وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن بلقا الله
وبالبعث فان اللقا يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الاخرة وهو الموت والبعث
هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالاخر وجه اخر وهو ان خروجه الى
الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الاخرة بعث اخر قوله ما الاحسان هو هنا
الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من اتى بلفظ الشهادة
واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن
الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك
واشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبل قيامها قوله اذا ولدت الامة ربها
يعني سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها
وسيدها ورعا البهم بكسر الرا وفتح البا واسكان الها من البهم وهي الصغار
من اولاد الضان والمعنى انه يبسط الما على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون
في البنا ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله تعالى اعلم قوله تعالى
بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغايب غيب وهو ما كان

مغيبًا عن العيون قال ابن عباس الغيب هاهنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن
بصرك من الملايكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هاهنا
هو الله تعالى وقيل القران وقيل بالاخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال
عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد وما سبقونا
به فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينًا لمن راه والذي لا اله
غيره ما من احد قط افضل من ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب الى قوله واوليك هم
المفلحون **ويقيمون الصلاة** اي يداومون عليها في مواقيتها بحدودها واتمام اركانها
وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها واداًبها والمراد به الصلوات الخمس
والصلاة في اللغة الدعا والرحمة ومنه وصل عليهم اي ادع لهم واصله من صليت العود
اذا لينته فكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع
وسجود وقعود ودعا مع النية **ومما رزقناهم** اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما
ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب **ينفقون** اي يخرجون ويتصدقون
في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق
على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في
المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما مدح بها وادخل
من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير للنهي عنهما في الانفاق **والذين
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** اي يصدقون بالقران المنزل عليك هو
وبالكتب المنزلة على الانبيا من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبيا كلها
فيجب الايمان بذلك كله **وبالاخرة** يعني وبالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا
وكونها بعدها **هم يوقنون** من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كاينة
اوليك اي الذين هذه صفتهم **على هدى من ربهم** اي على رشاد ونور من ربهم
وقيل على استقامة **واوليك هم المفلحون** اي الناجون الفايزون نجوا من النار وفازوا
بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تنغلق عليه ويكون
الفلاح بمعنى البقا قال الشاعر لو كان حي مدرك الفلاح ٭ ادركه ملاعب الرماح يريد
البقا فيكون المعنى اوليك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وادراك البغية من
السعادة والعز والبقا والغنى واصل الفلاح الشق كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح
اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى اوليك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والاخرة واعلم ان الله
عز وجل صدر هذه السورة باربع ايات انزلها في المومنين وبايتين انزلها في الكافرين
وبثلاث عشرة اية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى **ان الذين كفروا** اي

جحدوا

جحدوا وانكروا واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي
الليل كافرا لانه يستر الاشيا بظلمته قال الشاعر في ليلة كفر النجوم
غمامها اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف
الله اصلا ككفر فرعون وهو ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو ان
يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله
بقلبه ويقر بلسانه فلا يدين به ككفر امية بن ابي الصلت وابي طالب حيث
يقول في شعره ولقد علمت بان دين محمد ٭ من خير اديان البرية دينا ٭ لولا
الملامة او حذار مسبة ٭ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ٭ وكفر نفاق وهو ان
يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان
من جحد الله او انكر وحدانيته او انكر شيا مما انزله على رسوله او انكر نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار
خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود **سوا عليهم**
اي مستو لديهم **اانذرتهم** اي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف
فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا **ام لم تنذرهم لا يومنون** اي لا يصدقون
وهذه الاية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله الازلي
انهم لا يومنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى **ختم الله على قلوبهم**
اي طبع عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم وحقيقته الاستيثاق
من الشي لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم
الكتاب قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي
فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم **وعلى سمعهم** اي وختم
على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغا
اليه كانها مستوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع
قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع **وعلى ابصارهم
غشاوة** هذا ابتدا كلام والغشاوة الغطا ومنه غاشية السرج اي وجعل
على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطا التعامي عن ايات الله ودلايل
توحيده **ولهم عذاب عظيم** يعني في الاخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا
والعذاب الدايم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان
ويعييه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان
من مراده ومنه الما العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل

ومن الناس من يقول امنا بالله نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي ابن سلول
ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا
بها من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود
وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي
على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر
وسميت انسانا لانك ناسي وقيل سمي انسانا لانه يانس بمثله وباليوم الاخر
اي وامنا باليوم الاخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه ياتي بعد الدنيا وهو اخر
الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر له قال الله تعالى ردا على
المنافقين وما هم بمومنين نفى عنهم الايمان بالكلية يخادعون الله والذين امنوا
اي يخالفون والخديعة الحيلة والمكر واصله في الاخفا والمخادع يظهر ضد
ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم اي يظهر لهم نعيم الدنيا
ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الاخرة فان قلت المخادعة مفاعلة
وانما تجي في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة قلت المفاعلة قد
ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص
فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله يتعالى ان يكون منه خداع فان
قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضماير والاسرار فمخادعة الله ممتنعة
فكيف يقال يخادعون الله قلت انه تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله
عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه وقيل اراد به المومنين واذا خادعوا
المومنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم
والمومنين لم يعلموا حالهم ولتجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهم على
خلافه في الباطن وما يخادعون الا انفسهم اي ان الله تعالى يجازيهم على
ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان
وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم
فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشي
وحقيقته وقيل للدم نفس لانه قوة البدن وما يشعرون اي لا يعلمون ان وبال
خداعهم راجع عليهم في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والمرض الضعف والخروج
عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف
الدين كالمرض يضعف البدن فزادهم الله مرضا يعني ان الايات كانت تنزل تترا
اية بعد اية فكلما كفروا باية ازدادوا بذلك كفرا ونفاقا ولهم عذاب اليم اي مولم

يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكذبون بتكذيبهم الله ورسوله في السر
وقري بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مومنين واذا قيل لهم
يعني المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المومنون لا تفسدوا في الارض
اي بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران قالوا انما نحن
مصلحون يعني يقولونه كذبا الا كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب انهم هم المفسدون
يعني في الارض بالكفر وهو اشد الفساد ولكن لا يشعرون وذلك انهم يظنون ان ما هم
عليه من النفاق وابطال الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد الله
لهم من العذاب واذا قيل لهم يعني المنافقين وقيل اليهود امنوا كما امن الناس يعني
المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مومني اهل الكتاب والمعنى
اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هولاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان
قالوا انومن كما امن السفها اي الجهال فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم
انومن كما امن السفها قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المومنين
فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله الا انهم هم
السفها ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين امنوا يعني هولاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين
والانصار قالوا امنا كايمانكم واذا خلوا اي رجعوا وقيل خلوا من الخلوة الى قيل يعني
الباء بشياطينهم وقيل يعني مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساهم وكهنتهم
قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة من
بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر من بني اسد وعبد الله بن السود في الشام
ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل رؤساهم الذين شابهوا الشياطين في
تمردهم قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزءون اي بمحمد واصحابه بما نظهر لهم من
الاسلام لنامن من شرهم ونقف على سرهم وناخذ من غنايمهم وصدقاتهم قال ابن
عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم
نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد
هولا السفها عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني
تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله
ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى

فقال مهلا ابا الحسن اي لا تقل هذا والله ان ايماننا كايمانكم ونضد بقفنا
كنضد يقيكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا
عليه خيرا الله يستهزئ بهم اي يجازيهم جزا استهزائهم بالمومنين فسمي الجزا
باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد
عليهم وردوا الى النار ويمدهم اي يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله
الزيادة واكثر ما ياتي المد في الشر والامداد في الخير في طغيانهم اي في ضلالتهم
واصل الطغيان مجاوزة الحد يعمهون اي يترددون في الضلالة متحيرين اوليك يعني
المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوا الكفر بالايمان وانما اخرجه
بلفظ الشرا والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرا فيه اعطا بدل واخذ اخر
فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا
لتمكنهم منه كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوا به الضلالة
للجور عن القصد وفقد الاهتدا فما ربحت تجارتهم اي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل
عن راس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون وما كانوا مهتدين
اي مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة
فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل مثلهم
المثل عبارة عن قول في شي يشبه ذلك القول قولا اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما
الاخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القران السبعة
ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف
والبيان لانه يوثر في القلوب ما لا يوثره وصف الشي في نفسه ولان المثل
تشبيه الشي الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح
وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا اي
لينتفع بها فلما اضات يعني النار ما حوله يعني حول المستوقد ذهب الله بنورهم
فان قلت كيف وحد ولا جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين
كقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد
وقيل معناه ومثل كل واحد منهم كمثل الذي استوقد نارا وتركهم في ظلمات لا يبصرون
قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا
في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفا وراى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك
اذ طفيت ناره فبقي في ظلمة حايرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة
الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المومنين وقاسموهم

الغنايم

الغنايم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم
ظهور عقيدتهم للمومنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب
نورهم في القبر او على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر
بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشيا في الهداية
الى المحجة المقصودة والى الصراط المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق
الواضح الى الله تعالى والى صفاته وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق
المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الاخرة الا حيرة
وفي ضرب المثل بالمنافقين ثلاث حكم احدها ان المستضي بالنار مستضي
بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد
قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار يحتاج في دوامها الى مادة الحطب
لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة
بعد الضو اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضيا فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم
الله تعالى فقال صم اي عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه
بكم اي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه عمي اي لا ابصار لهم يميزون بها بين الحق
والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما
سدت عن سماع الحق اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا
كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسو عندهم اذنوا فهم لا يرجعون اي عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى
او كصيب اي كاصحاب صيب وهو المطر وكلما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب من
السما اي من السحاب لان كلما علاك فاظلك فهو سما ومنه قيل لسقف البيت سما وقيل
من السما بعينها وانما ذكر الله تعالى السما وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم
ان المطر ينعقد من بخرة الارض وابطل مذهب الحكما بقوله من السما ليعلم ان المطر
ليس من ابخرة الارض كما زعم الحكما فيه اي في الصيب ظلمات جمع ظلمة ورعد وهو الصوت
الذي يسمع من السحاب وبرق يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك
يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد
اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج
من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه يجعلون
اصابعهم في اذانهم من الصواعق جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها
او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشا عن ابن عمر

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب **حذر الموت** اي مخافة الهلاك **والله محيط بالكافرين** اى عالم بهم
وقيل يجمعهم ويعذبهم **يكاد البرق** اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل **يخطف**
ابصارهم اى يختلسها والخطف استلاب الشى بسرعة **كلما** اى متى ما **اضا لهم** يعنى
البرق **مشوا فيه** اي في اضائته ونوره **واذا اظلم عليهم قاموا** اي وقفوا متحيرين
وهذا مثل اخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل
شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر
فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات
ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى اذانهم
من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل
ضربه الله للقران وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القران لانه حياة
القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما في القران من ذكر الكفر والشرك
والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى
والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراءة
القران وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت
وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من
البلا والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الاخرة والبرق ما فيه
من الوعد يجعلون اصابعهم في اذانهم يعني المنافقين اذا راوا في الاسلام
بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم
الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلايل الاسلام
تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضا لهم مشوا يعني المنافقين
واضائته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار
كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم
واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا راوا شدة وبلاء تاخروا **ولو شا الله لذهب**
بسمعهم اى بصوت الرعد **وابصارهم** بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم
وابصارهم الظاهرة كما ذهب باسماعهم وابصارهم الباطنة **ان الله على كل شي**
قدير اى هو الفاعل لما يشا لا منازع له فيه قوله عز وجل **يا ايها الناس** قال ابن عباس
يا ايها الناس خطابا لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطابا لاهل المدينة

وهو

وهو هنا خطاب عام لكل المكلفين **اعبدوا ربكم** قال ابن عباس وحدوا ربكم
وكلما ورد في القران من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل والعبادة
غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والاعظام وهو الله
تعالى **الذى خلقكم** اى ابتدع خلقكم على غير مثال سبق **والذين من قبلكم** اي
وخلق الذين من قبلكم **لعلكم** لعل وعسى حرفا ترج ومنها من الله واجب **تتقون**
اي لكي تنجوا من العذاب ومعناه تكونوا على رجا التقوى بان تكونوا في ستر ووقاية
من عذاب الله وحكم الله من ورايكم يفعل ما يشا ويحكم ما يريد **الذى جعل لكم**
الارض فراشا اى خلق لكم الارض بساطا ووطا مذللة ولم يجعلها خزنة لا يمكن
القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض **والسما بنا** اي سقفا مرفوعا قيل اذا تامل
الانسان المتفكر في هذا العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسما
مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان
كمالك البيت وفيه ضروب النبات المتهياة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة
في مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشيا شكر الله تعالى عليها **وانزل من**
السما يعني السحاب **ما** يعني المطر **فاخرج به** اى بذلك الما **من الثمرات** اى من الوان
الثمرات واصناف النبات **رزقا لكم** وعلفا لدوابكم **فلا تجعلوا لله اندادا** يعنى امثالا
تعبدونهم كعبادة الله والند المثل **وانتم تعلمون** يعنى انكم بعقولكم تعلمون ان
هذه الاشيا والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشيا
وانه لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى **وان كنتم في ريب** اى واذا كنتم في شك لان الله
تعالى علم انهم شاكون **مما نزلنا على عبدنا** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما تقرر
اثبات الربوبية لله تعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعه باقامة
الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة من كون القران
معجزة وانه من عند الله لا من عنده نفسه كما تدعون فيه وقوله على عبدنا
اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القران منزل عليه من عند الله تعالى
فاتوا امر تعجيز **بسورة** والسورة قطعة من القران معلومة الاول والاخر وقيل
السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان
القارى ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكماله سور القران **من مثله**
اى من مثل القران وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد صلى
الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلما ولم ياخذ العلم عن احد ورد
الضمير الى القران اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لساير الايات الواردة في

التحدي وانما وقع الكلام في المنزل الا ترى ان المعنى وان كنتم في ريب من القران
منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير
مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه
فهاتوا قرانا مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القران معجزا ما اشتمل
عليه من الفصاحة والبلاغة في طريقي الايجاز والاطالة فتارة ياتي
بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود
الاول وان فارقت اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار
والخطب والرسايل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه
واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم
والنثر من الاشعار والخطب والرسايل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف
القران والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمغدق وان اعلاه
لمثمر وادعوا شهداءكم من دون الله اي استعينوا بالهتكم التي تعبدونها
من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا
الاستعانة بها في دفع ما نزل من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا
فاعلموا انكم مبطلون في دعواكم بانها الهة وقيل معناه وادعوا اناسا
يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء
نفسه فان لم تفعلوا اي فيما مضى ولن تفعلوا فيما ياتي وهذه الاية دالة على
عجزهم وانهم لم ياتوا بمثله ولا بمثل شي منه وذلك لان النفوس الابية
اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القران
او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به بحيث لم ياتوا بشي ظهرت
المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان عجزهم وهم اهل الفصاحة
والبلاغة والقران من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفا نوره وابطال
امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم ورضوا
بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة
صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك
العناد وهو قوله فاتقوا النار اي فامنوا واتقوا بالايمان النار التي وقودها
اي حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لانها اكثر
التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل
اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة

لانهم

لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله
عذابهم في نار جهنم اعدت اي هيئت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين امنوا
اي اخبر المومنين وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر
السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان
اذا فرح بشي وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع
الخبر سرا وسا ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو في السرور والخير
اغلب وعملوا الصالحات اي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل
العمل الصالح ما كان فيه اربعة اشيا العلم والنية والصبر والاخلاص
وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال يعني عن الريا
ان لهم جنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة
لاجتنانها واستترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس
ما فيه كرم تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها ومساكنها اي تجري
المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث
ان انهار الجنة تجري في غير اخدود اي في غير شقوق والخد الشق كلما رزقوا
اي اطعموا منها اي من الجنة من ثمرة رزقا اي طعاما قالوا هذا الذي رزقنا من
قبل اي في الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم
فاذا رزقوا بثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى واتوا به اي بالرزق متشابها
قال ابن عباس مختلفا في الطعم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة
لا رداة فيها وقيل تشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الطعم وعن جابر
ابن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون
ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون النفس طعامهم جشا ورشحهم
كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح كما تلهمون
النفس اي يجري على السنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شي كما ان النفس
لا يشغل عن شي قوله طعامهم جشا يعني ان فضول طعامهم يجري من الجشا
وهو تنفس المعدة والرشح العرق قوله تعالى ولهم فيها اي في الجنان ازواج
اي من الحور العين مطهرة يعني من البول والغايط والحيض والولد وساير
الاقذار وقيل من عجايز كم العمص الغمش طهرن من قذارات الدنيا وقيل طهرن
من مساوي الاخلاق قيل في الجنة جماع ما شيت ولا ولد وهم فيها خالدون

اى لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقا الدايم الذى لا انقطاع له
ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب درى
فى السما اضاة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون امشاطهم
الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب ازواجهم
الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم ستون ذراعا فى السما
وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من ورا اللحم من الحسن
لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة
وعشيا ق عن ابى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للمومن
فى الجنة خيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها فى السما ستون ميلا للمومن
فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابى هريرة
قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الما قلت الجنة ما بناوها
قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباوها
اللولو الكبار والياقوت وتربتها الزعفران ينعم ولا يباس ويخلد ولا يموت
ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذى بزيادة وقال ليس
اسناده بذلك القوى عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان فى الجنة ماية درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض والفردوس
اعلاها درجة ومنها تتفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتم
الله فاسلوه الفردوس م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة
لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادوا
حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم
والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا
حسنا وجمالا عن على رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى
الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلايق مثلها يقلن نحن الخالدات
فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له
اخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله تعالى **ان الله لا يستحى ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها** سبب نزول هذه الاية ان الله تعالى لما ضرب
المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه
الاشيا الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشيا وذلك

من يدخلها هام

لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك
فانزل الله تعالى ان الله لا يستحى الحيا تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف
ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبايح هذا اصله فى
وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه
الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحيا هو التغير الذى يلحق الانسان
من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح
واذا ورد وصف الحيا فى حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف
بل المراد منه ترك الفعل الذى هو نهاية الحيا وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحى
ان يضرب مثلا اى لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون
المعنى ان يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هى بصلة بل هى للابهام والنكرة والبعوض
والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله فانه فى غاية الصغر وله خرطوم
مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه فى جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه
الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصه **فما فوقها** يعنى الذباب والعنكبوت
وما هو اعظم منهما فى الجثة وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول
اشبه بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشى الصغير
الحقير وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو
اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من
نملة واطيش من ذبابة والح من ذبابة **فاما الذين امنوا** يعنى بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقران **فيعلمون انه** يعنى ضرب المثل **الحق** يعنى الصدق **من ربهم**
الثابت الذى لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة فى العقل عند
العرب **واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** اى بهذا المثل
يضل به كثيرا اى من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا **ويهدى
به كثيرا** يعنى المومنين يصدقونه ويعلمون انه حق **وما يضل به الا الفاسقين**
يعنى الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله
وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى **الذين ينقضون** اى يخالفون ويتركون
واصل النقض الفسخ وفك المؤكد **عهد الله** اى امر الله واصل العهد حفظ
الشى ومراعاته حالا بعد حال **من بعد ميثاقه** اى من بعد عقده وتوكيده وفى
معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذى اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله
تعالى الست بربكم قالوا بلى الثانى المراد به الذى اخذه على احبار اليهود فى التوراة

ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقين الذين ينقضون عهد الله ابرمه الله تعالى واحكمه بما انزل في كتابه من الايات الدالة على توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها ويفسدون في الارض يعني بالمعاصي ويعوقون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واولئك هم الخاسرون اي المغبونون واصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلايل ووضح البراهين الدالة على وحدانيته ثم بين الدليل فقال تعالى وكنتم امواتا يعني نطفا في اصلاب ابايكم فاحياكم يعني في الارحام والدنيا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم يعني بعد الموت للبعث ثم اليه ترجعون اي تردون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجايب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ثم استوى الى السما اي قصد واقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره وحكمه ذكره صاحب الحكم وذلك ان الله خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السما فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السما ثم بسط جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما نعم الله عليه الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله اعلم فسواهن سبع سموات خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسما عند قوله تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شا الله تعالى وهو بكل شي عليم يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى واذ قال ربك اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما ورد في القران من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زايدة والاول اوجه

للملايكة

للمليكة جمع ملك واصله مالك وهي الرسالة والمراد بالملايكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسما وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن الجن الارض فعبدوه دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملايكة يقال لهم الجان ورئيسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزاير البحور وشعوب الجبال واسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السما الدنيا وخزانة الجنة وكان ابليس رئيسهم ومرشدهم واكثرهم عبادة وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة عليه فقال له ولجنده اني جاعل في الارض خليفة اي خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملايكة عبادة والمراد بالخليفة هنا ادم لانه خلف الجن وجا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها اي بالمعاصي ويسفك الدما يعني بغير حق كما فعل بنو الجان فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول قلت يحتمل ان يكون ذلك باخبار الله اياهم او قاسوا الشاهد على الغايب وقيل انهم لما راوا ان ادم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملايكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك فان قلت الملايكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السوال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكمة الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان سوالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل ونحن نسبح بحمدك اي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملايكته او لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كلما جا في القران من التسبيح فالمراد منه الصلاة

فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله
فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك
او متلبسين بحمدك وقيل نسبح بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن
من ذلك **ونقدس لك** اصل التقديس التطهير اي نطهرك عن كل النقايص وكل سوء
ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل
معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك **قال اني اعلم ما لا تعلمون**
قيل انه جواب لقول الملايكة اتجعل فيها فقال تعالى اعلم من وجوه
المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني ويطيعني
وهم الانبيا والاوليا والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل
اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم **فصل** في ماهية الملايكة
وقصة خلق ادم عليه السلام قيل ان الملايكة اجسام لطيفة هوايية
خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم في السموات
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب
واما صفة خلق ادم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله ان يخلق
ادم اوحى الى الارض اني خالق منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من
يعصيني من اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض
اتخلق مني خلقا تكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون
الى يوم القيمة فبعث اليها جبريل لياتيه بقبضة من احمرها واسودها
وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذي
ارسلك الي ان تاخذ مني شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت
بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله لميكايل انطلق فاتني بقبضة منها
فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال
ما قالت له فقال لعزرايل انطلق فاتني بقبضة من الارض فلما اتاها قالت
له الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان تاخذ مني شيا فقال وانا اعوذ
بعزته ان اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها
وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السما فساله ربه عز وجل
وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت الارض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتي

وجلالي

وجلالي لاخلقن مما جيت به خلقا ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة
رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها
ما شا الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حما مسنونا مدة ثم صلصالا
ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملايكة يعجبون من صفة
صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا
وينظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملايكة ان
فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال
ابليس في نفسه لين فضل علي لاعصينه ولين فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد
الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد ادم فنظرت فرات مدخلا
ضيقا فقالت يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها
فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى ساير جسده فسارت الى
ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي اول
كلمة قالها فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت
الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت
الى الساقين والقدمين استوى قايما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا
واحشا وكسي لباسا من طين يزداد جدة وحسنا كل يوم وجعل في جلده
تسعة ابواب سبعة في راسه وهي الاذنان ليسمع بهما والعينان ليبصر بهما
والمنخران ليشم بهما والفم فيه اللسان ليتكلم به والاسنان ليطحن بها ما ياكله
ويجد لذة المطعومات وبابان في اسفل جسده وهما القبل والدبر
يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وفكره ومراده
في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في ريته وضحكه في طحاله
وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم
وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحيا عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال خلق الله تعالى ادم عليه السلام وطوله ستون ذراعا
ثم قال اذهب فسلم على اوليك نفر من الملايكة فاستمع ما يحيونك به
فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة
الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة ادم قال فلم يزل الخلق
ينقص حتى الان م عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله
ادم تركه ما شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف ينظر ما هو فلما راه اجوف

عرف انه لا ينما لك عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنوا ادم
على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والخبيث
والطيب اخرجه الترمذي وابو داود قوله عز وجل **وعلم ادم الاسما كلها**
سمي ادم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان ادم اللون وكنيته ابو محمد
وقيل ابو البشر ولما خلق الله ادم وقد تم خلقه علمه اسما الاشيا وذلك ان الملايكة
قالوا ليخلق ربنا ما شا فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا
خلقنا قبله ورايناما لم يره فاظهر الله فضل ادم عليهم بالعلم وفيه دليل المذهب
اهل السنة ان الانبيا افضل من الملايكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم
كل شي حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شي من الحيوان والجماد وغير ذلك
وعلم ادم اسماها كلها فقال يا ادم هذا بعير وهذا فرس وهذه اشيا حتى
اتى على اخرها وقيل علم ادم اسما الملايكة وقيل اسما ذريته وقيل علمه اللغات
كلها **ثم عرضهم** يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا
جمعت فيها من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلا عليهم كما يعبر
عن الذكور والاناث بلفظ الذكور **على الملايكة فقال** يعني تعجيزا لهم **انبيوني** اي
اخبروني **باسما هولاء** يعني تلك الاشخاص **ان كنتم صادقين** اي اني لم اخلق خلقا الا
كنتم افضل منهم واعلم **قالوا** يعني الملايكة **سبحانك** تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم
لا علم لنا الا ما علمتنا اجلالا من ان نحيط بشي من علمك **انك انت العليم** اي بخلقك
وهو من اسما الصفات الثابتة وهو المحيط بكل المعلومات **الحكيم** اي في امرك وله
معنيان احدهما انه القاضي العدل والثاني المحكم للامر كي لا يتطرق اليه الفساد
قال يعني الله تعالى **يا ادم انبيهم باسمايهم** وذلك لما ظهر عجز الملايكة فسمى كل شي
باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها **فلما انباهم باسمايهم قال** يعني الله تعالى
الم اقل لكم يعني يا ملايكتي **اني اعلم غيب السموات والارض** يعني ما كان وما يكون
وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال ادم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم اني اعلم
ما لا تعلمون **واعلم ما تبدون** يعني قول الملايكة اتجعل فيها **وما كنتم تكتمون**
يعني قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا اكرم عليه منا وقال ابن عباس اعلم ما تبدون
من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية قوله عز وجل **واذ قلنا
للملايكة اسجدوا لادم** قيل هذا خطاب مع الملايكة الذين كانوا سكان
الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملايكة بدليل قوله فسجد الملايكة كلهم

الا ما علمتنا

اي انك

اجمعون الا ابليس **فسجدوا** يعني الملايكة وفي هذا السجود قولان اصحهما
انه كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض انما هو الانحنا
وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا
له سجدا فلما جا الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي سجود الملايكة لادم معنى الطاعة
لله تعالى وامتثال امره والقول الثاني ان ادم كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت
الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة
في تفضيل الانبيا على الملايكة **الا ابليس** سمي به لانه ابلس من رحمة الله تعالى اي
ييس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمي
ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملايكة بدليل انه استثناه
منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملايكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن
كما ان ادم عليه السلام اصل الانس والاول اصح لان الخطاب كان مع الملايكة
فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم **ابى** اي امتنع من السجود فلم يسجد **واستكبر** اي تكبر
وتعظم عن السجود لادم **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى وانه وجبت له النار
الكا[ين] في علم الله تعالى بشقاوته **م** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله
وفي رواية يا ويلتي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت
فلي النار قوله تعالى **وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة** اي اتخذها ماوى
ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل اسكنك في الجنة لانه خلق لعمارة
الارض ولما اسكن الله ادم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستانس به ويجالسه
القى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق
منه زوجته حوا ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس بذلك ادم ولم يجد
المًا ولو وجد الما ما عطف رجل على امراة قط وسميت حوا لانها خلقت
من حي فلما استيقظ من نومه راها جالسة كاحسن ما خلق الله فقال لها من انت
قالت انا زوجتك حوا قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الي واسكن اليك واختلفوا
في الجنة التي امر ادم بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انه لو
كانت الجنة التي هي دار الجزا والثواب لما اخرج منها واجاب صاحب هذا القول
عن قوله قال اهبطا بان المراد منه الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله اهبطوا مصرا
والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزا والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة
بين المسلمين وفي عرفهم انما التي هي دار الجزا والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا

فايدة نقلت من كتاب كشف البيان للبسطامي قال كعب الاحبار
رضي الله عنه ان ابليس لعنه الله عبد الله بالجنة اربعين الف سنة
ومع الملايكة ثمانين الف سنة ووعظ الملايكة عشرين الف سنة
وسيد الكروبيين ثلاثين الف سنة وسيد الروحانيين الف سنة
وطاف حول العرش اربعة عشر الف سنة وكان اسمه في السما الدنيا
العابد وفي السما الثانية الزاهد وفي الثالثة العارف وفي
الرابعة الولي وفي الخامسة التقي وفي السادسة الخازن وفي
السابعة عزازيل وفي اللوح المحفوظ ابليس وهو غافل عن عاقبة
امره انتهى بحروفه

وجه للقطع **وكلا منها رغدا** اي واسعا كثيرا **حيث شئتما** اي كيف شئتما ومتى شئتما واين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهي عنه وهو قوله تعالى **ولا تقربا هذه الشجرة** يعني للاكل قيل انما وقع هذا النهي على جنس من الشجر وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرم وقيل هي شجرة التين وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه **فتكونا من الظالمين** يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبيا قال ظلم نفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشي في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبيا حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وقيل انه يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف الانبيا بالظلم او نظلم انفسهم قلت لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم قوله تعالى **فازلهما الشيطان** اي استزل ادم وحوا ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسياتي الكلام ان شا الله تعالى على عصمة الانبيا والجواب عما صدر منهم عند قوله تعالى عز وجل وعصى ادم ربه فغوى في سورة طه **عنها** اي الجنة **فاخرجهما مما كانا فيه** يعني من النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحوا فمنعته الخزنة فاتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوايم كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما راهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس يقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان ادم لما دخل الجنة وراى ما فيها من النعيم لو ان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على ادم وحوا وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما انكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم فاكل منها قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض

قال م

التحفات

ثم

ثم لا تنال العيش فيها الا كدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حوا قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حوا عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى **وقلنا اهبطوا** اي انزلوا الى الارض يعني ادم وحوا وابليس والحية فهبط ادم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حوا بجدة وابليس بالايلة من اعمال البصرة والحية باصبهان **بعضكم لبعض عدو** يعني العداوة التي بين المومنين من ذرية ادم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية ادم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن اخرجه ابو داود وله عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس منا وفي رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذي كان قضيب فضة م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي رواية ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثة ايام فان ذهبت والا فاقتلوه فانه كافر **ولكم في الارض مستقر** اي موضع قرار **ومتاع** وبلغة ومستمتع **الى حين** اي الى وقت انقضا اجالكم قوله عز وجل **فتلقى ادم** اي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعليم **من ربه كلمات** اي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين وقيل قال ادم يا رب ارايت ما اتيت اشي ابتدعته من تلقا نفسي ام شي قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شي قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى

امر ادم بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعًا وهو يومئذ بيوت حمر ثم
صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل
معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فاوحى الله
يا ادم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض مكث ثلثماية سنة
لا يرفع راسه الى السما حيا من الله تعالى وقيل منه بثلاثة اشيا الحيا والدعا والبكا
قال ابن عباس بكى ادم وحوا على ما فاتهما من نعيم الجنة مايتي سنة ولم ياكلا ولم
يشربا اربعين يومًا وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود
اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت
دموع ادم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة **فتاب عليه** اي فتجاوز عنه وغفر له واصل
التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكان التايب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه
ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد
ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب فعند ذلك
يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل على ان لا يعود اليه
وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة امور حصلت التوبة وسياتي بسط
هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحًا في سورة التحريم ان شا الله تعالى
انه هو التواب اي الرجاع عن عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله تعالى
للمبالغة في قبول توبة عباده **الرحيم** اي الرحيم بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه
مع كونه توابا بانه رحيم **قلنا اهبطوا منها جميعًا** يعني هولا الاربعة وقيل ان
الهبوط الاول من الجنة الى سما الدنيا والهبوط الثاني من سما الدنيا الى الارض وفيه
ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة
الى الارض والاصح انه للتاكيد **فاما ياتينكم مني هدى** فيه تنبيه على عظم
نعم الله على ادم وحوا كانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت
عليكم بهدايتي التي توديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع
وقيل المخاطب هم ذرية ادم يعني ذرية ادم اما ياتينكم رشد وبيان
وشريعة وقيل كتاب ورسول **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم** يعني فيما يستقبلهم
ولا هم يحزنون اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة
والذين كفروا اي جحدوا **وكذبوا باياتنا** اي القران **اوليك اصحاب النار** اي يوم
القيامة **هم فيها خالدون** اي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى **يا بني
اسرائيل** اتفق المفسرون ان اسرايل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم

وسلم

وسلم اجمعين ومعنى اسرايل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد
يعقوب **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اشكروا نعمتي وانما عبر عنه بالذكر
لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان وحد النعمة انها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير
ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها
لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى
وهو ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن
الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان
بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول
النعم كلها منه واما النعم المختصة ببني اسرايل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتي
لفظها واحد ومعناه الجمع فمن النعم ان الله انقذهم من فرعون وفلق البحر لهم واغراق
فرعون وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة ونعم
غير هذه كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بها فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على
ابايهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر
الابا فخر الابنا ولان الابنا اذا تيقنوا ان الله قد انعم على ابايهم بهذه النعم
فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين
بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكر ما الايمان به **واوفوا بعهدي** اي امتثال امري
اوف بعهدكم اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد
حال ومنه سمي الموثق التي تلزم مراعاته عهدا فقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به
من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكر في سورة المايدة
وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله
لاكفرن عنكم سياتكم فلهذا قال اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة
وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل لا تعبدون الا الله وقيل اراد بهذا
العهد ما اوثقه في كتب الانبيا عليهم السلام المتقدمة من وصف محمد صلى الله
عليه وسلم وانه مبعوث في اخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرايل على
لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق النور
الذي ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم

وصفته **وإياي فارهبون** أي فخافون في نقضكم العهد **وآمنوا بما أنزلت**
يعني بالقرآن **مصدقا لما معكم** يعني أن القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد
والنبوة والأخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن تصديقا للتوراة لأن التوراة فيها الإشارة إلى نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وأنه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب
التوراة وكفر بها **ولا تكونوا أول كافر به** الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الأشرف
ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود أول من كفر به فإن قلت كيف
جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم إلى الكفر به مشركو العرب من أهل مكة وغيرهم
قلت هذا تعريض بهم والمعنى كان يجب أن تكونوا أول من آمن لأنكم تعرفون
صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر
اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا أول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك
فتبوؤوا بإثمكم وإثم غيركم ممن يتبعكم على ذلك **ولا تشتروا** أي ولا تستبدلوا **بآياتي**
أي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة **ثمنا قليلا** أي عوضا يسيرا
من الدنيا لأن الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي
كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة إلى جميعها فهو قليل القليل فلهذا
قال تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك أن كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم
كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم فكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيئا
معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا أنهم إن بينوا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا
على الآخرة وأصروا على الكفر **وإياي فاتقون** أي فخافون في أمر محمد صلى الله عليه وسلم
والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما أن الرهبة خوف مع حزن واضطراب
والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل**
أي لا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم
وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي نزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل أي بصفة الدجال وذلك لأنه لما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو هذا الذي ننتظره وإنما
هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا **وتكتموا الحق** يعني نعت محمد صلى
الله عليه وسلم **وأنتم تعلمون** يعني أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر

الخلق

الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وإن كان خاصا في الصورة لكنه عام
في المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر
والفساد وفيه دلالة أيضا على أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره ويحرم عليه
كتمانه **وأقيموا الصلاة** يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع
أركانها **وآتوا الزكاة** أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم **واركعوا مع
الراكعين** أي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن
الصلاة بالركوع لأنه ركن من أركانها هذا خطاب اليهود لأن صلاتهم ليس فيها ركوع
فكأنه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى أعاده بعد قوله وأقيموا الصلاة
لأن الأول خطاب للكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على إقامة
الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله تعالى **أتأمرون الناس
بالبر** الاستفهام فيه للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لجميع أعمال
الخير والطاعات نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه
وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فإن أمره
حق وقوله صدق وقيل إن جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب إن رسولا سيظهر منكم
ويدعوكم إلى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك الحديث لأنهم كانوا يأمرون الناس باتباعه
قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة
والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه **وتنسون أنفسكم** أي وتغفلوا عما لها فيه نفعها
والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتتركون أنفسكم فلا
تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم **وأنتم تتلون الكتاب** يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها
وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث على الأفعال الحسنة والإعراض
عن الأفعال القبيحة والإثم **أفلا تعقلون** يعني أنه حق فتتبعونه والعقل قوة تهيئ
لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن أبي طالب
العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع وأصل العقل الإمساك لأنه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير
بالعقال الذي يمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والأفعال
القبيحة ومعنى الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إرشاد الغير
إلى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان
إلى الغير وذلك لأن الإنسان إذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يليق

العقل فلهذا قال افلا تعقلون وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان موعظته
تنفذ الى القلوب فاذا خالف قوله فعله فكان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول
موعظته **ق** عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يوتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور
الحمار في الرحا فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر الناس بالمعروف
وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه قوله فتندلق
اي تخرج اقتاب بطنه اي امعا بطنه واحدها قتب روى البغوي بسنده عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من هولا يا جبريل قال هولا خطبا امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم
وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون وقيل مثل الانسان الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به
كالسراج يضي للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت
سهامه وقال بعضهم ابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم فهناك
يسمع ما تقول ويقتدى بالفعل منك وينفع التعليم قوله عز وجل **واستعينوا بالصبر
والصلاة** قيل ان المخاطبين بذلك هم المومنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى
الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا
صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرايل لان صرف الخطاب
الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القران ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن
صلاتهم غير صلاة المومنين فعلى هذا القول ان الله لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس
النفس عن اللذات وان ضممتم اليه الصلاة هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال
وعلى هذا القول يكون معنى الاية استعينوا على حوايجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من انواع البلا
وقيل على طلب الاخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر
على ادا الفرايض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن ساير اللذات
وفيه انكسار النفس والصلاة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا
واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب
ومراعات الاركان والاداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اي اذا اهمه امر لجا الى الصلاة
وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى
ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة

وانها

وانها يعني الصلاة وقيل الاستعانة **لكبيرة** اي ثقيلة **الا على الخاشعين**
يعني المومنين وقيل الخايفين وقيل المطيعين المتواضعين لله تعالى واصل
الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر
ما يستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من
لا يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها العقاب فهي ثقيلة عليه **الذين يظنون**
اي يستيقنون وقيل يعلمون **انهم ملاقوا ربهم** يعني في الاخرة وفيه دليل على
ثبوت روية الله تعالى في الاخرة **وانهم اليه راجعون** يعني بعد الموت فيجزيهم
باعمالهم قوله تعالى **يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** انما اعاد
هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم **واني فضلتكم على العالمين** يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل
وان كان في حق الاباء لكن يحصل به الشرف للابنا **واتقوا يوما** اي واخشوا
عذاب يوم **لا تجزي** اي لا تقضي **نفس عن نفس شيا** يعني حقا لزمها وقيل معناه
لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيا مما اصابها بل يفر المرء
من اخيه وامه وابيه **ولا يقبل منها شفاعة** اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل
الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباونا فرد
الله عليهم ذلك بقوله ولا يقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن
العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جات بشفيع لا يقبل
منها **ولا يوخذ منها عدل** اي فدية وهو من مماثلة الشي بالشي **ولا هم ينصرون**
اي لا يمنعون من العذاب قوله عز وجل **واذ نجيناكم** اي واذكروا اذ خلصنا اسلافكم
واجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم **من آل فرعون**
اي من اتباعه واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط من العماليق
وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر اكثر من اربعماية سنة **يسومونكم**
اي يكلفونكم ويذيقونكم **سوء العذاب** اي اشد العذاب واسوأه وقيل
يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرايل خدما
وخولا وصنفهم في الاعمال اصنافا صنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه
ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون
فذووا القوة ينحتون السواري من الجبال حتى قرحت ايديهم واعناقهم ودبرت
ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور
وطايفة يضربون اللبن ويطبخون الاجر وطايفة نجارون وحدادون والضعفة

منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يودونها كل يوم فمن غربت
عليه الشمس قبل ان يودي ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنسا يغزلون
الكتان وينسجونه وقيل بتفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى
يذبحون ابناكم ويستحيون نساكم اي يتركوهن احيا وذلك ان فرعون راى في منامه كان نارا
اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لغيرهم فهاله
ذلك وسال الكهنة عن روياه فقالوا يولد غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر
فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرايل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل
في طلب موسى اثنى عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرايل
ندخل روس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرايل فتذبح صغارهم
ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة
فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها **وفي ذلكم
بلا من ربكم عظيم** اي اختبار وامتحان والبلا يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة
الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي
ذلكم بلا من ربكم عظيم على صنيع فرعون كان من بلا المحنة وان حمل على الانجا كان من النعمة
قوله تعالى **واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم** اي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا
فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه ذكر سياق القصة
وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى ان يسري ببني اسرايل من مصر
بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلي القبط
لتبقى لهم او ليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان في بني اسرايل من القبط من
بني اسرايل الى بني اسرايل وكل ولد زنا كان في بني اسرايل من القبط الى القبط حتى يرجع
كل ولد الى ابيه والقى الله تعالى الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم
وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة
ديك وخرج موسى في بني اسرايل وهم ستماية الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة
لصغره ولا ابن ستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا
ما بين رجل وامراة فلما اراد والسير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون
فدعا موسى مشيخة بني اسرايل وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره
الموت اخذ على اخوته عهدا الا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك
انسد علينا الطريق فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد
الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي

فكان

فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت
له ارايتك ان دللتك على قبره اتعطيني كلما اسالك فابى عليها وقال حتى اسال
ربي فامره ان يعطيها سولها فقالت اني عجوز لا استطيع فاحملني معك واخرجني
من مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسالك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة
الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الما فادع الله ان يحسر عنه
الما فدعا الله ان يحسر عنه الما ودعا الله ان يوخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من
امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله
معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرايل
وهو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف
وسبعماية الف حصان ادهم وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين
يديه ماية الف ناشب وماية الف حراب وماية الف معهم الاعمدة وسار
بنوا اسرايل حتى وصلوا البحر والما في غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس
فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به
كيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه
غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى
الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا ابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود
العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الما بين
كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا
وخاضت بنوا اسرايل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الما كالجبل الضخم
لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى
الله الى جبال الما ان تشبكي فصار الما كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع
بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم
البحر فانجيناكم يعني من فرعون **واغرقنا ال فرعون** وذلك ان فرعون لما وصل
الى البحر فراه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي
حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا
وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان
ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجا جبريل عليه السلام على فرس انثى
وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم
يملك فرعون من امره شيا واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجا ميكايل عليه السلام

وكان فيهم [illegible] سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات
وقيل كان معهم [illegible] الف حصان [illegible] فرعون [illegible] الدهم
وكان على مقدمته [illegible] عسكره هامان [illegible]

خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا باصحابكم حتى صاروا
كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج فامر الله البحر
ان ياخذهم فالتطم عليهم وغرقهم اجمعين وكان بين طرفي البحر اربع
فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر
يقال له اساف وكان غرق فرعون بمراى من بني اسرايل فذلك قوله **وانتم
تنظرون** يعني الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا
اليهم ووافق ذلك يوم عاشورا فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله
عز وجل **واذ واعدنا** من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان
الله وعده لمجي الميقات **موسى** اسم عبري فهو بالعربية الما وشي هو الشجر سمي
موسى لانه اخذ من بين الما والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى **اربعين ليلة**
اي انقضا اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ
بالليل دون النهار لان اشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم
من الضو ذكر القصة في ذلك قال العلما لما نجى الله بني اسرايل من البحر واغرق
عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها وعد الله موسى عليه السلام ان
ينزل عليه التورية فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لاتيكم منه
بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم
اخاه هارون فلما جا الوعد اتاه جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة
لا يصيب شيا الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فراه السامري وكان صايغا
اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل باجرمى وقيل كرمان وقيل
من بني اسرايل من قبيلة يقال لها سامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم
يعبدون البقر فلما راى جبريل على ذلك الفرس وراى موضع قدم الفرس يخضر في الحال
فقال في نفسه ان لهذا شانا وقيل راى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون
فقبض قبضة من تراب فرسه والقى في روعه انه اذا القي في شي حيي ولما ذهب
موسى الى الميقات ومكث على الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في الالواح
وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقي
اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنوا اسرايل قد
استعاروا حليا كثيرا من القبطيين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك
فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري ان الحلي
التي استعرتموها من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوها فيها حتى يرجع

بلغ

موسى

موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هارون امرهم بذلك فلما اجتمع الحلي اخذها
السامري وصاغها عجلا في ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التي اخذها
من تراب فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان
يخور ويمشي وقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي اي فتركه هاهنا وخرج
يطلبه وكانت بنوا اسرايل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين
فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى
وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشر فكانت فتنتهم في تلك العشرة
فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات وراوا العجل وسمعوا
قول السامري عكف عليه ثمانية الاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا
هارون مع اثني عشر الف رجل وهذا اصح فذلك قوله تعالى **ثم اتخذتم العجل**
يعني الها **من بعده** اي من بعد موسى **وانتم ظالمون** اي وانتم ضارون لانفسكم
بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها **ثم عفونا عنكم** اي محونا
ذنوبكم وتجاوزنا عنكم **من بعد ذلك** اي من بعد عبادتكم العجل **لعلكم تشكرون**
اي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها
وضده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب
وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثنا على النعمة وشكر ساير الجوارح وهو مكافاة
النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل
حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي ان موسى عليه السلام قال الهي انعمت علي النعم
السوابغ وامرتني بالشكر وانما شكري اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى
تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به من نعمة فهي مني وقال
داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل
اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها
بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا تراها البتة وترى
المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثنا ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك
بالاحسان والافضال قوله عز وجل **واذ اتينا موسى الكتاب** يعني التورية
والفرقان قيل هو نعت الكتاب والواو زايدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام
والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعدا والواو على اصله **لعلكم تهتدون**
يعني بالتورية **واذ قال موسى لقومه** يعني الذين عبدوا العجل **يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل** يعني الها تعبدونه فكانهم قالوا ايش نصنع قال **فتوبوا**

الى باريكم اى ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال **فاقتلوا انفسكم**
يعني ليقتل البريء منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم
على ان لا يعود وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد
تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله
تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل فان قلت التايب من
الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرايع
فلعل شرع موسى كان يقتضي ان يقتل التايب من الردة اما عاما في حق الكل او خاصا في حق
الذين عبدوا العجل **ذلكم خير لكم عند باريكم** يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لابد
منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم
الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او
رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت القوم الخناجر والسيوف واقبلوا عليهم فكان
الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلم يمكنهم المضي
لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله عليهم سحابة سودا لا يبصر
بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المسا فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا
وتضرعا اليه وقالا يا رب هلكت بنوا اسرايل البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم
ان يكفوا عن القتل فانكشفت عن الوف من القتلى قال علي بن ابي طالب كان عدد القتلى
سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل
والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه وذلك قوله **فتاب
عليكم** اى فعلتم ما امرتم فتجاوز عنكم **انه هو التواب** اى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة
الرحيم بخلقه قوله عز وجل **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** اى لن نصدقك **حتى نرى الله
جهرة** اى عيانا وذلك ان الله عز وجل امره ان ياتيه في ناس من بني اسرايل يعتذرون اليه
من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا
وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب
لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله
فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا
كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب
وسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله تعالى اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم
من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة ليلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم

فاخذتكم

فاخذتكم الصاعقة قيل هي الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذ
لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هي سبب الموت
واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السما فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة
من السما وقيل ارسل جنودا من الملايكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين **وانتم تنظرون**
اي ينظر بعضكم الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع
ويقول الهي ماذا اقول لبني اسرايل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شيت اهلكتهم
من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفها منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا
بعد رجل بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله
تعالى **ثم بعثناكم** اى احييناكم **من بعد موتكم** اي لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم ولو
انهم كانوا قد ماتوا لانقضا اجالهم لم يبعثوا الى يوم القيمة **لعلكم تشكرون** قوله تعالى
وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه
شي يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم
من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر **وانزلنا عليكم المن
والسلوى** اي في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شي كالصمغ يقع على
الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير
تعب **ق** عن سعيد بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماوها
شفا للعين ومعنى الحديث ان الكماة شي انبته الله من غير سعي احد ولا مونة فهو بمنزلة
المن الذي كان ينزل على بني اسرايل وقوله وماوها شفا للعين معناه ان يخلط مع الادوية
فينتفع به لا انه يقطر ماوها بحتا في العين وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع
مخصوص وليس يوافق لكل وجع في العين وكان هذا المن ينزل على اشجارهم في التيه
في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا
هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى
وهو طاير يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل منهم ياخذ ما
يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة اخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن
ينزل يوم السبت شي **كلوا** اي وقلنا لهم كلوا **من طيبات** اى من حلالات **ما رزقناكم**
ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك **ق** عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنوا اسرايل لم يخبث الطعام
ولم يخنز اللحم ولولا حوا لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم اي لم ينتن ولم يتغير
وما ظلمونا اى وما بخسوا حقنا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يعني باخذهم اكثر مما

حد لهم فاستحقوا ابد لك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم
بلا مونة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي اريحا قرية الجبارين
وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق فعلى هذا
يكون القايل يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موت موسى لان موسى مات
في التيه وقيل هي بيت المقدس فعلى هذا فيكون القايل موسى والمعنى اذا خرجتم
من التيه بعد مضي الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث شيتم
رغدا اي موسعا عليكم وادخلوا الباب فمن قال ان القرية اريحا قال ادخلوا اي
باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هي بيت المقدس
قال هو باب حطة سجدا منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود
وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا
لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على نعته ير مسيلتنا حطة نغفر لكم
خطاياكم اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة ستر الذنوب وسنزيد
المحسنين يعني ثوابا فبدل اي فغير الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي قالوا
قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم هطا ثا
سمقا ثا اي حنطة حمرا وذلك استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطي لهم الباب
ليخفضوا روسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا
في القول ويدل له ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل لبني اسرايل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم
وقالوا حبة في شعرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما يعني عذابا من السما قيل
ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا
يفسقون اي يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل واذ استسقى موسى
لقومه اي طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي
لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا فقلنا اضرب بعصاك وكان العصا من اس
الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها
عليق وقيل نبعة حملها ادم معه من الجنة فتوارثها الانبيا حتى وصلت الى شعيب
فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان فينفجر
عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه
بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر راس الرجل وكان موسى يضعه

في مخلاة فاذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة
وجوه في كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان
من الكذان وهو الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه
ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة
ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاته فلما سالوه السقيا قيل اضرب بعصاك
الحجر فكان اذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه فينفجر منه عيونا لكل
سبط عين تسيل اليهم في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب
الما وييبس الحجر فذلك قوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا يعني على عدد
اسباط بني اسرايل والمعنى فضربه فانفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست
اي عرقت وانفجرت سالت قد علم كل اناس مشربهم اي موضع شربهم لا يدخل سبط
مع غيره كلوا واشربوا اي قلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله يعني المن والسلوى
والما فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة ولا تعثوا في الارض
مفسدين العيث اشد الفساد في هذه الاية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام
حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم اعظم لانه انفجر الما من بين اصبعيه فروي منه الجمع الكثير لان
انفجار الما من اللحم والدم اعظم من انفجاره من الحجر قوله تعالى واذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم سيموا من المن والسلوى وملوهم
فاشتهوا غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة فان
قلت هما طعامان فلم قالوا على طعام واحد قلت اراد بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدل ولو كان على مايدة الرجل عدة الوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها
كانت بمنزلة الطعام الواحد فادع لنا ربك اي فسل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت
الارض من بقلها وقثايها وفومها قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة
وقيل هو الثوم وعدسها وبصلها انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية
الشهوة او لانهم ملوا من البقا في التيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في
البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة قال يعني موسى اتستبدلون
الذي هو ادنى اي الذي هو اخس واردى هو الذي طلبوه بالذي هو خير يعني بالذي
هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه اهبطوا مصرا يعني فان ابيتم الا ذلك فاتوا مصرا
من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله
على نوح ولوط والمقصود هو الاول فان لكم ما سالتم يعني من نبات الارض وضربت

عليهم الذلة اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل
والهوان وقيل الذل الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية
قبل **والمسكنة** اي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده
عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنيا مياسير كانهم فقرا فلا ترى احدا من اهل الملل
اذل ولا احرص على المال من اليهود **وباءوا** اي رجعوا ولا يقال باء الا بشر **بغضب من
الله** وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه **ذلك** اي الغضب **بانهم كانوا يكفرون
بايات الله** اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم التي في التورية ويكفرون بالانجيل
والفرقان **ويقتلون النبيين** النبي معناه المخبر من انبا ينبي وقيل هو بمعنى الرفيع وهو
ماخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع **بغير الحق** اي بغير جرم فان قلت قتل الانبيا لا يكون
الا بغير حق فما فايدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق
وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق
وصف للحكم لان حكمه ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول
النهار وقامت الى سوق بقلها في اخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من الانبيا
ذلك بما عصوا اي ذلك القتل والكفر بما عصوا امري **وكانوا يعتدون** اي يتجاوزون
امري ويرتكبون محارمي قوله عز وجل **ان الذين امنوا والذين هادوا** يعني اليهود سموا
بذلك لقولهم انا هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل هادوا اي تابوا من عبادة العجل وقيل
انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى **والنصارى** سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار
الله وقيل لاعتزايهم الى قرية يقال لها ناصره وكان المسيح ينزلها **والصابيين**
اصله من صبا اذا خرج من دين الى دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر
وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمر ذبايحهم ذبايح اهل الكتاب وقال ابن عباس
لا تحل ذبايحهم ومناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط
روسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرون بالزبور ويعبدون الملايكة ويصلون الى
الكعبة اخذوا من كل دين شيا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم
يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها
وتعظيمها وانها هي التي تعبد الله تعالى ولما ذكر الله تعالى هذه الطوايف قال
من امن بالله واليوم الاخر فان قلت كيف قال في اول الاية ان الذين امنوا وقال
في اخرها من امن بالله فما فايدة التعميم اولا ثم التخصيص اخرا قلت اختلف
العلما في حكم الاية فلهم فيه طريقان احدهما انه اراد ان الذين امنوا على التحقيق
ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس

ابن ساعده

ابن ساعده وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم
من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه تعالى قال
ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل
المبدل من اليهود والنصارى من امن منهم بالله واليوم الاخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم
فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المومنون من الامم الماضية وقيل هم المومنون
من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى
الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابيين يعني في زمن استقامة امرهم من امن
منهم ومات وهو مومن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا
ان المذكورين بالايمان في اول الاية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين
امنوا بالانبيا الماضين ولم يومنوا بك وقيل هم المنافقون الذين امنوا بالسنتهم
ولم يومنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابيين فكانه تعالى يقول هولا المبطلون
كل من امن منهم الايمان الحقيقي صار مومنا عند الله وقيل ان المراد من قوله تعالى ان
الذين امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك
في المستقبل وهو المراد من قوله من امن بالله واليوم الاخر **وعمل صالحا** اي في ايمانه
فلهم اجرهم عند ربهم اي جزا اعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي في الاخرة
قوله تعالى **واذ اخذنا ميثاقكم** اي عهدكم يا معشر اليهود **ورفعنا فوقكم الطور**
يعني الجبل العظيم قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام
على روسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التورية على موسى وامرهم ان يعملوا
باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الاصار يعني الاثقال والتكاليف الشاقة
امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا
في فرسخ فرفعه فوق روسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة
والا ارسلت هذا الجبل عليكم **خذوا** اي وقلنا لهم خذوا **ما اتيناكم** اي ما اعطيناكم
بقوة اي بجد واجتهاد **واذكروا ما فيه** اي ادرسوا ما فيه **لعلكم تتقون** اي لكي تنجوا
من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والا رضخت روسكم بهذا الجبل فلما راوا ان
ذلك نازل بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة
في سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع
عنا العذاب **ثم توليتم** اي اعرضتم **من بعد ذلك** اي من بعد ما قبلتم التوراة
فلولا فضل الله عليكم ورحمته اي بالامهال **لكنتم من الخاسرين** اي المغبونين
بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم**

اي جاوزوا الحد في السبت يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم
واصل السبت القطع ذكر الاشارة الى القصة قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن
داود عليه السلام بقرية بارض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت
فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها
فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ثم ان الشيطان وسوس لهم وقال لهم انما
نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا
حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا
تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيغصن فيها ولا يقدرن
على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون
الشخوص والحبايل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا
ولم ينزل بهم عقوبة فتجروا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاخذوا
وملحوا واكلوا وباعوا واثروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف
وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك
ولم ينه وصنف انهمكوا في الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر
الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا
القرية بينهم بجدار فصبر على ذلك سنتين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم
لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين
احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطاوا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لهم اذناب
وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا
ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره
كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات فجعلناها يعني عقوبتهم بالمسخ نكالا اي
عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل معنى عقوبة قرية اصحاب السبت
عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها
من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله تعالى وموعظة للمتقين اي المؤمنين من امة
محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة البقرة واحدة البقر وهي الانثى واصلها البقر
وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة الاشارة الى القصة في ذلك

قال

قال علماء السير والاخبار انه كان رجل غني في بني اسرايل وله ابن عم فقير لا وارث
له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم
اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر
القتيل على موسى فسال موسى ربه في ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها
فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي نحن نسالك عن امر القتيل
وانت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة اي وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر
ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى اعوذ بالله اي امتنع بالله ان اكون
من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال
فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اي بقرة
كانت فذبحوها لاجزات عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان في ذلك حكمة لله
عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرايل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة
وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت
العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه
وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا
اصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه
ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجلة استودعها الله
في غيضة كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها
انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة
لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك
بالله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها
يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون
عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت
تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع لبرك بامك فسار
الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب
بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير
ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث
الله تعالى ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال له الملك
بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى امي فقال له الملك لك ستة
دنانير ولا تستامر امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه الا برضى امي ورجع

الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي
فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال استامرت امك قال الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها
من ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيك اثني عشر دينارا ولا تستامرها فابى
الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي
ليختبرك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب
الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل قتل في بني
اسرايل ولا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله تعالى على بني
اسرايل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها
مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها قال يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة
لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لا تلد والبكر الفتية التي لم تلد
عوان اي نصف بين ذلك اي بين السنين فافعلوا ما تومرون اي من ذبح البقرة ولا تكثروا
السوال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفرا فاقع لونها
قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفرا السودا والاول اصح لانه
يقال اصفر فاقع واسود حالك تسر الناظرين اي يعجبهم حسنها وصفا لونها قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي اي اسايمة هي ام عاملة ان البقر تشابه علينا اي التبس واشتبه
امرها علينا وانا ان شا الله لمهتدون اي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى اخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول
اي ليست مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اي ليست بساقية
والساقية هي التي يستقى الما من البير لسقي الارض مسلمة اي بريئة من العيوب لا شية فيها
اي لا لون فيها غير لونها قالوا الان جئت بالحق اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوا
فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا
فذبحوها وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به قبل لغلا ثمنها
وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل
واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة بذلك لوجوب القتل فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس
اي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله
مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر ما كتمتم من امر القتيل لا محالة فلا يتركه مكتوما فقلنا
اضربوه يعني القتيل ببعضها اي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى والاقرب

انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باي جزء منها اجزا وحصل
المقصود وانه ليس في القران ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير
وفي الاية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال
قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث
قاتل بعد صاحب البقرة كذلك اي كما احيى الله عاميل صاحب البقرة يحيي الله الموتى
يعني يوم القيمة ويريكم اياته لعلكم تعقلون اي تمنعون انفسكم عن المعاصي
فان قلت كان حق هذه القصة ان يتقدم ذكر القتيل اولا ثم ذبح البقرة بعد
ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله تعالى
لما ذكر من قصص بني اسرايل وما وجد من خباياهم تقريعا لهم على ذلك وما
وجد فيهم من الايات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من
التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك
المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة
فلو قدم ذكر قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض
من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتيل فان قلت ما فايدة
ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتدا من غير ضرب بشي
قلت الفايدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان
موسى انما احياه بضرب من السحر او الحيلة فاذا حيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة
وبما فعلوه بهم انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله وبامره كان ذلك فان قلت
هلا امروا بذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة
ثم في ذبح البقرة فوايد منها التقرب بالقربات على ما كانت العادة جارية عندهم
ومنها ان القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها
بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها في ثمنها فصل
في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع
ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعي به واللوث ان يغلب على الظن
صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحرا ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن
ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعدا القتيل لا يخالطهم غيرهم
فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه
وان كان الاوليا جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه
ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين

وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث
فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا ام خمسين
يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في ساير الدعاوى والثاني
يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدا
بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحا اهلها
فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفوا له قاتلا فان حلفوا والا اخذ الدية من سكانها
والدليل على ان البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روى عن سهل بن ابي حثمة
قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة وحويصة بن مسعود الى خيبر وهو يومئذ
صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا
فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة
ابن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون
وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال
فتبريكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي
صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع
برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه
بماية من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين والدليل من هذا الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم بدا بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن
يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل
براءة ذمته فكان القول قوله بيمينه والله اعلم قوله تعالى **ثم قست قلوبكم** اي يبست
وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت
من بعد ذلك اي من بعد ظهور الدلالات التي جا بها موسى وقيل هو اشارة الى
احيا القتيل بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب في الغلظ والشدة **كالحجارة**
اي كالشي الصلب الذي لا تخلخل فيه **او** قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي
واشد قسوة فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد
وهو اشد من الحجارة واصلب قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود
عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب
القاسي فقال **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد
به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجر التفتح بالسعة والكثرة **وان**

منها

منها لما يشقق فيخرج منه الما يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار
وان منها لما يهبط من خشية الله اي ينزل من اعلا الى اسفل وخشيتها
عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود
لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت
ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب
اهل السنة ان لله تعالى في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليه غيره
فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده
وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان
به ويكل علمه الى الله تعالى م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان بعث واني لاعرفه الان عن علي رضي الله
تعالى عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب خ عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل اصوات العشار حتى نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة
صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها وضمها اليه فجعلت
تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر
قال مجاهد ما ينزل حجر من اعلا الى اسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما
قلنا **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله
بالمرصاد لهولاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الاخرة
قوله عز وجل **افتطمعون** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي
الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون
ان يومنوا لكم اي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يومنوا
لكم مع انهم لم يومنوا بموسى عليه السلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل
وظهور المعجزات على يده **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله** قيل المراد
بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى
وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير

بلغ

تعلم
يوم الميقات

راجع اليهم في افتطمعون ان يومنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله
ثم يحرفونه اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله
بالفريق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس انها نزلت في السبعين
الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا
كلام الله اما الصادقون منهم فادوا كما سمعوا وقالت طايفة منهم
سمعنا الله يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شيتم
فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله
بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم
صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم من التورية من بعد ما عقلوه
اي علموا صحة كلام الله تعالى ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه وهم يعلمون
اي فساد مخالفتهم ويعلمون ايضا انهم كاذبون قوله تعالى واذا لقوا الذين
امنوا نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم امنا
بالذي امنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا
واذا خلا بعضهم الى بعض يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا
وروسا اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
يعني قضى الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله
صدق ليحاجوكم به اي ليخاصموكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا
عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه
وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم اي في الدنيا والاخرة وقيل هم
يهود بني قريظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان
القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم وقيل ان اليهود
اخبروا المومنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم
بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند ربكم افلا تعقلون
اي ان ذلك لا يليق بما انتم عليه اولا يعلمون يعني اليهود ان الله يعلم ما يسرون
اي ما يخفون وما يعلنون اي ما يبدون وما يظهرون قوله عز وجل ومنهم اميون
اي من اليهود لا يعلمون الكتاب اي لا يحسنون الكتابة ولا القراة جمع امي وهو

المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل عليه من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة
الا اماني جمع امنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر، تمنى كتاب الله اول ليله
تمني داود الزبور على رسله، اي تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين
بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المختلقة وهي الاشيا التي
كتبها علماوهم من عند انفسهم واضافوها الى الله وذلك من تغيير نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب
لكن يتمنون اشيا لا تحصل لهم وان هم الا يظنون اي ليسوا على يقين فويل الويل
كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة واصلها في اللغة العذاب والهلاك
وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان
يبلغ قعره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة للذين يكتبون
الكتاب بايديهم تاكيد للكتابة لانه يحتمل ان يامر غيره بان يكتب فقال بايديهم
لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان روسا اليهود
خافوا على ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التورية فغيروها
وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العين ربعة فغيروا ذلك
وكتبوا مكانه طوال ازرق العين سبط الشعر فكان اذا سالهم سفلتهم عن صفته
قروا عليهم ما كتبوا ثم يقولون هذا من عند الله يعني هذه الصفة التي كتبوها
فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة فيجدونه مخالفا فيكذبوا
به ويقولون انه ليس به ليشتروا به اي بما كتبوا ثمنا قليلا اي الماكل والرشا التي
كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما
يكسبون قوله تعالى وقالوا اي اليهود لن تمسنا اي لن تصيبنا النار الا اياما
معدودة اي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة
الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا
العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا
فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله عتب عليهم في امر فاقسم ليعذبنا اربعين
يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اي يا محمد قل لليهود اتخذتم
عند الله عهدا يعني موثقا الا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده اي وعده

ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا
النار من كسب سيئة السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة
والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس واحاطت به خطيئته اي احدقت به من جميع
جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به اي تملكته
خطيئته واحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة
والخطيئة في هذه الاية بالكفر والشرك لقوله فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات فان قلت
العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل
الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكريرا قلت اجاب بعضهم
بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله امن لا يفيد الا انه
فعل فعلا واحدا من اعمال الايمان فلهذا احسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات
وقيل ان قوله امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال
امنوا ولا ثم داوموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل يعني في التوراة والميثاق
العهد الشديد لا تعبدون الا الله اي امرهم الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة
غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي برا بهما ورحمة
ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يوذيهما
البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما
الى الايمان بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر
المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم
فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون
الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذي القربى اي القرابة
لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا احسن عطف
القرابة على الوالدين واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل فاذا بلغ الحلم زال عنه
اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته
اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوايجه والمساكين جمع مسكين وياتي بيانه ان شا الله
تعالى وانما تاخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه وينفع غيره
بالخدمة وقولوا للناس حسنا فيه وجهان احدهما ان الخطاب للحاضرين من اليهود في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد

صلى

صلى الله عليه وسلم فمن سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله ابن عباس
الوجه الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى واخذ عليهم الميثاق وانما
عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم
بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة ولما امرهم الله بهذه التكاليف لتكون المنزلة عنده بما التزموا به
اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى ثم توليتم اي اعرضتم عن العهد الا قليلا منكم
يعني من الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم معرضون
اي كاعراض ابائكم قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم من اليهود وقيل خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم لا تسفكون اي لا تهرقون
دماءكم اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دما غيركم فتسفك دماؤكم
فكانكم انتم سفكتم دما انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا
من داره وقيل لا تفعلوا شيئا تخرجوا به انفسكم من دياركم ثم اقررتم اي بهذا العهد انه
حق وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك ثم انتم هولاء
يعني يا هولاء اليهود تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا وتخرجون فريقا منكم من
ديارهم اي يخرج بعضكم بعضا من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تتعاونون
عليهم بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم اي بالمال وهو استنقاذهم
بالشرا وقرى تفادوهم اي تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله
تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم
بعضا من ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه
واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس
والخزرج حروب فكانت بنوا النضير تقاتل مع حلفائهم وبنوا قريظة تقاتل مع
حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل
من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم
تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحيي ان نذل
حلفاءنا فعيرهم الله تعالى بقوله ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم وتاخير
تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم
عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود
ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفك اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا

الفدا قال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض معناه ان وجدتموهم
في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم فكان ايمانهم الفدا وكفرهم قتل بعضهم بعضًا بايديكم
فذمهم على مناقضة افعالهم لا على الفدا لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض
فما جزا من يفعل ذلك منكم يعني يا معشر اليهود الا خزي في الحيوة الدنيا اي عذاب
وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الاجلا والنفي من
منازلهم الى ريحا واذرعات من ارض الشام ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب يعني عذاب
النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد عظيم اوليك الذين اشتروا الحيوة
الدنيا بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات
الدنيا فاتته لذات الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب اي فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون
اي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ولقد اتينا اي اعطينا موسى
الكتاب يعني التورية جملة واحدة وقفينا اي واتبعنا من التقفية وهو ان يقفو
اثر الاخر من بعده اي من بعد موسى بالرسل يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل
من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة
واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارميا
وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يعملون ويحكمون بشريعة
موسى الى ان بعث الله عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة
فذلك قوله تعالى واتينا عيسى ابن مريم البينات اي الدلالات الواضحات وهي المعجزات
من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وايدناه اي وقويناه بروح القدس قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه
والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول
عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم
الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الانجيل لانه به حياة القلوب سماه روحا
كما سمي القران روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف
ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل
روحا للطافته لانه روحاني خلق من النور وقيل سمي روحا لمكانه من الوحي
الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى
قال وايدناه اي قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه
حيث سار فلم يفارقه حتى ظهر به الى السما فلما سمعت اليهود ذكر عيسى قالوا يا محمد
لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبيا فعلت فاتنا بما اتى به عيسى

اذكنت

ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى
انفسكم استكبرتم اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعني مثل عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وفريقا تقتلون يعني مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوه وذلك
ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيا لهم قتلوه وانما كانوا كذلك
لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة فيها وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع اغلف وهو
الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه وقال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف
والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل اوعية من الوعي لا تسمع حديثا
الا وعته الا حديثك فانها لا تفقهه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى
بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله فقليلا ما يؤمنون اي لم
يؤمن منهم الا قليلا لان من امن من المشركين كان اكثر منهم قوله تعالى ولما جاءهم كتاب
من عند الله يعني القران مصدق لما معهم يعني التورية وهذا التصديق حجة في نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التورية وكانوا يعني اليهود
من قبل اي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون اي يستنصرون على الذين
كفروا يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا حزبهم امر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا
عليهم بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد صفته في التورية فكانوا ينصرون وكانوا
يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان يخرج فيه نبي بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه
قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا اي الذي عرفوا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
عرفوا نعته وصفته وانه من غير بني اسرايل كفروا به اي جحدوه وانكروه بغيا وحسدا
فلعنة الله على الكافرين بيس ما اشتروا به انفسهم اي بيس شيا الذي اختاروا لانفسهم
حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بيسما باعوا به حظ انفسهم
ان يكفروا بما انزل الله يعني القران بغيا اي حسدا ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة
على من يشا من عباده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فباؤوا اي فرجعوا بغضب على غضب
اي مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقران وقيل الاول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وللكافرين يعني الجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس عذاب مهين اي يهانون
فيه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعني بالقران وقيل بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما
انزل علينا يعني التوراة وما انزل على انبيائهم ويكفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب

وقيل بما بعده يعني الانجيل والفرقان وهو الحق يعني القران مصدقا لما معهم يعني
التورية قل يا محمد فلم تقتلون انبيا الله من قبل انما اضاف القتل الى المخاطبين من اليهود
وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها
وانكرها بري منها ومن رضيها كان من اهلها ان كنتم مومنين اي بالتورية وقد نهيتم فيها
عن قتل الانبيا قوله عز وجل ولقد جاكم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحة والمعجزات
الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى لما ذهب الى الميقات وانتم ظالمون انما كرره
تبكيتا لهم وتاكيد الحجة عليهم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة
واسمعوا اي استجيبوا واطيعوا فيما امرتم به قالوا سمعنا اي قولك وعصينا يعني امرك
قيل انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان نسب ذلك اليهم
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ
في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل وينذره في النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقي
في قلبه شي من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه قل بيسما يامركم به ايمانكم ان كنتم
مومنين اي بزعمكم وذلك انهم قالوا نومن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك قوله تعالى قل ان
كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوي باطلة
منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابنا الله واحباوه فكذبهم الله والزمهم
الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة خالصة اي خاصة لكم
من دون الناس فتمنوا الموت اي فاطلبوه واسالوه لان من علم ان الجنة ماواه وانها لحن اليها
ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني ان كنتم صادقين اي في قولكم ودعواكم
روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما
بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا اي لعلمهم انهم في دعواهم
كاذبين بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال السيئة وانما اضاف الى اليد لان اكثر جنايات الانسان
تكون من يده والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من
الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان اعم وكانوا اولى به ولتجدنهم اللام
للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود احرص الناس على حياة
اي حياة متطاولة والحرص اشد الطلب ومن الذين اشركوا قيل هو متصل بما قبله ومعطوف
عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله
احرص الناس فلم افردهم بالذكر قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم
لليهود لان الذين لا يومنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحيوة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها
فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزا كان حقيقا بالتوبيخ العظيم

وقيل

وقيل ان الواو واو استيناف تقديره من الذين اشركوا اناس يود احدهم وهم المجوس
سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اي يتمنى احدهم لو يعمر الف سنة اي تعمير
الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود وقيل لانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون
زه هزار سال اي عش الف سنة او الف نيروز والف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان
اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه اي بمباعده من العذاب اي النار
ان يعمر اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب والله بصير بما يعملون اي لا يخفى عليه خافية
من احوالهم قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس سبب نزول هذه الاية ان عبد الله
ابن صوريا حبر من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك ياتيك من السما قال
جبريل قال ذلك عدونا ولو كان ميكايل لامنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف
وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد
رجل يقال له بخت نصر فلما كان وقته بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا
فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن يسلطك عليه وان لم يكن
هو فعلى اي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه
عدوا فانزل الله هذه وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه عدوا
وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلا المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود فكان
يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما في اصحاب محمد احب الينا منك وانا لنطمع فيك
فقال عمر والله ما اتيتكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من
الملايكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على سرنا وهو
صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكايل يجي بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون
جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل
وميكايل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكايل عن يساره وميكايل عدو لجبريل
فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله
ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه الايات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رايتني
بعد ذلك في ديني اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل
على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك قوله فانه نزله
يعني جبريل نزل بالقران كناية من غير مذكور على قلبك يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه
محل الحفظ باذن الله اي بامره مصدقا اي موافقا لما بين يديه اي لما قبله من الكتب وهدى

وبشرى للمؤمنين اي في القران هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب
وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال المايتين
في الاية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقران على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وجب ان يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم فبين في هذه
الاية ان كل من كان عدوا لاحد هولاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله فان
الله عدو للكافرين فاما عداوتهم لله تعالى فانها لا تضره ولا توثر وعداوته لهم
تؤديهم الى العذاب الدايم الذي لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوة
اوليايه فهو كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله اي يحادلون اوليا الله واهل طاعته
وقوله وملايكته ورسله يعني ان من عادى واحدا من هولاء فقد عادى جميعهم ومن كفر
بواحد من هولاء فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكايل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين
في جملة الملايكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكايل لفضله عليه
ولان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذا الارواح وميكايل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذا
الابدان وجبريل وميكايل اسمان اعجميان ومعناهما عبد الله وعبيد الله لان جبر وميك
بالسريانية هو العبد وايل هو الله ولقد انزلنا اليك ايات بينات قال ابن عباس هذا جواب
لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جيتنا بشي نعرفه وما
انزل عليك من اية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الايات ومعنى بينات اي واضحات
مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام وما يكفر بها اي وما يجحد بهذه الايات
الا الفاسقون اي الخارجون عن طاعتنا وما امروا به اوكلما عاهدوا عهدا قال ابن عباس
لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم
وان يومنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد صلى الله عليه وسلم عهد فانزل الله
هذه الاية اوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا يعني هو قولهم انه قد اظل زمان نبي مبعوث
وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها نبذه اي طرح العهد ونقضه
فريق منهم يعني من اليهود بل اكثرهم لا يومنون يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق
منهم بالجحد للحق ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما
معهم يعني مصدق بصحة التوراة وبنبوة موسى وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مبعثه مصدقا للتوراة نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قيل المراد بالكتاب القران وقيل التوراة وهو الاقرب
لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقران انما نبذهم للتوراة فانهم كانوا يقرونها
ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها كانهم

لا يعلمون

٤٤

لا يعلمون يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على
ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم وكتموا امره وكان اولايك النفر القايل قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان يعني ان اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا
تقرا من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب على ملك سليمان وهو قولهم ان سليمان ملك
الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين
كتبوا السحر والنيرنجات على لسان اصف بن برخيا هذا ما علم اصف بن برخيا سليمان الملك فلم يشعر
وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك فلم يشعر بذلك وقيل ان
بني اسرايل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه فمنعهم من ذلك سليمان واخذ كتبه ودفنها
تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه
فاما صلحا بني اسرايل وعلماوهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان
واما السفلة منهم فقالوا هذا من علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيايهم
وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وانزل عليه براة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه لسليمان عن السحر وذلك ان اليهود انكروا
نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان
السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله من ذلك وقيل
ان بعض احبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان
الا ساحرا فانزل الله وما كفر سليمان يعني ان كون سليمان نبيا ينافي كونه ساحرا
كافرا ثم بين تعالى ان الذي براه منه لاحق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا يعني
ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى يعلمون
الناس السحر يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني
اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفا سببه ولانه يفعل في خفية وقيل
معنى السحر الازالة وصرف الشي عن وجهه وتقول العرب ما سحرك عن كذا اي ما
صرفك عنه فكان الساحر لما ارى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشي عن وجهه
اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن
التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر
وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي الموثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي انه قال
السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يوثر

في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير
الساحر في الهوى وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو
الخالق الفاعل لهذه الاشيا عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر هو الفاعل لها المؤثر
فيها والاصح ان السحر يخيل ويوثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على
ذلك ان للكلام تاثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم
بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما حكمه فانه من الكبائر التي
نهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر
وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف
وقذف المحصنات الغافلات المومنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وقرنه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله
الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما يكفر به صاحبه وهو
ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو الموثر او يعتقد ان الكواكب هي
الموثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله ويجب
قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر
ضربه بالسيف اخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي
يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب
هي الموثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو الموثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه
ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي
عن مالك بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها
وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطا قوله عز وجل **وما انزل على
الملكين** اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم
اي ما الهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قيل هما رجلان ساحران كانا ببابل
وقيل علجان ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام
فان قلت كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز
للملائكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم
به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يومرون به وينهون
عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده
من بني ادم عنه فغير ممكن ان يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما

فتنة

فتنة لعباده من بني ادم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن
فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء
وزوجه فيتمحص المومن بتركه التعلم منهما ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما
ويكون الملكين في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كانا عن اذن من الله
تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه
بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك
بل صفات السحر ويذكران بطلانه ويامران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر
من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن
الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه
فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت
بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني **ببابل** قيل هي بابل العراق بارض
الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل
دنباوند والاول اصح واشهر **هاروت وماروت** اسمان سريانيان وقصة الاية
على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما راوا ما يصعد الى السما من اعمال
بني ادم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هولاء الذين
جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى
الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي
لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا
هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت
عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض
وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب
الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا
الى السما فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا في اول يوم وذلك انه
اختصم اليهما امراة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة
فلما راياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل
الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت
في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا
النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشيا فان الله تعالى قد نهانا عنها
فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها

الثلاثة ثم

فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم
وقتل النفس عظيم واهون الثلث شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمراة فزنيا
بها فرابهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل
جاتهما امراة من احسن النسا تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر هل سقط في نفسك
مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك ان تقضي على زوجها قال له صاحبه
اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله
من العفو والرحمة فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي فقضيا
ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما
عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو
والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان لي صنما نعبده ان انتما صليتما
معي عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا
معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن ابي طالب قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني
بالذي تصعدان به الى السما فقالا باسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركي حتى تعلماني
اياه فقال احدهما للاخر علمها فقال اني اخاف الله قال الاخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك
فتكلمت به وصعدت الى السما فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها الزهرة بعينها
وانكر اخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي اقسم الله بها
فقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى
الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت
بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السما فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما
فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل
وقالا له رانيا ما يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع جميع اهل الارض فاشفع
لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا
عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام
الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما
ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة جلودهما ليس بين
السنتهما وبين الما الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك فقال
لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا له من انت قال رجل من الناس فقالا من اي امة
انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا او قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم
فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبي الساعة

وقد

٤٤

وقد ذكرنا انقضا عذابنا **فصل** في القول بعصمة الملايكة اجمع المسلمون على
ان الملايكة مومنون فضلا واتفق ايمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملايكة حكم النبيين
سوا في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شي ثبت فيه عصمة الانبيا فكذلك
الملايكة وانهم مع الانبيا في التبليغ اليهم كالانبيا مع اممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين
من الملايكة فذهب طايفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملايكة عن جميع
الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طايفة الى ان غير
المرسلين من الملايكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة
هاروت وماروت عن علي ومما نقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري
في تفسيره عن جماعة من الصحابة فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي
ابن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد واجاب
من ذهب الى عصمة جميع الملايكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون
واهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شي وهذه الاخبار
انما اخذت من اليهود وقد علم افتراوهم على الانبيا والملايكة وقد ذكر الله عز وجل
في هذه الايات افترا اليهود على سليمان عليه السلام اولا ثم عطف على ذلك قصة
هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الاية وما كفر سليمان بالسحر الذي افتعلته عليه
الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود فاخبر عن افترايهم وكذبهم وذكر ايضا في الجواب
عن هذه القصة وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملايكة
لو ابتليتكم بما ابتليت به بني ادم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك
وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا
منهم الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وذلك فاسد لان الله
تعالى لا يخير من اشرك وان كانت قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث
ان المراة لما فجرت كيف يعقل انها صعدت الى السما وصارت كوكبا وعظم الله قدرها
بحيث اقسم بها في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه ركاكة
هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملايكة عن كل ما لا يليق
بمنصبهم وقوله تعالى وما يعلمان من احد يعني احدا حتى ينصحانه اولا ويقولا انما
نحن فتنة اي ابتلاء ومحنة فلا تكفر اي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر قيل يقولان انما
انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعلم يقولان له ايت
هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السما فذلك الايمان
والمعرفة وينزل شي اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله

فيتعلمون منهما يعني من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون
سببا في التفرق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث
الله تعالى عنده البغضا والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لان السحر
ليس له تاثير في نفسه بدليل قوله وما هم يعني السحرة بضارين به اي بالسحر من احد اي
احدا الا باذن الله تعالى اي بعلمه وقضايه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يكوّن
ويكون وذلك بقضا الله وقدرته ومشيته ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يعني السحر
لانهم يقصدون به الشر ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي اختاره ما له في الاخرة
من خلاق يعني ما له نصيب في الجنة ولبيس ما شروا به انفسهم اي باعوا حظ انفسهم
حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون فان قلت كيف اثبت لهم العلم
اولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم اخرا في قوله لو كانوا يعلمون قلت
قد علموا ان من اشترى السحر ما له في الاخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا
بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جات به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على
معرفة منهم بما لمن فعل ذلك من العقاب فجعلهم حيث لم يعملوا بعلمهم كانهم منسلخين
منه ولو انهم يعني اليهود امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واتقوا يعني اليهودية
والسحر وما يوثمهم لمثوبة من عند الله اي لكان ثواب الله اياهم خير لهم يعني الثواب لو كانوا
يعلمون يعني ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا سبب نزول هذه الاية
ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت
هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود معناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعونة
اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة
من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان فكانوا ياتونه ويقولون
راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها
وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لين سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
اي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولوا انظرنا
اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتان بنا وفهمنا واسمعوا اي ما تومرون به واطيعوا نهى
الله تعالى عباده المومنين ان يقولوا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه
وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن
المعاني ارقها وان سالوه يسالوه بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود وللكافرين
يعني اليهود عذاب اليم ما يود اي ما يحب الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود ولا المشركين

يعني

يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب وهم
الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبد غير الله
ان ينزل عليكم من خير من ربكم يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم
من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم
على المومنين وذلك ان المسلمين قالوا لحلفايهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله
هذه الاية تكذيبا لهم والله يختص برحمته من يشا يعني انه تعالى يختص بنبوته
ورسالته من يشا من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من احب من خلقه
رحمة منه لهم والله ذو الفضل العظيم يعني كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم
فانه منه ابتدا وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم ذلك بل له الفضل
والمنة على خلقه قوله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها الاية وسبب نزولها
ان المشركين قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم
قولا ويرجع فيه غدا ما يقوله الا من تلقا نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا
بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من اية
فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم
واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان
ينقل من كتاب الى كتاب اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي
اثبات مثله في كتاب اخر فعلى هذا المعنى يكون القران كله منسوخا وذلك انه نسخ
من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سما الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع
والازالة وهو ازالة شي بشي يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب وعلى
هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا والمراد حكم هذه الاية وهو
ازالة الحكم بحكم يعقبه فصل في حكم النسخ النسخ في اصطلاح العلما عبارة
عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ جايز عقلا وواقع سمعا خلافا
لليهود فان منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طايفة قليلة من
المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلايل
قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو
نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى
حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه جا في التوراة ان الله تعالى
قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك اني جعلت لك كل دابة ماكولا لك ولذريتك

واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه السلام وعلى بني اسرايل كثيرا
من الحيوانات ومنها ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من
بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ
فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القران نسخ جميع الشرايع والكتب القديمة
كالتوراة والانجيل وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القران ونقله من
اللوح المحفوظ الى سما الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلما
ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الايات بدليل اخر ياتي بعد وهو المراد بقوله تعالى
ما ننسخ من اية او ننساها نات بخير منها او مثلها لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها
ايات القران لانه هو المعروف عندنا مسيلة قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب
لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الاية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من اية او
ننساها نات بخير منها او مثلها وذلك يفيد انه هو الاتي والماتي به من جنس القران
وما كان من جنس القران فهو قران وقوله نات بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان
بذلك الخير وهو القران الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من
القران ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان اية الوصية للاقربين
منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعي بان هذا ضعيف
لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث مانعة من
الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم النسخ في القران على وجوه احدها
ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقروا
سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجه البغوي
بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه
الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو
جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان
فيما انزل الله عليه اية الرجم فقراناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قايل ما نجد الرجم في كتاب الله
فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال
والنسا اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم وللبخاري نحوه الوجه الثالث
ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القران مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية
الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره واية عدة الوفاة بالحول نسخت باية اربعة اشهر

وعن

وعن اية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين الاية نسخت
بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ومثل هذا كثير في القران واما
معنى الاية فقوله ما ننسخ من اية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسها قرئ بضم النون وكسر
السين ومعناه نثبتها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نامر بتركها
فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانسا نسخا من غير اقامة غيره
مقامه وقرئ ننساها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناه نوخرها فلا نتركها ونرفع
تلاوتها ونوخر حكمها كاية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم وقال
سعيد بن المسيب وعطا ما ننسخ من اية فهو ما نزل من القران جعلاه من نسخت الكتاب اذا
نقلته الى كتاب اخر وننساها اي نوخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها نات بخير
منها اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله
تعالى كله واحد او مثلها اي في المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل كالذي
كان على المومنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة
عنهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل في الثواب الذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة
فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل على الابدان
واشق من صيام ايام معدودات وكان ثوابه اكمل واكثر واما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس
وصرفه الى المسجد الحرام واستوا الاجر في ذلك لان على المصلي التوجه الى حيث امره الله تعالى
الم تعلم ان الله على كل شي قدير اي من النسخ والتبديل والمعنى يا محمد اني قادر على تعويضك مما نسخت
من احكامي وغيرت من فرايضي التي كنت افترضتها عليك ما اشا مما هو خير لك ولعبادي المومنين
وانفع لك ولهم عاجلا واجلا الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو المتصرف
في السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشا من امر ونهي ونسخ وتبديل
وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا
النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله انه له ملك السموات
والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه ويحكم فيهم بما يشا وعليهم السمع والطاعة وما لكم
يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب من دون الله اي مما سوى الله من ولي اي من قريب وصديق وقيل
من وال وهو القيم بالامور ولا نصير اي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الاية وليس لكم ايها
المومنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يويدكم ويقويكم على اعدايكم قوله تعالى ام تريدون ان
تسالوا رسولكم نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ايتنا بكتاب من السما جملة كما اتى موسى
بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نومن لك حتى تاتي بالله والملايكة
قبيلا كما سال القوم موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اتريدون ان

تسئلوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم كما سئل موسى من قبل وذلك ان موسى سالوه قومه
فقالوا ارنا الله جهرة فنفى الاية منعهم ونهيهم عن السوالات المقترحة بعد ظهور الدلالات
والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن يتبدل اي يستبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل اى اخطا قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
خطاب للمومنين واعلام لهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره فنهاهم الله
تعالى ان يقبلوا من اليهود شيئا ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا
قصد السبيل قوله عز وجل ود كثير من اهل الكتاب نزلت هذه الاية في نفر من اليهود وذلك انهم
قالوا لحذيفة بن اليماني وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا
فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد فقال اني عاهدت ان لا اكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين
اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما
فانزل الله تعالى ود كثير اى تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود لو يردونكم اي يا معشر المومنين
من بعد ايمانكم كفارا اى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر حسدا اي يحسدونكم حسدا واصل
الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم بما روى
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل
النار الحطب او قال العشب اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبد نعمة فتمنى اخر زوالها
فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى اخر زوالها
عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث
انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله من عند انفسهم اى من تلقاء انفسهم لم يامر الله
بذلك من بعد ما تبين لهم الحق يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون
فيه فكفروا به حسدا او بغيا فاعفوا واصفحوا اى فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد
وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يومر بالقتال حتى ياتي الله بامره اى بعذابه وهو
القتل والسبي لبني قريظة والاجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو امر الله تعالى له
بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ان الله على كل شي قدير
فيه وعيد وتهديد لهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة لما امر الله المومنين بالعفو والصفح
عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتا الزكوة الواجبتين ونبه بذلك
على ساير الواجبات ثم قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير اى من طاعة وعمل صالح وقيل
اراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها تجدوه عند الله يعني ثوابه واجره

حتى

حتى التمرة واللقمة مثل احد ان الله بما تعملون بصير اى لا يخفى عليه شي من قليل الاعمال
وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصي قوله تعالى وقالوا لن
يدخل الجنة الا من كان هودا اي يهوديا هو جمع هايد او نصارى وذلك ان اليهود قالوا لن
يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من
كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية وقيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع
اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه قال الله تعالى
تلك امانيهم اى شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق قل يعني يا محمد هاتوا برهانكم
اى حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا وزعمهم ان كنتم
صادقين يعني فيما تدعون ثم قال تعالى ردا عليهم بلى اى ليس كما تزعمون ولكن من اسلم
وجهه لله وهو محسن فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص
دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام
وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه
على الارض في السجود فقد جاد بجميع اعضايه قال عمرو بن نفيل ه واسلمت وجهي لمن اسلمت
له الارض تحمل صخرا ثقالا ه واسلمت وجهي لمن اسلمت ه له المزن تحمل عذبا زلالا ه يعني بذلك
استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اي في عمله لله فله اجره عند
ربه اى ثواب عمله ولا خوف عليهم اي في الاخرة ولا هم يحزنون اي على ما فاتهم من الدنيا قوله
وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي نزلت في يهود
المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم
احبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شي من
الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما انتم على شي من الدين وكفروا بموسى
والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست
اليهود على شي وهم يتلون الكتاب يعني وكلا الفريقين يقرون الكتاب وليس في كتابهم هذا
الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل
ان الانجيل الذي يدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها
على بني اسرايل من الفرايض وان التوراة الذي يدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما
جا به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت
اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي مع علم كل واحد من الفريقين
ببطلان ما قاله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه انهم ليسوا على شي مثل قولهم يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل

امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا
في انبيايهم ليسوا على شي فالله يحكم اي يقضي بينهم يعني بين المحق والمبطل يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون يعني من امر الدين قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله نزلت في خراب
بيت المقدس وذلك ان طيطوس الرومي غزا بني اسرايل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق
التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فانزل
الله ومن اظلم اي ومن اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر
فيها اسمه اي يعبد ويصلى له فيها وسعى في خرابها وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل
هو الذي غزا بني اسرايل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل ان قتلوا اليهود
يحيى بن زكريا اوليك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين وذلك ان بيت المقدس موضع حج
النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي ونصراني الا خايفا ان علم به قتل
وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مداينهم
الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية لهم في الدنيا خزي يعني الصغار والذل والقتل والسبي
ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل ان الاية نزلت في مشركي مكة واراد بالمساجد المسجد
الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتدا الاسلام
ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى والصلاة
فيه فقد سعوا في خرابه يعني مشركي مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها المسلمون حتى تدخلوها
وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي في الموسم لما نزلت سورة
براة الا لا يحج البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن
مشرك من دخول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد
واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام قلت يجوز ان يجي الحكم عاما وان كان
السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين فان قلت على اي
القولين ارجح قلت رجح الطبري القول الاول وقال النصارى هم الذين سعوا في خراب
بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وايضا فان الاية التي قبل
هذه وبعدها في ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين
ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل ان النصارى يعظمون
بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي
في احكام القران قولا ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد
بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال قوله عز وجل ولله المشرق

والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس خرج نفر
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم
الضباب فاستبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فنزلت هذه الاية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما
اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيثما توجهت
به راحلته ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان
وجهه يومي وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته
وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله
الاية وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود عيرت المومنين وقالوا
ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الاية
وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث شاوا من النواحي
ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الاية ان لله المشرق والمغرب
وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفا عن جميع الجهات لان له كلها ما فيها
خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو
القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها
فاينما تولوا فثم وجه الله اي فهناك قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم الله
تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم
رضا الله اي يريدون بالتوجه اليه رضاه ان الله واسع من السعة وهو الغني اي يسع خلقه
كلهم بالكفاية والافضال والتدبير وقيل هو واسع المغفرة عليم اي باعمالكم ونياتكم
حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شي مسيلة تتعلق بحكم الاية وهي ان المسافر
اذا كان في مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من
الدلايل ويصلي الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة
فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على حسب حاله
وتصح صلاته وكذا المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال قوله تعالى وقالوا اتخذ
الله ولدا نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا
المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملايكة بنات الله سبحانه اي تنزيها له فنزه
الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترايهم عليه خ عن ابن عباس عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد
فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا بل له ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا فكيف
ينسب اليه الولد وهو احد فيهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى
منزه عن الشبيه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند
عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال كل له قانتون
يعني ان اهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت
لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
افضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الاية كل له قايمون بالشهادة مقرون
له بالوحدانية وقيل قانتون اي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلما في حكم الاية
فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين احدهما قالوا هو راجع الى عزير
والمسيح والملايكة الثاني قال ابن عباس هو راجع الى اهل طاعته دون ساير الكفار وذهب
جماعة الى ان حكم الاية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى
واوتيت من كل شي ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل
بديع السموات والارض اي خالقهما ومنشيهما على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع
الاشيا اي يوجدها مما لم تكن واذا قضى امرا اي قدره واراد خلقه وقيل اذا حكم امرا
وحتمه واتقنه واصل القضا الحكم والفراغ والقضا في اللغة على وجوه كلها ترجع
الى انقضا الشي وتمامه والفراغ منه فانما يقول له كن فيكون اي اذا احكم امرا وحتمه
فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم
لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كاين
قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشيا التي لم تكن كانها كاينة لعلمه بها فجاز ان
يقول لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل ان اللام في قوله له
لام اجل فيكون المعنى واذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته كن فيكون
فعلى هذا يذهب معنى الخطاب قوله تعالى وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس هم اليهود
الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم
مشركوا العرب لولا اي هلا يكلمنا الله اي عيانا بانك رسوله او تاتينا اية اي دلالة
وعلامة على صدقك كذلك قال الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية مثل قولهم وذلك ان
اليهود سالوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسالوه من الايات ما ليس
لهم مسالته فاخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا

مثل

مثل ما قال من كان قبلهم تشابهت قلوبهم يعني ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم
وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال قد بينا الايات اي الدلالات
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوم يوقنون يعني ان ايات القران وما جا به محمد صلى الله
عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم
هم اهل التثبيت في الامور ومعرفة الاشيا على يقين قوله عز وجل انا ارسلناك بالحق
اي بالصدق وقال ابن عباس بالقران وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل انا
ارسلناك بالحق بشيرا اي مبشرا للاوليا واهل طاعتي بالثواب العظيم ونذيرا اي منذرا
ومخوفا للاعداي واهل معصيتي بالعذاب الاليم ولا تسال قرى بفتح التا على النهي قال
ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت
هذه الاية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به لا لتسال عن اصحاب الجحيم وقرى
ولا تسال بضم التا ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبلغ
ما ارسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسولا عمن كفر عن اصحاب الجحيم اي عن اهل الجحيم
سميت النار جحيما لشدة تاججها وقيل الجحيم معظم النار قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك انهم كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه
انه ان امهلهم اتبعوه فانزل الله هذه الاية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها
وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في امر
القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم
حين كان يصلي الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم
على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني الا باليهودية ولا النصارى يعني
الا بالنصرانية وهذا شي لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيان في وقت واحد وهو قوله
حتى تتبع ملتهم يعني دينهم وطريقهم قل اي يا محمد ان هدى الله يعني دين الله الذي هو
الاسلام هو الهدى اي يصح ان يسمى هدى ولين اتبعت يا محمد اهواهم يعني اهوا اليهود والنصارى
فيما يرضيهم عنك وقيل اهواهم اقوالهم التي هي اهوا وبدع بعد الذي جاك من العلم اي
البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم عليه السلام وهي الكعبة
ما لك من الله من ولي يعني يلي امرك ويقوم به ولا نصير اي ينصرك ويمنعك من عذابه وقيل
في قوله ولين اتبعت اهواهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى
اياكم اخاطب ولكم اودب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاكم بالحق
والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهوا الكافرين ولين اتبعتم اهواهم بعد الذي
جاكم من العلم والبيان ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل الذين اتيناهم

الكتاب قال ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المومنون عامة **يتلونه حق تلاوته** اي يقرونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويومنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقايقه واسراره **اولئك** يعني الذين يتلونه حق تلاوته **يومنون به** اي يصدقون به فان قلنا ان الاية في اهل الكتاب فيكون المعنى ان المومن بالتورية الذي يتلوها حق تلاوتها هو المومن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التورية نعته وصفته وان قلنا انها نزلت في المومنين عامة فظاهر **ومن يكفر به** اي يجحد بما فيه من فرايض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم **فاولئك هم الخاسرون** اي خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان قوله تعالى **يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي ايادي لديكم وصنيعي بكم واستنقاذي اياكم من ايدي عدوكم في نعم كثيرة انعمت بها عليكم **واني فضلتكم على العالمين** اي واذكروا تفضيلي اياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الاية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في اول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا** وفي هذه الاية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني اسرايل المبدلين كتابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا **ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** اي ولا تقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الاية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان اباءنا يشفعون لنا **ولا هم ينصرون** اي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات** ابراهيم اسم اعجمي ومعناه اب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو ازر بن ناحور بن شاروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوايف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جا الاسلام

زاده شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لانها اوجبه الله على ابراهيم هو من خصايص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه واصل الابتلا الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمي التكليف بلا لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امره والثاني ظهور جودته ورداته وابتلا الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جودة ورداة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما من شرايع الاسلام لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب له البراة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاما بعده فقد ابتلى الانبيا بجميع ما امروا به وهي عشرة مذكورة في سورة براة في قوله التايبون العابدون الاية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الاية وعشر في سورة المومنون في قوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وهي مذكورة ايضا في سورة سال سايل وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشيا هي الفطرة خمس في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجا بالما ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط م عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك والاستنشاق بالما وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الما قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الما يعني الاستنجا قال العلما الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشيا المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وعلينا سنة واتفقت العلما على انها من الملة واما معانيها فقد قيل قص الشارب واعفا اللحية فيه مخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم او يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم

والانف من الطعام والقلح والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت
قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها واما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه
يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما حلق العانة ونتف الابط فللتنظيف عما يجتمع من
الوسخ في الشعر واما الاستنجا فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف
القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلما في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان
واجب لانه تكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة
واول من اختتن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن احد قبله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن
خفف ذهب الى انه اسم للالة التي يقطع بها ومن شدده قال هو اسم موضع عن يحيى بن
سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف
واول الناس قص شاربه واول الناس راى الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى
وقار يا ابراهيم قال رب زدني وقارا اخرجه مالك في الموطا وقيل في الكلمات انها مناسك
الحج وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعة اشيا بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة
وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات اوحاها اليه وامره ان
يعمل بهن فاتمهن اي اداهن حق التادية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان
ولم ينتقص منهن شيئا واختلفوا اين كان هذا الابتلا قبل النبوة او بعدها فقيل كان قبل النبوة
بدليل قوله في سياق الاية اني جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل
كان هذا الابتلا بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة
والصواب انه ان فسر الابتلا بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وانه ان فسر بما
وجب عليه من شرايع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى قال اني جاعلك للناس اماما
اي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به قال ومن ذريتي
اي قال ابراهيم واجعل من ذريتي اولادي ايمة يقتدى بهم قال الله لا ينال اي لا يصيب عهدي
اي نبوتي وقيل الامامة الظالمين يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت اليك من النبوة والامامة
من كان ظالما من ذريتك وولدك قوله تعالى واذ جعلنا البيت يعني البيت الحرام وهو الكعبة
ويدخل فيه الحرم فانه تعالى وصفه بكونه امنا وهذا صفة جميع الحرم مثابة للناس اي
مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب ويحجونه وامنا اي موضعا ذا امن
يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن
عباس معاذا وملجا ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا
البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة وانه لم

بلغ

يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله تعالى الى
يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلا
خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر
معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده وقوله لا يعضد شوكه اي
لا يقطع شوك الحرم والمراد به ما لا يؤذي فاما المؤذي منه كالعوسج فلا باس بقطعه
قوله ولا ينفر صيده اي لا يتعرض له بالاصطياد ولا بهياج قوله ولا يلتقط لقطته الا
من عرفها اي نشدها والنشيد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا تحل
الا لمن يعرفها حولا فان جا صاحبها اخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم
مكة في اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله
ولا يختلا خلاه الخلا مقصور الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش
وخلاه قطعه قوله لقينهم القين الحداد قوله عز وجل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة
والمزدلفة والرمي وساير المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلى
عنده الايمة وذلك الحجر هو الذي قام ابراهيم عليه عند بنا البيت وقيل كان اثر
رجلي ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا
بالصلاة عنده ولم يومروا بمسحه وتقبيله ق عن انس بن مالك قال قال عمر
وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه
البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اول ما اتخذت النسا المنطق من قبل ام اسماعيل
اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسماعيل
وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس
بمكة يومئذ احد وليس بها ما فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر
وسقا فيه ما ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم الى اين
تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت له ذلك مرارا
وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم
رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه
البيت ثم دعا بهذه الدعوات فرفع يديه وقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير
ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الما

حتى اذا انفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او
قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض
يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم ترا احدا فهبطت
من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى
جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم ترا احدا
ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس
بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت
فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم
فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا
وجعلت تغرف من الما في سقاها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم ولم تغرف من الما لكانت
زمزم عينا معينا فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة
فان ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان
البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله
فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق
كدى فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على الما
لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم
فاقبلوا وام اسماعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما
قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا
الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم
وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسماعيل فجا ابراهيم
بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي
لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في
ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جا زوجك اقري عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه
فلما جا اسماعيل كانه انس شيا فقال هل جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا وكذا فسالنا
عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشي
قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان
افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شا الله ان يلبث
ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها
عن

عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم
قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الما قال اللهم بارك لهم في اللحم والما قال النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يكن لهم يوميذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد
بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية فجا فقال اين اسماعيل فقالت امراته ذهب يصيد
فقالت امراته الا تنزل فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وما شرابكم قالت طعامنا اللحم
وشرابنا الما قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال ابو القاسم بركة دعوة ابراهيم
قال فاذا جا زوجك فاقري عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جا اسماعيل قال
هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيية واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني
كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشي قالت نعم يقرا عليك السلام ويامرك ان تثبت
عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شا الله ثم جا بعد
ذلك واسماعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع
الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني
قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ها هنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك
رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البنا جا
ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البنا وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام
على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقيل ان امراة
اسماعيل قالت لابراهيم انزل اغسل راسك فلم ينزل فجاته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن
فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر
فبقي اثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاتا ما بين المشرق
والمغرب اخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن
فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعا ومن فسر المقام بالحجر
قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم قبلة امروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح
لان لفظ الصلاة اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى
الرجل هو الذي يصلي فيه وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل اي امرناهما والزمناهما واوحينا اليهما
قيل انما سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعايه اسمع يا ايل
وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به ان طهرا بيتي يعني الكعبة اضافه اليه تشريفا

وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس
وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور للطايفين يعني الدايرين حوله والعاكفين يعني المقيمين
به المجاورين والركع السجود جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطايفين الغربا الواردين الى مكة
والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغربا افضل والصلاة لاهل مكة بمكة
افضل قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا اشارة الى مكة وقيل الى الحرم بلدا امنا
اي ذا امن يامن فيه اهله وانما دعا ابراهيم لهم بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن
امنا لم يجلب اليه شي من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعا ابراهيم وجعله بلدا
امنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان
قلت قد غزا مكة الحجاج واخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا
اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما
حصل قصده اعاد بنا الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا
هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت
محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول
ابراهيم عليه السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي ان
مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم القول الثاني انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا
كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله
تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض ولكن لم يظهر ذلك على لسان احد من انبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء
ويدفع عنها وعن اهلها الافات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بواها الله تعالى ابراهيم
واسكن بها اهله فحينئذ سال ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه
فاجاب الله دعوته والزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق
تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين
وهو الصواب والله اعلم وارزق اهله من الثمرات انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا
ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي من امن منهم بالله واليوم الاخر
يعني ارزق المومنين من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما سال
ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك
تاديبا له في المسيلة فلا جرم خصها هنا بدعائه المومنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق
في الدنيا يستوي فيه المومن والكافر بقوله قال ومن كفر فامتعه قليلا اي فارزق الكافر ايضا ثم اضطره

الى

الى عذاب النار اي الجيه واكرهه وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي
لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه وبيس المصير اي وبيس المكان الذي
يصير اليه الكافر وهو العذاب قوله عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت واسماعيل وكانت قصة بنا البيت على ما ذكره العلما واصحاب السير
ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت زبدة بيضا
على وجه الما فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله ادم عليه السلام الى الارض
استوحش فشكى الى الله تعالى فانزل الله البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت
الجنة له بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت
وقال يا ادم اني اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده
كما يصلى عند عرشي وانزل عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من لمس الحيض
في الجاهلية فتوجه ادم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله ملكا يدله على
البيت فحج ادم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملايكة وقالوا له بر حجك
يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة
من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السما
الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون
اليه وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق
فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم
بعد ما ولد له اسماعيل واسحاق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسال الله ان يبين له موضعه
فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها راسان تشبه الحية
والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب وقيل هي المتلوية في هبوبها لعلها تلتفه
وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتت موضع البيت
فتطوقت عليه كتطوق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت
تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم
ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له
اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم
واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع
ابراهيم القواعد جمع قاعدة وهي اساس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم
البيت من خمسة اجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي جبل
بالجزيرة وبنا قواعده من حرا جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال

لاسماعيل ايتني بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ايتني باحسن منه فمضى
اسماعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فخذها
فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى امد ابراهيم
واسماعيل بسبعة املاك يعينونهما في بنا البيت فلما فرغا من بنايه قالا ربنا تقبل منا
وفي الاية اضمار تقديره ويقولون ربنا تقبل منا اي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا
لك انك انت السميع اي لدعاينا العليم يعني بنياتنا قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك يعني
موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين
والاعتقاد او الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعا فما فايدة هذا الطلب
قلت فيه وجهان احدهما ان الاسلام عرض قايم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك
يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب
الزيادة في الايمان فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال
ومن ذريتنا اي ومن اولادنا امة اي جماعة مسلمة اي خاضعة منقادة لك وانما ادخل من التي
هي للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا
خص بعض الذرية بالدعا فان قلت لم خص ذريتهما بالدعا قلت لانهم احق بالشفقة
والنصيحة قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبيا اذا صلحوا صلح بهم
غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من ورايهم
وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم وارنا اي
علمنا وبصرنا مناسكنا اي شرايع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك
الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاهما
وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت قال ابراهيم نعم يا ابراهيم
فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات وتب علينا اي وتجاوز عنا انك انت التواب المتجاوز
عن عباده الرحيم بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبيا ووجهه ان التوبة
لا تطلب الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه واجيب عنه
بان العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير في بعض الاوقات اما
على سبيل السهو او ترك الاولى والافضل فكان هذا الدعا لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما
اعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ربه التوبة لاوليك الظلمة والمعنى وتب
على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعا لانفسهما والمراد
ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة
فدعوا الله تعالى عند ذلك الدعا ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما في ذلك الدعا

لان

لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسوال التوبة والمغفرة من الله تعالى
قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يعني وابعث في الامة المسلمة او الذرية وهم
العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني يدعوهم الى الاسلام
ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب
لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا
منهم محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة
ولم يبعث من ذريته غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم
وروى البغوي باسناده عن عرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله
مكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري انا دعوة ابراهيم
وبشارة عيسى ورويا امي التي رات حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع اضات منه قصور
الشام قوله لمنجدل في طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح
واراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعا ابراهيم وبعث
محمدا صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان وانقذهم به من الكفر والظلم واراد ببشارة
عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يتلوا
عليهم اي يقرا عليهم اياتك يعني ما توحى اليه وهو القران الذي انزله على محمد صلى الله
عليه وسلم لان الذي كان يتلو عليهم القران فوجب حمله عليه ويعلمهم الكتاب يعني معاني
الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم تعلم ما في القران من دلايل التوحيد والنبوة
والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر التلاوة وهي حفظ القران ودراسته ليبقى
مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقايقه واسراره والحكمة اي ويعلمهم
الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل
الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل
ووضع كل شي موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف المفسرون في المراد
بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه
والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه
ثم عطف عليه بالحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيا اخر وليس ذلك الا السنة وقيل
الحكمة هي العلم باحكام الله التي لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة
بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الاحكام والقضا
وقيل هي فهم القران والمعنى ويعلمهم ما في القران من الاحكام والحكمة وهي ما فيه من المصالح
الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح

فى حكمة **ويزكيهم** اي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسابر الارجاس والرذايل
والنقايص وقيل يزكيهم من التزكية اى يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا
للانبيا بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعا بالثنا على الله تعالى فقال **انك انت العزيز** قال
ابن عباس لا يوجد مثله وقيل هو الذى يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذى لا تناله الايدى
وقيل العزيز القوى والعزة القوة من قولهم ارض عزاز اي صلبة قوية **الحكيم** اى العليم الذى
لا يخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشيا وايجادها على غاية الاحكام قوله تعالى
ومن يرغب عن ملة ابراهيم سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه
الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد
اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة
وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله ومن يرغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته
وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركى العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب
الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بنى اسرايل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والعرب
يفتخرون به لانهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك فان ابراهيم هو الذى طلب
بعثة هذا الرسول فى اخر الزمان فمن يرغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم
فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته
يقال رغب فى الشى اذا اراده ورغب عنه اذا تركه **الا من سفه نفسه** قال ابن عباس خسر
نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل
الجهل وضعف الراى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه
لم يعترف بان الله خالقها وقد جا من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف
نفسه بالذل والضعف والعجز والفنا ويعرف ربه بالعز والقدرة والبقا ويدل على
هذا ان الله تعالى وحى الى داود اعرف نفسك واعرفنى قال يا رب كيف اعرف نفسى وكيف
اعرفك قال اعرف نفسك بالضعف والعجز والفنا واعرفنى بالقوة والقدرة والبقا
ولقد اصطفيناه اى اخترناه **فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين** يعنى الفايزين وقيل مع
الانبيا فى الجنة **اذ قال له ربه اسلم** اى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان
الانبيا انما نشاوا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك
عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها
الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم **قال اسلمت لرب العالمين** قال ابراهيم خضعت
بالطاعة واخلصت العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص
دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفة الجوارح

وان

وان ابراهيم كان مومنا بقلبه عارفا بالله فامره ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم
نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اى فوضت امرى لرب العالمين
قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملايكة حين القى فى النار قوله
عز وجل **ووصى بها ابراهيم بنيه** يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل
بالسنة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسماعيل وامه هاجر القبطية واسحاق
وامه سارة ومدين ومداين ونفشان وزمران ويشق وشوخ وامهم قنطورا بنت يقطن
الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل
امرهم قلت لان لفظ الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت
وفى ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا هم الى قبول وصيته اقرب
وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيره وقيل
لانهم كانوا ايمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاح لغيرهم **ويعقوب** اى ووصى يعقوب
بنيه بمثل ما وصى به ابراهيم وسمى يعقوب لانه والعيص كانا توامين فى بطن واحد فتقدم
العيص وقت الولادة فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد
اثنى عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وزبالون ويشخر ودان ونفتالى وجاد واشر
ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال **يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين**
اى اختار لكم دين الاسلام **فلا تموتن الا وانتم مسلمون** اى مومنون مخلصون والمعنى دوموا
على الاسلام حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم فى اى وقت ياتى الموت على الانسان
وقيل فى معنى وانتم مسلمون اى محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى عن
جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه فى الصحيحين قوله تعالى **ام كنتم**
شهدا جمع شهيد وهو بمعنى الحاضر اى ما كنتم حاضرين **اذ حضر يعقوب الموت**
اى حين احتضر وقرب من الموت نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه
وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم
والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهودا عليه يعقوب اذ حضره الموت اى انكم لم
تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيايى ورسلى الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية
فانى ما ابتعثت خليلى ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا
اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى **اذ قال**
يعنى يعقوب **لبنيه** يعنى الاولاده الاثنى عشر **ما تعبدون من بعدى** اى اى شى تعبدون
من بعدى قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب

وكان قد راى اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظروني حتى اسال ولدي واوصيهم
فامهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد
الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق انما قدم اسماعيل لانه كان اكبر من
اسحق وادخله في جملة الابا وان كان عما لهم لان العرب تسمي العم ابا والخالة اما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا علي ابي الها
واحدا ونحن له مسلمون اي مخلصون العبودية تلك امة اشارة الى الامة المذكورة
يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وولدهم قد خلت اي مضت لسبيلها والمعنى
يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق والمسلمين من اولادهم
ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم لها ما كسبت يعني من العمل ولكم يا معشر اليهود والنصارى
ما كسبتم اي من العمل ولا تسالون عما كانوا يعملون يعني كل فريق يسال عن عمله لا عن عمل
غيره قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت في روسا
اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وابي ياسر بن اخطب
وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المومنين في الدين
فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبيا
وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد
صلى الله عليه وسلم والقران وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمومنين
كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد بل ملة ابراهيم يعني
اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله حنيفا اصله من الحنف
وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف هو المايل عن الاديان
كلها الا دين الاسلام قال الشاعر ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين
والعرب تسمي كل من حج او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية
الختان واقامة المناسك مسلما يعني ان الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم
عليه السلام وما كان من المشركين يعني ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم
ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المومنين طريق الايمان فقال تعالى
قولوا امنا بالله يعني قولوا ايها المومنون لهولا اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا
هودا او نصارى تهتدوا امنا بالله اي صدقنا بالله وما انزل الينا يعني القران وما انزل
الى ابراهيم اي وامنا بما انزل الى ابراهيم وهي عشر صحايف واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وهم اولاد يعقوب الاثنى عشر واحدهم سبط وكانوا انبيا وقيل السبط
هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم والاسباط في بني اسرايل كالقبايل في العرب من بني اسماعيل وكان في الاسباط
انبيا وما اوتي موسى يعني التوراة وما اوتي عيسى يعني الانجيل وما اوتي النبيون من ربهم
والمعنى امنا ايضا بالتورية والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله
حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع من ذكر الله من انبيايه كانوا على هدى
وحق لا نفرق بين احد منهم اي لا نومن ببعض الانبيا ونكفر ببعض كما تبرات اليهود
من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبيا وكما تبرات النصارى من محمد
صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبيا بل نومن بكل الانبيا وان جميعهم كانوا على حق وهدى
ونحن له مسلمون اي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن ابي هريرة
قال كان اهل الكتاب يقرون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما
انزل الينا الاية قوله تعالى فان امنوا يعني اليهود والنصارى بمثل ما امنتم به اي بما
امنتم به ومثل صلة كقوله ليس كمثله شي اي ليس مثله شي وقيل فان اتوا بايمان كايمانكم
وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا والمعنى ان حصلوا دينا اخر مثل دينكم في الصحة
والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دينا اخر يساوي هذا الدين في الصحة
والسداد استحال الاهتدا بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبيا
وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا
اي اعرضوا فانما هم في شقاق اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في
خلال واصله من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من
المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويوذيه فسيكفيكهم الله اي
ما يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسوله صلى الله
عليه وسلم لانه اذا تكفل بشي انجزه وهو اخبار بغيب فيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وقد انجز الله ما وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلا بني النضير وضرب الجزية على اليهود
والنصارى وهو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما
يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم وهو معاقبهم عليه قوله تعالى صبغة الله
قال ابن عباس دين الله وانما سماه صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر
اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل اراد به الختان
لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود
واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يسمونه ما المعمودية وصبغوه به
ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الان صار نصرانيا حقا فاخبر

الله ان دينه الاسلام لاما تفعله النصارى ومن احسن من الله صبغة اى دينا
وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر ونحن له عابدون اى مطيعون قل يعنى
يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم اتحاجوننا
في الله اى تخاصموننا وتجادلوننا فى دين الله الذى امرنا ان ندين به والمحاجة المجادلة
لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبيا منا وعلى ديننا فنحن
اولى بالله منكم فامر الله المومنين بان يقولوا لهم اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم
اى نحن وانتم فى الله سوا فانه ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعنى ان لكل احد جزا
عمله ونحن له مخلصون اى مخلصوا الطاعة والعبادة لله وفيه توبيخ لليهود
والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى
فلا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس ريا
والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وهذه الاية منسوخة
باية السيف قوله عز وجل ام يقولون يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه
التوبيخ ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
يعنى اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت النصرانية واليهودية
بعدهم فقد كذبتم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه قل يا محمد ءانتم
اعلم يعنى بدينهم ام الله اى الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على
اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفا ومن اظلم ممن كتم يعنى اخفى شهادة
عنده من الله وهو علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق بنعته وصفته
يجدون ذلك فى كتبهم فكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله
فكتمها واخفاها وما الله بغافل عما تعملون يعنى من كتمانكم الحق فيما الزمكم به
فى كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفا وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية
والمعنى وما الله بساه عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يجازيكم عليه فى الاخرة تلك
امة قد خلت يعنى ابراهيم وبنيه لها ما كسبت اى جزا ما كسبت ولكم ما كسبتم اى جزاء
ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون يعنى ان كل انسان انما يسال يوم القيامة عن كسبه
وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الابا وشرفهم
اى لا تتكلوا على فضل الابا فكل يواخذ بعمله وانما كررت هذه الاية لانه اذا اختلفت
مواطن الحجاج والجدال لم يحسن تكريره للتذكير به وتاكيده وقيل انما كرره تنبيها
لليهود لئلا يغتروا بشرف ابائهم قوله تعالى سيقول السفها من الناس اى الجهال من الناس
والسفه خفة فى النفس لنقصان العقل فى الامور الدينية والدنيوية ولا سداد ان

ذلك فى باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح فى امر دنياه يعد سفيها فمن كان
ذلك فى امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا
اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الاية فى اليهود وذلك انهم
طعنوا فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت
فى مشركى مكة وذلك انهم قالوا انه تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو
بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت فى المنافقين وانما قالوا ذلك استهزا بالاسلام
وقيل يحتمل ان لفظ السفها للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل
وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة فى التخصيص ولان الاعدا يبالغون فى الطعن والقدح
فاذا وجدوا مقالا قالوا ومجالا جالوا ما ولاهم يعنى اى شى صرفهم عن قبلتهم التى كانوا
عليها يعنى بيت المقدس والقبلة الجهة التى يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان
المصلى يقابلها وتقابله ولما قال السفها ذلك رد الله عليهم بقوله قل يا محمد لله المشرق والمغرب
يعنى ان له قطرى المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شى ان يكون لذاته قبلة لان الجهات
كلها شى واحد وانما تصير قبلة لان الله هو الذى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله
يهدى من يشا يعنى من عباده الى صراط مستقيم يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة ابراهيم
عليه السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا الكاف فى قوله وكذلك كاف
التشبيه والمشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله فى حق
ابراهيم ولقد اصطفيناه فى الدنيا فكذلك جعلناكم امة وسطا الثانى انه معطوف
على قوله والله يهدى من يشا الى صراط مستقيم فكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا
الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا
يعنى عدولا خيارا وخير الامور اوساطها قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم
اذا نزلت احدى الليالى بمعظم وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير
لانهما مذمومان فى امر الدين لا كغلو النصارى فى عيسى ولا كتقصير اليهود فى الدين وهو تحريفهم
وتبديلهم وسبب نزول هذه الاية ان روسا اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا
حسدا وان قبلتنا قبلة الانبيا ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل
فانزل الله هذه الاية وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم الا وان هذه الامة توفى
سبعين امة هى اخرها وخيرها واكرمها على الله عز وجل قوله تعالى لتكونوا شهدا على الناس
يعنى يوم القيمة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم شهيد
على من ترك الحق من الناس اجمعين ويكون الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا يعنى عدلا
مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم ياتكم

نذير فينكرون ويقولون ما جانا من نذير فيسال الله الانبيا عن ذلك فيقولون كذبوا
قد بلغناهم فيسالهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد صلى الله عليه وسلم
تشهد لنا فيوتي بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم بلغوا فتقول الامم
الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا فيسال هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت
عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه
وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجا بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب
فيسال امته هل بلغكم فيقولون ما جانا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد
وامته فيجا بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا
قال عدلا قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي وما جعلنا صرفك
عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفا بدلالة
اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة الا لنعلم
من يتبع الرسول فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشيا كلها قبل كونها
قلت اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به
في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى الا لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب
والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الروية اي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة
ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا ليعلم رسولي وحزبي واوليائي من المومنين
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شان العرب اضافة ما فعله الاتباع
الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل انما
قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا
انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضاف العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين
وقيل معناه لعلمنا لانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة
اخرين ومعنى من يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها ممن ينقلب على عقبيه
اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة
ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين ابايه وان كانت اي وقد كانت لكبيرة
يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة
هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانما انث الكبيرة لتانيث
القبلة وقيل لتانيث التولية الا على الذين هدى الله يعني الصادقين في اتباع الرسول

وما

وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن اخطب
واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على
هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة
فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول
القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار والبرا بن معرور من بني سلمة وكانا من
النقبا ورجال اخرون فانطلق عشايرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس
فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس ان الله بالناس لروف رحيم
يعني لا يضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة وقيل
الرافة الرحمة وقيل في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع
المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا
جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا
لانها اعم واشمل قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السما سبب نزول هذه الاية ان النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل
بيت المقدس يتالف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق
اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس
بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم
وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال
جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلكم وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله
بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السما رجا ان ينزل
جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك يعني تردد وجهك وتصرف
نظرك في السما اي الى جهة السما وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى
لانها راس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة فلنولينك اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة
اي فلنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة ترضاها اي تحبها وتميل اليها فول وجهك شطر
المسجد الحرام اي نحوه وتلقاه واراد به الكعبة ق عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه
وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة
وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا
الى الكعبة ابدا فهي قبلتكم ق عن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل

على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة
عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها العصر
وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على اهل مسجد قبا وهم راكعون فقال اشهد
بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت
وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلما ولى
وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البرا في حديثه هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال
وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلما في وقت
تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس
سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثا
لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا او قيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر
فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال فسمي
ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قبا في صلاة الصبح ق عن ابن عمر قال بينما
الناس معنا في صلاة الصبح انجاهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة
قران وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى
الكعبة وقوله تعالى وحيث ما كنتم يعني من بر او بحر مشرق او غرب فولوا وجوهكم شطره اي
نحو البيت وتلقاه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتا في اقصر يوم من السنة
وبالمغرب مغرب الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت
عن يمينه ومشرق الشتا عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل الشرق لان المشرق
الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستوا والذي بينهما قوسها والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة
عين الكعبة ولمن بعد عن مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلايل القبلة وليس هذا موضع
ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما امرك الا شي ابتدعته من تلقا
نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان
تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود ليعلمون انه
الحق من ربهم يعني امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى وما الله بغافل
عما يعملون يعني وما انا بساه عما يفعل هولا اليهود فانا اجازيهم عليه في الدنيا والاخرة
وقرى تعملون بالتا قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المومنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل
عن ثوابكم وجزايكم فانا اثيبكم على طاعتكم افضل الثواب واجزيكم احسن الجزا قوله تعالى

ولين اتيت الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود بكل اية اي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان
وذلك انهم قالوا ايتنا باية على ما تقول فانزل الله تعالى هذه الاية ما تبعوا قبلتك
يعني الكعبة وما انت بتابع قبلتهم يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى الى
الشرق وانت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هولا مع
اختلاف جهاتها فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها وما بعضهم بتابع قبلة
بعض يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود
والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة ولين اتبعت اهواهم يعني مرادهم ورضاهم او
رجعت الى قبلتهم من بعد ما جاك من العلم اي من امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل
اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق انك اذا لمن الظالمين
يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه ووضعها قيل هذا الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواهم ابدا وقيل هو خطاب
له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب
يعني علما اليهود والنصارى وقيل اراد به مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه
يعرفونه قيل يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه
عندهم كما يعرفون ابناهم اي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم
ابناوهم من ابنا غيرهم روي ان عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على
نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم فكيف هذه
المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله
عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذاك فقال اشهد انه رسول الله حق
من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما تصنع النسا فقبل عمر راس عبد الله وقال
وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى
ان علما اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفت اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة
الانبيا قبلك كما يعرفون ابناهم لا يشكون في ذلك وان فريقا منهم اي من علما اهل الكتاب
ليكتمون الحق يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة وهم يعلمون ان كتمان
الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التورية
والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه الحق اي الذي يكتمونه هو الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
اي الشاكين في ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى ان
بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك فان قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم
يشك فما معنى هذا النهي قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد

به غيره والمعنى فلا تشكون انتم ايها المومنون وقد تقدم نظير هذا قوله تعالى ولكل وجهة اي ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في المتوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المسلمين اي ولكل اهل جهة من الافاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرايع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرايع بحسب اختلاف الازمان والاشخاص هو موليها اي مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها اي مختارها وقيل ان هو عايد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله هو موليها اياه وقرى هو مولاها اي مصروف اليها فاستبقوا الخيرات اي بادروا بالطاعات وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الاية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في اول الوقت افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب اين ما تكونوا يعني انتم واهل الكتاب يات بكم الله جميعا يعني يوم القيمة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب ان الله على كل شي قدير اي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقوبة لمستحق العقوبة قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام اي من اي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه وانه يعني التوجه اليه للحق من ربك اي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه وما الله بغافل عما تعملون اي ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فان قلت هل في هذا التكرار فايدة قلت فيه فايدة عظيمة جليلة وهو ان هذه الواقعة اول الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة ليلا يكون للناس عليكم حجة قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالت رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثنا في قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونكم بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتغالهم بها من حجاد اغلبه فكما تكون تكون صحيحة فكذلك قد تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثنا منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم

بالباطل

بالباطل كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتايب

اي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الاية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا اي الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق فلا تخشوهم اي فلا تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة واخشوني اي احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم ولاتم نعمتي عليكم اي ولكن اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ولعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا كاف التشبيه تحتاج الى شي ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجيبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجيبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذلك قوله منكم وفي ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب رسولا منكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يتلوا عليكم اياتنا يعني القران وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ويزكيكم اي يطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتم صرتم ازكيا مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ويعلمكم الكتاب يعني احكام الكتاب وهو القران وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار والحكمة يعني السنة والفقه في الدين ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبيا والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكروني قيل

الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب
وهو ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلايل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان
تكون مستغرقة في الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وساير الطاعات التي للجوارح فيها
فعل اذكركم اي بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقيل
اذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلا وقال اهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان
اذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب
اذكركم بغفران الذنوب اذكروني بالدعا اذكركم بالعطا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني
في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت
اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة قوله عز وجل
انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية
اذا طلب وقيل المراد منه تحقيق الرجا وتاميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه حين يذكرني يعني
بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في
اللغة لها معان منها ذات الشي والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون
المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه احد قوله وان ذكرني في
ملا ذكرته في ملا خير منهم الملا اشراف الناس وعظماوهم الذين يرجع الى رايهم وهذا مما
استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملايكة على الانبيا واجيب عنه بان الذكر
غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا الخ وهذا
من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التاويل فعلى هذا يكون
ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بتقرب العبد
من الله تعالى التقرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بتقرب الله من العبد قرب
نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما
زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتاني يمشي في طاعتي اتيته هرولة
اي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه
والذي لا يذكره كمثل الحي والميت م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا
والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله وقيل المفرد

الرجل

الرجل اذا انفرد واعتزل وقوله تعالى واشكروا لي يعني بالطاعة ولا تكفرون اي بالمعصية
فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر والصلاة انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو
حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وساير
الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره
به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانه يجب ان تفعل على طريق
الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على الفرايض
وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب ان الله مع الصابرين اي بالعون والنصر
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر
رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن ابي وقاص بن اهيب
ابن عبد مناف بن زهرة الزهري اخو سعد بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو
ابن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم احد بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع
مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضا من بني الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن
خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحارث بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة
ابن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفرا وهي امهما كان الناس يقولون
لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله هذه الاية وقيل
ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فايدة فنزلت
هذه الاية واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله بل احيا وانما احياهم الله عز وجل في
الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على
ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم
في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احيا
وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت معناه لا تقولوا اموات
بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احيا تصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهدا في حواصل
طير خضر تسرح في الجنة فهم احيا من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم
وجواب اخر وهو انهم احيا عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فنحن لا نشاهدهم
لذلك ويدل على ذلك قوله تعالى ولكن لا تشعرون اي لا ترونهم احيا فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون
باخباري اياكم به فان قلت ليس ساير المطيعين من المسلمين يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم
فلم خصص الشهدا بالذكر قلت انما خصهم لان الشهدا فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم

[illegible]

ابن العاص

يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب اخر وهو انه
رد القول من قال الذين قتلوا في سبيل الله ماتوا وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله بقوله
بل احياء انهم في نعيم دايم قوله تعالى ولنبلونكم اي ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب القسم
تقديره والله لنبلونكم والابتلا لاظهار الطايع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به فانه
سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشيا قبل كونها وحدوثها بشي انما قال بشي ولم يقل باشيا ليلا
يوهم ان اشيا تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشي كان التقدير بشي من الخوف
وبشي من الجوع وقيل معناه بشي قليل من هذه الاشيا من الخوف قال ابن عباس يعني خوف العدو و
والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب والجوع يعني القحط وتعذر حصول القوت ونقص من
الاموال يعني بالهلاك او الخسران والانفس اي ونقص من الانفس بالموت او القتل والثمرات يعني
الجوايح في الثمار وقيل قد تكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكي عن الشافعي
في تفسير هذه الاية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال
يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة
القلب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى
لملايكته اقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فواده قالوا نعم قال فما قال قالوا حمدك
واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلا في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد
اذا علم انه مبتلى بشي وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلا لم يجزع ومنها ان الكفار اذا
شاهدوا المومنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلا صابرين له علموا بذلك صحة الدين
فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه
فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما
اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنايم فلما اخبر الله انه مبتلي عباده فعند ذلك تميز
المومن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلا اشد اخلاصا منه في حال
الرخا فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من
البلا ثم قال تعالى وبشر الصابرين يعني عند نزول البلا وبشرها محمد الصابرين على امتحاني بما
امتحنتهم به من الشدايد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة
اي نايبة وابتلا قالوا انا لله يعني عبيدا وملكا وانا اليه راجعون يعني في الاخرة م عن ام سلمة
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله
وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف
له خيرا منها قيل ما اعطي احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها

احد

احد لاعطي يعقوب الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفى على يوسف وقيل في قول
العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصايب
اوليك يعني من هذه صفتهم عليهم صلوات من ربهم قال ابن عباس اي مغفرة من ربهم ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى
مغفرة ورحمة بعد رحمة ورحمة قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه
ومن الادميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة
لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى
وقيل كررها للتاكيد اي عليهم رحمة بعد رحمة واوليك هم المهتدون يعني الى الاسترجاع
وقيل الى الجنة الفايزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب
نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية فصل
في ذكر الاحاديث وردت في ثواب اهل البلا واجر الصابرين خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصايب حتى ياجره
على ذلك ق عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من
نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها
خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب المرض ق عن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيياته
كما تحط الشجرة ورقها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن كمثل
الزرع لا تزال الريح تفييه ولا يزال المومن يصيبه البلا ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة
لا تهتز حتى تستحصد الارزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر
ثمرة الارز وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا اراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده شرا امسك عنه حتى يوافي به
يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزا مع عظم البلا
وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذي
وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى
اهل البلا الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلا في المومن والمومنة في نفسه وولده
حتى يلقى الله وما عليه خطيية وقال حديث حسن صحيح خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المومن عندي جزا اذا قبضت صفيه من اهل
الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعيد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلا

بلغ

قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاوه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل ان الصفا والمروة من شعاير الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملسا وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك دخل فيهما الالف واللام وشعاير الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكلما كان معلما يتقرب به الى الله من صلاة ودعا وذبيحة فهو شعيرة من شعاير الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعاير الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعاير والمراد بالشعاير هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما فمن حج البيت اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك او اعتمر اي زار البيت والعمرة الزيارة فني الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة فلا جناح عليه اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم ان يطوف بهما اي يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونايلة فكان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكانت اهل الجاهلية تطوف بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جا الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الاية واذن في السعي بينهما واخبر انه من شعاير الله ق عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعاير الجاهلية حتى انزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعاير الله فصل اختلف العلما في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعايشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطا ان من تركه فلا شي عليه واختلفت الرواية عن احمد في ذلك فروي عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروي عنه انه لا شي في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم في فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وظاهر هذه الاية لا يدل على ان السعي بين الصفا والمروة

واجب

٦٧

واجب وليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية احدها فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب او غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراه واسمها حبيبة احدى نسا بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار ال ابي حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان ميزره ليدور من شدة السعي حتى لاقول اني ارى ركبتيه وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني ق عن عروة بن الزبير قال قلت لعايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيا ان لا يطوف بهما فقالت عايشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما انزلت هذه الاية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جا الاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله الاية م عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعاير الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله عليه السلام خذوا عني مناسككم والامر للوجوب ومن القياس ان السعي اشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويوتى به في احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله ومن تطوع خيرا فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيا اخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع التطوعات في الدين يعني فعل فعلا زايدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم

فان الله شاكر اى مجاز على الطاعة عليم اي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر
للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه
لا تلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به
انه المجازي على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة
في الاحسان اليهم قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى نزلت في اليهود
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في
التوراة وقيل ان الاية على العموم فيمن كتم شيا من امر الدين لان اللفظ عام والعبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح
الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشي مع الحاجة
الى بيانه واظهاره فمن كتم شيا من امر الدين فقد عظمت مصيبته ق عن ابي هريرة
قال لولا ايتان انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيا ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى الى اخر الايتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح
انه اذا اظهره البعض بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سيل
العالم عن شي يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علما بني اسرايل
ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيايه من الاحكام قال المراد بالناس العلما كافة
اوليك يعني الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى يلعنهم الله اي يبعدهم الله من رحمته
واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد ويلعنهم اللاعنون قال ابن عباس جميع الخلايق
الا الجن والانس وذلك ان البهايم تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني ادم وقيل اللاعنون
هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت
الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنا فقال الا الذين
تابوا اي ندموا على ما فعلوا فرجعوا من الكفر الى الاسلام واصلحوا يعني الاعمال فيما بينهم
وبين الله تعالى وبينوا يعني ما كتموا من العلم فاوليك اتوب عليهم اى اتجاوز عنهم واقبل
توبتهم وانا التواب اى المتجاوز عن عبادى الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الي الرحيم يعني
بهم بعد اقبالهم على قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اوليك عليهم لعنة الله
والملايكة والناس اجمعين قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يوتى بالكافر فيوقف فيلعنه
الله ثم تلعنه الملايكة ثم يلعنه الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل
دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد
بلعنه وهم المومنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون

الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه خالدين فيها اى مقيمين في اللعنة وقيل في النار
وانما اضمرت لعظم شانها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى لا يمهلون ولا يوجلون
وقيل لا ينتظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة فصل فيما يتعلق بهذه الاية من
الحكم قال العلما لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على
الاسلام وقد شرط الله تعالى في هذه الاية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز
لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها
فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة
من المومنين فلا يجوز لعن احد منهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الواشمة والمستوشمة واكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه
وكل هذه في الصحيح قوله تعالى والهكم اله واحد سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا
يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد
وحقيقة الواحد هو الشي الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له
وليس كمثله شي وقيل واحد في الاهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الالهة
فكذبهم الله بقوله والهكم اله واحد يعني لا شريك له في الالهية ولا نظير له في الربوبية والتوحيد
هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته
وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شي من خلقه لا اله الا هو
تقدير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم يعني انه
المولي لجميع النعم اصولها وفروعها فلا شي سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما
منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال
حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا باية
ان كان صادقا فانزل الله هذه الاية ان في خلق السموات والارض وعلمه كيفية الاستدلال
على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في اياته والنظر في عجايب مصنوعاته واتقان افعاله
ففي ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما
على امر واحد ولامتنع في افعالهما التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم
والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه من عجايب مخلوقاته ثمانية انواع اولها قوله
تعالى ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس

غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والاية في السما سمكها
وارتفاعها بغير عمد ولاعلاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية في الارض
مدها وبسطها على الما وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار
والثمار والنبات النوع الثاني قوله تعالى **واختلاف الليل والنهار** اى تعاقبهما في المجي والذهاب
وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة والتاقدم الليل على
النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل والنهار ان انتظام احوال العباد بسبب طلب الكسب
والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار انما
هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث قوله تعالى **والفلك التي تجري في البحر** اى السفن
واحده وجمعه سواكن وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والاية في الفلك تسخيرها
وجريانها على وجه الما وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة
ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الما وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى
النوع الرابع قوله تعالى **بما ينفع الناس** يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح
والاية في ذلك ان الله تعالى لولم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم
وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشي معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك
سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك
فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله تعالى **وما انزل الله
من السما من ما** يعني المطر قيل اراد بالسما السحاب سمي سما لان كل ما علاك فاظلك فهو سما خلق الله
الما في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السما بعينها خلق الله الما في السما ومنه ينزل
الى السحاب ثم منه الى الارض **فاحيا به** اى بالما **الارض بعد موتها** اي بعد يبسها وجدوبها
سماه موتا مجازا لانه اذا لم تنبت شيا ولم يصبها المطر فهي كالميتة والاية في انزال المطر
واحيا الارض به ان الله تعالى جعله سببا لحياة الجميع من حيوان ونبات وتنزيله عند وقت
الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقا والدعا وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس
قوله تعالى **وبث** اي فرق **فيها** اى في الارض **من كل دابة** قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض
من جميع الخلق من الناس وغيرهم والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجعون الى اصل واحد
وهو ادم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبايع والاخلاق
والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني ادم ساير الحيوان النوع السابع قوله تعالى **وتصريف
الرياح** يعني هبوبها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكبا وهي الريح التي تاتي من غير مهب صحيح
فكل ريح يختلف مهابها تسمي نكبا وقيل تصريفها في احوال هبوبها لينة وعاصفة وحارة وباردة
وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفا سقيم

اوضده

حماه العقيم

اوضده وقيل البشارة في ثلاثة رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم
التي اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والاية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى
وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك فلو
امسكت طرفة عين لمات كل ذي روح ولنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى
والسحاب المسخر بين السما والارض اى الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والاية
في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا
بين السما والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الاية دلالة عظيمة على وجود
الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله
واحد لا اله الا هو وقوله **لايات** اي فيما ذكر من دلايل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل
انما جمع ايات لان في كل واحدة مما ذكر من هذه الانواع ايات كثيرة تدل على ان لها خالقا
مدبرا مختارا **لقوم يعقلون** اى ينظرون بعين عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه
الاشيا خالقا ومدبرا وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل **ومن الناس** يعني المشركين
من يتخذ من دون الله اندادا يعني اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام
انداد بعضها لبعض وليست اندادا لله وتعالى الله ان يكون له ندا وله مثل منازع وقيل الانداد
الاكفا من الرجال وهم روساوهم وكبراوهم الذين يطيعونهم في معصية الله **يحبونهم** اي
يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اى جعلته معرضا بان يحبه
والمحبة الارادة **كحب الله** اى كحب المومنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المومنون ربهم
عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحبهم الله فكان المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله
في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني
اثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركا له في الحب **والذين امنوا اشد حبا
لله** اي اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما
ثم راوا اخر احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم
في الشدايد ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين والمومنون لا يعدلون عن الله تعالى في السرا ولا في الضرا ولا في الشدة ولا في الرخا
وقيل ان المومنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد
وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود
بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه **ولو يرى
الذين ظلموا** قرئ بالتا والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب
رايت امرا عظيما وقرئ باليا ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند روية العذاب حين

يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون
العذاب ان القوة لله جميعا معناه لو راى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الاخرة
لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله
تعالى ما تيقنوا معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود
وان الله شديد العذاب قوله تعالى اذ تبرا اي تنزه وتباعد الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
وراوا العذاب اي القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع
فيتبرا بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم
وقيل هم الشياطين يتبرءون من الانس والقول هو الاول وتقطعت بهم الاسباب يعني
الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي
كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت معهم اي بينهم يتوادون
عليها واصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شيء
من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع
لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم اي من المتبوعين كما تبروا منا اليوم كذلك يريهم الله
اي كما اراهم العذاب يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم
على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان
الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم
ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل ترفع لهم منازلهم من الجنة فيقال لهم تلك
مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المومنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم
ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم من
الحرث والانعام من البحيرة والسايبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي احله الشرع
وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ
والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه
النفس وتعافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تاتموا به ولا
تتبعوا اثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان
وقيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى
انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله عداوته باباية السجود لادم ثم بين
عداوته ما هي فقال تعالى انما يامركم بالسوء يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه
والفحشاء يعني بها المعاصي وما قبح من قول او فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء

ما يجب فيه الحد وقيل معنى الفحشاء الزنا وقيل هي البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
يعني من تحريم الحرث والانعام وقيل يتناول ذلك جميع المعاصي والمذاهب الفاسدة التي
لم ياذن فيها ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته
عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف
واصوات منتظمة خفيفة تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله
تعالى والمحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك
وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من بني ادم مجرى الدم
وانما قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله هذه قضية مستانفة والضمير في لهم يعود على غير مذكور قال ابن عباس دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الاية وقيل ان الاية متصلة
بما قبلها والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركوا العرب
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل الضمير في لهم يعود على
قوله يا ايها الناس كلوا والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على
انفسهم قالوا بل نتبع ما الفينا يعني وجدنا عليه اباءنا يعني من التحريم والتحليل قال الله تعالى
اولو كان اباوهم يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين
لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اي الى الصواب
ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
النعيق صوت الراعي للغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الاية ومثلك يا محمد
ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع
الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة
الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار
يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين
كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهايم التي لا تفهم من
الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق وقيل معناه
ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع
من نعيقه بشيء غير انه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له من دعائه الاصنام وعبادته لها
الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي
الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم عمي

لما شبههم بالبهايم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا اسمعوا الحق ودعا الرسول لم ينتفعوا به
صاروا بمنزلة الاصم الذي لا يسمع يقال الذي لم يسمع ولا يعقل كانه اصم بكم اي عن النطق
بالخير عمي اي عن طريق الهدى فهم لا يعقلون قيل المراد به العقل الكسبي لان العقل الطبيعي
كان حاصل فيهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر
في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب
كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال
م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل
الا الطيب وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يمد يديه الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام
وغذي بالحرام فاني يستجاب له لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل
والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من الطعام
فاباح الله لهم ذلك واشكروا الله يعني على نعمه ان كنتم اياه تعبدون اي اشكروا الله الذي
رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم
عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
لما امرنا الله تعالى في الاية التي تقدمت باكل الطيبات التي هي الحلال بين في هذه الاية
انواعا من المحرمات اما الميتة فكل ما فارقته الروح من غير ذكاة شرعية مما يذبح واما
الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتاكله فحرم الله الدم
واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزايه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل
وما اهل به لغير الله يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت
وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر الهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى امرهم وحالهم
حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية فمن اضطر يعني الى اكل الميتة واحوج اليها
غير باغ اصل البغي الفساد ولا عاد اصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا
اثم عليه اي فاكل فلا اثم عليه اي فلا حرج في اكلها ان الله غفور اي لما اكله في حال الضرورة
رحيم يعني حيث رخص لعباده في ذلك فصل في حكم الاية وفيه مسايل الاولى
في حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها
السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه
الجماعة غير البخاري ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روى
عن ابن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل

الجراد

الجراد ونحن معه اخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على
وجه الما فقال مالك والشافعي لا باس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن
ابن صالح بن حي انه مكروه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال ما طفا من صيد
البحر فلا تاكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروي عن ابي بكر الصديق
وابي ايوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وابو حنيفة لا باس باكل الجراد
ما اخذته وما وجدته ميتا وروي عن مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا
يذكى ذكاة مثله بان يقطع راسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل
المسيلة الثانية في حكم الدم اتفق العلما على ان الدم حرام نجس لا يوكل ولا
ينتفع به قال الشافعي تحرم جميع الدما سوا كان مسفوحا او غير مسفوح وقال
ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس يبيض واستثنى الشارع من
الدم الكبد والطحال وروى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة
ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ احلت لنا ميتتان ودمان
فاما الميتتان فالجراد والحوت واما الدمان فالطحال والكبد واخرجه ابن ماجة واحمد
ابن حنبل قال احمد وعلي ابن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد
قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن ابيه عن ابن
عمر مرفوعا وضعف ابو بكر ابن العربي هذا الحديث فقال يروى عن ابن عمر ما لا يصح سنده
وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومعروفا ومرفوعا الصحيح الموقوف وخالف
في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد
لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو مخصص
من العموم المسيلة الثالثة في الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزايه محرم وانما ذكر
الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلما
انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذلك كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي
قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق
بينهما ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره المسيلة الرابعة في حكم
قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبايح عبدة الاوثان الذين كانوا
يذبحونها لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب
عطا ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم

المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم وروى عن علي بن ابي طالب انه قال
اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان
الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون المسئلة الخامسة في حكم المضطر المضطر هو
المكلف بالشي الملجا اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف
حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة
اقسام اما باكراه او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود
هذه الاقسام بحكم الاستثنا في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح
ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا تخلوا اما ان تكون دايمة فلا خلاف في جواز الشبع
منها وان كانت نادرة فاختلف العلما فيه وللشافعي قولان احدهما انه ياكل ما يسد به الرمق
وبه قال ابو حنيفة والثاني ياكل قدر الشبع وبه قال مالك المسئلة السادسة في قوله
غير باغ ولا عاد قال ابن عباس معنى غير باغ خارج على السلطان ولا عاد اي متعد يعني
العاصي بسفره بان يخرج لقطع الطريق او ابق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره ان ياكل
من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لان
اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدوان يرجعان الى الاكل
وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ
اي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها
ولا متزود منها والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في رؤسا
اليهود وعلمايهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والماكل وكانوا يرجون
ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب
وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان
الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا
ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث يتعذر ذلك فيهما بل كانوا
يكتمون التاويل لانه قد كان منهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله
من الكتاب ويشترون به اي بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب ثمنا
قليلا اي عوضا يسيرا وهي الماكل التي كانوا ياخذونها من سفلتهم اوليك ما ياكلون في بطونهم
الا النار يعني ما يوديهم الى النار وهو الرشى والحرام فلما كان يفضي ذلك بهم الى النار فكانهم

اكلوها

اكلوها ولا يكلمهم الله يوم القيامة اي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله
اخسوا فيها و قيل اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه ولا يزكيهم
اي ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب اليم اي وجيع يصل المه الى قلوبهم اوليك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى
واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان في اظهاره
الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفا الحق وكتمانه كانوا
بايعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب فما اصبرهم على النار اي ما الذي اصبرهم واي
شي يجسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل
انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما قدموا
على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من
حالهم بقوله فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق يعني ذلك العذاب بسبب
ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله نزل
الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة وان الذين اختلفوا في الكتاب
يعني اختلفوا في معانيه وتاويله فحرفوها وبدلوها وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض لفي
شقاق اي خلاف ومنازعة بعيد يعني عن الحق قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب
الى بيت المقدس وزعم كل طايفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن
فيما بينته في هذه الاية وقال ابن عباس هو خطاب للمومنين وذلك ان الرجل كان في ابتدا الاسلام
اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال
تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم اي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك ولكن البر يعني
ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمودية
الى الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى من امن بالله واليوم الاخر اي ولكن البر من امن بالله
فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله واليوم الاخر وانما ذكر الايمان باليوم الاخر
لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت والملايكة اي ومن البر الايمان بالملايكة
كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا والكتاب قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب لمنزلة
لسياق ما بعده وهو قوله والنبيين يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه
يدخل تحت كل واحد منها اشيا كثيرة مما يلزم المومن ان يصدق بها واتى المال على حبه يعني من
اعمال البر ايتا المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا واتى المال على حب

المال ق عن ابي هريرة قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اى الصدقة
اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح
وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كذا كناية
عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع على الله اي واتى المال على حب الله وفي طلب رضاه
ذوي القربى يعني اهل قرابة المعطي وانما قدمهم لانهم احق بالاعطا عن سليمان بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان
صدقة وصلة اخرجه النساى ق ان ميمونة اعتقت وليدة ولم تستاذن النبي صلى الله
عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي
قال او فعلت قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية
واليتامى اليتيم هو الذي لا اب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اى واتى الفقرا من
اليتامى والمساكين جمع المسكين سمي بذلك لانه دايم السكون الى الناس لانه لا شى له وابن السبيل
يعني المسافر المنقطع عن اهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل
بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل
للمسافر والسايلين يعني الطالبين المستطعمين عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال للسايل حق ولو جا على فرس اخرجه ابو داود عن زيد بن اسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السايل ولو جا على فرس اخرجه مالك في الموطا عن ام بجيد
قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فما اجد شيا اعطيه اياه قال ان تجدي الا ظلفا
محرقا فادفعيه اليه في يده اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية مالك
في الموطا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا
المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به ردوه بشى تعطوه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة
وفي كونه محرقا مبالغة في قلة ما يعطى وفي الرقاب يعني المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة
وفدا الاسارى واقام الصلاة يعني المفروضة في اوقاتها واتى الزكاة يعني الواجبة والموفون
بعهدهم يعني ما اخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد
بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتدا من نذر وغيره وقيل العهد الذي كان بينه وبين
الناس مثل الوفى بالمواعيد واداء الامانات اذا عاهدوا يعني اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا وفوا
واذا حلفوا بروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا في اقوالهم واذا ايتمنوا ادوا والصابرين في
الباسا اى في الشدة والفقر والفاقة والضرا يعني المرض والزمانة وحين الباس يعني القتال والحرب
في سبيل الله وسمي الحرب باسا لما فيه من الشدة ق عن البرا قال كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان

الشجاع

الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر الباس اى اشتد الحرب
ونتقي به اى نجعله وقاية لنا من العدو اوليك الذين صدقوا اى اهل هذه الاوصاف هم
الذين صدقوا في ايمانهم واوليك هم المتقون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
القصاص نزلت في حيين من احيا العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل وكانت بينهم
قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام وقيل
نزلت في الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون
نساهم بغير مهر واقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل
منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اوليك فرفعوا امرهم الى النبي صلى
الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامروا بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت
هذه الاية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود
كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية
كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع
القتل على شريف قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص
فانزل الله يا ايها الذين امنوا كتب اى فرض عليكم القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون
القصاص فرضا والولي مخير فيه بين العفو والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص
فرض على القاتل للولي لا على الولي وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص
المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمقتول
به يتبع ما فعل به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصى او خنقه او شدخ
راسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي
واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة
والرواية عن احمد الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ومعناه انه اذا
تكافا الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين او الاحرار من المعاهدين
او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى
وبالذكر ولا يقتل مومن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم
والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي واحمد ويدل عليه
ما روى البخاري في صحيحه عن ابي جحيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبي
صلى الله عليه وسلم شي سوى القران قال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة الا ان يوتي
الله عبدا فهما في القران وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفك

الاسير وان لا يقتل مومن بكافر وقد اخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية
ابي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اوليا القاتل الذين يعقلون
عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في
المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذي وذهب اصحاب الراى الى ان
المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الاية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعي
ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس وان تلك واردة
لحكاية ما كتب على بني اسرايل في التوراة وهذه الاية خطاب للمسلمين بما كتب
عليهم وذهب اصحاب الراى الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس
وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاما
قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيها اهل صنعا لقتلتهم قال البخاري وقال مغيرة بن
حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطا عن ابن المسيب
ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالا عليه اهل
صنعا لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به
وقوله لو تمالا اى تعاونوا واجتمعوا عليه قوله تعالى **فمن عفي له من اخيه شي** اى ترك
له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية والعفو هنا
قبول الدية في قتل العمد من اخيه اى من دم اخيه واراد بالاخ ولي المقتول وانما
قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه ولي الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ
الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام
وفي قوله شي دليل على ان بعض الاوليا اذا عفي سقط القود وثبتت الدية لان شيا من
الدم قد بطل **فاتباع بالمعروف** اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا ياخذ اكثر من
حقه ولا يعنفه **واداء اليه باحسان** اي على القاتل ادا الدية الى ولي الدم من غير
مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الاية واذا عفا
ولي الدم عن شي يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو
بمعروف وليود ما وجب عليه من الدية الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة
وفي الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مومن بقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص فسماه مومنا حال ما وجب عليه القصاص وانما
وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد العدوان من الكباير بالاجماع
فدل على ان صاحب الكبيرة مومن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه
بعد القتل بالايمان وسماه مومنا الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولي

الدم بقوله فمن عفي له من اخيه شي واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان
باق على القاتل لم يثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب بالعفو عن القاتل
والعفو لا يليق الا عن المومن لا عن الكافر وقوله تعالى **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**
يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف
من ربكم في حقكم ورحمة وذلك لان العفو والدية كانا حراما على اليهود وكان القصاص
حتما في التوراة وكان في شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل
كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص
او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم **فمن اعتدى
بعد ذلك** يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية **فله
عذاب اليم** وهو ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد
بالعذاب الاليم عذاب الاخرة قوله تعالى **ولكم في القصاص حياة** اي بقا وذلك ان
القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاوه
وبقا من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص
منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص
الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح
اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقا الجارح والمجروح وربما
افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الاية ان الحياة سلامته
من قصاص الاخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الاخرة وفي ذلك حياته
واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة **يا اولي الالباب** اي يا ذوي العقول الذين
يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره **لعلكم تتقون**
يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص وقوله عز وجل **كتب عليكم** اى فرض
واوجب عليكم **اذا حضر احدكم الموت** اى قرب ودنا منه وظهرت اثاره عليه من
العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لان في ذلك الوقت يعجز عن
الايصا **ان ترك خيرا** يعني مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب
الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين
واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها
وقيل سبعماية فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسماية الى
الالف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال روى ان رجلا قال لعايشة اني
اريد ان اوصي فقالت له كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة

قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شي يسير فاتركه لعيالك **الوصية** اي الايصا والوصية
التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستانف من العمل والقيام به بعد الموت
للوالدين والاقربين كانت الوصية في ابتدا الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات
وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والريا
ويتركون الاقربين فقرا فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الاية باية
المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت اخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه
النسائي وللترمذي نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث
وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاووس
والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هولا ان الاية دالة على وجوب الوصية للوالدين
والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث باية الميراث وبالحديث المتقدم فوجب ان
تبقى الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هولا النسخ يتناول بعض
احكام الاية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلما وفقها الحجاز والعراق الى ان وجوبها
صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية
والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امري مسلم له
شي يوصي فيه وفي رواية له شي يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال
الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله
ما حق امري الحق يشتمل معناه على الواجب والندب والحث فيحمل هنا على الحث في الوصية
لانه لا يدري متى ياتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى **بالمعروف**
اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير **ق**
عن سعيد بن ابي وقاص قال جاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود في عام حجة الوداع
من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني
الا ابنة لي افاتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله فقال لا قلت فالثلث
قال الثلث والثلث كثير او قال كبير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة
يتكففون الناس العالة الفقرا وقوله يتكففون الناس التكفف المسيلة من الناس كانه من الطلب
بالاكف **ق** عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقال علي بن ابي طالب لان اوصي بالخمس احب الي من
ان اوصي بالربع وان اوصي بالربع احب الي من اوصي بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي

بالسدس او الخمس او الربع **حقا** اي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب **على المتقين**
اي المومنين الذين يتقون الشرك **فمن بدله** اي غير الوصية من الاوليا والاوصيا وذلك التغيير
اما في الكتابة او في قسمة الحقوق او الشهود بان يكتموا الشهادة او يغيروها وانما ذكر
الكناية في بدله مع ان الوصية مونثة لان الوصية بمعنى الايصا كقوله فمن جاه موعظة
اي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت وما اوصى به **بعدما سمعه** اي من الموصي وتحققه
فانما اثمه على الذين يبدلونه اي ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والموصي والموصى له
بريان منه **ان الله سميع** يعني لما وصى به الموصي **عليم** يعني بتبديل المبدل **فمن خاف** اي علم وهو
خطاب عام لجميع المسلمين **من موص جنفا** اي جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف
الميل **او اثما** اي ظلما فاصالح **فاصلح بينهم** وقيل الجنف الخطا في الوصية والاثم العمد وقيل في ٣
معنى الاية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصي فراه يميل في وصيته اما بتقصير او اسراف
او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه ان يامره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف
والميل وقيل اراد انه اذا اخطا الميت في وصيته او حاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه
او والي امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل
والحق **فلا اثم عليه** اي فلا حرج عليه في الصلح **ان الله غفور رحيم** اي لمن اصلح وصيته بعد
الجنف والميل عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما
النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه
ابو داود والترمذي قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية
ان لا تمضي او ينقص بعضها او يوصي لغير اهلها او يجنف في الوصية ونحو ذلك قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض **عليكم الصيام** والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار
اذا اعتدل وقام قايم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك
عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص
وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية **كما كتب على الذين من قبلكم** يعني من الانبيا والامم
من لدن ادم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه
عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشي الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر
رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع الحر الشديد
والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي
علمايهم ورويسايهم ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتا فجعلوه في
فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان

اشتكى ملكهم فجعل الله عليه ان هو برأ من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرأ فزاد
فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة
ايام اتموا خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا
قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده
يوما ثم لم يزل الآخر يزيده يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك لعلكم
تتقون يعني ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك
الشهوات من الاكل والجماع وغيرها وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير
الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم اياما معدودات
اي مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا
وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد
الهجرة امر القبلة ثم الصوم ق عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل
ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم
الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك
لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل
الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان
نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم
الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة فمن كان منكم مريضا
او على سفر فعدة اي فافطر فعليه عدة من ايام اخر يعني غير ايام مرضه وسفره وعلى الذين
يطيقونه اي يطيقون الصوم واختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب اكثرهم الى انها
منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء
الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفتدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق
عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد
منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير ق عن سلمة بن الاكوع قال لما
نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر
ويفتدي حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية
فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق
الصوم ولكن يشق عليه رخص له ان يفطر ويفتدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا

في

في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين
ان يفطر ويفدي ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة
ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم
الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يُطَوَّقونه بضم الياء وفتح الطاء والواو
المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم خ عن عطاء انه سمع ابن عباس
يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو
الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا فدية
طعام مسكين الفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الانسان يقي به نفسه من تقصير
وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان
يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض بعضهم صح
فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال نصف صاع من البر وصاعا
من غيره وقال ابن عباس يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره فمن تطوع خيرا فهو خير له يعني زاد
على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على القدر الواجب
فاطعم صاعا وعليه مد فهو خير له وان تصوموا خير لكم قيل هو خطاب مع الذين
يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم
من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه
الى الكل اولى ان كنتم تعلمون يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما في
الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين
في افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض
والحيض والنفاس فهؤلاء اذا افطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع
اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب
اصحاب الرأي انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى
برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء قوله عز وجل شهر رمضان يعني وقت صيامكم
شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للشيء اذا ظهر شهره وسمي الهلال شهرا
لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء
وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل انه لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان
رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم هذا الشهر
كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان الذي انزل فيه القرآن لما خص الله تعالى شهر رمضان

بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقران اسم
لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعي انه كان يقول
القران اسم وليس بمهموز وليس هو من القراة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل
فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرو وهو الجمع فسمى
قرانا لانه يجمع السور والايات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال
والايات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القران جملة واحدة في ليلة
القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سما الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى
الله عليه وسلم نجوما في نحو ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم
وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين
من رمضان وفي رواية في اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال
مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل
زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم
في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتدا نزول القران على محمد
صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحاق وابي سليمان الدمشقي وقيل في
معنى الاية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القران كما تقول نزلت هذه الاية في الصلاة
والزكوة ونحو ذلك من الفرايض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل
هدى للناس يعني من الضلال وبينات من الهدى والفرقان فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه
يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى
ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى ثم قال هو البين
من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القران هدى في نفسه فكانه قال ان القران هدى
للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات الواضحات
التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي من كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود هو
الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي روية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم صوموا لرويته وافطروا لرويته اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان
من راى الهلال ومن اخبر به واختلف العلما في وجه الخبر عنه فمنهم من قال يجزى فيه خبر
الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله
الشافعي وهذا للاحتياط في امر العبادة لدخولها وخروجها ومن كان مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر انما كرره لان الله تعالى ذكر في الاية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح

ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا
لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان
الحكم باق على ما كان عليه فصل في حكم الاية وفيه مسايل المسيلة الاولى اختلفوا
في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما
يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن
وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمرض الذي
لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله القول الثالث وهو
قول اكثر الفقها ان المرض المبيح للفطر هو الذي يودي الى ضرر في النفس وزيادة علة غير محتملة
كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتد مرضه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد
وجع عينه فالمراد بالمرض ما يوثر في تعويقه قال الشافعي اذا اجهده الصوم افطر والا فهو
كالصحيح المسيلة الثانية الفطر في السفر مباح والصوم جايز قال عامة العلما وقال ابن
عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضا واحتجوا
بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة العلما على من يجهده الصوم



في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم قال ليس من البر الصيام
في السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روي عن انس
قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصايم على المفطر ولا المفطر
على الصايم اخرجاه في الصحيحين المسيلة الثالثة اختلف العلما في قدر السفر المبيح للفطر
فقال داود الظاهري اي سفر كان فرسخا او ما كان وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم وليلة
وقال الشافعي واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه
اقله مسيرة ثلاثة ايام المسيلة الرابعة اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشا السفر
في اثنايه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه
ان احب يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام
الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث
فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع
وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة المسيلة الخامسة اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي
الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر اولى
وافضل من الصوم في السفر وقالت طايفة من العلما هما سوا وافضل الامرين ايسرهما
لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر المسيلة السادسة يبيح الفطر كل سفر

مباح ليس سفر معصية فلا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى
فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضا الصوم
متفرقا وان كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضا من غير تعيين لزمن القضا فيدل على جواز
التراخي في القضا ويدل عليه ايضا ما روى عن عايشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان
فما استطيع ان اقضي الا في شعبان لمكان الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين
يريد الله بكم اليسر اي التسهيل في هذه العبادة وهو اباحة الفطر للمسافر والمريض ولا يريد
بكم العسر اي وقد نفى عنكم الحرج في امر الدين قيل ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان
ذلك احب الى الله تعالى ولتكملوا العدة اي عدد الايام التي افطرتم فيها بعذر المرض والسفر
والحيض لتقضوا بعددها وقيل اراد عدد ايام الشهر ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم
فاقدروا له وفي رواية فاكملوا العدة ثلاثين ولتكبروا الله فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة
العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعي واحب اظهار التكبير
في العيدين وبه قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في
عيد الاضحى حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا
معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم الى هذه العبادة القول الثاني
في معنى ولتكبروا الله اي ولتعظموا الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة
على ما هداكم اي ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم ولعلكم تشكرون الله على نعمته فصل
في فضل شهر رمضان وفضل قيامه ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل
رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اي شدت بالاغلال
ق عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اي
طلبا لوجه الله وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه
نية وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كارهة
ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى
سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع شهوته وطعامه من
اجلي للصايم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه اطيب عند الله من
ريح المسك زاد في رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب
فان شاتمه احد او قاتله فليقل اني صايم قوله كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع
الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى لي وان كانت جميع

الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن ادم بقول ولا
فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله
يقول الله تعالى انا اتولى جزاءه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصايم
فرحتان فرحة عند فطره اي بالطعام لما بلغ منه الجوع لتاخذ النفس حاجتها منه
وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند
لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه قوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها الغثان وهو تغير طعم
الفم وريحه لتاخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثنا على
الصايم والرضى بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان
خلوف فم الصايم ابلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند احدكم قوله الصيام جنة
اي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة
لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجة والجلبة
والصياح ق عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا
يقال له الريان يدخل منه الصايمون يوم القيمة يقال اين الصايمون فيقومون
لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه احد وفي رواية ان
في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصايمون عن ابي امامة قال
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر ينفعني الله به قال عليك
بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية اي العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له
اخرجه النساي قوله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب قال ابن عباس قال
يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما خمسماية
عام وان غلظ كل سما مثل ذلك فنزلت هذه الاية وقيل سال بعض الصحابة النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوه في اي ساعة
ندعو ربنا فنزلت هذه الاية وهذا السوال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته
او عن افعاله اما السوال عن ذات الله تعالى فهو سوال عن القرب والبعد بحسب الذات
واما السوال عن صفاته تعالى فهو ان يكون السايل سال هل يسمع ربنا دعانا واما السوال
عن افعاله فهو ان يكون السايل سال هل يجيب ربنا دعانا اذا دعوناه فقوله تعالى
واذا سالك عبادي عني فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله فاني قريب فمعناه قريب
بالعلم والحفظ لا يخفى علي شي وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة
من ساله ق عن ابي موسى الاشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال
توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا
غايبًا انكم تدعون قريبًا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم اى ارفقوا بها وقيل معنا
امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاكم وقوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان
اى اسمع دعا عبدى الداعى اذا دعانى وقيل الدعا عبارة عن التوحيد والثنا على الله تعالى
كقول العبد يا الله لا اله الا انت فقولك يا الله فيه دعا وقولك لا اله الا انت فيه
توحيد وثنا على الله تعالى فسمى هذا دعا بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس
اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاه اذا دعاه ولا يخيب
رجا من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا ربه تعالى باخلاص وتضرع اجاب الله دعوته
فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعا والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله اجيب دعوة
الداع وقوله ادعونى استجب لكم قلت ذكر العلما فيه اجوبة احدها ان هذه الاية
مطلقة وقد وردت اية اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه
ان شا والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعا هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة
هو الثواب وذلك فى الاخرة وثالثها ان معنى الايتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون
المعنى اجيب دعوة الداعى اذا وافق القضا او اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه
اذا لم يسال اثما او محالا ورابعها ان معناها عام اى اسمع وهو معنى الاية المذكورة فى الاية
واما اعطا الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب
السيد عبده ولا يعطيه سواله وخامسها ان للدعا ادابا وشرايط وهى اسباب
الاجابة فمن استكملها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخطاها كان من اهل الاعتدا
فى الدعا فلا يستحق الجواب والله اعلم وقوله تعالى فليستجيبوا لى يعنى اذا دعوتهم
الى الايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى لحوايجهم والاجابة الطاعة فالاجابة
من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطا وليومنوا بى لعلهم يرشدون اى لكى
يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم فصل فى فضل الدعا وادابه عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حين
يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسالنى فاعطيه من يستغفرنى
فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلما
احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق
على ما يليق بالله ونكل علمه الى الله ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد
ولا نتكلم فى تاويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال
والحركات والمذهب الثانى مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول على ما يليق

في التقدم

به

به

به فعلى هذا انتقل عن ذلك وغيره ان معناه تنزل رحمته وامره او ملايكته وانه على
الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفى الحديث الحث
على الدعا والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم
حى كريم يستحيى من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا خايبتين اخرجه ابو داود
والترمذى وقال الحديث حسن غريب الصفر الخالى يقال بيت صفر ليس فيه متاع
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو
الله بدعوة الا اتاه الله اياها او صرف عنه من السو مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة
رحم فقال رجل من القوم اذن نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذى قوله الله اكثر
معناه الله اكثر اجابة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعو
الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه اخرجه
الترمذى وقال حديث غريب عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شى اكرم
على الله من الدعا اخرجه الترمذى وله عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدعا مخ
العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعا فتحت
له ابواب الرحمة وما سيل الله شيا احب اليه من ان يسال العافية وان الدعا ينفع مما
نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا الا الدعا
ولا يزيد فى العمر الا البر وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسال
الله يغضب عليه ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم
ما لم يعجل يقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم
يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد
دعوت وقد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا قوله يستحسر اى
يستنكف عن السوال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف ق عن ابى هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شيت اللهم ارحمنى ان
شيت ولكن ليعزم على المسيلة فان الله لا مكره له زاد البخارى ارزقنى ان شيت ليعزم مسيلته
فانه يفعل ما يشا لا مكره له فليعزم المسيلة اى لا تكن فى دعايك ربك مترددا بل اعزم
وجد فى المسيلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته
فلم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه
فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبى صلى
الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شا اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح قوله تعالى
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم سبب نزول هذه الاية انه كان فى ابتدا الامر

بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشا الاخرة
او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب
واقع اهله بعد ما صلى العشا فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه نفسي الخاطية اني رجعت
الى اهلي بعد ما صليت العشا فوجدت رايحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل
ذلك فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي ابيح لكم ليلة اراد بالليلة ليالي الصيام الرفث الى
نسايكم الرفث كلام يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع وقال
ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع
هن لباس لكم اي سكن لكم وانتم لباس لهن اي سكن لهن قيل لا يسكن شي الى شي كسكون
احد الزوجين الى الاخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما
في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما
جا في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم قال ابن
عباس يريد فيما ايتمنتكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون ليالي الصيام والمعنى
تظلمونها بالمجامعة بعد العشا وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يوتمن الرجل على شي
فلا يودي فيه الامانة ويقال للعاصي خاين لانه موتمن على دينه فتاب عليكم اي فتبتم فتاب
عليكم وتجاوز عنكم وعفا عنكم اي محا ذنوبكم خ عن البرا قال لما نزل صوم رمضان
كانوا لا يقربون النسا رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الاية قال وكان ذلك مما نفع الله به الناس
ورخص لهم ويسر فالان باشروهن اي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت
المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه وابتغوا ما كتب الله لكم اي ما
قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة
الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري
ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل في ارض له وهو صايم فلما امسى رجع الى اهله بتمر
وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المراة ان تطعمه شيا سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغت
فاذا هو قد نام وكان قد اعيا من التعب فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان
ياكل واصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فلما راه قال يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقوله طليحا اي معيا ولا مجهودا خ عن البرا
قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر الافطار فنام قبل ان
يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صايما فلما حضر
الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل
فغلبته عينه فجاءت امراته فلما راته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم
ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود من الفجر ومعنى الاية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطان لان كل واحد منهما يبدو في
الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر فلما اضات لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا
السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر اضا ق عن سهل بن سعد قال لما انزلت وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا
ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل ويشرب
حتى يتبين له رويتهما فانزل الله عز وجل بعده من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار
ق عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى
عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادي وجعلت انظر في الليل فلا يتبين لي فغدوت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يوذن بليل فكلوا واشربوا حتى
يوذن ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذي
يحرم به على الصايم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق
سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط
مستطيل والصبح ليس بمستطيل قلت ان القدر الذي يبدو من البياض هو اول الصبح يكون
رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا اشبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب
ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر
الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا م عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا
وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعنكم من سحوركم اذان
بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو
الصادق حرم على الصايم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا

الصيام الى الليل يعني منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر ق عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا وغربت
الشمس فقد افطر الصايم وهل يلزم الصايم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيا فيه
وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل
الفطر بمجرد دخول الليل سوا اكل او لم ياكل وتمسك الحنفية بهذه الاية في ان النفل يجب تمامه
قالوا لان قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل امر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام اجاب
اصحاب الشافعي بان هذا انما ورد في بيان احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة
الفطر من النفل ما روي عن عايشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم
شي قلنا لا قال فاني اذا صايم ثم اتانا يوما اخر فقلنا يا رسول الله اهدي لنا حيس قال ارينيه فلقد
اصبحت صايما فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط
دقيق او فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف قوله عز وجل ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد الاعتكاف هو الاقبال على الشي والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في
الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الاية ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت لرجل منهم حاجة الى اهله
خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله
تعالى بين ان الجماع يحرم على الصايم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم
الصوم فبين الله تعالى في هذه الاية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه
فصل في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز
عن ساير البقاع بالفضل لانه بني لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن علي
انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطايفين والعاكفين فخصه به وقال عطا لا يجوز
الا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس
وقال الزهري لا يصح الا في الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في مسجد له امام ومؤذن وقال
الشافعي واحمد ومالك يجوز في ساير المساجد لعموم قوله وانتم عاكفون في المساجد الا ان المسجد
الجامع افضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة ق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان فروع الاول
يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف
ولا يصح الا به وحجة الشافعي ما روي عن ابن عمر ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية
ان اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فاوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم

في الليل الفرع الثاني لا يتقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو
نذر اعتكاف سنة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال
الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف عند
مالك وابي حنيفة يوم بشرط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس الفرع الثالث الجماع
حرام في حال الاعتكاف ويفسد به واما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به
عند اكثر العلما وهو اظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل
اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابي حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجايز ولا يفسد به
الاعتكاف لما روي عن عايشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حايض وهو معتكف
في المسجد وهي في حجرتها يناولها راسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان
معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان اخرجاه في الصحيحين
الترجيل تسريح الشعر وقوله الا لحاجة حوايج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر
الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى تلك حدود الله
يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله
وقيل حدود الله فرايض الله واصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيين الذي يمنع اختلاط
احدهما بالاخر وحد الشي الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير
التي قدرها ومنع من مخالفتها فلا تقربوها اي فلا تاتوها ولا تغشوها فان قلت في الاية اشكالان
اما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة
وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها الاشكال الثاني وهو انه تعالى قال في هذه
الاية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في اية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف
الجمع بين هذه الايات قلت الجواب عن السوالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام
التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الاية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام
الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان اقرب الى هذه الاية جانب التحريم
قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله
تعالى والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل
ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني
الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وقيل اراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
ونحو هذا من التحريم فهي حدود لا تقرب كذلك اي كما بين لكم ما امركم به ونهاكم عنه كذلك

بين الله اياته اى معالم دينه واحكام شريعته **للناس** مثل هذا البيان الشافى الوافى **لعلهم**
يتقون اى لكى يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قوله تعالى **ولا تاكلوا اموالكم بينكم**
بالباطل نزلت فى امرء القيس بن عابس الكندى ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمى عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى ارض فقال النبى صلى الله عليه وسلم للحضرمى الك بينة قال لا قال
فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله
لياكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الاية والمعنى لا ياكل بعضكم
مال بعض بالباطل اى من غير الوجه الذى اباحه الله له واصل الباطل الشى الذاهب
فصل اما حكم الاية فاكل المال بالباطل على وجوه الاول ان ياكله بطريق التعدى والنهب
والغصب والثانى ان ياكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغنى وثمن الخمر والملاهى ونحو ذلك الثالث
ان ياكله بطريق الرشوة فى الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك فى الوديعة والامانة
ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع فى التعارف فلان
ياكل اموال الناس بمعنى ياخذها بغير حلها **وتدلوا بها الى الحكام** اى وتلقوا امور تلك الاموال
التى فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد
ويخاصم الى الحاكم وهو يعلم ان الحق عليه وانه آثم بمنعه وقيل هو الذى يقيم شهادة الزور
عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تاكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل
لا تدل بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاه لا يحل حراما وكان شريح القاضى
يقول انى لا اقضى لك وانى لاظنك ظالما ولكن لا يسعنى الا ان اقضى بما يحضرنى من البينة وان
قضاى لا يحل حراما ق عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته
فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه ياتينى الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفى رواية
الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فاقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من
النار فليحملها او ليذرها قوله سمع جلبة خصم يعنى اصوات خصم وقوله الحن بحجته يقال فلان
الحن بحجته من فلان اى افطن لها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحا وهو الفطنة **لتاكلوا فريقا**
اى طائفة وقطعة **من اموال الناس بالاثم** يعنى بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة
وقيل بشهادة الزور **وانتم تعلمون** يعنى انكم على الباطل قوله عز وجل **يسالونك** اى يا محمد
عن الاهلة نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال
يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يملى نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون
على حالة واحدة فانزل الله يسالونك عن الاهلة وكان هذا سوالهم على وجه الفائدة
عن وجه الحكمة فى تبين حال الهلال فى الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول
حال القمر حين يراه الناس او لليلتين من الشهر **قل هى مواقيت للناس** جمع ميقات والمعنى

انا

انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم
ومحل ديونهم واجارتهم وعدد النسا واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة
بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دايمة على حالة واحدة **والحج** اى وللحج
وانما افرد الحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة العبادات لفايدة عظيمة وهى ان العرب فى
الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور
على الاشهر التى عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله
تعالى كما كانت العرب تفعل فى النسا **وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها** ق عن البرا
قال نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاوا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت
فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفى رواية كانوا اذا احرموا فى
الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله هذه الاية وقيل كان الناس فى الجاهلية وفى
اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان
من اهل المدن نقب نقبا فى ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان
كان من اهل البادية دخل وخرج من خلف الخبا ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا
وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشديدهم فى دينهم
والحماسة الشدة فكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا بظل ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار
يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى احمسى فقال الرجل ان كنت احمسيا فانا احمسى رضيت بهديك وسمتك
ودينك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة
لم يحل بينهم وبين السما شى وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما خرج
من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين
السما فيفتح الجدار من ورايه ثم يقوم فى حجرته فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار
من بنى سلمة على اثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رايتك
دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى احمسى فقال الانصارى وانا احمسى يقول انا على
دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها **ولكن البر من اتقى واتوا**

البيوت من ابوابها يعني في حال الاحرام وغيره واتقوا الله لعلكم تفلحون قوله تعالى وقاتلوا
في سبيل الله اي في طاعة الله وطلب رضوانه عن ابي موسى قال سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ريا اي ذلك في سبيل
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل
الله الذين يقاتلونكم كان في ابتدا الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن
قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امره بقتال من قاتله منهم بهذه الاية قال الربيع
ابن انس هذه اول اية نزلت في القتال ثم امره الله بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم
يقاتلوا بقوله تعالى اقتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت
اية السيف ناسخة لهذه الاية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا
في سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان
والشيوخ والزمنين والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله
تعالى ولا تعتدوا قال ابن عباس لا تقتلوا النسا والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من
القى اليكم السلام عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او
سرية اوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل
الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله
ولا تغلوا الغل الخيانة وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا
اي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الاية ولا تعتدوا اي لا تبدوهم بالقتال فعلى هذا
القول تكون الاية منسوخة باية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة
ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا
خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا وان يصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام
وفي الحرم فانزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين
يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا
اي بابتدا القتال ان الله لا يحب المعتدين قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم
اي حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى
امر بالجهاد معهم سوا قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد
الحرام واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم
من دياركم والفتنة اشد من القتل يعني ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم
اياهم في الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يودي

الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار
وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة
اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اختلف العلما
في هذه الاية فذهب مجاهد في جماعة من العلما الى انها محكمة وانه لا يجوز ان يقاتل في
المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله فان قاتلوكم فاقتلوهم اي فقاتلوهم وثبت
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم
القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الاية
منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها
منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كذلك جزا الكافرين فان انتهوا يعني عن
القتال وقيل عن الشرك والكفر فان الله غفور يعني لما سلف رحيم يعني بعباده حيث لم
يعاجلهم بالعقوبة وقاتلوهم اي وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعنى
وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابي والفرق
بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب منزلة وفيها شرايع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد
حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ
الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مومني اهل
الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه
ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم
الا بالاسلام او القتل ويكون الدين لله اي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه
شي فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فلا عدوان اي فلا سبيل الا على
الظالمين قال ابن عباس فعلى القول الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول
الثاني الاية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمي جزا الظالمين ظلما على سبيل
المشاكلة وسمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها قوله تعالى الشهر الحرام
بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا
في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل
مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته فذلك قوله تعالى الشهر
الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم
فيه عن البيت والحرمات جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة

الاحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى
انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد وافقتكم حتى قضيتموها
على رغمهم في سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال في الشهر الحرام
فاقتلوهم فيه فانه قصاص فمن اعتدى عليكم اي بالقتال فاعتدوا عليه اي فقاتلوه بمثل
ما اعتدى عليكم سمي الجزا بالاعتدا على سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين
قوله عز وجل وانفقوا في سبيل الله يعني به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالقتال والاشتغال
به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في
الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك
مما فيه قربة الى الله تعالى لان كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف
الى الجهاد خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله
ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم
القيمة يعني حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة
في سبيل الله كتب له سبعماية ضعف اخرجه الترمذي والنساى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
قيل البا زايدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد بالايدي الانفس والمعنى ولا تلقوا
انفسكم الى التهلكة عبر بالايدي عن النفس وقيل البا على اصلها وفي الكلام حذف تقديره
ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها
وقيل التهلكة كل شي تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك
ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الاية النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الاهلاك
قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقولن احدكم لا اجد
شيا السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال
يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله بالانفاق
على انفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شي ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لييلا يلقي نفسه
في التهلكة وهو انه يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الاية في ترك الجهاد
عن ابي عمران واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج
اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد
فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيديه
الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال يا ايها الناس انكم لتؤولون هذه الاية هذا
التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال
بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز

الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تبارك وتعالى
على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب
شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم اخرجه الترمذي وقال لحديث حسن
غريب صحيح مات ابو ايوب في اخر غزوة غزاها بارض قسطنطينيه ودفن في اصل
سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك
فنرى ان ذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الالقا الى التهلكة هو ان
يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة
فيياس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى
الاية انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا
انفسهم هالكين بالانفاق خ عن حذيفة قال وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة قال نزلت في النفقة واحسنوا اي في الانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته
وقيل واحسنوا في الانفاق فلا تسرفوا ولا تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار في الانفاق
وقيل معناه واحسنوا في ادا فرايض الله تعالى ان الله يحب المحسنين اي يثيبهم على احسانهم
قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال ابن عباس هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما
وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان يفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل
اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك
لهما لا لتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام فصل واتفقت
الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افي كل عام يا رسول الله
فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم
وفي رواية وفي وجوب العمرة قولان للشافعي اصحهما انها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس
والحسن وابن سيرين وعطا وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل
والقول الثاني انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه
ذهب مالك وابو حنيفة وحجة من اوجب العمرة ما روي في حديث الصبي بن معبد انه قال
لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي واني اهللت بهما فقال هديت لسنة
نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنساى باطول من هذا وجه الدليل انه
اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رواه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله

عليه وسلم وروى عن ابن عباس انها لقرينتها في كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر
قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من
استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما
ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه
النساي والترمذي وزاد وما من مومن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال
حديث حسن صحيح وجه الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها
قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بانها سنة ما روى
عن جابر قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا
خير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاه
وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسو حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة
على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد ان يحج ثم
بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع
ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج وياتي بها باعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في
تلك السنة وانما سمي متمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان
يحرم بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينوي بهما بتلبيته وكذلك
لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا
في الافضل فذهب مالك والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه
ما روى عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر
قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ
بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم
لعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة
الى ان القران افضل يدل عليه ما روى عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك
عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهوية الى ان
التمتع افضل يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان فاول من نهى عنها معاوية اخرجه الترمذي ق عن ابن عمر قال تمتع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من

ذي الحليفة

ذي الحليفة وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس
الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم
يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل
من شي حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة
وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا
رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شي
ثم خب ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت
عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبع اشواط
ثم لم يحلل من شي حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض فطاف بالبيت
ثم حل من كل شي حرم منه وفعل مثل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى فساق
الهدي من الناس اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا
او قارنا وهو ثلاثة اقوال للعلما بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طايفة نوعا وادعت
ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته
صلى الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك
وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد اخر
الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران
كارتفاق المتمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث
المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما
موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع
وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به واذن
فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى فاعله كما يقال
بنى فلان دارا واريد به انه امر ببنايها وكما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما
امر برجمه واختار الشافعي الافراد واحتج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن
عباس وعايشة وهولا لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة
سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذا بخطام
ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانه سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من
العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عايشة
فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة

فعلها وعلمها ومن دلا بل ترجيح الافراد ان الخلفا الراشدين افرد وا الحج بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف
والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير في اصح القولين واركان العمرة اربعة
الاحرام والطواف والسعي والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى
فان احصرتم اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة في الحصر والاحصار
فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت احصره
المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيقوا عليه وقال الزجاج
الرواية عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف او المرض احصر وللمحبوس حصر وقال ابن قتيبة
في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو ويقال
احصر فهو محصر فان حبس في دار او سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد
قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن احصرك وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار
الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع
الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامرين ويجب
اختلاف اهل اللغة في معناها اختلف الفقها في حكمها فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو
او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطا ومجاهد وقتادة
وهو مذهب ابي حنيفة ويدل عليه ما روى عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت
ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث
حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس
وانس وبه قال مالك والليث والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا
بان نزول الاية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان
كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الاية فحل
النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الاية
وهو قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو
فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره واجيب عن حديث الحجاج
ابن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط
في الاحرام ما روى عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله اني اريد الحج افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من
الارض حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت

حبستني

الزبير

الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث
حبستني فمذهب الشافعي واحمد واسحاق اذا اشترط في الحج فعرض له مرض او عذر ان يتحلل
ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى فما
استيسر من الهدي ومعنى الاية فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة فحللتم فعليكم
ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة
قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه ذهب
الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة
الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك
الوقت ولا تحلقوا روسكم حتى يبلغ الهدي محله اي مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وفيه
قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ
هديه الى الحرم وهو قول ابي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر سوا كان في الحل او
في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى
عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت
فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه البخاري قوله تعالى فمن كان منكم
مريضا او به اذى من راسه معناه ولا تحلقوا روسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى
حلقه لمرض او اذى وهو القمل والصداع ففدية فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية
نزلت هذه الاية في كعب بن عجرة ق عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال ايوذيك هوام راسك قال
قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري
باي ذلك بدا وفي رواية قال نزلت في هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه
ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما كنت ادري ان الوجع بلغ بك ما ارى وما كنت ادري ان الجهد بلغ بك
ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع قال كعب فنزلت في خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى من صيام
اي صوم ثلاثة ايام او صدقة يعني اطعام ثلاثة اصع ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع او نسك واحدها نسيكة اي ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة
وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شا ذبح او صام او تصدق وكل هدي او
اطعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدي المحصر فانه يذبحه حيث احصر واما

الصوم فله أن يصوم حيث شاء قوله عز وجل **فإذا أمنتم** يعني من خوفكم وبرأتم من
مرضكم وقيل إذا أمنتم من الإحصار **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج** قال ابن الزبير معناه فمن
أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من إحرامه بعمل عمرة فاستمتع بإحلاله ذلك
بتلك العمرة إلى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني
في العام القابل وقيل معناه فإذا أمنتم وقد حللتم من إحرامكم بعد الإحصار ولم
تعتمروا في تلك السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة في أشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم
بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج **فعليكم ما استيسر من الهدي** وقال ابن عباس هو الرجل
يقدم معتمراً من أفق من الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام بمكة حلالاً حتى أنشأ منها
الحج فحج من عامه ذلك فيكون متمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة
هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظوراً عليه في حال الإحرام إلى إحرامه
بالحج فما استيسر من الهدي يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر
فلو ذبح قبله بعد ما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجزيه ذبحه عند
أبي حنيفة قبل يوم النحر كدم الأضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط أحدها أن
يقدم العمرة على الحج الثاني أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج الثالث أن يحج بعد الفراغ من العمرة في
هذه السنة الرابع أن يحرم بالحج من مكة ولا يعود إلى ميقات بلده فلو رجع إلى الميقات
وأحرم منه لم يكن متمتعاً الخامس أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة
في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيئاً منها لم يكن متمتعاً ودم التمتع جبران عند الشافعي
فلا يجوز أن يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله **فمن لم
يجد** يعني الهدي **فصيام ثلاثة أيام في الحج** أي عليه صيام ثلاثة أيام في وقت اشتغاله
بالحج قيل يصوم يوماً قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب
أن يصوم في أيام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطراً فإن لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم
أيام التشريق وبه قال مالك وأحمد وهو أحد قولي الشافعي وقيل بل يصوم بعد أيام التشريق
وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعي **وسبعة إذا رجعتم** يعني وصوموا سبعة أيام
إذا رجعتم إلى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع إلى
أهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والأخذ في الرجوع فعلى
هذا يجزيه أن يصوم السبعة أيام بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع إلى أهله وبه قال
أبو حنيفة **تلك عشرة كاملة** يعني في الثواب والأجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدي
إلا أنه قد يحتمل أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي فأعلم الله أن العشرة بكمالها
هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق ثلاث واثنتان فهن

خمس وسادسة تميل إلى شمام ولأن القرآن نزل بلغة العرب والعرب تكرر الشيء
تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة في علم الحساب وهو أن تعلم العدد مفصلاً
ثم تعلمه جملة لتحيط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة
إذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل إن العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون
إلى زيادة بيان وإيضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر
أي أكملوها ولا تنقصوها **ذلك** أي هذا الحكم الذي تقدم **لمن لم يكن أهله حاضري المسجد
الحرام** قيل حاضروا المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه
قال طاوس وقال ابن جريج أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان
وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون
الميقات وقال أبو حنيفة حاضروا المسجد الحرام أهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة
والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من أهل هذه المواضع فما دونها إلى مكة فهو من بلغ
حاضري المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية أن المشار
إليه في قوله ذلك يرجع إلى أقرب مذكور وهو لزوم الهدي أو بدله على المتمتع وهو الآفاقي
فأما المكي إذا تمتع أو قرن فلا هدي عليه ولا بدله لأنه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات
فإقدامه على التمتع لا يوجب خللاً في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما أخرجه
البخاري تعليقاً من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون
والأنصار وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدي طفنا بالبيت
وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فإنه لا يحل من شيء حتى يبلغ الهدي
محله ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فإذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت
وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى فما استيسر من الهدي فمن
لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم إلى أمصاركم الشاة تجزي فجمعوا
بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فإن الله أنزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
وأباحه للناس غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام
وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال أبو مسعود الدمشقي هذا حديث عزيز ولم أجده
إلا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من أجل عكرمة فإنه لم يرو عنه في صحيحه
وعندي أن البخاري إنما أخذه من مسلم وقوله تعالى **واتقوا الله** أي فيما فرضه عليكم ونهاكم
عنه في الحج وفي غيره **واعلموا أن الله شديد العقاب** يعني لمن خالف أمره ونهيه وتجاوز حدوده
وارتكب مناهيه قوله عز وجل **الحج أشهر معلومات** يعني أشهر الحج معلومات وقيل وقت

الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم
النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن
وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وابي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت
بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من
اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن
عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذي الحجة اخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر
وعروة بن الزبير وعطا وطاوس والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وابو حنيفة
واحمد بن حنبل وهو احد الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر
ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة
بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهو الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان
الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان
اخره كذلك فان قلت هذا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية ويسالونك عن الاهلة قل
هي مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام
وهذه الاية وهي قوله الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الاية الاولى
مجملة وهذه الاية مفسرة لها فان قلت لما قال الاشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران
وعشر ليال وعند ابي حنيفة وعشرة ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء
الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك
سنة كذا وانما راه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثاني وهو قول من قال ان اشهر الحج
ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله فمن فرض فيهن الحج يعني فمن الزم نفسه واوجب عليها
فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل
فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج
عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع
في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه التلبية او سوق الهدي ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم
فلا بد من انضمام شي اخر الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي الاية دليل على ان
الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق لان الله
تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه
ولا فايدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في شهور السنة ووجهه ان
الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر ولان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج
بقوله قل هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى فلا رفث قال ابن عباس الرفث

الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النسا والقبل والغمز وان يعرض لها بالفحش من الكلام
فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النسا لا يكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس بذنب
بعيره يلويه وهو يحدو ويقول ٭ وهن يمشين بنا هميسا ٭ ان تصدق الطير ننك لميسا
فقلت اترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما قيل عند النسا وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل الرفث
كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه فقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي
الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول
القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم
فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ولا فسوق اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هو المعاصي كلها
وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو
ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك
وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه ولا جدال في الحج قال ابن عباس الجدال المرا
وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول الاخر
الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم
بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا وكيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان
عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة
وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب ما فعلته فانزل الله ولا جدال في الحج واخبر ان امر الحج قد
استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقيل معناه ولا
شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسي وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا
ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان
واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج واقطع منه في غيره وما تفعلوا من خير يعلمه الله
اي لا يخفى عليه شي من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر
وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق
والاخلاق الجميلة وقيل جعل الخير عبارة عن ضبط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه
وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفايدة وهو انه تعالى اذا علم من
العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا
فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين وتزودوا فان خير الزاد التقوى نزلت
في ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا

افلا يطعمنا فاذا اقدموا مكة سالوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب
فانزل الله وتزودوا اي ما تبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم
والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الاية وتزودوا من التقوى فان الانسان
لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر
من الدنيا الى الاخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل
من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الاخرة يوصل الى النعيم
المقيم في الاخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد
الموت من قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا واتقون
اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله
جل جلاله يا اولي الالباب يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة خ عن
ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم
تأثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج
وقراها ابن عباس هكذا وفي رواية ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم عكاظ سوق معروفة
بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقي هي باسفل مكة
على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق
ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون
بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من اخر ذي القعدة وثمانية ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون
عرفة في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة التيمي قال كنت رجلا
اكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون في انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن
اني رجل اكري في هذا الوجه وان ناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم
وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار قلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عن مثل ما سالتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود وقال بعض
العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه
كانت التجارة من المباحات التي الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون
التجارة اكمل وافضل وقوله تعالى فاذا افضتم اي دفعتم والافاضة دفع بكثرة من عرفات
جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع

تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطا كان جبريل
يري ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة
وقال الضحاك ان ادم لما اهبط وقع بالهند وحوا بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه
فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي ان
ابراهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية واتى من اتى امره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها
له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار
فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما
راى الشيطان انه لا يطيقه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه
فجازه فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة
والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن
عباس ان ابراهيم راى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح تروى يومه اجمع اي تفكر
هل هذه الرؤيا من الله ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم راى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح
عرف ان ذلك من الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم
وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسمي منى لما يمنى فيها من الدما اي يصب فيكون فيه الفرث
والدما فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة
ركن من اركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف في وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت
الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف
يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نهار فقد حصل
له الوقوف ويتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر من يوم
النحر ووقت الافاضة من عرفات من بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر
صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشا بمزدلفة ق عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضا ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة
يا رسول الله فقال الصلاة امامك فركب فلما جا المزدلفة نزل فتوضا فاسبغ الوضوء ثم اقيمت
الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشا فصلى ولم يصل
بينهما شيئا وقوله تعالى فاذكروا الله عند المشعر الحرام سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه
من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يوذن فيه والمشعر الحرام هو
ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر
الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعا عنده من
معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو اخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف

وهو الاقتراب لانها منزلة من الله وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع
الناس بها وتسمى المزدلفة جمعًا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشا قيل المراد بالذكر عند المشعر
الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشا هناك ويدل عليه ان قوله واذكروا الله امر وهو
للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلما ان المراد بالذكر هو الدعا والتلبية
والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ق عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله
عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم
يزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشا باذان واحد واقامتين
ولم يسبح بينهما شيئًا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح باذان
واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله
ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره
البغوي بغير سند ولم اجده في الاصول قال طاوس كان اهل الجاهلية يدفعون من
عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما
نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة الى بعد غروب الشمس
وقدم الافاضة من المزدلفة الى قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق
ثبير ادخل ايها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير اي ندفع للنحر يقال
اغار اذا اسرع ودفع في عدوه خ عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون
من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض
قبل طلوع الشمس وقوله تعالى واذكروه كما هداكم اي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم
بالهداية لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله لمن الضالين اي لا تعرفون كيف تذكرونه
وتعبدونه والها في قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اي من قبل ارسال الرسول
لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل ترجع الى القران والمعنى واذكروه كما هداكم
بكتابه الذي انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله تعالى ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اي لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان احدهما انه
خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة
ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا
مع سائر الناس بعرفات وكانت سائر الناس يقفون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات
افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها
الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ق عن عائشة قالت كانت
قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون

بعرفات فلما جا الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها
ثم يفيض منها فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قوله كانوا يسمون
الحمس جمع احمس واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسًا
لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس والقول
الثاني انه خطاب لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد
بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا ادم وحده بدليل قراة سعيد بن جبير
ثم افيضوا من حيث افاض الناسي بالياء وقال هو ادم عهد اليه فنسي ووجه هذا ان
الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من
هذه الاية الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر
واراد بالناس ابراهيم واسماعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع
الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم
من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة
من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين فان قلت
على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك
لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من
جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات
فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديمًا
وتاخيرًا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا
الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا
بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم كان من الذين امنوا والافاضة الدفع ق عن هشام بن
عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق
العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو اشد من المشي والفجوة الفرجة وهي
المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها خ عن ابن
عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم
وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة
فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع وقوله تعالى واستغفروا الله اي من
مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم المعنى ان الله هو الساتر لذنوب

عباده برحمته والغفور بفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه
تعالى يقبل التوبة من عباده التايبين ويغفر لهم لانه تعالى لما امر المذنب بالاستغفار
ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة دل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين
ويرحم المذنبين بمنه وكرمه قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من حجكم وعباداتكم
وذبحتم نسايككم اي ذبايحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى فاذكروا الله
يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثنا عليه كذكركم اباكم قال اهل التفسير
كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند
البيت فيذكرون مفاخر اباهم وماثرهم وفضايلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم
كان ابي كبير الجفنة رحب الفنا يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه
ويتناشدون في ذلك الاشعار ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم
بذلك الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم واباهم فلما من الله عليهم بالاسلام
امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لابايهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت
اليكم واليهم وقال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الابا وذلك لان
الصبي اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه كذكر
الصبيان الصغار الابا او اشد ذكرا اي بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اي واشد
ذكرا اي واكثر ذكرا للابا لانه هو المنعم عليهم وعلى الابا فهو المستحق للذكر والحمد
مطلقا وسيل ابن عباس عن هذه الاية وقيل له قد ياتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه
اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصي اشد من غضبك لوالديك
اذا شتما فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا يعني ان المشركين كانوا يسلون الله تعالى
في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا واما وكان
احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل
ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة
ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار
هذا دعا عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز
او صوف معلم قوله وانتكس هذا دعا عليه ايضا لان من انتكس على راسه او في امره فقد
خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكته الشوكة اذا دخلت
في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سوال المشركين للدنيا ولم يطلبوا
التوبة والمغفرة ونعيم الاخرة لانهم كانوا ينكرون البعث وما له في الاخرة من خلاق

اي وما له في الاخرة من حظ ولا نصيب ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة يعني المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصر
في الدعا على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والاخرة والفريق
الثاني وهم المومنون الذين جمعوا في الدعا بين طلب الدنيا والاخرة وذلك لان الانسان
خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله من
شرها والامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا
وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعا من امر الدين
فلذلك قال تعالى اخبارا عن المومنين ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير
والنصر على الاعدا والولد الصالح والزوجة الصالحة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وقيل الحسنة
في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل
الصالح وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام والقران واهلا ومالا
فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقيل في الدنيا حسنة يعني عافية وفي
الاخرة عافية م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت
فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشي او تساله
اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه ق عن انس بن مالك قال اكثر
دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب
النار عن عبد الله بن السايب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود اوليك
اشارة الى المومنين الداعين بالحسنيين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله
فقال وما له في الاخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا لهم اي لكل فريق من هولا نصيب
اي حظ مما كسبوا يعني من الخير والدعا بالثواب والجزا على الدعا بالدنيا من جنس ما كسب ودعا
والله سريع الحساب ذكروا في معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى انه
تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من
الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى
وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم

عباده يوم القيمة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب
وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد ورويه
فكر ووصف نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلايق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك
على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شان عن شان ولا يحتاج الى الة ولا اماده ولا مساعد
لا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلايق في اقل من لمحة البصر وروي انه تعالى يحاسب
الخلايق في قدر حلب شاة او ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب اي سريع
القبول لدعا عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسال السايلون في الوقت الواحد
كل واحد منهم اشيا مختلفة من امور الدنيا والاخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير
ان يشتبه عليه شي من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل في
معنى الاية ان اتيان القيمة قريب لان كل ما هو كاين وات فهو قريب لا محالة وفيه
اشارة الى المبادرة بالدعا والذكر وساير الطاعات وطلب الاخرة قوله تعالى **واذكروا
الله** يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات وعند رمي الجمرات
وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
كبر مع كل حصاة **في ايام معدودات** يعني ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت
معدودات لقلتهن وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة
وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطا ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي وقيل
ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي طالب ويروى عن
ابن عباس ايضا وهو مذهب ابي حنيفة م عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الايام
التكبير خ عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه
وفي مجلسه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في قبته فيسمعه
اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج منى اخرجه البخاري بغير اسناد اجمع
العلما على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها
في جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير في عيد الاضحى وفي هذه الايام في ادبار
الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يبتدى به من صلاة الظهر يوم
النحر الى صلاة الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة
وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعي في اصح اقواله قال الشافعي لان الناس فيه تبع
للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية وياخذون في التكبير يوم النحر من صلاة
الظهر وقيل انه يبتدى به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من اخر

ايام

ايام التشريق وهو القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر
صلاة والقول الثالث للشافعي انه يبتدى بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم
بعد صلاة العصر من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة
وهو قول علي بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدي به
من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير
في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل ان كان حلالا كبر عقب ثلاث وعشرين
صلاة اولها صلاة الصبح من يوم عرفة واخرها صلاة العصر من اخر ايام التشريق
وان كان محرما كبر عقب سبع عشرة صلاة اولها الظهر من يوم النحر واخرها عصر ايام
التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو
قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فهو
حسن ويروى عن ابن مسعود انه كبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق
وقوله تعالى **فمن تعجل في يومين** اي فمن تعجل النفر الاول وهو في الثاني من ايام التشريق
فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى
والثانية من ليالي ايام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمي
عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني واراد ان ينفر ويدع المبيت
الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم
عليه يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله **ومن تاخر فلا اثم عليه**
يعني ومن تاخر الى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه في تاخره
واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من ايام التشريق وقبل
غروب الشمس من ذلك اليوم فان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها والرمي اليوم
الثالث هذا مذهب الشافعي واكثر الفقها وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر ما لم يطلع
الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت
بمنى ليالي منى فان قلت قوله ومن تاخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي اتى بافعال
الحج كاملة تامة فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر
فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة
احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه ياثم فازال الله
تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين فان شا عجل وان شا اخر الجواب
الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتاخر وكل فريق يصوب فعله على فعل
الفريق الاخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه

الجواب الثالث انما قال ومن تاخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظ الاول فهو كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع انه فيه دلالة
على جواز الامرين فكانه تعالى قال فتعجلوا او تاخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التاخير لمن اتقى
اي ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى ان يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه
من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من
عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله
واتقوا الله اي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات واعلموا
انكم اليه تحشرون اي فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى قوله عز وجل ومن الناس
من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه
ابي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثماية رجل عن قتال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اخيكم فان يك كاذبا
كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رايت قال اني ساخنس بكم
فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان ياتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على
ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنيه في مجلسه وكان الاخنس منافقا فانزل فيه ومن
الناس من يعجبك قوله اي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحيوة الدنيا يعني ان حلاوة
كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه يعني به قوله والله اني بك مومن
ولك محب وهو الد الخصام اي شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو
شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة ق عن عايشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة
واذا تولى اي ادبر واعرض عنك بعد لانة القول وحلاوة المنطق سعى في الارض اي سار ومشى
في الارض ليفسد فيها يعني بقطع الارحام وسفك دما المسلمين ويهلك الحرث والنسل
وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زروعهم
واهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطايف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كدسا
وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى اي صار واليا وملك الامر سعى في الارض ليفسد فيها يعني
بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء الظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشوم ظلمه
القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الاية عامة في حق كل من كان موصوفا
بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان تنزل في رجل واحد ثم تكون عامة في كل من كان
موصوفا بهذه الصفات والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت

المعتزلة

١٩

المعتزلة بهذه الاية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى
غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك بان يتناول الدواء المر ولا يحبه
فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشي وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك
واذا قيل له اتق الله اي خف الله في سرك وعلانيتك اخذته العزة بالاثم اي حملته العزة
وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ
وعدم الاصغا اليه واصل العزة المنع والتكبر فحسبه جهنم اي كافيه له جهنم جزاء
وعذابا وجهنم اسم من اسما النار التي يعذب بها الكفار في الاخرة قيل هو اسم اعجمي
وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها ولبيس المهاد اي الفراش والمهاد التوطية
ايضا والمعنى ان المعذب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند
الله تعالى ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي انه قيل لعمر اتق الله فوضع
خده على الارض تواضعا لله تعالى قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله قال ابن عباس نزلت هذه الاية في سرية الرجيع وكانت بعد احد خ عن ابي هريرة قال بعث
النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن
الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة نزلوا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان
فتبعوهم بقريب من ماية رام فاقتصوا اثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر
تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا اثارهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم
واصحابه لجوا الى فدفد وجا القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا
ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل في ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوا
فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل اخر فاعطوهم
العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم
فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا اول الغدر فابى ان يصحبهم فجروه
وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة
فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر
فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث
ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه
فلما رايته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل
ذلك ان شا الله وكانت تقول ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايته ياكل قطف عنب
وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله فلما خرجوا به من
الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بي جزع من الموت

لزدت فكان اول من سن الركعتين عند القتل وقال اللهم احصيهم عددا وقال

فلست ابالي حين اقتل مسلما ۞ على اي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الاله وان يشا ۞ يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليوتوا بشي من جسده بعد

موته وكان قتل عظيما من عظمايهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته

من رسلهم فلم يقدروا منه على شي زاد في رواية واخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

يوم اصيبوا خبرهم الغدفدا اسم للموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله ليستحد الاستحداد

حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو العضو من اعضا الانسان

والممزع المفرق والظلة الشي الذي يظلل من فوق الانسان والدبر جماعة من النحل والزنابير

قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة

انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علما اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث

رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن ابي مرثد الغنوي وخالد

ابن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم ابن ثابت

ابن ابي افلح الانصاري وذكروا نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا فصلبوا خبيبا

حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لي احد حولي يبلغ سلامي رسولك فابلغه سلامي فقام اليه

ابو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان

معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه

فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه

صفوان بن امية ليقتله بابيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى قسطاس الى التنعيم ليقتله

في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان بن حرب حين قدم

ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب محمدا عندنا الان مكانك يضرب عنقه وانك في اهلك

فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة توذيه وانا

جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله

قسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم يحتمل خبيبا عن

خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل

ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام

فانزلاه من خشبته فاذا هو رطب ينثني لم يتغير منه شي بعد اربعين يوما ويده على جراحته

وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه

الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف

الزبير

٦٠

الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر

قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبد المطلب

وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان رابضان يدفعان عن اشبالهما فان شيتم ناضلتم وان

شيتم نازلتم وان شيتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه على رسول

الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملايكة لتباهي بهذين من

اصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله حين شريا

انفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي

وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية

فسبته وهو غلام صغير فنشا بالروم وانما هو من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد

ابن المسيب وعطا اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي

قريش فنزل عن راحلته وتنقل ما كان في كنانته وقال والله لا تصلون الي او ارمي بكل سهم

معي ثم اضرب بسيفي ما كان في يدي وان شيتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي

فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغا

مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية

وقال الحسن اتدرون فيمن نزلت هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيابى

ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي فيتقدم فيقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه

الاية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس ارى من يشري نفسه ابتغا مرضات الله

يقوم فيامر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشري نفسي لله

فقاتله وكان علي اذا قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه الاية

ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل

فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جاير اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

واما تفسير الاية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشرا البيع ومنه قوله وشروه بثمن اي وباعوه

والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه

في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله

من نفسه كالسلعة فصار كالبايع والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله في الاخرة ابتغا

مرضات الله اي طلب رضى الله والله رووف بالعباد اي من رافة الله بعباده ان جعل النعيم

الدايم في الجنة جزا على العمل القليل المنقطع ومن رافته ان يقبل توبة عبده ومن رافته

ان نفس العباد واموالهم له تعالى ثم انه يشتري ملكه بملكه فضلا واحسانا قوله عز وجل يا ايها

الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام
واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرايع موسى فعظموا السبت وكرهوا
لحوم الابل والبانها وان ترك هذه الاشيا في الاسلام مباح وواجب في التوراة وقالوا ايضا
يا رسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم به في صلاتنا في الليل فانزل الله هذه
الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرايع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة
والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يومن بمحمد صلى
الله عليه وسلم من اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم اي في
الاسلام وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا
نسمع احاديث من يهود فتعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هم
امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جيتكم بها بيضا نقية ولو ان عيسى حيا ما
وسعه الا اتباعي قوله متهوكون اي متحيرون في دينكم حتى تاخذوه من اليهود والنصارى
وقوله لقد جيتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضا نقية اي لا تحتاج الى شي وقيل يحتمل
ان يكون خطابا للمنافقين من المومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا في
السلم اي في الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي باجمعكم
ولا تفرقوا وقيل انه يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرايعه كافة
وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان
في هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اي اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل لا تلتفتوا الى الشبهات
التي يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والاهوا المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد
تبع اثره انه لكم عدو مبين فان قلت عداوته بايصال الضرر والبلا والقا الوسوسة فكيف يصح
ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشيا قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلا
الينا ولكن الله منعه عن ذلك واما الوسوسة ان يزين المعاصي والقا الشبهات وكل سبب
يوقع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات
العداوة فان قلت كيف وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله بين عداوته
ما هي فكانه بين وان لم يشاهد فان زللتم اي ملتم وضللتم وقال ابن عباس شركتم من بعد
ما جاتكم البينات اي الدلالات الواضحات فاعلموا ان الله عزيز اي في نقمته ممن خالفه لا يعجزه
شي حكيم يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي الاية وعيد وتهديد
لمن في قلبه شك ونفاق او عنده شبهة في الدين قوله تعالى هل ينظرون اي ينتظرون التاركون

للدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان الا ان ياتيهم الله في ظلل جمع ظلة من الغمام
يعني السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شي غير السحاب ولم يكن
الا لبني اسرايل في تيههم وهو كهيئة الضباب ابيض والملايكة اي وتاتيهم الملايكة وروى
الطبراني في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من الغمام طاقات ياتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة وقضي الامر قال عكرمة والملايكة حوله وقيل معنا
حول الغمام وقيل حول الرب سبحانه وتعالى واعلم ان هذه الاية من ايات الصفات وللعلما
في ايات الصفات واحاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب هذه الايمة
واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جا في ايات الصفات واحاديث الصفات
وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونومن بها كما جات ونكل علمها الى الله عز وجل والى رسوله
صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله منزه عن سمات الحدث وعن الحركة والسكون
قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كلما وصف الله به نفسه في
كتابه فتفسيره قراته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري
والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق بن
راهويه يقولون في هذه الاية وامثالها اقروها كما جات بلا كيف وتشبيه ولا تاويل هذا
مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته ... ولا ذاته شي عقيدة صايب
نسلم ايات الصفات باسرها ... واخبارها للظاهر المتقارب
ونويس عنها كنه فهم عقولنا ... وتاويلها فعل اللبيب المغالب
ونركن للتسليم فيها فانها ... لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين من العقلا والمعتبرين من اصحاب النظر انه تعالى
منزه عن المجي والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجي والذهاب لا ينفك عن الحركة
والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك
فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الاية ليس مرادا فلا بد من التاويل على سبيل
التفصيل فعلى هذا اقيل في معنى الاية هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بالايات فيكون مجي
الايات مجيا لله على سبيل التفخيم لشان الايات وقيل معناه الا ان ياتيهم امر الله ووجه هذا
التاويل ان الله تعالى فسره في اية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي امر ربك
فصار هذا المحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الاية وقيل معناه ياتيهم الله بما وعد من الحساب
والعقاب فحذف فيما ياتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما ياتي به كان اسهل عليهم من باب لو عيد

واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان تكون الفا بمعنى البا لان بعض الحروف يقام مقام
بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام والملايكة والمراد
العذاب الذي ياتي من الغمام مع الملايكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان ياتيهم قهر
الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب من الغمام قلت لان
الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا انزل منه العذاب كان ابلغ واقطع وقيل
ان نزول الغمام علامة لظهور احوال القيامة واهوالها وقضي الامر اي وجب العذاب
وفرغ من الحساب وذلك فصل القضا بين العباد في يوم القيمة والى الله ترجع الامور
اي الى الله مصير امور العباد في الاخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور
جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والاخرة لكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على
الاعمال بالثواب والعقاب وجواب اخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا واضافوا
افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيمة انكشف الغطا مرده والى الله ما اضافوه الى غيره
في الدنيا قوله عز وجل سل بني اسرايل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره ان يسال
يهود المدينة وليس المراد بهذا السوال العلم بالايات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها
باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السوال التوبيخ والتقريع والمبالغة في الزجر عن الاعراض
عن دلايل الله وترك الشك وقيل المراد بهذا السوال التقرير وتذكير النعم التي انعم الله
بها على سلفهم كم اتيناهم من اية بينة اي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل
العصى واليد البيضا وفلق البحر وانزال المن والسلوى ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاته
يعني يغير الايات التي جاته من الله لانها سبب للهدي والنجاة من الضلالة وقيل هي حجج
الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد
بنعم الله عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به فان الله شديد العقاب يعني لمن بدل نعمة الله
قوله عز وجل زين للذين كفروا الحياة الدنيا نزلت في مشركي العرب ابي جهل واصحابه
لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين
عبد الله واصحابه وقيل نزلت في روسا اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله
تعالى بدليل قراة من قرا زين بفتح الزاي وذلك لا يمنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم
بما اظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشيا العجيبة
والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلا لعباده وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلا وامتحان
وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجا والقسر الذي لا يمكن
تركه بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى
الدنيا اكثر من قدرها فاعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل

ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا
الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا
للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم من الاخرة وقيل وموهوا ان لا اخرة ليقبلوا على
لذات الدنيا والحرص عليها وهذا التاويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول
جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان لكلهم مزين زين لهم وهذا المزين
لا بد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة ويسخرون من الذين امنوا يعني ان
الكفار يستهزون بفقرا المومنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب
وبلال وقيل كانوا يقولون انظروا الى هولاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم والذين اتقوا يعني
الفقرا من المومنين فوقهم اي فوق الكفار يوم القيامة لان الفقرا في عليين والكفار والمنافقين
في اسفل السافلين ق عن حارثة بن وهب سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم
باهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل
جواظ مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر
المختال في مشيته وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه او عنده ق عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب
النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب النار فكان عامة من دخلها النسا الجد بفتح الجيم الحظ والغنى
وكثرة المال والله يرزق من يشا بغير حساب قال ابن عباس يعطي كثيرا بغير عداد لان ما يدخل
عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع على من يشا من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه
في الاخرة وقيل معناه انه يرزق من يشا من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق
وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاذ ما في خزاينه حتى لا يحتاج الى الحساب لما يخرج منها لان الحساب
انما يكون ليعلم قدر ما يعطي فالله غني عالم بما يعطي لا يخاف نفاذ خزاينه لانها بين الكاف والنون
وقيل معناه ان الله تعالى يقتر الرزق على من يشا ويبسط الرزق على من يشا ولا يعطي كل احد على
قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال
له لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا اكثر من ذاك لانه تعالى لا شريك له في ملكه
ينازعه ولا يسال عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي المتقين في الاخرة من الثواب
والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم بغير حساب وذلك ان نعيم الجنة لا نفاذ له
ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة من الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم
فذلك الفضل منه عليهم بغير حساب قوله تعالى كان الناس امة واحدة اي على دين واحد
قيل هو ادم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل
الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وفاة ادم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله

نوحًا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح كانوا مومنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل كانت العرب على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر ادم عليه السلام لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان ادم وحده كان امة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الاية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج فبعث الله النبيين وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القران باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا مبشرين يعني بالثواب لمن امن واطاع ومنذرين يعني مخوفين بالعذاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ صحة الابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم وانزل معهم الكتاب اي الكتب او يكون التقدير وانزل مع كل واحد كتابا بالحق اي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب انزل على ادم عشر صحايف وعلى ادريس خمسين صحيفة وعلى نوح عشرين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحايف وعلى موسى عشر صحايف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم القران ليحكم بين الناس يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه واسناد الحكم الى الكتاب والنبي مجاز والله هو الحاكم على الحقيقة فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه بعد ما كانوا متفقين عليه وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل الذي اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد رسوخ الدلالات على صحة نبوته الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا من بعد ما جاءتهم البينات اي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بغيا بينهم يعني انهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا او هو طلب الدنيا وطلب الرياسة فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي الى ما اختلفوا فيه من الحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا المعرفة ما اختلفوا

فيه من الحق وقيل هو من المقلوب فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله هذه الامة الاسلامية اليه (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيامة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد م عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد ولذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الاخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلايق وقيل اختلفوا في شان القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف فيه باذنه يعني بعلمه وامره وارادته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة في اول الهجرة ثم اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين واثروا رضى الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى الاية ام حسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى ظننتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدايد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي سنة الذين مضوا من قبلكم واتباعهم من المومنين ومثل محنتهم مستهم الباساء اي اصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البوس والضراء يعني المرض والزمانة وضروب الخوف وزلزلوا اي وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخايف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه

حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وذلك ان الرسل اثبت من غيرهم
واصبر واضبط للنفس عند نزول البلا وكذلك اتباعهم من المومنين والمعنى انه بلغ بهم
الجهد والشدة والبلا ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة ولما بلغ
الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطوا النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب
اجابة لهم الى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم تغيرهم طول البلا والشدة عن دينهم
الى ان ياتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المومنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة
في طلب الحق فان نصر الله قريب خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا
فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار
فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه
ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى
حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله تعالى يسالونك
ما ذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بما ذا
نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسالونك ما ذا ينفقون قل ما انفقتم من خير
اي مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شي من المال قل او كثر فللوالدين وانما قدم
الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب في اخراجه من العدم الى
الوجود والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح
جميع الفقرا فتقديم القرابة اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم
ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم من ينفق عليهم والمساكين وانما اخرهم لان
حاجتهم اقل من حاجة غيرهم وابن السبيل يعني المسافر كانه بسبب انقطاعه عن
بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية
الانفاق ثم لما فصل الله تعالى هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال
فقال تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم والمعنى وما تفعلوا من خير مع هولا
او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علما
التفسير ان هذه منسوخة قال ابن مسعود نسختها اية الزكوة وقال الحسن انها محكمة
ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال
ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الاية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق
فالاولى به ان ينفق في الوجوه المذكورة في الاية فيقدم الاولى فالاولى بقي في الاية سوال
وهو انه كيف طابق السوال الجواب وهو انهم سالوا بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان

الصرف

الصرف واجيب عن هذا السوال بانه قد تضمن قوله وما انفقتم من خير بيان
ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى الجواب السوال ما يكمل به المقصود وهو بيان الصرف
لان النفقة لا تعتد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تعد صنيعة
حتى يصاب بها طريق المصنع قوله عز وجل كتب عليكم القتال اي فرض عليكم
الجهاد واختلف العلما في حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكي عن الاوزاعي
نحوه ووجه هذا القول ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة ووجه
من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضي تخصيص
هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها والجهاد فرض
على كل مسلم ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة
فيه ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد
الفتح ولكن جهاد ونية فاذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام
به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلما
قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزى فيها ونعمت
ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغني عنه قعد قال
الله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان
القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف العلما بالناسخ في هذه الاية على ثلاثة
اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة
لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة
القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه والناسخ منها ايجاب الجهاد
مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة وقوله وهو كره لكم اي
القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه
من مونة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا
الكره بقوله اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم للقتال قبل ان
يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعدا فبين الله تعالى ان الذي تكرهونه
من القتال هو خير لكم من تركه لئلا تكرهونه بعد ان فرض عليكم وعسى ان تكرهوا شيا وهو
خير لكم لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله اليقين وقيل انها كلمة مطمعة
فهي لا تدل على حصول الشك للقايل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه

احد الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشي شاقا في
الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدوا المر فانه ينفر عنه الطبع
في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة بتوقع حصول الصحة في المستقبل
وعسى ان تحبوا شيئا يعني القعود عن الغزو وهو شر لكم يعني لما فيه من فوت الغنيمة
والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم
وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم مهابة وجلادة على القتال كف عنكم والله يعلم يعني ما في
الجهاد من الاجر والغنيمة والخير وانتم لا تعلمون يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم
قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة
فيجب على العبد امتثال امر الله وان كان يشق على النفس في الحال قوله تعالى يسلونك عن
الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله
ابن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية
وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت
فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكره احدا منهم على السير
معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش
لعلك تاتينا بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره
احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه
وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من
الحجاز يقال له نجران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا
في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل بطن نخلة بين مكة والطايف فبينما هم
كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطايف وفي العير عمرو
ابن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان
فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال
عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا
راوه محلوقا راسه امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا
وقالوا قوم عمار فلا باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه
من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا ان تركتموهم هذه الليلة ليدخلن
الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في موافقة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو
ابن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين

في الاسلام

في الاسلام فافلت نوفل فاعجزهم وساق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدما
واخذ الحرايب يعني المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة
استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين
وابى ان ياخذ شيئا من ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم
ما لم تومروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا وسقط في ايديهم
وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري افي رجب
اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم
الباقي على اصحاب السرية وبعث اهل مكة في فدا اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد
وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بير معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله
فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق
فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فاما تفسير
الاية فقوله تعالى يسلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال
فيه وفي السايلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل اخطاوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال
في الحرم وفي الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الاية والقول الثاني ان السايلين هم المشركون وانما
سالوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الاية يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل
اي قل يا محمد قتال فيه كبير اي عظيم مستنكر واختلف العلما في حكم هذه الاية على قولين
احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل
الدفع روي عن عطا انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا
فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلما وهو الصحيح انها منسوخة وقال سعيد
ابن المسيب وسليمان بن يسار القتال جايز في الشهر الحرام وهذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وبقوله قاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وغيرها وصد
عن سبيل الله هذا ابتدا الكلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده

وكفر به اي بالله والمسجد الحرام اي وصدكم عن المسجد الحرام واخراج اهله منه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين حين اذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القايمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين اكبر عند الله اي اعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام والفتنة اي الشرك الذي انتم عليه اكبر من القتل يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مومني مكة ان عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعكم اياهم من البيت ولا يزالون يعني مشركي مكة يقاتلونكم يعني يا معشر المومنين حتى يردوكم عن دينكم يعني الى دينهم وهو الكفر ان استطاعوا يعني ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فيمكنوا لرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق انه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يموت فاوليك حبطت اعمالهم اي بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة وهو ان المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المومنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها في الاخرة وظاهر الاية يقتضي ان الارتداد انما يتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شي من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابي حنيفة ان الردة تحبط العمل. وان اسلم واوليك اصحاب النار يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ابدا ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله نزلت في عبد الله ابن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نوجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزوا فانزل الله هذه الاية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الاية ان الذين امنوا والذين هاجروا اي فارقوا مساكنهم وعشايرهم واقواتهم وفارقوا مساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله اي في طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا اوليك يرجون رحمة الله اي يطمعون في نيل رحمة الله اخبر انهم على رجا الرحمة وقيل المراد من الرجا هنا القطع في اصل الثواب وانما دخل الظن في كميته ووقته قال قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثنا فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اوليك يرجون رحمة الله هولاهم خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجا كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب والله غفور اي لذنوب عباده رحيم بهم والمعنى انه تعالى

غفر لعبد الله بن جحش واصحابه ما لم يعلموا به فقوله عز وجل يسلونك عن الخمر والميسر نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية واصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل انزل في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزلت بالمدينة جواب سوال عمر ومعاذ رضي الله عنهما يسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى اخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في اوقات الصلاة فترك قوم شربها وترك قوم شربها في اوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشا فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم راس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار فاخذ رجل من الانصار لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الانصار وبيده ناضح والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايوا نصرا وهجرة . فلم ير حي مثلنا في المعاشر
فاحياونا من خير احيا من مضى . واموتنا من خير اهل المقابر

فقال حمزة اوليك المهاجرون وقال الانصاري اوليك الانصار فضرب الانصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة وجا الانصاري مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بفعل حمزة فغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم له ناضحا فقال عمر اللهم

بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الاية التي في المايدة الى قوله فهل انتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة في وقوع
التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان
انتفاعهم بذلك كثيرا فاعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا
جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يوميذ للعرب
عيش اعجب اليهم منها وما حرم عليهم شي اشد من الخمر ق عن انس رضي الله عنه
قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقايم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا
اذ جا رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها ولا
راجعوها بعد خبر الرجل الفضيخ بالضاد والخا المعجمتين شراب يتخذ من نبيذ
مطبوخ والمفضوخ المكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة
فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يجد
شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر ويجب قتله ق
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر
حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الاخرة
لفظ مسلم م عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن
فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له
المذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب
الخمر المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار
او عصارة اهل النار عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر
خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله
عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال
قال صديد اهل النار اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم يقبل منه صلاة سبعا
وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شي من الفرايض وفي رواية عن القران لم تقبل
صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النساي عن عثمان بن عفان
رضي الله عنه قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبايث فوالله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر
الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النساي موقوفا عليه وفي قصة عن انس رضي
الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمرة عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها
وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها وواهبها واكل ثمنها اخرجه الترمذي

فصل

فصل في احكام تتعلق بالخمر وفيه مسايل الاولى في ماهيتها قال الشافعي الخمر عبارة
عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من
العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من
العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه
حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كتب الى بعض عماله ان ارزق
المسلمين من الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب
منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا اخرجه النساي الطلا بكسر الطا والمد الشراب
المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس
قال حرمت الخمر لعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجه النساي واستدل ايضا
على ان السكر حرام بما روي عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عايشة نحوه اخرجه النساي وقال
هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على كون الخمر من عدة اشيا بما روي عن ابن عمر قال
على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة
من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وثلاث وددت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا
اخرجه البخاري ومسلم ق عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن البتع فقال
شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من البر خمرا وان من
الشعير خمرا اخرجه ابو داود وزاد في رواية والذرة واني انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه
وزاد وان من العسل خمرا خ عن ابن عباس سيل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو حرام
عليك الشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع
الباذق بفتح الذال المعجمة وهو الطلا المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو
امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال
ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم الخمر بالفارسية اي لم يكن في زمانه
او سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم
انما اسكر فهو حرام عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر
ومفتر اخرجه ابو داود المفتر كل شراب ارخى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار
واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روي عن جابر بن عبد الله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي وابو داود عن عايشة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه
حرام اخرجه ابو داود والترمذي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال
يسع ستة عشر رطلا بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلا بانه معارض بما روي
عن السايب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلا وانا
سايل عنه فان كان يسكر جلدته فسال عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه
مالك في الموطا واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق وقوله
والسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر
الاعاجم ويقال لما اسكر السكر وروى هذا الحديث احمد بن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب
وقال موسى بن هارون وهو الصواب واما حديث ابي الاحوص ففيه وهمان احدهما في سنده
حيث قال عن ابي بردة وانما يرويه سماك عن القسم عن ابي بريدة عن ابيه والوهم الثاني في
متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا
ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعا غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي
في حديث ابي الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان احدا
تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عايشة فيه فهو غير ثابت كما هو قول النسائي المسيلة
الثانية في الحكم بنجاسة الخمر وما يلتحق بها بنجسة العين ويدل على نجاستها انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشي
المستقذر ولقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها
ايضا انها محرمة التناول للاحترام ولا ان الناس مشغولون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تاكيدا
للزجر عنها المسيلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها اجمعت الامة على تحريم
بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام
اخرجاه في الصحيحين مع زيادة اللفظ وعن عايشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت التجارة في الخمر وعن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب بان فلانا باع خمرا
فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت
عليهم الشحوم فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع
الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اي فليقطعها قطعا كما
تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سوا
عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال اهرق الخمر واكسر الدنان

اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح فان
قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها
والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرمت
حرم ذلك كله فصل واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال
بسهولة من غير تعب وكد قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله
وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر
ان اهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزونها ثمانية
وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام واسماوها الفذ
والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا
يسهمون لسبعة منها انصبا فللفذ سهما وللتوام سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس
اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من الاقداح لا انصبا لها
وهي المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح سمي وغيد
ومنيح وسفيح ثم يجعلون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل
عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل
منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من
الثلاثة التي لا انصبا لها لم ياخذ شيا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا ياخذ ولا يغرم
ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقرا ولا ياكلون منه شيا وكانوا يفتخرون
بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيا بين الاصحاب
لبخله واما حكم الاية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شي فيه خطر يعني الرهن فهو الميسر
حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سوا كان بخطر ام لا ويدل
على تحريمه ما روي عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنردشير فكانما
صبغ يده في دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لعب بنرد او نردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وروي عن علي بن ابي طالب
قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فمذهب ابي حنيفة انه يحرم اللعب به
سوا كان برهن او بغير رهن ومذهب الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا
الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن
حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله
تعالى قل فيهما يعني في الخمر والميسر اثم كبير اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت
على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله

واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة
والمعاداة وكل ذلك فيه اثام كثيرة ومنافع للناس يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر
قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال الغير بلا كد ولا تعب فقيل ربما ان الواحد منهم
كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين
فيكسب بذلك الثنا والمدح وهو المنفعة واثمهما اكبر من نفعهما يعني اثمهما بعد التحريم اكبر من
نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فكل هذه ذنوب يترتب عليها اثام كثيرة
بسبب الخمر والميسر قوله تعالى ويسلونك ماذا ينفقون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى قل العفو يعني الفضل والعفو
ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل
بحكم هذه الاية ثم نسخ ذلك بالزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى
وابدا بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع
اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به
صدقة التطوع كذلك يبين الله لكم الايات اي يبين لكم الامور التي سالتم عنها من وجوه
الانفاق ومصارفه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة يعني فتاخذون ما يصلحكم في الدنيا
وتنفقون الباقي فينفعكم في الاخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها
وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله عز وجل ويسالونك عن اليتامى قال ابن عباس لما
نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا
اموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركوه ولا ياكلوه
فاشتد ذلك عليهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ويسالونك عن اليتامى قل
اصلاح لهم خير اي اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اي اعظم اجرا
وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم وان تخالطوهم
يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اي شاركوهم في اموالهم
واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا
من قيامكم بامورهم او تكافئوهم على ما تصيبون من اموالهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم والاخوان
يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضى والله يعلم
المفسد من المصلح يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة
واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح ولو شا الله لاعنتكم اي لضيق عليكم وما

اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شي ما يشق
عليكم ان الله عزيز حكيم اي غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف
عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن نزلت في مرثد
ابن ابي مرثد الغنوي واسم ابي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق
وكانت خليلته في الجاهلية فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال
بيني وبين ذلك فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ابي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله
فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمه بما كان من امره
وامر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله ايحل لي ان اتزوجها فانزل الله هذه الاية
واصل النكاح في اللغة الوطي ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الاية ولا تنكحوا
ايها المومنون المشركات حتى يومن اي يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادة والتزام
احكام المسلمين واختلف العلما في حكم هذه الاية فقيل انها تدل على ان كل مشركة
يحرم نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية
وغيرهم من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحراير الكتابيات
بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه
الاية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ثم استثنى نسا اهل الكتاب
فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الاية نزلت في مشركات
العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شي ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال
قتادة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن يعني مشركات العرب اللاتي ليس لهن كتاب
يقرانه وبيان هذا في مسلة وهي ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلما وهو القول
الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة
الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله
الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الاية صريحا في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي
صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله
عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من
عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا اندرج فيه اليهود والنصارى لانكارهم

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول
اصح لما تقدم من الادلة فعلى من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الاية محكمة
وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الاية محكمة
في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى ولامة مومنة خير يعني انفع واصلح
وافضل من مشركة يعني حرة ولو اعجبتكم يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المومنة خير
وافضل عند الله من المشركة الحرة نزلت في خنسا وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنسا
قد ذكرت في الملا الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن
رواحة كانت عنده امة سودا فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم
رمضان وتحسن الوضو وتصلي قال هذه مومنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها
ولا تزوجها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا انكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة
فانزل الله هذه الاية ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا هذا خطاب لاوليا المراة اي لا تزوجوا المسلمة
من المشركين حرم على المومنات ان ينكحن مشركا من اي اصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على انه
لا يجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك ولعبد مومن خير من مشرك يعني حر ولو اعجبكم بحسنه
وجماله وماله اولئك يدعون الى النار يعني يدعون الى الشرك الذي يودي الى النار والله يدعو
الى الجنة والمغفرة يعني انه تعالى لما بين هذه الاحكام واباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا
بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسير
الله وارادته وتوفيقه ويبين اياته للناس اي يوضح ادلته وحججه في اوامره ونواهيه واحكامه
لعلهم يتذكرون اي فيتعظون قوله عز وجل ويسالونك عن المحيض م عن انس ان اليهود
كانوا اذا حاضت المراة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسال اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويسالونك عن المحيض قل هو
اذى فاعتزلوا النسا في المحيض الى اخر الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل
شي الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيا الا خالفنا
فيه فجا اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا نجامعهن
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية
من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما
الوجد الغضب واصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ومعناه قل
هو اذى اي هو شي قذر والاذى في اللغة ما يكره من كل شي فاعتزلوا النسا في المحيض اي فاجتنبوا
مجامعتهن ولا تقربوهن يعني بالوطي والمجامعة وهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النسا في المحيض

حتى يطهرن يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد
الطا ومعناه حتى يغتسلن فاذا تطهرن اي اغتسلن من حيضهن فاتوهن من حيث امركم الله
قال ابن عباس طوهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره فانه هو الذي امر الله به ولا تاتوهن في غير
المأتى وقيل فاتوهن من الوجه الذي امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث
يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات فصل في حكم
الاية وفيه مسايل المسيلة الاولى اجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتى حايضا او امراة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما
انزل على محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على
التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان احدهما انه
يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد والقول
الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل لما روي عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امراته وهي حايض قال يتصدق بنصف دينار
وفي رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي
وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم المسيلة الثانية اجمع العلما على جواز
الاستمتاع بالمراة الحايض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك
ما روي عن عايشة قالت كانت احدانا اذا كانت حايضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يباشرها امرها ان تاتزر بازار في فور حيضتها ثم يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفي رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم من انا واحد وكلانا جنب وكان يامرني فاتزر فيباشرني وانا حايض اخرجاه في الصحيحين
المراد بالمباشرة هنا الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شي اوله وابتداوه وقولها يملك اربه بسكون
الرا وهو العضو اي الذكر وبفتحها وهو الحاجة م عن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قالت قلت انا حايض قال ان حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير
صغير مظفور من سعف النخل او غيره بقدر الكف وقولها من المسجد وعايشة في حجرتها فطلب
منها الخمرة وهي حايض المسيلة الثالثة يحرم على الحايض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراة
القران ومس المصحف وحمله فلو امنت الحايض من التلويث في عبورها المسجد جاز في احد الوجهين
قياسا على الجنب والثاني لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحايض قضا الصوم دون الصلاة
لما روي عن معاذة العدوية قالت سالت عايشة فقلت ما بال الحايض تقضي الصوم ولا تقضي
الصلاة قالت احرورية انت قالت لست بحرورية ولكني اسال قالت كان يصيبنا ذلك فنومر
بقضا الصوم ولا نومر بقضا الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسيلة الرابعة لا يرتفع شي مما منعه

الحائض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الما الا الصوم فانها اذا
انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة
الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده
قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلما انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل
من الحيض او تتيمم عند عدم الما والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من
الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فاتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطي لا يحل
قبل الغسل وقوله تعالى ان الله يحب التوابين يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب
جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب ويحب المتطهرين يعني من الاحداث
وسائر النجاسات بالما وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب
قوله تعالى نساوكم حرث لكم الاية ق عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها
من ورايها جا الولد احول فانزلت نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وفي رواية
الترمذي كانت اليهود تقول من اتى امراة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال
جا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال
حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيا قال فاوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير
المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز انه يريد انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها
وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل
كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من
شان اهل الكتاب ان لا ياتوا النسا الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان هذا
الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا
منكرا ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة
تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا
نوتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى شري امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات
يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود الوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة
لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شي جانبه وقوله يشرحون النسا
يقال شرح فلان جاريته اذا وطيها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله حتى شري
امرهما اي ارتفع وعظم وتفاخم واصله من شري البرق اذا لج في اللمعان عن ام سلمة ان

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى
شئتم في صمام واحد ويروى سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله
تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المراة كالارض
والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج فاتوا حرثكم انى شئتم يعني كيف شئتم وحيث شئتم
اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة وعلى كل حال اذا كان في الفرج وفي الاية
دليل على تحريم اتيان النسا في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويويد ذلك ما روي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها اخرجه ابو داود
وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسيل ابن عباس
عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فروي ويروى عنه انه قال تستامر الحرة
في العزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الواد الخفي وروى نافع
قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه الاية نساوكم حرث لكم قال اتدري فيم نزلت
هذه الاية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الاية
وروى عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا ابا عمر ما حديث يحدثه نافع
عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا باتيان النسا في ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما قال عبد الله
يوتون في فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلما
على تحريم اتيان النسا في ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة
العارضة وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر
الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله تعالى وقدموا لانفسكم
يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعا عند الجماع ق عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل المراد به تقديم الافراط
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد
فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني الا قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله
تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد ابر قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني الخير
والعمل الصالح بدليل سياق الاية واتقوا الله اي احذروا ان تاتوا شيا مما نهاكم الله عنه واعلموا
انكم ملاقوه اي صايرون اليه في الاخرة فيجزيكم باعمالكم وبشر المومنين يعني بالكرامة من الله تعالى
قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير
ابن النعمان شي فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه فكان اذا قيل له فيه
يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في

ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل
معرضا للشي وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشي فهو عرضة والمعنى
ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر او صلة رحم
فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس قيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس
م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها
خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين
متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراة عليه والله سميع اي لحلفكم عليم
يعني بنياتكم قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل ساقط مطرح من الكلام
وما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول
القايل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما روي
عن عايشة قالت نزل قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله بلى والله
اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود وقال قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان
يحلف الرجل على شي يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة ولا
اثم عليه عنده قال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشي
يتيقن انه كذلك ثم يوجد خلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشي وهو يعلم
انه فيه اثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان تكون فيه
كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشي المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم
لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او حلف ليضربن غلامه
ثم لا يضربه وفايدة الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب
الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شي يعتقد انه كان
ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عايشة والشعبي
وعكرمة ومذهب ابي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن
يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير
قصد البتة ومعنى لا يواخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين وقيل لا يواخذكم اي لا يلزمكم
الكفارة بلغو اليمين ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم يعني لكن يواخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم
له وكسب القلب هو العقد والنية فصل في بيان حكم الاية وفيه مسايل المسلة الاولى
لا ينعقد اليمين الا بالله وباسمايه وصفاته فاما اليمين بالله فهو قول الرجل والذي نفسي بيده

والذي

١١٢ بلغ

والذي اعبده ونحو ذلك والحلف باسمايه كقوله والله والرحمن والمهيمن ونحوه والحلف
بصفاته فهو كقوله وعزة الله وقدرة الله وعظمة الله ونحو ذلك فاذا حلف بشي من
ذلك ثم حنث فعليه الكفارة المسلة الثانية لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة
والنبي وابي ونحو ذلك فان حلف بشي من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره
الحلف به لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير في ركب
وهو يحلف بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابايكم
فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه في الصحيحين المسلة الثالثة اذا حلف
على امر في المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن
فكان فان كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل او لقد فعلت وما
فعل فهذه اليمين الغموس وهو من الكباير سميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم ويجب
فيها الكفارة عند الشافعي سوا كان عالما او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة
عليه فان كان عالما فهي كبيرة وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين والله غفور يعني لعباده
فيما لغوا من ايمانهم التي اخبر انه لا يواخذهم عليها ولو شا واخذهم والزمهم الكفارة في العاجل
والعقوبة عليها في الاجل حليم يعني في تركه معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال
الحليمي في معنى الحليم انه الذي لا يحبس نعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه
يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر المتقي وقد يقيه
الافات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما يقيها الناسك الذي يدعوه ويساله
وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل
جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم انما الحليم هو الصفوح مع
القدرة على الانتقام المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى للذين يولون من نسايهم يولون
اي يحلفون والالية اليمين قال كثير قليل الالايا حافظ ليمينه وان ندرت منه الالية برت
والايلا في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطي كما اذا قال والله لا اجامعك ولا اباضعك او لا اقربك
قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امراته شيا فابت ان تعطيه حلف لا يقربها
السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك
للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان الايلا ضرار اهل الجاهلية
فكان الرجل لا يريد امراته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا
ذات بعل وكانوا عليه في ابتدا الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل
في المراة اربعة اشهر ونزلت هذه الاية للذين يولون من نسايهم تربص اربعة اشهر والتربص
التثبت والانتظار فان فاوا اي رجعوا عن اليمين بالوطي والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من

ترك جماعها **فان الله غفور رحيم** للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فانه غفور رحيم لكل
التائبين فروع تتعلق بحكم الاية الفرع الاول حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او مدة هي
اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويومر بالفي وهو الرجوع
او الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطي ان قدر عليه او بالقول مع
العجز عنه فان لم يف ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابي الدردا وابن عمر
قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى
واليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحاق
وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة باينة وبه قال سفيان
الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة رجعية الفرع الثاني
لو حلف ان لا يطاها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضي المدة لزمه
كفارة يمين الفرع الثالث لو حلف ان لا يطاها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي
لان بقا المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفي او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة
يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة الفرع الرابع مدة الايلا اربعة اشهر في حق الحر والعبد
جميعا عند الشافعي لانها مدة ضربت ترجع الى الطبع وهو قلة صبر المراة عن الزوج فيستوي
فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وابي حنيفة تتنصف مدة الايلا بالرق غير ان
عند ابي حنيفة تتنصف المدة برق المراة وعند مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق الفرع الخامس
اذا وطي خرج عن الايلا ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلما وقيل لا كفارة عليه
لان الله وعده المغفرة فقال فان فاوا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال
ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة وقوله تعالى **وان عزموا الطلاق** اي حققوه بالايقاع
فان الله سميع يعني لاقوالهم **عليم** يعني بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها
لانه تعالى شرط فيه العزم قوله عز وجل **والمطلقات** اي المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة
هي التي اوقع الزوج عليها الطلاق **يتربصن بانفسهن** اي ينتظرن فلا يتزوجن **ثلاثة قروء** جمع قرء
والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقرا من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض
وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع
من قرا اي جمع لان وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت
يقال رجع فلان لقريه اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض ياتي لوقت والطهر ياتي لوقت
وبسبب اختلاف اهل اللغة في الاقرا اختلف الفقها على قولين احدهما ان الاقرا هي الحيض
يروى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة بن الصامت وابي الدردا
وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال احمد

ابن حنبل كنت اقول ان الاقرا الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثاني انها الاطهار
يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعايشة وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي
وحجة من يقول ان الاقرا هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة ايام
اقرايك يعني ايام حيضك لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول بانها
الاطهار ان ابن عمر لما طلق امراته وهي حايض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها
حتى تطهر ثم ان شا امسكها وان شا طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها فاخبر
ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى ٭ ففي كل عام انت جاشم غزوة
تشد لاقصاها عزيم عزايكا ٭ مورثة مالا وفي الحي رفعة ٭ لما ضاع فيها من قروء نسايكا
اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساه فيضيع اقراوهن وانما كان يضيع بالسفر زمان الطهر
لا زمان الحيض وفايدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول وذلك
ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويجب
بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرا على قول من جعل الاقرا اطهارا قالت عايشة اذا دخلت
المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروي عنها انها قالت
القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنسا بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النسا وان طلقها
في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من جعل الاقرا حيضا
وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق
في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن
بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر في صورة معنى الامر واصل
الكلام ولتتربص المطلقات فاخرج الامر في صورة الخبر تاكيدا للامر واشعارا بانه مما يجب
ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم
في الدعا يرحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانه قال وجدت الرحمة فهو يخبر
عنها فصل في احكام العدد وفيه مسايل المسيلة الاولى عدة الحامل تنقضي بوضع
الحمل سوا المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسوا في ذلك الحرة والامة المسيلة الثانية عدة
المتوفى عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسوا في ذلك الحايض والايسة المسيلة الثالثة عدة
المطلقة المدخول بها وهي ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقرا وهي ثلاثة اقرا والضرب الثاني
الايسات من الحيض اما الكبر او لم تكن تحيض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول
فلا عدة عليها المسيلة الرابعة عدة الامة نصف عدة الحرة فيما له نصف وفي الاقرا قرات
لا تتنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبد ثنتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة حيضتين قوله
تعالى **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى انه

لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض او الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من
الرجعة والولد ان كن يومن بالله واليوم الاخر هذا وعيد شديد لتاكيد تحريم الكتمان وايجاب
ادا الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض والولد والمعنى ان هذا من فعل المومنات وان كانت
المومنة والكافرة فيه سوا فهو كقولك ادّ حقي ان كنت مومنًا يعني ادا الحقوق من افعال المومنين
وتقول للذي يظلم ان كنت مومنًا فلا تظلمني والمعنى ينبغي ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب
وعيد النسا بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس
والثاني لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل كانت المراة اذا رغبت في زوجها تقول
اني حايض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت
لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وامرهن باد الامانة وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني ازواجهن
سمي الزوج بعلًا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن اولى
برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اي في حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق
الرد والرجعة ان ارادوا اصلاحًا يعني ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة
لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله
المومنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة ولهن يعني وللنسا على
الازواج مثل الذي عليهن يعني للازواج بالمعروف وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان
كل واحد منهما يراعي حق الاخر فيما له وعليه فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها
ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال في معنى الاية اني احب ان اتزين لامراتي كما
احب ان تتزين لي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف م عن جابر انه ذكر
خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعليهن
ان لا يوطين فرشكم احدًا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ولهن عليكم
رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النسا فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة
حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانة الله ويروى بامانات الله قوله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من
النسا وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد
وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله ولا يوطين فرشكم احدًا
تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع
النسا ولا يرون ذلك عيبًا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت اية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد
بوطي الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان

المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربًا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد
وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة
وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى وللرجال عليهن درجة اي منزلة ورفعة
قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على
النسا بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضا
وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها
واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شي من ذلك بيدها والله عزيز اي غالب
لا يمتنع عليه شي حكيم اي في جميع افعاله واحكامه روى البغوي بسنده عن ابي ظبيان ان
معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فراى رجالا
يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لو امرت احدًا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قوله عز وجل الطلاق مرتان
عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان
له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امراته فطلقها حتى اذا اشارفت انقضا عدتها
ارتجعها ثم قال والله لا اويك الي ولا تحلين ابدًا فانزل الله الطلاق مرتان فامساك
بمعروف او تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدًا من ذلك اليوم من كان
طلق ولم يطلق اخرجه الترمذي وله عن عايشة قالت كان الناس والرجل يطلق امراته
ما شا الله ان يطلقها وهي امراته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة او اكثر حتى
قال رجل لامراته والله لا اطلقك فتبيني مني ولا اويك ابدًا قالت وكيف ذلك قال
اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المراة حتى دخلت على عايشة
فاخبرتها فسكتت عايشة حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم حتى نزل القران الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عايشة
فاستانف الطلاق مستقبلا من كان طلق ومن لم يطلق ومعنى الاية ان الطلاق الرجعي
مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجًا اخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع
بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الاية ان التطليق
الشرعي يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة
واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاث حرام الا ان ابا حنيفة قال
يقع الثلاث وان كان حرامًا وقيل ان الاية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل
فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق
الذي لكم الرجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له بعد

التطليقتين ان سرحها وطلقها الثالثة فامساك بمعروف يعني بعد الرجعة وذلك
انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كلما عرف في الشرع
من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة او تسريح باحسان يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى
تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية
ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها فروع تتعلق باحكام الطلاق الفرع
الاول صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند
ابي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط الفرع الثاني الحر اذا طلق زوجته طلقة او
طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها
حتى انقضت عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها
واذن وليها الفرع الثالث العبد يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك
على زوجته الحرة طلقتين واختلف فيما اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته
الامة ثلاث طلقات والعبد يملك على زوجته الحرة طلقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد
الطلاق وبه قال الشافعي ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمراة فالعبد
يملك على زوجته الحرة ثلاث طلقات والحر يملك على زوجته الامة طلقتين ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن يعني اعطيتموهن شيا يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى الا ان
يخافا الا يقيما حدود الله نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي ويقال حبيبة بنت سهل
الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام
فاتت اباها تشكو اليه زوجها انه يوذيني ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره للمراة
ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها
ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه
زوجها وارته اثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه
الارض احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين سالها فقالت صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول
الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكني ابغضه فلا انا
ولا هو فقال ثابت اعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها علي ولاخلي سبيلها فقال لها تردين
عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها
ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل خ عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام

قال

قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته
قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما اعتب
يعني ما اجد عليه والمعنى الموجده والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحايط
ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلما الزوجان من انفسهما الا يقيما حدود الله والمعنى
تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف الزوج انها اذا لم تطعه ان يعتدي عليها فنهى
الله الرجال ان ياخذ من امراته شيئا مما اعطاها الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول
لا اطيع لك امرا ولا اطا لك مضجعا ونحو ذلك وقرى يخافا بضم اليا ومعناه الا ان يعلم
ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والوالي فان خفتم يعني فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه
فان ظننتم الا يقيما حدود الله يعني ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امر به من
حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المراة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق
الزوج فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على المراة في النشوز اذا خشيت الهلاك
والمعصية فيما افتدت به نفسها واعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على
الزوج فيما اذا اخذ من المال اذا اعطته المراة الطايعة راضية فصل في حكم الخلع وفيه
مسايل المسلة الاولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف
من ان لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول
ان الاية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من المراة عند طلاقها شيا ثم استثنى الله تعالى
حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز
الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلما الى انه يجوز
الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من غير ما باس فحرام عليها رايحة
الجنة اخرجه ابو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ابغض الحلال الى
الله الطلاق اخرجه ابو داود دليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان
طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل
لها شي بان وهبت وبذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة نفسها اولى واجيب
عن الاستثنا المذكور في هذه الاية انه محمول على الاستثنا المنقطع المسلة الثانية الخلع جايز
على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلما وقيل لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول
علي وبه قال الشعبي والزهري والحسن وعطا وطاوس وقال سعيد بن المسيب لم ياخذ دون
ما اعطاها حتى يكون الفضل له وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا يتقيد
بمقدار معين كما ان للمراة ان لا ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند

المخالعة الا بالبدل الكثير لا سيما وقد ظهرت الاستخفاف بالزوج حيث ظهرت بغضه وكراهته المسئلة الثالثة اختلف العلما في الخلع هل هو فسخ او طلاق قال الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد واسحاق وابو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطا وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر عوضا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفايدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى تلك حدود الله يعني هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله فلا تعتدوها اي لا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اي يجاوزها فاولئك هم الظالمون قوله تعالى فان طلقها اي الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد اي لا يحل له رجعتها بعد الثلاث حتى تنكح زوجا غيره يعني حتى تتزوج زوجا اخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطي جميعا والمراد هنا الوطي نزلت في تميمة وقيل عايشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا ق عن عايشة قالت جاءت امراة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قوله فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اي طرفه وهو كناية عن استرخا الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير عسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يونثه وقيل انثه حملا على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وكسر البا المشددة وروي انها لبثت ما شا الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في الاخر

فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الثاني قد مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيتيه وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لين رجعت اليه لارجمنك وقوله تعالى فان طلقها يعني الزوج الثاني بعد وطيها فلا جناح عليهما يعني على المراة والزوج الاول ان يتراجعا يعني بنكاح جديد ان ظنا اي علما وايقنا وقيل ان رجعا لان احدا لا يعلم ما هو كاين الا الله تعالى ان يقيما حدود الله يعني يقيما بينهما الاصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل فرع ان الاول مذهب جمهور العلما ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرايط وهي ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج اخر ويطاها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرايط حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول وهو الاصح واختلف العلما في اشتراط الوطي هل ثبت بالكتاب وبالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وروي انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك ان الاية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطي مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتها الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مواطاة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون يعني يعلمون ما امرهم الله به ونهاهم عنه وانما خص الله العلما لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امراته حتى اذا قرب انقضا عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها فبلغن اجلهن اي قاربن انقضا عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضا العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو اخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة وعلى هذا التاويل فلا حاجة بنا الى المجاز فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطي او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن

فيملكن انفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا
يضارون لتفتدي المراة منه بما لها لتعتدوا اي لتظلموهن بمجاوزتكم في امرهن حدود الله التي
بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتدا عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
اي ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها الى عذاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا يعني بذلك
ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزا ولعبا
فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها
في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد
وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو
متخذ ايات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق
والرجعة اخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم يعني بالايمان الذي
انعم الله به عليكم وهداكم له وسائر نعمه التي انعم بها عليكم وما انزل عليكم اي واذكروا نعمه
فيما انزل عليكم من الكتاب يعني القران والحكمة يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنها لكم وقيل اراد بالحكمة مواعظ القران يعظكم به اي بالكتاب الذي انزله على نبيه صلى الله
عليه وسلم واتقوا الله يعني خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله بكل شي عليم
يعني انه تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شي من ذلك قوله تعالى
واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن نزلت في معقل بن يسار المزني عضل اخته جميلة وكانت تحت ابي
البداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من
الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شا الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها
حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها
الناس واثرتك بها فزوجتكها ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها
فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا ففي نزلت هذه الاية واذا طلقتم
النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه
البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها
اراد ان يرتجعها فابى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المراة تريد
زوجها قد رضيته فنزلت هذه الاية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضا العدة
بخلاف هذه الاية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين فلا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن خطاب للاوليا والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاوليا فتمنعوهن
من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاوليا وان كان

سبب الاية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول اوس بن حجر شعر
وليس اخوك الدايم العهد بالذي يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا ولكنه النائي اذا كنت
امنا وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا يعني اذا ضاق الامر وفي الاية دليل للشافعي
ومن وافقه في ان المراة لا تلي عقد النكاح ولا تاذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا
لنهي الولي عن العضل معنى وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف يعني اذا تراضى الخطاب
والنسا والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما
بما التزمه لصاحبه بحق العقد من تحصيل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة ذلك اي ذلك الذي ذكر من
النهي يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر يعني ان المومن هو الذي ينتفع بالوعظ دون
غيره ذلكم ازكى لكم واطهر يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند الله والله يعلم يعني ما في
ذلك من الزكاة والتطهير وانتم لا تعلمون يعني ذلك قوله عز وجل والوالدات يعني المطلقات
اللاتي لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سوا كن مطلقات او مزوجات ويدل
عليه ان اللفظ عام وما قام دليل للتخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب
حمله عليه يرضعن اولادهن هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن في
حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية
الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة
ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة
وقال تعالى فان تعاسرتم فسترضع له اخرى وهذا نص صريح في ذلك فاذا لم يوجد من يرضع
الطفل او لم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر
وان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى به من غيرها حولين كاملين الحول السنة واصله
من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند
فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد
في الحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة فلما علق الاتمام
بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع التنازع
بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع
قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته
لسبعة اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة اشهر ارضعته احدى وعشرين
شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي
عنه هو حد لكل مولود في اي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فايهما
اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا

عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال
لمن اراد ان يتم الرضاعة اى هذا منتهى الرضاعة لمن اراد تمام الرضاعة وليس فيما دون
ذلك حد محدود انما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب
وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للاباء ولذلك ينسب الولد الى الاب دون الام قال
بعضهم انما امهات الناس اوعية مستودعات وللاباء ابناء وقيل ان هذا تنبيه على ان
الولد انما يلحق بالوالد الا لكونه مولودا على فراشه فكانه قال اذا ولدت المراة الولد لاجل
الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصلحته رزقهن اى طعامهن وكسوتهن اي لباسهن
بالمعروف اى على قدر الميسرة لا تكلف نفس الا وسعها يعني طاقتها والمعنى ان اب الولد لا يكلف فى
الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة لا تضار والدة بولدها
يعني لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها لان ذلك ليس بواجب
عليها ولا مولود له بولده يعني ولا تلقي المراة الولد الى ابيه وقد الفها تضاره بذلك وقيل معناه
لا يلزم الاب ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا
يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل
ان يكون الضرار راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت
فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب وينزعه من امه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة
والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده وعلى الوارث مثل ذلك يعني وعلى وارث اب الولد
اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه
في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا
الوارث مثل ما كان على ابي الصبي في حال حياته واختلف في اي وارث هو فقيل هم عصبة
الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبر
على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة
وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن
له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه
وعلى الوارث ترك المضارة فان ارادا يعني الوالدين فصالا يعني فطام الولد قبل الحولين عن تراض
منهما اى على اتفاق من الوالدين في ذلك وتشاور اى تشاور من اهل العلم بذلك حتى يخبروا ان الفطام
قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي بما فيه مصلحة فلا جناح عليهما اى فلا
حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اى لاولادكم مرضعا غير امها تهم اذا ابت امها تهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع
لبن وغير ذلك او اردن التزوج فلا جناح عليكم اذا سلمتم يعني الى المراضع ما اتيتم يعني لهن

ى

من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امها تهم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن بالمعروف
اي بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين
بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن
واتقوا الله اى وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما وجب عليكم لاولادكم واعلموا
ان الله بما تعملون بصير يعني لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى
يراها ويعلمها قوله تعالى والذين يتوفون يعني يموتون منكم واصل التوفي اخذ الشيء وافيا فمن مات
فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان يعني قبض واخذ ويذرون اي ويتركون ازواجا
والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمراة يتربصن اي
ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعني قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التانيث
لان العرب اذا ابهمت العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان احدهم ليقول صمت عشرا
من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل
ان هذه الايام ايام حزن ولبس حداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة
في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن امه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك
وقيل ان الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه
واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث اخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا
الحديث على ان خلق الولد يجتمع في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه
الايام الزايدة فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسايل المسالة
الاولى عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران
وخمسة ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرة وتمسك
بظاهر هذه الاية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها
بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت
سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل
فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو
السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال ما لي اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين
النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال
لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن
ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزوج ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين

وفيه قال ابن شهاب ولا ادرى باسًا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه
لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا يكون حكم الاية عام في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة
اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن المسلة الثانية يجب على المتوفي عنها زوجها الاحداد
وهو ترك الزينة والطيب والدهن للراس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى الكحل ففيه
زينة فيرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار
عن ام سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي ابو سلمة وقد جعلت على
صبرًا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه
يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعينه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحنا فانه
خضاب قلت باي شي امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه ابو داود
والنساي بنحوه قوله فانه يشب الوجه اي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها
قوله تغلفين به اي تلطخي به راسك والتغليف هو الغمرة على وجه المراة وكذا راسها اذا لطخته
بشي فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر
ويجوز ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر
(ق) عن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي
ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به
جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاثة
ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي
اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت اما والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على
ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا (م) عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها (ق) عن ام عطية
قالت كنا ننهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا
نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت
احدانا من حيضها في نبذة من كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد
المهملتين من البرود التي صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشي اليسير
والكست لغة في القسط وهو شي معروف يتبخر به عن ام سلمة قالت قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تلبس المتوفي عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا

تكتحل

تكتحل اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي
المغرة عن نافع ان صفية بنت ابي عبيد اشتكت عينها وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل
حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك في الموطا المسلة الثالثة اختلفوا في ان
هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاه فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد
بانقضا الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لا يحصل
الا بالقصد الى التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت
المدة او اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على
ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضا عدتها انقضا هذه الازمنة يعني المدة
المسلة الرابعة اجمع العلما على ان هذه الاية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول
وان كانت هذه الاية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه ان
شا الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم
خطاب للاوليا لانهم هم الذين يلون العقد فيما فعلن في انفسهن بالمعروف يعني من
التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه
وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال
الطيب واحتج اصحاب ابي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الاية لان اضافة
الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعي بان قوله تعالى فلا جناح
عليكم خطاب للاوليا ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا لهم واجيب عن قوله فيما
فعلن في انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضا العدة لا انها تزوج نفسها والله
بما تعملون خبير يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم
بكنه الشي وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين انما يستعمل في نوع العلم
وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله قوله عز وجل
ولا جناح اي لا حرج عليكم فيما عرضتم به اي لوحتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح
ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده
ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشي بما يفهم السامع
مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن من خطبة النسا
يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النسا
والخطبة بالضم كلام منظوم له اول واخر ومعنى الاية فيما عرضتم به من ذكر النسا
عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة
ومن غرضي التزوج واني فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام

الوهم من غير تصريح بان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا
التاويل ما روى عن ابن عباس في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النسا هو ان يقول اني
اريد التزوج وان النسا لمن حاجتي ولوددت انه يتيسر لي امراة صالحة اخرجه البخاري وروى
ان سكينة بنت حنظلة تايمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن على الباقر في عدتها فقال
قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي على وقدمي في الاسلام فقالت
سكينة غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يوخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهي في
عدة زوجها ابي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى اثر
الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **او اكننتم** يعني اضمرتم
في انفسكم يعني من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدي ان شا ولا يتكلم بشي والمقصود
انه لا حرج عليكم في التعريض للمراة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه من الرغبة
فيها **علم الله انكم ستذكرونهن** يعني بقلوبكم لان شهوة النفس والتمني لا يخلو منه احد
فلما كان هذا الخاطر كالشي الشاق اسقط عنه الحرج **ولكن لا تواعدوهن سرا** اختلفوا في
معنى هذا السر المنهي عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المراة يعرض بالنكاح ومراده
الزنا ويقول لها دعيني فاذا اوفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول
الرجل للمراة لا تفوتيني بنفسك فاني ناكحك وقيل هو ان ياخذ عليها العهد والميثاق ان لا تتزوج
غيره وقيل هو ان لا يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال
الكلبي اي لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ
القيس الا زعمت بسباسة القوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي بسباسة اسم المراة
وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح
ومعنى الاية لا تواعدوهن مواعدة سرية ولا تواعدوهن بالشي الموصوف بالسر وقيل في معنى الاية
ان الله تعالى اذن في اول الاية في التعريض بالخطبة ومنع في اخرها عن التصريح بالخطبة **الا ان
تقولوا قولا معروفا** يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي المراة انه راغب
في نكاحها **ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله** اي لا تحققوا العزم على عقد النكاح
في العدة حتى تنقضي وانما سماها كتابا لانها فرضه **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه**
اي خافوه **واعلموا ان الله غفور حليم** لا يعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه
قوله تعالى **لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة** اي ولم
تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل
من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت

هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك فان قلت
هل على من طلق امراته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما
وجه نفي الحرج والجناح عنه قلت فيه قطع سبب الوصلة وما جا في الحديث ان ابغض
الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك وقيل
معناه لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في اي وقت شئتم حايضا كانت او طاهرا
لانه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول **ومتعوهن** اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به
والمتاع ما يتبلغ به من الزاد **على الموسع** اي الغني الذي يكون في سعة من غناه **قدره** اي قدر
امكانه **وعلى المقتر** اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره **قدره** اي قدر امكانه **متاعا
بالمعروف** يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف **حقا** اي ذلك
حقا واجبا لازما **على المحسنين** يعني الى المطلقات بالتمتيع وانما خص المحسنين بالذكر
لانهم هم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شانه
وطريقه والمحسن هو المومن **فصل** في بيان حكم الاية وفيه فروع الفرع الاول
اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال
الشافعي وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول
وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها الفرع الثاني
المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا
وبه قال ابو حنيفة وهو احد الروايتين عن احمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله
تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة
الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر الفرع الثالث في قدر
المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار واقلها
دون ذلك وقاية او مقنعة او شي من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها
على الموسر خادم واوسطها ثوب واقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما وروي ان عبد الرحمن
ابن عوف طلق امراته وحممها يعني متعها بجارية سودا ومتع الحسن بن علي امراته بعشرة
الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف
الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوزه وقال احمد في احدى الروايتين عنه تتقدر بما
تجزي فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى يتقدر بتقدير الحاكم والاية تدل على ان المتعة
تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها
الله تعالى للزوجين وبين ان حال الموسر مخالف حال المعسر في ذلك الفرع الرابع ومن
حكم الاية ان من تزوج امراة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان

يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض
والدخول لها المتعة قوله عز وجل وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن يعني تجامعوهن
وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها
وهو قوله وقد فرضتم لهن فريضة اي سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم اي فلهن
نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان
المسيس اما حقيقة في المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال
ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع
حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن او يكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس والصوم
وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام وسوا كان فرضا او نفلا والاية حجة لمذهب الشافعي
قال شريح لم اسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترا اذا زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال
ابن عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية وقبل
المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله الا ان يعفون يعني النسا
المطلقات والمعنى الا ان تترك المراة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق
الى الزوج او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس
في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي
في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير
ابن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد
ابن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد واحمد وجمهور الفقها فعلى القول الاول
يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو
وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جايزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج
وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يزوج
الصغيرة وعلى القول الثاني الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري
والواحدي فيكون معنى الاية او يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق
كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط
عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشي من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا روي
ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو
ولان المهر حق المراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيا فكذلك المهر لانه مال لها وان تعفوا اقرب
للتقوى هذا خطاب للرجال والنسا جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هي الاصل
والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنسا اقرب الى حصول التقوى

وقيل

وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساقه من المهر اليها
قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم يعني ليتفضل بعضكم على بعض
فيعطي الرجل الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان
ومكارم الاخلاق ان الله بما تعملون يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق بصير
اي لا يخفى عليه شي من ذلك قوله عز وجل حافظوا اي داوموا وواظبوا على الصلوات يعني الخمس
المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس بجميع شروطها وحدودها واتمام
اركانها وفعلها في اوقاتها المختصة بها والصلاة الوسطى تانيث الاوسط ووسط كل شي
خيره واعدله وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت
على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت وسطى لانها اوسط الصلوات محلا فصل
في ذكر اختلاف العلما في الصلاة الوسطى قد اختلف العلما من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى
على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر
وعطا وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه
ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في الموطا
واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان
وهما صلاتا النهار والمغرب والعشا يجمعان وهما صلاتا الليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى
غيرها ولانها تاتي في وقت مشقة بسبب برد الشتا وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضا
وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان
الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة
بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا
يعني تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان
حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد
ابن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عايشة وبه قال عبد الله بن شداد
وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعايشة قالا الصلاة
الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو داود
عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي
صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تاتي وسط
النهار وفي شدة الحر ولانها تاتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر المذهب
الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وابن عمر وابن

عباس وابي سعيد الخدري وعايشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم
النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر
وقال الترمذي هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من اصحابنا هذا مذهب الشافعي
لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر
ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روى عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملا الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن صلاة
الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد
في اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن مسعود قال حبس
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس او اصفرت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله اجوافهم
وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود
مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح م عن ابي يونس مولى عايشة قال امرتني عايشة
ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فاذني حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى قال فلما بلغتها اذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة
العصر وقوموا لله قانتين قالت عايشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى عن
حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتي في وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة
عليها اولى ولانها تاتي بين صلاتي نهار وهي الفجر والظهر وصلاتي ليل وهي المغرب والعشا وقد
خصت بمزيد التاكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روى عن ابي المليح
قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر اي قدموها
في اول وقتها ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر
فكانما وتر اهله وماله قوله وتر اي نقص وسلب اهله وماله فبقي فردا بلا اهل ولا مال
ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله المذهب
الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذويب ووجه هذا المذهب ان صلاة المغرب
تاتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل من اربع ولا تقصر
في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتدا جبريل كان بها واذا كانت الظهر
اول الصلوات كانت المغرب هي الوسطى المذهب الخامس انها صلاة العشا ولم ينقل عن احد من
السلف فيها شي وانما ذكرها بعض المتاخرين ووجه هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين

لا تنقص وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين المذهب السادس
ان الصلاة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله امر بالمحافظة على الصلوات
الخمس ثم عطف الصلاة الوسطى وليس في الاية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن
ان يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما
خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم في المحافظة على ادا جميع الصلوات على صفة الكمال
والتمام ولهذا السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم
الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسمايه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع
من العلما قال محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظوا على
الصلوات الوسطى كلها تصيبها وسيل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسايل الوسطى
واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارايت لو علمتها بعينها اكنت
محافظا عليها ومضيعا ساير هن فقال السايل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد
حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها
والله اعلم قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي طايعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز
عن ايقاع الخلل في اركانها قيل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم
طايعين وقيل القنوت هو الدعا والذكر بدليل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة على
الصلوات فوجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعا فمعنى الاية وقوموا لله
داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت
هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل عليه ما روى عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في
الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت
ونهينا عن الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه
ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه
مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدو في الصلاة وخفض الجناح
والخشوع فيها وكان العلما اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت ويقلب الحصى او
يعبث بشي او يحدث نفسه بشي من امور الدنيا الا ناسيا قوله تعالى فان خفتم فرجالا اي
رجالة او ركبانا يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق
الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم
او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب
وصلاة الخوف قسمان احدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حالة القتال
وهو المذكور في سورة النسا في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي الكلام عليها

ان شا الله تعالى في موضعها فاذا التحم القتال وهو المراد بهذه الاية ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يوخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتدا به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجاب عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف فلما نزلت صلاة الخوف لم يوخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لا في القتال بل بسبب اخر كالهارب من العدو او قصده سبع هايج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايما في حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك هنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك واسحاق بن راهوية قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلما صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتاولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي بها منفردا كما جات الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التاويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى **فاذا امنتم** يعني من خوفكم **فاذكروا الله** اي فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها **كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيا ولم نصل الى معرفة شي فله الحمد على ذلك قوله عز وجل **والذين يتوفون منكم** يعني يا معشر الرجال **ويذرون ازواجا** يعني زوجات **وصية لازواجهم** قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم وصية **متاعا الى الحول** اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة طعامها وكسوتها وما تحتاج اليه **غير اخراج** اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من اهل الطايف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامراته وله اولاد

فمات فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امراته شيا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتدا الاسلام اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وكسوتها واجبة في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شي ولكنها تكون مخيرة فان شات اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شات خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكنى ولا نفقة وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه الاية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والكسوة والسكنى فنسخ باية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة متقدمة في التلاوة متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفها من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما وقوله تعالى **فان خرجن فلا جناح عليكم** يعني يا معشر اوليا الميت **فيما فعلن في انفسهن من معروف** يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضا الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله تعالى ذلك باربعة اشهر وعشر **والله عزيز** اي غالب قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده **حكيم** يعني فيما شرع من الشرايع وبين من الاحكام قوله تعالى **وللمطلقات متاع بالمعروف** انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في غير هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين فقال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى **حقا على المتقين** يعني على المومنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة **كذلك يبين الله لكم اياته** يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المومنون وعرفتكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الايات كذلك ابين لكم ساير احكامي في اياتي التي انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب **لعلكم تعقلون** اي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرايض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل **الم تر** قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فسلم الذين

خرجوا وهلك اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين
فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا
ولين وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وبا فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب
عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح اي واسع فلما نزلوا المكان الذي يبتغون
فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادي وملك اخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا
ق ان عمر خرج الى الشام فلما جا سرغ بلغه ان الوبا قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن
ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه
واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا
من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرايل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا
ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نانيها بها وبا فلا نخرج
حتى ينقطع منها الوبا فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما راى الملك
ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في
انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا
عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا
واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
فذلك قوله تعالى الم تر يعني الم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من روية القلب قال
اهل المعاني هو تعجيب له يقول هل رايت مثل هولاء كما تقول الم تر الى صنيع فلان وكل ما في
القران من قوله الم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة الاف
وقيل عشرة الاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا
واصح الاقاويل قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة الاف لان الله تعالى قال وهم الوف
والالوف جمع الكثير وجمع القليل الاف وقيل معنى وهم الوف هو مولفون جمع الف والاول اصح
قال فمر عليهم مدة فبليت اجسامهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذي وهو ثالث
خلفا بني اسرايل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرايل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم
بعده كالب بن يوقنا ثم قام بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا
فسالت الله تعالى الولد بعدما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذا الكفل
سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على اوليك الموتى وقف
عليهم وجعل يتفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك اية قال نعم يا رب
فاحياهم الله تعالى وقيل دعا حزقيل ربه ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم

كانوا

كانوا قومه احياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج في طلبهم
فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا
لا قوم لي فاوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى
فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى
قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما
مثل الكفن حتى ماتوا لاجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك
الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة
لهم ثم بعثوا ليستوفوا بقية اجالهم ولو جاءت اجالهم لما بعثوا فان قلت كيف
اميت هولاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياهم كان معجزة
من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبيا خوارق العادة ونوادر فلا يقاس عليها
فيكون تقدير قوله الا الموتة عام مخصوص بمعجزات الانبيا فيكون تقدير قوله الا
الموتة الاولى التي ليست من معجزات الانبيا ولا من خوارق العادات وفي هذه الاية
احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر لم
يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث ايضا اذ قد اخبر الله
تعالى وهو الصادق في خبره انه اماتهم ثم احياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم
يوم القيمة وقوله تعالى حذر الموت اي مخافة الطاعون وكان قد تركهم وقيل انهم امروا
بالجهاد ففروا منه حذر الموت فقال لهم الله موتوا يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى
موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله تعالى كونوا قردة خاسيين ثم احياهم
يعني بعد موتهم ان الله لذو فضل على الناس يعني انه تعالى تفضل على اوليك الذين اماتهم
باحيايهم لانهم ماتوا على معصية فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو
على العموم فهو تعالى يتفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المومنين بفضله يوم القيمة
ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني ان اكثر من انعم عليهم لا يشكره اما الكافر فانه لم يشكر اصلا
واما المومنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله قيل هو خطاب للذين
احيوا احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في
سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب
هولاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمومنين على الجهاد واعلموا ان الله سميع يعني لما
يقول المتعلل عن القتال عليم بما يضمره قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المومنين له قرضا على رجا

ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل
صالح او سيئ قال امية بن ابي الصلت • كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا • او سيئا
او مدينا كالذي دانا • واصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله
شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الاية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجوا
ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة
وقيل في الاية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه فهو
كقوله ان الذين يؤذون الله اي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة يا ابن ادم
استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي
فلان فلم تطعمه اما لو علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في
المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل هو
صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري بسنده
عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان
الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ناولني
يدك قال فناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة
ثم جاء يمشي حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه في عيال لها فناداها يا ام الدحداح قالت
لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد اقرضته لربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب
والتطوع وقوله حسنا يعني محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال
في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء
ولا سمعة فيضاعفه له يعني ثواب ما انفق اضعافا كثيرة قيل هو تضاعفه الى سبعمائة
ضعف وقال السدي هو التضعيف لا يعلمه الا الله وهذا هو الاصح وانما ابهم ذلك
لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط قيل يقبض بامساك
الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة
ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق
اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى فالله يقبض بعض القلوب
حتى لا تقدر على فعل الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على الانفاق في
الطاعات والانفاق في البر روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد

يصرفه

يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا
على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التي يجب الايمان
بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة
هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة واليه ترجعون يعني في الاخرة فيجزيكم
باعمالكم قوله تعالى الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا اشراف القوم ووجوههم واصله من
الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط من بعد موسى اي من بعد موت موسى ومن بعد
زمنه اذ قالوا يعني اولئك الملا لنبي لهم اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع
ابن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد
لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله
لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتقلب السين بالعبرانية شينا
وقال اكثر المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل ابن هلقانا قيل انه من ولد هارون ومعرفة حقيقة
ذلك النبي بعينه ليس مرادا من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وحاصل ذكر
الاشارة الى القصة كان سبب مسألة اولئك الملا لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام
وخلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله ويحكم بالتوراة حتى
قبضه الله ثم خلف من بعده كالب بن يوفنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه
الله فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث
الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى
يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ويامرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد
الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف
وعظمت فيهم الخطايا فظهر لهم عدو يقال لهم البلشاثا وهم قوم جالوت وكانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل
وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة
واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة
ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها
في بيت رهينة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت
المراة تدعو ان الله يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعبرانية اسماعيل
تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام اسلمته التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم
وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يامن
عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه

رايتك دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فدعاه الثانية
فقال الغلام دعوتني فقال لم فان دعوتك فلا تجبني فلما كان الثالثة ظهر له جبريل
عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا
فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلها لك وقالوا له ان كنت صادقا
فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرايل بالاجتماع
على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي
يقيم امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل
نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك
قوله تعالى ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك
قال يعني قال النبي هل عسيتم هذا استفهام شك يقال للعلم ان كتب عليكم اي فرض
عليكم القتال اي مع ذلك الملك الا تقاتلوا يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه
قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله فان قلت ما وجه دخول ان والعرب تقول ما لك
ان لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان
فالاثبات كقوله ما لك الا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون
وقيل معناه وما لنا في ان لا نقاتل فحذف حرف الجر وقيل ان ههنا زايدة ومعناه
ما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم
فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا للنبي لهم ابعث لنا ملكا كانوا
في ديارهم وابنائهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الاية انهم قالوا للنبي لهم انا انما كنا
تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا ان لا يظهر علينا عدونا فاذا بلغ ذلك منا
فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال
في الكلام حذف تقديره فسال الله ذلك النبي فبعث الله اليهم ملكا وكتب عليهم القتال
تولوا اي اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله الا قليلا منهم يعني لم يتولوا عن
الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سياتي في قصتهم
ان شا الله تعالى والله عليم بالظالمين يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حتى خالف امر ربه
ولم يف به قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وذلك ان اشمويل
سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصى وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان
صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصى وانظر الى القرن الذي فيه الدهن
فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرايل فادهن راسه بالدهن
وملكه عليهم واسمه طالوت بالعربية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب

وانما سمي طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه ومنكبه وكان طالوت رجلا
دباغا يدبغ الاديم قال وهب وقيل كان سقا يسقي الما على حمار فضل حماره فخرج يطلبه
وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فمر على بيت اشمويل
النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا
فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل
فقاس طالوت بالعصاة فكانت على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه اليه فدهنه
بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرايل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال
طالوت اوما علمت ان سبطي ادنى سبط بني اسرايل قال بلى قال فباي اية قال باية انك
ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرايل ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا وقيل انه جلس عنده وقال الناس ملك طالوت فاتت عظما بني اسرايل الى نبيهم
اشمويل وقالوا له ما شان طالوت يملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد
عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهودا بن يعقوب فقال لهم
نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من اين
يكون له الملك وكيف يستحقه ونحن احق بالملك منه انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرايل
سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى
وهارون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهودا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان
عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب
انكروا كونه ملكا وزعموا انهم احق بالملك منه ثم انهم اكدوا ذلك بقوله ولم يوت سعة
من المال يعني انه فقير والملك يحتاج الى المال قال يعني اشمويل النبي ان الله اصطفاه
عليكم اي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الاية دليل على بطلان قول من زعم
من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بني اسرايل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون
من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه
الله به وزاده بسطة اي فضيلة وسعة في العلم وذلك لانه كان من اعلم بني اسرايل وقيل انه اوحي
اليه حين اوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب والجسم يعني بالطول وذلك لانه كان اطول
الناس براسه ومنكبه وقيل بالجمال وكان طالوت من اجمل بني اسرايل وقيل المراد به القوة
لان العلم بالحروب والقوة على الاعدا مما فيه حفظ الملك والله يوتي ملكه من يشا يعني انه
تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شي ووسع فضله ورزقه كل خلقه
والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك
فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى

عليم يعني انه تعالى مع قدرته على اغنا الفقير عليم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه
والعليم هو العالم بما يكون وما كان قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم
التابوت وذلك انهم سالوا اشمويل فقالوا لها اية ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
وكان قصة التابوت على ما ذكره علما السير والاخبار ان الله تعالى انزل على ادم عليه
السلام تابوتا فيه صور الانبيا وكان التابوت من خشب الشمشار طوله ثلاثة اذرع في عرض
ذراعين فكان عند ادم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد ادم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام
ثم كان عند اسماعيل لانه كان اكبر ولده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرايل
الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده
الى ان مات ثم تداوله انبيا بني اسرايل الى وقت اشمويل وكان في التابوت ما ذكره الله وهو
قوله فيه سكينة من ربكم واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن ابي طالب هي ريح خجوج
هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي تشبه الهرة لها راس كراس
الهر وذنب كذنب الهرة ولها جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد
وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت
قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طست من ذهب من الجنة
كان يغسل فيه قلوب الانبيا وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شي
فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطا بن ابي رباح هي ما يعرفون من الايات التي يسكنون اليها
وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون اي طمانينة من ربكم ففي اي مكان كان التابوت
اطمانوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شي كانوا اليه فهو سكينة
فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شي يسكن القلب اليه فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز
تصويب قول وتضعيف اخر وقوله تعالى وبقية مما ترك ال موسى وال هارون يعني موسى وهارون
انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير
ال داود والمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك ال موسى وال هارون
فقيل هي رضاض من الالواح وعصى موسى قاله ابن عباس وقيل عصى موسى وعصى هارون
وشي من الواح التوراة وقيل كان فيه العلم والتوراة وقيل كان فيه عصى موسى ونعلاه
وعصى هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرايل فكان التابوت
عند بني اسرايل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا في شي تحاكموا اليه فيتكلم
ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم
فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه
منهم وكان السبب في ذلك انه كان عيلي وهو الشيخ الذي ربى اشمويل ابنان وكان عيلي

حبر

حبر بني اسرايل وصاحب قربانهم فاحدث ابناه في القربان شيا لم يكن فيه وذلك انه
كان مشرط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما اخرجاه كان للكاهن الذي
يسوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النسا يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فاوحى
الله الى اشمويل انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا
في قرباني وقدسي شيا وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك
واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدو من حولهم فامر عيلي ابنيه
ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيوا للقتال
جعل عيلي يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل
التابوت قال اخذه العدو وكان عيلي قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج امر
بني اسرايل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسالوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت
فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان اية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان ياتيكم
التابوت وكان قصة رجوع التابوت على ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت
من بني اسرايل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه
تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا
قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى
تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه
في ناحية من مدينتهم فاخذ تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم
لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرايل لا يقوم له شي فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله
على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا وقد اكلت ما في جوفه
فاخرجوه الى الصحرا ودفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج
فتحيروا فيه فقالت لهم امراة من بني اسرايل كانت عندهم وهي من بنات الانبيا لا تزالون
ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوه بعجلة باشارة تلك
المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران
ووكل الله بالثورين اربعة املاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرايل
فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرايل
ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرايل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى
تحمله الملائكة اي تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السما والارض
وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السما
فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت

في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت الملايكة تحمله حتى وضعته
في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه ان في ذلك لاية لكم يعني قال لهم نبيهم اشمويل
ان مجي التابوت تحمله الملايكة لاية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما اخبرتكم به ان الله قد
بعث لكم طالوت ملكا ان كنتم مومنين يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت
واقروا بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا في طاعته وخرجوا معه فذلك
قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره
شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل
ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا لم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور
لعذره وذلك لما راوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان سيرهم
في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الما بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا
فادع الله ان يجري لنا نهرا فقال طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم به ليتبين طاعتكم
وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين فمن
شرب منه فليس مني اي فليس من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه اي لم يذقه يعني الما فانه مني
يعني من اهل طاعتي الا من اغترف غرفة بيده قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة
بالضم الذي يحصل في الكف من الما والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر
فشربوا منه يعني من النهر الا قليلا منهم قيل هم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة
وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البرا بن عازب رضي الله عنه قال
كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين
جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة عشر مومن وثلثماية اخرجه البخاري وقيل
البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر القي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا
العدد القليل وكان من اغترف كما امره الله تعالى غرفة كفته لشربه وشرب دوابه وقوي قلبه
وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم
وغلبهم العطش ولم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوا كلهم
ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اوليك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله
تعالى فلما جاوزه هو يعني جاوز النهر طالوت والذين امنوا معه يعني اوليك القليل قالوا
يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق فعلى هذا يكون جاوز
النهر مع طالوت المومن والمنافق والطايع والعاصي فلما راوا العدو قال المنافقون لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم المومنون بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة
وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المومنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا

معه فان قلت فعلى هذا القول من القايل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت
يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثماية وبضعة عشر انقسموا الى قسمين حين راوا العدو
قسم قالوا لما راوا العدو وكثرته وقلة المومنين لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم
القسم الاخر بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى
لا طاقة لنا اليوم لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون اي يتيقنون ويعلمون
انهم ملاقوا الله اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة كم من فية قليلة الفية الجماعة
لا واحد له من لفظه كالرهط غلبت فية كثيرة باذن الله اي بقضا الله وقدرته وارادته
والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل ولما برزوا يعني طالوت وجنوده
المومنين لجالوت وجنوده يعني المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر
واستوى منها قالوا يعني المومنين اصحاب طالوت ربنا افرغ علينا اي اصبب علينا صبرا
وثبت اقدامنا اي قو قلوبنا بالتثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وذلك ان جالوت
وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسال المومنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين فهزموهم
باذن الله يعني ان الله تعالى استجاب دعا المومنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم
ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضايه وارادته واصل
الهزم في اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم وقتل داود جالوت وكانت قصة قتله على ما ذكر
اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة
عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي
بقذافتي شيا الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى قد جعل رزقك في قذافتك
ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته
واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه
يوما اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معي فقال يا بني
ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني
اسرايل ان ابرز الي وابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي
ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته
ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم ان يدعو الله في ذلك
فدعا الله فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل
جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على راسه حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على وجهه
بل يكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه
فدعا طالوت بني اسرايل واختبرهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان

في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا ايشا فقال له اعرض على بنيك فاخرج له اثني عشر
رجالا امثال السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيئا فقال لايشا
هل بقي لك ولد غير هولاء قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب انه قد زعم انه
لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي
يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا مستقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته
وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا
مسقاما ازرقا معا اصغر فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد
سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما راه
طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا ير حم البهايم فهو بالناس ارحم
فدعاه طالوت ووضع القرن على راسه ففاض فقال له هل لك ان تقتل جالوت
وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له انست من نفسك شيئا تقوى به
على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجي الاسد او النمر او الذيب فياخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح
لحيته عنها فاخرجها الى قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام
في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا داود
احملني فاني حجر موسى فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به
جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتهيا
ونصافا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة استبد له داود عليه السلام فاعطاه طالوت فرسا
وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام
فجا فوقف على طالوت فقال له ما شانك فقال داود عليه السلام ان لم ينصرني الله لم يغني هذا
السلاح عني شيئا وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته
فتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم
وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاثماية رطل فلما نظر الى داود ومعه
بريده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس
ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب فقال نعم وانت شر من الكلب
فقال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السما فقال داود عليه السلام
او يقسم الله لحمك ثم قال داود بسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم قال بسم اله اسحاق
واخرج حجرا ثم قال بسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة
حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فخرج من قفاه وقتل من ورايه ثلاثين
رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذ داود يجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح بنوا اسرايل

فرحا

فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين
وجعل الناس يذكرون داود فجا داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني به فقال اتريد
ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شي فقال لا اكلفك الا
ما تطيق انت رجل جري وفي حيالنا اعدا لنا غلف فاذا قتلت منهم ماتي رجل وجيتني
بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما يقتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم
ماتي غلفة فجا بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع الي امراتي فزوجه ابنته
واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثروا ذكره فحسده
طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك داود
وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب القتل
قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان
يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه
ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك قالت هو نايم على
سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما اكثر شربه للخمر وخرج
فلما اصبح علم انه لم يفعل شيا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك
ثاره مني فاشتد حجابه وحراسه واغلق ابوابه دونه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون
واعمى الله عنه الحجبة ففتح الابواب ودخل عليه وهو نايم على فراشه فوضع سهما عند راسه
وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها
فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله فظفر بي فكف عني ولو شا لوضع هذا
السهم في حلقي وما انا بالذي امنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب
فدخل وهو نايم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيا من
طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد
الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله
وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت
فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بنا العنكبوت فقال لو كان دخل ههنا لخرق هذا
النسج فانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلما
والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل
خلقا كثيرا من العلما والعباد حتى اتي بامراة تعلم الاسم الاعظم فامر جباره بقتلها فرحمها
الجبار فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى العالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل
واقبل على البكا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي ويقول وينادي انشد الله عبدا

وتوارى

يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما كثر ذلك منه فاذا مناد من القبور يا طالوت اما ترضى
ان قتلتنا حتى توذينا امواتا فازداد حزنا وبكا فدخل الجبار الى طالوت لما راى من
حاله فقال له ما لك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم لي توبة او تعلم في الارض عالما
اسا له عن توبتي فقال له الجبار ايها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال
لا فوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لا سالها
عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الجبار ايها الملك اذا راتك فزعت
ولكن ايت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الجبار يا هذه الست تعلمين حقي عليك قالت بلى
قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاك يسالك هل له
من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت قالت والله لا اعلم له توبة
ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت
تعلم الاسم الاعظم ثم نادت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب عن راسه فلما
نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن هذا طالوت قد جا يسالك
هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم
لك من توبة الا ان تتخلى عن ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك
حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل اخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا
ورجع طالوت احزن ما كان رهبة الا يتابعه بنيه على ما يريد وكان قد بكا بكا
شديدا حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت
الى النار هل كنتم تفتدوني منها فقالوا بلى نفتديك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم
تفعلوا ما امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول
قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سالت فتجهز هو
وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا فقتلوا ثم شد
هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجا قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد
قتلت عدوك فقال داود ما انت بباق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل
مدة اربعين سنة واتى بنو اسرايل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزاين طالوت
قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت نحو تسع سنين ولم يجتمع بنو اسرايل
على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة يعني النبوة
جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك
في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به وعلمه مما يشا اي وعلم الله داود صنعة الدروع
فكان يصنعها ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه

الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل
صوت داود فكان اذا اقرا الزبور تدنوا منه الوحوش حتى توخذ باعناقها وبظله
الطير مصبحة له ويركد اليه الجاري وتسكن الريح عند قراته وقيل علمه الله سياسة
الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من ابايه وقال ابن عباس هو
ان الله تعالى اعطاه سلسلة باب مجيرة وراسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولو نها
لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللولو الرطب فكان لا يحدث
في الهوى حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة
الا برا وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه او انكره حقا
اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت
كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة
فلما طلبه بالوديعة انكرها اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى
عكازه فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة
رد علي الوديعة فقال لصاحبها لا اعلم لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول
السلسلة فتناولها بيده وقيل للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة
امسك عكازي فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم
ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني فمد يده فتناولها فتعجب
القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفعها الله قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة له بعضا وهم اهل
الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا
المومنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار
والفجار لفسدت الارض اي لهلكت ومن فيها ولكن يدفع الله بالمومن عن الكافر وبالصالح عن
الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليدفع بالمومن الصالح عن ماية اهل بيت من جيرانه البلا ثم قرا ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني اذ دفع الفساد بهذا
الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم تلك ايات الله يعني القصص التي قصصها من حديث
الاولين واماتتهم واحيايهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية ومجي التابوت واهلاك الجبابرة
على يد صبي نتلوها عليك بالحق اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم
وانك لمن المرسلين يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان
تعرف بقراة كتاب ولا استماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله

تعالى قوله عز وجل تلك الرسل يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه
السورة فضلنا بعضهم على بعض فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب للتسوية بين
الانبيا في الفضيلة لاستوايهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبيا بعضهم
افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا منهم اي الرسل من كلم الله اي كلمه الله وهو
موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه
ومرتبته كافة على ساير الانبيا بما فضله به عليهم من الايات البينات والمعجزات الباهرات
فما اوتي نبي من الانبيا اية او معجزة الا اوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل
محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا بايات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته
وحنين الجذع اليه عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهايم له شاهدة
برسالته ونبع الما من بين اصابعه وغير ذلك من الايات والمعجزات التي لا تحصى كثرة
واعظمها واظهرها معجزة واية القران العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان
بمثله فهي معجزة ثابتة الى يوم القيامة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ق عن جابر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته
الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت
لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبوة
فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا
الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلا قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة
بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيا فعله بعضكم او احدكم
ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سيل الحطيئة من اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة
ثم قال ولو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه قوله تعالى واتينا عيسى بن مريم البينات
يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى
وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السما فان قلت
لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين ساير الانبيا قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات

بوزن فعيلة

الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية عظيمة
وتاييد عيسى بروح القدس اية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من الايات العظيمة
خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبيا اعظم ايات واكثر معجزات
كان افضل ولهذا احرز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه
اعظم الانبيا ايات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله وسلم عليهم اجمعين ولو شا
الله اي ولو اراد الله واصل المشية الارادة ما اقتتل الذين من بعدهم يعني بعد الرسل
الذين وصفهم الله من بعد ما جاتهم البينات اي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر
لمن هداه الله ووفقه ولكن اختلفوا اي اختلف هولا الذين من بعد الرسل فمنهم من امن اي ثبت
على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله ومنهم من كفر اي ومنهم من ثبت على الكفر بعد قيام الحجة
وبعثة الرسل ولو شا الله ما اقتتلوا اي ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف
لحجزهم عن ذلك ولكن الله يفعل ما يريد يعني انه تعالى يوفق من يشا الطاعة والايمان به
فضلا منه ورحمة ويخذل من يشا عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سال رجل علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير المومنين اخبرني عن القدر فقال طريق
مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه فاعاد السوال
فقال بحر عميق فلا تلجه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم قيل اراد به
الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق في وجوه الخير من قبل ان
ياتي يوم لا بيع فيه اي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفدا اشترا النفس من الهلاك
والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان ياتي يوم لا نجاة فيه فيكتسب الانسان
ما يفتدي به من العذاب ولا خلة اي لا مودة ولا صداقة ولا شفاعة وظاهر هذا يقتضي
نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المومنين فيكون
هذا عام مخصوص والكافرون هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز
وجل الله لا اله الا هو الحي القيوم فصل في فضل هذه الاية الكريمة عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شي سنام وان سنام القران البقرة
وفيها اية هي سيدة اي القران اية الكرسي اخرجه الترمذي قوله ان لكل شي سناما سنام
الشي اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل في قومه
والشريف والكريم واصله من ساد يسود وقوله هي سيدة اي القران اي افضله م عن ابي بن
كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدري اي اية في كتاب الله
معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنيك العلم ابا المنذر
عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاهم في صفة المهاجرين فساله انسان اي اية

في القران اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم
اخرجه ابو داود وقال العلما انما تميزت اية الكرسي بكونها اعظم اية في القران
لما جمعت من اصول الاسما والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية
والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسما فلما كانت ذكرا لما من توحيد وتعظيم كان
اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القران على بعض وتفضيله
على ساير الكتب المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القران على بعض ابو الحسن الاشعري وابو بكر
الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل
نقص وتاولوا هولا ما ورد من الاطلاق لفظ اعظم وافضل في بعض الايات او السور بمعنى عظيم
وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القران على بعض من العلما والمتكلمين قالوا هذا التفضيل
هو راجع الى عظيم اجر القارى وجزيل ثوابه وقوله ان هذه الاية او هذه السورة اعظم
او افضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حين يصبح اية الكرسي
واثنين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قراها
حين يمسي حفظ ليلته حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير
فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفى الالهية كل اله سواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى
فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي بمعنى الباقي على الابد الدايم بلا
زوال والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا بالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد
موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وساير الاحيا سوا يعتريهم الموت والعدم فكل شي
هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القايم على كل شي وتاويله
انه تعالى قايم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القايم
الدايم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القايم على كل نفس بما كسبت
والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقايم على الشي لا تاخذه سنة ولا نوم السنة ما
يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان ما بين النايم
واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في العين
والنوم في القلب فالسنة هو اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع
المعرفة بالاشيا والمعنى لا تاخذه سنة فضلا عن ان ياخذه نوم لان النوم والسهو
والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشيا عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وافة
فانه تعالى منزه عن النقص والافات ولان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير م عن
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات

فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع اليه
عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه شرح ما يتعلق
بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه
مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه
عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه
ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل
اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يضيق على من يشا ويرفعه
اي يوسعه على من يشا وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل النهار يعني ان الحفظة من الملايكة
يصعدون باعمال النهار بعد انقضايه في اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والبا الموحدة
تحت وبضم التا في اخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاوه
والحجاب اصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى
منزه عن الجسم والحد والمراد به هنا الشي المانع من الروية وسمي ذلك الشي المانع نورا
او نارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره
من خلقه جميع المخلوقات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى
الحديث لو ازال المانع وهو الحجاب المسمى نورا ونارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته
جميع مخلوقاته هذا اخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبري بسنده عن
ابن عباس في قوله لا تاخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سال الملايكة هل ينام الله
فاوحى الله تعالى الى الملايكة وامرهم ان يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه
قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة
قال فجعل ينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر
انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة
مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي موسى على المنبر قال وقع في
نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلما ان صح هذا
الحديث فيحمل على ان هذا السوال كان من جهال قوم موسى كطلب الروية من موسى لان
الانبيا عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب الى موسى مثل هذا
السوال والله اعلم قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض يعني ان الله تعالى مالك ذلك بغير

شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات
ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه بالخلق والملك وكان
الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه اي بامره وهذا استفهام انكار والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره
واراد نه وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده
الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة
بعض النبيين والملايكة وشفاعة المومنين بعضهم لبعض يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الاخرة
ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما
قدموه بين ايديهم من خير او شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه
وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من احوال جميع خلقه ولا يحيطون بشي من
علمه يقال احاط بالشي اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته
فاذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه فيل قد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا
لا يحيط بمعلومات الله تعالى الا بما شا يعني ان يطلعهم عليه وهم الانبيا والرسل ليكون
ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول وسع كرسيه السموات والارض يقال فلان يسع الشي سعة اذا احتمله واطاقه
وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من تركب الشي بعضه على بعض ومنه الكراسة
لتركب بعضها ورا بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي
هو العرش نفسه قاله الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني
ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان
السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة
وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قايمة
من قوايم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك
لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على
صورة ابي البشر ادم وهو يسال الرزق والمطر لبني ادم من السنة الى السنة وملك على صورة الثور
وهو يسال الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسال الرزق
للوحوش من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسال الرزق للطير من السنة الى السنة
وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا
من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسماية عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش

القول

القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه
قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان
الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز ولا يوده
اي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وهو العلي اي الرفيع
فوق خلقه الذي ليس فوقه شي فيما يجب له ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي
بالاطلاق المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر
فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاقه
صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين
العظيم يعني انه ذو العظمة والكبريا الذي لا شي اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي
قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى
ينصرف الى عظم الشان وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام قوله تعالى
لا اكراه في الدين وسبب نزول هذه الاية فيما روي عن ابن عباس قال كانت المراة من الانصار تكون
مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لين عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته
في اليهود فجا الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد
الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناونا واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم
فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو حصين ابنان
فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون
الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما
وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب
كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل
ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن اعطا الجزية منهم لم يكره
على الاسلام فعلى هذا القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل ان الاية منسوخة
وكان ذلك في ابتدا الاسلام قبل ان يومر بالقتال ثم نسخت باية القتال وهو قول ابن
مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوه
فاستاذن الله في قتالهم فاذن له ومعنى الاية لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه
قد تبين الرشد من الغي يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة

بكثرة الايات والبراهين الدالة على صحته **فمن يكفر بالطاغوت** يعني الشيطان وقيل هو الساحر
والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول
من الطغيان **ويومن بالله** اي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شي كان يعبده وفيه
اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب ولا عن الكفر ويتبرا منه ثم يومن بعد ذلك بالله فمن
فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي فقد تمسك واعتصم
بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل
الى رضى الله تعالى وهو دين الاسلام **لا انفصام** اي لا انقطاع لها حتى توديه الى الجنة والمعنى
ان التمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالتمسك بالشي الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا
انقطاعه **والله سميع عليم** يعني انه تعالى سميع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين
عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعايك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم
قوله عز وجل **الله ولي الذين امنوا** اي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولى امورهم فلا يكلهم
الى غيره وقيل هو متولي هداياتهم **يخرجهم من الظلمات الى النور** اي من الكفر الى الايمان وكل ما في
القران من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله تعالى
وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة
تحجب الابصار عن ادراك الحقايق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقايق الايمان
وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته **والذين كفروا اولياوهم الطاغوت** يعني كعب
ابن الاشرف وحيي بن اخطب وساير روسا الضلالة **يخرجونهم من النور الى الظلمات** اي من الهدى
الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط
قلت هم اليهود وكانوا مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون
في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار
ومنع الطاغوت اياهم من الدخول فيه اخراج من الايمان يعني صدهم الطاغوت عنه وحرمانهم
خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتني من مالك اذا اوصى به لغيره
في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يومنون
بالله ولم يكن قط في ملتهم **اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون** يعني الكفار والطاغوت اهل النار
الذين يخلدون فيها دون غيرهم قوله تعالى **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** يعني هل انتهى اليك
يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها
استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رايت فلانا في صنعه والذي حاج
ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية
ان اتاه الله الملك اي لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك

وطغيانه

وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مومنان وكافران فاما المومنان فسليمان وذو القرنين
واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام
سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه **اذ قال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت** وقيل بل كان هذا بعد القايه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان
الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار يسأله من ربك فيقول انت فيميره
فخرج ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربي
الذي يحيي ويميت **قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها
من المغرب فبهت الذي كفر** فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب رمل اعفر
فاخذ منه تطييبا لقلب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت
زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما راه احد فصنعت منه خبزا
فلما انتبه قربته اليه فقال ابراهيم من اين هذا وكان عهده اهله وليس عندهم طعام فقالت
من الطعام الذي جيت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث
الى نمرود الجبار ان امن بي واتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك
ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه
فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم
فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شي من ذلك ثم
بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في راسه اربعماية سنة يضرب راسه بالمطارق
وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك يعذب اربعمايه
سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل ومعنى اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
هذا جواب سوال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
قال يعني نمرود انا احيي واميت قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا
الاخر فجعل ترك القتل احيا فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر
حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحيا احيا الميت فكان لابراهيم ان يقول له
لنمرود فاحي من امت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما راى من قصور
فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض الفعل بمثله ونسي اختلاف الفعلين فقال ابراهيم فان
الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت
حجته ولم يرجع اليه شيا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه
ان يقول لابراهيم سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف ان لو سال
ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن

[illegible]

عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو
الصحيح والله لا يهدي القوم الظالمين يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجة اهل
الحق عند المحاجة والمخاصمة وعني بالظالمين نمرود قوله عز وجل او كالذي مر على قرية هذه
معطوفة على الاية قبلها والمعنى الم تر الى الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية فيكون هذا
عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت كالذي حاج ابراهيم وهل رايت كالذي مر على
قرية وقيل الكاف زايدة والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر على قرية
واختلفوا في ذلك المار فروي عن مجاهد انه كان كافرا شك في البعث وهذا قول ضعيف
لقوله تعالى كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك اية للناس وهذا
اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو
عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارميا بن حلقيا من سبط هارون وهو
الخضر ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احيا خلقه
بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجايز ان يكون ذلك المار هو عزير
وجايز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة لنبوة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو نبي لم يقرا الكتب
القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بخت نصر
والمراد بالاحيا هنا عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك الله اهلها الذين خرجوا من
ديارهم وهم الوف وقيل هي دير سابراباذ وقيل سلماباذ وقيل دير هرقل وقيل هي قرية
العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها
وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك قال يعني ذلك
المار انى يحيي هذه الله بعد موتها فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف فانما حمله على
الشك في قدرة الله تعالى ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجاري
العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى وكان المقصود منه طلب زيادة
الدلايل لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام ارني كيف تحيي الموتى ومعنى انى يحيي
هذه الله من اين يحيي هذه القرية والمراد بالاحيا عمارتها فاحب الله ان يريه اية في
نفسه وفي احيا تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روي عن وهب بن منبه
ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك بني اسرايل ليسدده ويأتيه بالخبر
من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرايل وركبوا المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا
ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارميا يا رب اني
ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني الهمك فقام

ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين
لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل اني
احلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه
الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى
اني مهلك بني اسرايل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع
ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما راى الله تضرعه وبكاه ناداه
يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرايل
ما لا اسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اهلك بني اسرايل حتى يكون الامر
في ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق
لا ارضى بهلاك بني اسرايل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر
وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك
الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر قبل الوحي وذلك حين اقترب
هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابلي
فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سايرا اتى الخبر الى ملك
بني اسرايل قال لارميا اين ما زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف
الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له في صورة
رجل من بني اسرايل فقال له ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرايل اتيتك استفتيك
في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم ات اليهم الا حسنا ولا يزدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي
فافتني فيهم فقال ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث
اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي
اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم بعد لك فيهم فقال يا نبي
الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم
وافضل فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسال الله الذي يصلح عباده الصالحين ان
يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بخت نصر نزل بجنوده ببيت المقدس ففزع منهم
بنو اسرايل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك الله تعالى فقال اني بربي واثق
ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر
ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي جيتك في شان
اهلي مرتين فقال ارميا آن لهم ان ينتهوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله ان كل شي
كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضي الله تعالى

فقال ارميا على اي عمل رايتهم قال على عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك
لاخبرك وانا اسالك بالله الذي بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكهم فقال ارميا
يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه
فاهلكهم فما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة من السما على بيت
المقدس فالتهب مكان القربان واحترقت سبعة ابواب من ابوابه فلما راى ذلك ارميا صاح
وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني
به فنودي انه لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعايك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه
وان ذلك السايل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر
وجنوده بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ويدخله في بيت المقدس
ففعلوا ذلك حتى ملوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقي في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من
كان بقي من بني اسرايل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك
الذين كانوا معه فاصاب كل رجل اربعة غلمة وكان في اوليك الغلمان دانيال وحنانيا وعزير
وفرق من بقي من بني اسرايل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشام فكانت
هذه الواقعة الاولى التي انزلها الله ببني اسرايل بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا الى بابل ومعه
سبايا بني اسرايل اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب وركوة وسلة تين حتى غشي ايليا
وهي بيت المقدس فلما راى خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان
عزيرا قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس واقدم بسبي بني اسرايل وكان فيهم عزير ودانيال
وسبعة الاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط
دجلة فطاف في القرية فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب
فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما راى خراب القرية وهلاك
اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث ورجعنا الى حديث
وهب قال ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه
الروح مائة عام وامات حماره وبقي عصيره وتينه فيه واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك
ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا
الى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك وقال ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس
وايليا حتى يعود اعمر مما كان فانتدب الملك في الف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثماية الف عامل
وجعلوا يعمرونها واهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من
بني اسرايل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن
ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده

وهو

وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا حماره عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السما ايتها
العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي
لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا
فهو يدور في الفلوات فذلك قوله تعالى فاماته الله مائة عام اصل العام من العوم وهو السباحة
سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع برجها ثم بعثه اي ثم احياه واصله من
بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها قال كم لبثت يعني قال الله له كم قدر الزمان
الذي مكثت فيه ميتا قبل ان بعثتك من مماتك حيا وبيان ان الله تعالى لما احياه بعث
اليه ملكا فساله كم لبثت قال يعني ذلك المبعوث بعد مماته لبثت يوما وذلك
ان الله تعالى اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب
الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فراى بقية من الشمس
فقال او بعض يوم قال يعني قال الله تعالى له وقيل قال له الملك بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك يعني التين الذي كان معه قبل موته وشرابك يعني ذلك العصير
لم يتسنه يعني لم تغيره السنون التي اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته
لم يتغير ولم ينتن وانظر الى حمارك اي وانظر الى احيا حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض
فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر
ولنجعلك اية للناس قيل الواو زايدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط
لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحيا لنجعلك اية للناس يعني
عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته وهو
شاب اسود الراس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجايز شمط فكان
ذلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما قرى بالرا ومعناه
كيف نحييها يقال انشر الله الميت نشرا يعني احياه وقرى بالزاي ومعناه كيف
نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز
الشي رفعه وازعاجه يقال نشزته فنشز اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية
فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار وقيل ان الله تعالى لما احيا عزيرا او ارميا
على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث
الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فتركب بعضها على بعض حتى
الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم
ثم كسى الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه
ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار

حيا باذن الله ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى
اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فراى حماره حيا قايما كهيئة يوم
ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى
العظام وذلك ان الله اول ما احيى منه عينيه فنظر فراى ساير جسده ميتا وفي الاية تقديم
وتاخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك اية
وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعد ما اماته مائة سنة ركب
حماره حتى اتى الى محلته فانكره الناس وانكرهو الناس وانكر منازله فانطلق على وهم
حتى اتى منزله فاذا بعجوز عميا مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة
لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال
لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رايت احدا يذكر عزيرا
منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم
نسمع له بذكر فقال اني عزير ان الله اماتني مائة سنة ثم احياني فقالت ان عزيرا
كان رجلا مجاب الدعوة فكان يدعو للمريض وصاحب البلا بالعافية فادع الله ان
يرد علي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيها فصحتا
واخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه
وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بني اسرايل وهم في انديتهم ومجالسهم
وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو ابنيه شيوخ فنادت هذا عزير
قد جاكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم فدعا لي عزير ربه فرد علي بصري واطلق رجلي
وزعم ان الله كان قد اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان
لابي شامة سودا مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فراها فعرف
انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد
بين الخلايق بكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ما فسقاه من ذلك الما فمكثت
التوراة في صدره فرجع الى بني اسرايل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير
فلم يصدقوه فقال اني عزير قد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا
فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت
الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستاتي القصة في سورة التوبة ان شا الله تعالى
وقوله تعالى فلما تبين له يعني فلما اتضح له عيانا ما كان يستنكره من احيا القرية ورآه عيانا قال
في نفسه قال اعلم قري مجزوما موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم وقري اعلم على قطع
الهمزة ورفع الميم على الخبر عن الذي قال انى يحيي هذه الله والمعنى فلما تبين له وراى ذلك

عيانا

عيانا قال ان الله على كل شي قدير يعني الاماتة والاحيا قوله عز وجل واذ قال ابراهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى اختلفوا في سبب هذا السوال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه
مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتة وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر
وقيل بحر طبرية فراها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جات الحيتان فاكلت منها
واذا جزر البحر جات السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جات الطير فاكلت منها فلما راى
ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير
واجواف دواب البحر فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى فقال
اولم تومن يعني اولم تصدق قال بلى يا رب قد علمت وامنت ولكن ليطمين قلبي اي ليسكن قلبي
عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس
كالمعاينة وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف
يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم
عليه السلام شاكا في احيا الله الموتى ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المومنين
يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون روية الله تعالى في الجنة ويطلبونه
ويتمنونه في دعايهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصير
الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السوال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الاخر فقال
ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم
ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى
ولكن ليطمين قلبي بقوة حجتي فاذا قيل لي انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ
الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم
ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس كان اذا خرج اغلق بابه فلما جا وجد
في الدار رجلا فثار اليه لياخذه وقال من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال
ابراهيم صدقت وعرف انه ملك الموت فقال له من انت قال انا ملك الموت جيت ابشرك ان الله
قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاك ويحيي الموتى
بسوالك ثم قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي
انك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك ق عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نحن اولى بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن
قال بلى ولكن ليطمين قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث
يوسف لاجبت الداعي الكلام على معنى الحديث ومما يتعلق به اختلف العلما في قوله صلى الله عليه وسلم

نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فاحسنها واصحها ما نقل المزني وغيره من العلما
ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك في احيا الموتى لو كان متطرقا الى الانبيا لكنت انا احق
به من ابراهيم وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون
الاية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي ليس في
قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك
عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله تعالى على احيا الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك
على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف
لاجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسيلة من ابراهيم لم تعرض على جهة الشك لكن من قبل
زيادة العلم بالعيان تفيد من المعرفة والطمانينة ما لا يفيده بالاستدلال وقيل لما نزلت والعيان
هذه الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا انا اولى به
فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه
صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم واما
تفسير الاية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم اي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف
على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الم
تر اذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم اولم تومن الالف في اولم
الف اثبات وايجاب كقول جرير . الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك والمعنى اولست
قد امنت وصدقت باني قد احيي الموتى قال بلى قد امنت وصدقت ولكن ليطمين قلبي يعني سالتك
ذلك ارادة طمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لارى
من اياتك واعلم انك قد اجبتني **قال فخذ اربعة من الطير** قيل اخذ طاوسا وديكا وحمامة
وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت
لان الطير صفته الطيران في السما والارتفاع في الهوى وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك
وهو العلو في الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة
الاجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة ففي الطاوس اشارة الى ما في الانسان من حب
الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف
بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان
من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة
علا على الدرجات وفاز بنيل السعادات **فصرهن** قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن
ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن **اليك** ووجههن وقيل معناه اجمعهن

واضممهن

واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم
قطعهن فحذفه اكتفا بقوله **ثم اجعل على كل جبل منهن جزا** لانه يدل عليه قال المفسرون
امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط
ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزا واختلفوا
في عدد الاجزا والجبال فقال ابن عباس امر ان يجعل كل طاير اربعة اجزا وان يجعلها على
اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طاير قيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب
وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزاه سبعة اجزا ووضعها على
سبعة اجبل وامسك رووسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل قطرة
من دم طاير تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت
كل جثة بعضها بعضا في السما بغير روس ثم اقبلن سعيا الى روسهن كلما جا طاير مال براسه
فان كان راسه دنا منه وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل طاير براسه فذلك قوله تعالى **ثم ادعهن
ياتينك سعيا** قيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه
دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة لانه لو طارت لتوهم متوهم انها غير الطير وان
ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي
الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطاير اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة
واعلم ان الله عزيز يعني انه تعالى غالب على جميع الاشيا لا يعجزه شي **حكيم** يعني في جميع اموره
قوله تعالى **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق
في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل
صدقات الذين ينفقون اموالهم **كمثل حبة** اي كمثل زارع حبة **انبتت** يعني اخرجت تلك الحبة
سبع سنابل جمع سنبلة **في كل سنبلة ماية حبة** فان قلت فهل رايت سنبلة فيها ماية حبة
حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جايز
وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة ماية حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن
وقيل ان المقصود من الاية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة
اخرجت له سبع ماية حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب
الاجر عند الله في الاخرة انه لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة وماية
وسبعماية **والله يضاعف لمن يشا** يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشا وقيل معناه
يضاعف على هذا او يزيد لمن يشا من سبع الى سبعين الى سبعماية الى ما يشا الله من الاضعاف
مما لا يعلمه الا الله **والله واسع** اي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة
وهو الجود والافضال **عليم** يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق

المنفق من الجزاء والثواب عليه قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجاء باربعة الاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية الاف فامسكت اربعة الاف واربعة الاف اخرجتها الى ربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى اي يتبع نفقته التي انفقها عليهم بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطايه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسال وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحني الله منك وامثال ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة وقد يكون ذلك القول ايضا منه ومنه قول الشاعر

تمن علينا بالسلام فانما ۔ كلامك ياقوت ودر منظم ۔

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهاره والمن به قال قايلهم في المدح بترك المن

زاد معروفك عندي عظما ۔ انه عندك مستور حقير ۔
تتناساه كان لم تاته ۔ وهو في العالم مشهور كثير ۔

وقال قايلهم يذم المنان بالعطاء

انلت قليلا ثم اسرعت منة ۔ فنيلك ممنون كذاك قليل ۔

واما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فتقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكى منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضاله على عباده واحسانه اليهم في جميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى لهم اجرهم يعني ثوابهم عند ربهم يعني في الاخرة ولا خوف عليهم يعني يوم القيامة ولا هم يحزنون يعني على ما خلفوا من الدنيا قول معروف اي كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة يعده بها وقيل دعاء صالح يدعو له بظهر الغيب ومغفرة اي تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده خير من صدقة يعني هذا القول المعروف والمغفرة

خير

خير من الصدقة التي تدفعها الى الفقير يتبعها اذى وهو ان تعطي الفقير الصدقة وتمن عليه بها وتعيره بقول او تؤذيه بفعل والله غني اي مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الذي لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى حليم يعني انه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم يعني اجور صدقاتكم بالمن والاذى يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال تعالى كالذي اي كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس اي مراءاة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم ولا يؤمن بالله واليوم الاخر يعني ان الريا يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الريا من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به فمثله اي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر اعماله كمثل صفوان هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي عليه تراب اي على ذلك الصفوان تراب فاصابه وابل يعني المطر الشديد العظيم القطر فتركه صلدا يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لا شيء عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقته ويؤذي الناس يرى الناس ان لهؤلاء اعمالا في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا جاء المطر اذهبه وازاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا والله لا يهدي القوم الكافرين يعني الذين سبق في علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم يجازي العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء م عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي طلب رضى الله وتثبيتا من انفسهم يعني على الانفاق في طاعة الله وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وقيل يقينا والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم في ساير وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على اليقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله خالصة امضاها وان خالطه شك او ريا امسك كمثل جنة اي بستان قال الفرا

اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة هي المكان المرتفع عن الارض السوي ولان ما ارتفع من الارض عن مسيل الما والاودية كان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الما ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها اصابها وابل وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم ما روضة من رياض الحزن معشبة خضرا جاد عليها وابل هطل اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض فآتت اكلها ضعفين اي فاعطت ثمرها مثلين قيل انها حملت في سنة من الريع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل اضعفت فحملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل فطل اي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المومن المخلص في انفاقه وساير اعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف سوا كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المومن المخلص في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يوذي سوا قلت نفقته او كثرت والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يوذي والذي يمن بصدقته ويوذي قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود يعني ايحب احدكم ان تكون له جنة اي بستان من نخيل واعناب انما خصها بالذكر لانها اشرف الفواكه واحسنها ولما فيها من الغذا والتفكه تجري من تحتها الانهار يعني ان جري الانهار فيها من تمام حسنها وسبب الزيادة ثمرتها له فيها من كل الثمرات لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه واصابه الكبر يعني صاحب هذه الجنة وكثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينيذ يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على يود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون له جنة حال انما اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفا يعني له اولاد صغار عاجزة عن الحركة بسبب الضعف والصغر فاصابها يعني اصاب تلك الجنة اعصار فيه نار فاحترقت الاعصار ريح ترتفع الى السما وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمراي يقول مثل المنافق والمراي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به الى اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة لهم بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيامة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية

الحاجة

الحاجة اليها لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الاية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم ولا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شي يا امير المومنين فقال عمر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله تعالى ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق اعماله كلها كذلك يبين الله لكم الايات يعني كما بين لكم الله تعالى امر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين لكم من الايات سوى ذلك لعلكم تتفكرون اي فتتعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني زوال الدنيا واقبال الاخرة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم اي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شات نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذي ياخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان في الما يمينا وشمالا خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما اخذ منه امن حلال ام من حرام خ عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي والنساي واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة وقيل ان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الاية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة فيتفرع عليه مسايل المسئلة الاولى ظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلما الى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم التجارة في العروض الا ان ينوي به التجارة في حال تمليكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذي نعده للبيع اخرجه ابو داود وعن ابي عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادمة احملها فقال عمر الا تودي زكاتك يا حماس فقلت ما لي غير هذا واهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعتها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا او مايتا درهم اخرج منه ربع العشر المسئلة الثانية في قوله ومما اخرجنا لكم من الارض فظاهر الاية يدل على وجوب

الزكاة في كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرع الادميون لكن جمهور العلما خصصوا
هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب
ابو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ
والقثا والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
يساله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شي اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث
ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شي وانما يروى هذا عن موسى
ابن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند اهل العلم ان ليس في الخضراوات
صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد السلام
ابن عبد الله بن تيمية الحراني في احكامه عن عطا بن السايب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان
ياخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك
لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثرم في سننه
وهو اقوى المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة
في الزيتون وتجب الزكاة في الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر او يصفر ووقت
الاخراج يوم الاجتنا والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدياس
والتصفية المسلة الثالثة يجب اخراج العشر فيما سقي بالمطر والانهار والعيون ونصف
العشر فيما سقي بنضح او سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
فيما سقت السما والعيون او كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر اخرجه البخاري
ولابي داود والنساي قال فيما سقت السما والانهار والعيون او كان بعلا العشر وما سقي
بالسواقي والنضح نصف العشر قال ابو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعب في سقيه وقال
وكيع هو الذي ينبت من ما السما والمطر قوله او كان عثريا اراد به العذي من الزرع وهو البعل
وقد فسره في لفظ الحديث والنضح وهو الاستقا وكذلك السانية وهي الدابة التي يستقى
عليها سوا كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق
والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر في كل قليل او كثير من الثمار والزروع
واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون خمسة اواق صدقة وليس فيما
دون خمس ذود صدقة وفي رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر ولا حب صدقة اخرجاه
في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم
من الارض صدقة التطوع احتج بما روي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة

اخرجاه

اخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا
لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به
صدقة اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوا الخبيث
يعني الردي من اموالكم منه تنفقون اي من الخبيث عن البرا بن عازب في قوله ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل ياتي من نخله على قدر كثرته
وقلته وكان الرجل ياتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام
فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر والتمر فياكل وكان ناس ممن
لا يرغب في الخير ياتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تبارك
وتعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه قالوا لو ان احدكم اهدي اليه مثل ما اعطى
لم ياخذه الا على اغماض وحيا قال فكنا بعد ذلك ياتي احدنا بصالح ما عنده اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون
الجيد لانفسهم فانزل الله ولا تيمموا الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني تتصدقون ولستم
باخذيه يعني ذلك الردي الا ان تغمضوا فيه الاغماض في اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد
به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا راى ما يكره غمض عينيه لئلا يرى ذلك وقال
ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حقا فجاه بهذا لم ياخذه الا وهو يرى قد اغمض عن حقه
وتركه وقال البرا والهدي ذلك ما اخذتموه الا على استحيا من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي
ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطا الردي لان اهل السهمان شركاه فيما
عنده وان كان كله رديا فلا باس باعطا الردي واعلموا ان الله غني يعني عن صدقاتكم لم يامركم
بالتصدق لعوز واحتياج اليها حميد اي محمود في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي اجزيكم
على ما تفعلونه من الخير قوله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم بالفقر يقال وعدته
خيرا واوعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر اوعدته والفقر
سو الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم
بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت ويامركم بالفحشا
يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشا في القران
فهو الزنا الا هذا الموضع وفي الاية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر
ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يامره بالفحشا وهو البخل وذلك لان البخل صفة مذمومة
عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر

فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه يعني مغفرة
لذنوبكم وسترا لكم وفضلا يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة
الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق
واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن
وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب قوله ان للشيطان لمة بابن ادم اللمة الخطرة
الواحدة من الالمام وهو القرب من الشي والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل
خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسته واما لمة الملك فالهام من الله تعالى والله واسع
اي غني قادر على اغنايكم واخلاف ما تنفقونه عليم بما تنفقونه لا يخفى عليه خافية ق عن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان يقولان يقول
احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها
نفقة سحا الليل والنهار وقال ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في
يده وفي رواية فانه لم ينقص ما في يمينه وكان عرشه على الما وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية
وبيده الاخرى الفيض او القبض يرفع ويخفض ق عن اسما بنت ابي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي الله عليك قوله ولا توعي اي لا تشحي
فيشح عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي
بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي قوله تعالى يوتي الحكمة من يشا قال ابن عباس يعني علم القران ناسخه ومنسوخه
ومحكمه ومتشابهه ومقدمه وموخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القران والفهم
فيه وانما قال ذلك لتضمن القران الحكمة وقال في القران مايه وتسع ايات ناسخة ومنسوخة
والف اية حلال وحرام لا يسع المومنين تركهن حتى يعلموهن ولا تكونوا كاهل النهروان يعني
الخوارج تاولوا ايات من القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا
بها الدما وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القران فانه
من علم فيم نزل لم يختلف في شي منه وقيل يعني القران والعلم والفقه وقيل يعني الاصابة في القول
والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشيا بذواتها واصل
الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر ابني حنيفة احكموا سفهاكم
اي امنعوا سفهاكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل
الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام او ما لا يجوز له فعله ومن يوت

الحكمة يعني ومن يوته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا التنكير لتعظيم معناه فقد اوتي اي خير كثير
وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بما وعظه الله الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله
امره ونهيه قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة يعني فيما فرضه الله عليكم من اعطا زكاة وغيرها
او نذرتم من نذر يعني به ما اوجبتموه على انفسكم في طاعة الله تعالى فوفيتم به والنذر ان يوجب
الانسان على نفسه شيا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما
يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر
فالمفسر ان يقول لله علي صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفا به ولا يجزيه غيره وغير
المفسر هو ان يقول نذرت لله لا افعل كذا ثم يفعله او يقول لله علي نذر من غير تسمية شي فيلزمه
فيه كفارة يمين عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله
فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه
فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فليف به اخرجه ابو داود عن عمران بن حصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن ادم اخرجه النسايي
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به
من البخيل م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن ادم شيا لم يكن
الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل شيا ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج قال
بعض العلما يحتمل ان يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما ما لا ياتي به الا تكلفا
بغير نشاط ويكون سببه كونه ياتي به على سبيل المعاوضة عن الامر الذي طلبه فينقص اجره وشان
العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة
ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق
الحديث يوكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا ياتي بخير فمعناه انه لا يرد شيا من
القدر وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لا ياتي بهذه
القربة تطوعا محضا مبتدا وانما ياتي به في مقابلة شي يريده كقوله ان شفى مريضي فعلي كذا
او نحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم قوله تعالى فان الله يعلمه اي يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم
به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الاخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة
او اثما ثم يرم به بريا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين يعني الواضعين
الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الريا والسمعة وقيل هم الذين
يتصدقون بالمال الحرام من انصار اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل

ظالم قوله تعالى ان تبدوا الصدقات اي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع فنعما هي اي فنعمت الخصلة هي وقيل معناه فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئا ابداء الصدقات وان تخفوها اي تسروا الصدقة وتؤتوها الفقراء اي وتعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم يعني اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع افضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الريا واقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى الفقير الاخذ وهي انه اذا اعطي في السر زال عنه الذل والانكسار واذا اعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر افضل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه اخرجاه في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ذلك ممن قد امن على نفسه من مداخلة الريا في عمله او يكون ممن يقتدى به في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل ولان في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الاية واردة في زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة افضل حتى لا يسا الظن به وقيل ان الاية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفاء افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى ونكفر عنكم من سياتكم قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سياتكم قال ابن عباس جميع سياتكم وقيل دخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغاير من سياتكم واصل التكفير في اللغة التغطية والستر والله بما تعملون خبير يعني من اظهار الصدقة واخفائها قوله تعالى ليس عليك هداهم قيل سبب نزول هذه الاية ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله

باذنه

باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك ولكن الله يهدي من يشاء يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية فاعطوهم وتصدقوا عليهم وما تنفقوا من خير اي من مال فلانفسكم اي تحصلونه فتنفعون به انفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمومنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقتهم ما عندهم وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهام المذكورون في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه ساير العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الاية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدى لكم جزاؤه ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم قوله عز وجل للفقراء الذين احصروا اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقوا لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير وكانوا ياوون الى صفة في المسجد يتعلمون القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقوله في سبيل الله يعني هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله لا يستطيعون ضربا في الارض يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اي يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السوال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسالة تعرفهم بسيماهم السيما والسيميا والسيما العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها

هنا فقيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل
هي صفرة الوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر لا يسالون الناس الحافا يعني
الحاحا قيل اذا كان عنده غدا لا يسال عشا واذا كان عنده عشا لا يسال غدا
وقيل لا يسالون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وهو ترك
المسلة فيعلم بذلك انهم لا يسالون البتة ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسلة
من شانهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الاية ليس يصدر منهم سوال
حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسالون الناس الحافا ولا غير الحاف ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى
النفس ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة
واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق
عليه ولا يقوم فيسال الناس لفظ البخاري خ عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان ياخذ احدكم احبلة ثم ياتي بالجبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها
خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جا يوم القيامة ومسالته في وجهه خموش او خدوش
او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه
ابو داود والترمذي والنساي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يسال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال زاد هشام في حديثه
وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفي رواية عطا
ابن يسار من سال منكم وله اوقية او عدلها فقد سال الحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله اربعون درهما فهو ملحف
اخرجه النساي م عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سال الناس تكثرا فانما يسال جمرا فليستقلل او ليستكثر وقوله تعالى
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم يعني انه تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه
ففيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب
كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزلت للفقرا الذين احصروا في سبيل الله بعث
عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي بن ابي طالب في الليل
بوسق من تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية

فليستقلل

عني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الاية اشارة الى ان
صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار
وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الاية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله
لانهم يعلفونها بالليل والنهار والسر والعلانية خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده
فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الاية
عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات والفاقات
فلهم اجرهم عند ربهم اي جزا اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الاخرة
قوله عز وجل الذين ياكلون الربا اي يعاملون به وانما خص بالاكل لانه معظم الامر
المقصود من المال لان المال لا يوكل انما يصرف في الماكول ثم يوكل فمنع الله التصرف
في الربا بما ذكر فيه من الوعيد م عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربا
وموكله وكاتبه وشاهده وقال هم سوا واصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربى
الشي يربو اذا زاد وكثر فالربا زيادة في المال لا يقومون يعني من قبورهم يوم القيمة
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي يصرعه واصل الخبط الضرب والوطي وهو ضرب على
غير استوا يقال ناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوايمها وتطا الناس باخفافها ومنه
قولهم خبط خبط عشوي للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتدا او تمييز ويتخبطه الشيطان
اذا مسه بخبل وجنون من المس يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى
الاية ان اكل الربا يبعث يوم القيمة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة
لان الربا ربا في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة
اكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسرا قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل
رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة ال فرعون يعرضون على النار غدوا
وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون
فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم
فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم ال فرعون فيردونهم
مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والاخرة قال وال فرعون يقولون اللهم
لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيامة يقول ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل
من هولا قال هولا الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
قوله بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم الكبير الغليظ قوله منضدين اي موضوع بعضهم

على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط في الشهوة
في الطعام من الجوع قوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك الذي نزل بهم
من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله
على غريمه فيطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في المال
فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سوا علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند المحل لاجل
التاخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربا يعني واحل
الله الارباح في التجارة بالبيع والشرا وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تاخير الاجل
وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشا ويستعبدهم
بما يريد وليس لاحد ان يعترض عليه في شي مما احل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة
والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلما الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا
يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا
التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للاخر في المالية عنده فلم يكن اخذ من صاحبه شيئا
بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزايدة بغير عوض ولا يمكن
ان يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيا يشار اليه حتى
يجعله عوضا عن العشرة الزايدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين **فصل** في حكم
الربا وفيه مسايل المسلة الاولى ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضي
اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له
زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس عن
الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة
من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح
الوجه الثالث انه هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت
النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع
ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب
القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك المسلة الثانية اعلم ان الربا
في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة
هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه النبي صلى الله عليه وسلم ق عن عمر
ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاوها والبر بالبر
ربا الا هاوها والشعير بالشعير ربا الا هاوها والتمر بالتمر ربا الا هاوها وفي رواية الورق
بالورق ربا الا هاوها والذهب بالذهب ربا الا هاوها م عن ابي هريرة قال قال رسول الله

ان الربا ما

صلى

صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا
بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد اربا وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير
والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربا الا ما اختلفت الوانه م عن عبادة بن
الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر
والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سوا بسوا يدا بيد فاذا اختلفت
هذه الاصناف فبيعوا كيف شيتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جريان الربا في هذه الاشيا الستة وهي النقدين واربعة اصناف من المطعومات وهي البر
والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشيا الاوصاف
فيها فيتعدى الى كل ما توجد تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى
ان المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان
الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشيا المطعومة بوصف اخر واختلفوا في ذلك الوصف
فذهب الشافعي ومالك الى انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب
الراي الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن
ونحو ذلك واما الاربعة الاشيا المطعومة فذهب اصحاب الراي الى ان الربا ثبت فيها بعلة
الوزن والكيل فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان او غير مطعوم كالجص
والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون
يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي
في القديم وقال في الجديد يثبت الربا بوصف الطعم فاثبت الربا في جميع الاشيا المطعومة
من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله انه ارسل
غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض صاع
فلما جا معمرا اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده لا تاخذن الا مثلا بمثل فاني كنت
اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل
له فانه ليس بمثله فقال اني اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان
ثمنا او مطعوما المسلة الثانية الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل
فان باع مما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب والمطعوم
بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان
موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير
يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد وان باع ما يدخل
فيه الربا بغير جنسه نظر فان باع بما لا يوافقه في وصف مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا

فيه كما لو باعه بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او كان مطعومًا بمطعوم اخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله ها وها ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس هو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله اعلم المسئلة الرابعة في القرض ومن اقرض شيئا وشرط عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته قال عبد الله ابن عمر فذلك الربا اخرجه مالك في الموطا فان لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض افضل مما اخذ جاز ويدل عليه ما روي عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه اي تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقي لجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شيء واحد فانتهى اي عن اكل الربا فله ما سلف اي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له وامره الى الله يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شيء وقيل ان الاية في من يعتقد تحريم الربا ثم ياكله فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه ومن عاد الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله عز وجل يمحق الله الربا اي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة ويربي الصدقات اي يزيدها وينميها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها في الاخرة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كان تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا اثيم يعني متماد في الاثم

وفيما نهي عنه من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعًا الى مستحل الربا والاثيم راجعًا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الاية جامعة للفريقين قوله تعالى ان الذين امنوا يعني صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعني التي امرهم الله بها واقاموا الصلاة اي المفروضة باركانها وحدودها في اوقاتها واتوا الزكاة يعني المفروضة عليهم في اموالهم لهم اجرهم عند ربهم اي لهم ثواب اعمالهم في الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي يوم القيامة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل الله عز وجل هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤوس اموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا وانزل الله تعالى الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا في بني سعد فقتله هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يرابون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما اظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هولاء الاخوة بنوا عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنوا المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المومنين فاختصموا الى عتاب بن اسد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله يا ايها الذين امنوا اتقوا اي خافوا الله فيما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا اي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم من فضل رؤوس اموالكم ان كنتم مومنين يعني ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا فان لم تفعلوا اي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه فاذنوا قرئ بكسر الذال والمد على وزن امنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا بحرب من الله ورسوله قال ابن عباس لا يقال لاكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب

وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير
والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام
كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على
امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع اي تاب والا ضرب عنقه فان تبتم اي فان تركتم اكل
الربا ورجعتم عنه فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون يعني لا تظلمون انتم الغريم
بطلب زيادة على رؤوس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال
بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله تعالى فانه لا يدان لنا
يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤوس اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة
ومن كان عليهم دين وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عز وجل
وان كان ذو عسرة يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر
وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه فنظرة
اي فامهال وتأخير الى ميسرة أي الى وقت زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان
المال الذي يؤديه واختلفوا في حكم الآية وهل الانظار يختص بالربا ام هو عام
في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الآية
في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان
عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح
انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه والقول الثاني
وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان
الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين
وان تصدقوا خير لكم يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤوس
اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسر وذكر
رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما ان كنتم تعلمون يعني ان التصدق خير لكم وافضل لان
فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى فصل في ثواب انظار المعسر
والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه م عن ابي قتادة انه طلب غريما له فتوارى
عنه ثم وجده فقال اني معسر قال آلله قال آلله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه م عن ابي
اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله
في ظله يوم لا ظل الا ظله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان

قبلكم

قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا
فتجاوز الله عنه عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب
عند الله ان يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع
له قضاء اخرجه ابو داود خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد
اتلافها اتلفه الله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني
ظلم زاد في رواية واذا اتبع احدكم على مليء فليتبع ق عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن
ابي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت
اصواتهما حتى سمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى
كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار بيده ان ضع
الشطر من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه ق عن ابي هريرة قال
كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه
فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني وفاك الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا
ثم امر له بافضل من سنه م عن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل
فقال يا رسول الله ارأيت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارأيت ان قتلت في سبيل الله اتكفر
عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر
الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع راحته على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا
نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يا رسول الله ما هذا
التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي
ثم قتل ثم احيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه النسائي قوله
تعالى واتقوا اي وخافوا يوما ترجعون فيه الى الله قرئ بفتح التاء اي تصيرون فيه الى
الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير
او شر وهم لا يظلمون اي في ذلك اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم

قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مايتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يومًا وقيل تسع ليال وقيل سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين اوداين بعضكم بعضًا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الاخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكره لكان لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تاكيدًا الى اجل مسمى يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم ق عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمر العام والعامين فقال لهم من اسلف في تمر ففي كيل معلوم او وزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى فاكتبوه اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعًا كان ذلك او سلمًا او قرضًا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطا وابن جريج والنخعي واختيار محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاختيار فان ترك فلا باس وهو قول جمهور العلما وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضًا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضًا فليود الذي اؤتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم ابن عيينه ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال وليكتب بينكم كاتب اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخيره قيل ان فايدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفايدة في الكتابة امر الله تعالى بها ولا ياب اي ولا يمتنع كاتب ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل

الشهادة

الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو فرض كفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك ان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم وشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل ان كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد كما علمه الله اي كما شرعه الله وامر به فليكتب وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل واحد منهما امنًا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقًا عليه عند العلما وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلما وليملل الذي عليه الحق يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملا لغتان فصيحتان معناهما واحد وليتق الله ربه يعني المملي ولا يبخس اي ولا ينقص منه اي من الحق الذي وجب شيا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا اي جاهلا بالاملا وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه او لا يستطيع ان يمل هو يعني لخرس او عي او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل ما له وعليه فهولا كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى فليملل وليه يعني ولي كل واحد من هولا الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق من الاملا فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه بالعدل اي بالصدق واستشهدوا شهيدين من رجالكم يعني واشهدوا على حقوقكم شاهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرايط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلما ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الادا اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى ادا الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة فان لم يكونا رجلين اي فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان اي فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقها على ان شهادة النسا مع الرجال جايزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب الراي الى انه يجوز شهادة

النساء مع الرجال في ساير الحقوق الا العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال
لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة
والرضاع والبكارة والثيابة ونحوها يجوز فيه شهادة رجل وامراتين واربع نسوة واتفقوا
على ان شهادة النساء غير جايزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى ممن ترضون من
الشهدا يعني من ترضا عندكم في دينه وامانته والشرايط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة
عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة
الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه
وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب
على الله تعالى اولى بان ترد شهادته وجوز اصحاب الراي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض
ولا تقبل شهادة العبيد واجازها شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قول للمجنون معتبر حتى
تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسيل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى
قال ممن ترضون من الشهدا والعدالة شرط وهو ان لا يكون الشاهد مقيما على الكباير غير مصر على
الصغاير والمروة شرط وهي ما يتصل باداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحيا وهي حسن الهيئة
والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شي مما يستحيي امثاله من اظهاره
في الاغلب علم بذلك قلة مروته وترد شهادته وانتفا التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على
العدو وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة
الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن
عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خاين ولا خاينة ولا مجلود حدا ولا
ذي غمر على اخيه ولا مجرب بشهادة ولا القانع اهل البيت لهم ولا ظنين في ولا ولا قرابة
قال الفزاري القانع التابع اخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خاين اراد بالخيانة الخيانة في
الدين والمال والامانة فان من ضيع شيا من اوامر الله تعالى وارتكب شيا مما نهى الله عنه لا يكون
عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السايل المستطعم وقيل هو المنقطع الى القوم يخدمهم
فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم
والظنين بكسر الظا المتهم وقوله تعالى ان تضل احداهما اي تنسى احدى المراتين فتذكر احداهما
الاخرى لان الغالب على طباع النسا النسيان فاقيمت المراتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت
احداهما فتذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكى عن
سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اي تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير
كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى ولا ياب الشهدا
اذا ما دعوا يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهدا لانهم كانوا شهدا لانهم يكونوا شهدا

وهذا

وهذا امر ايجاب عند بعضهم وقال قوم تجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل
هو امر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة وادايها ومعنى
الاية ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا الادا الشهادة التي تحملوها وقيل الاية في الامرين جميعا
يعني في التحمل والادا والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب
عليه الادا ولا تساموا اي ولا تملوا ولا تضجروا ان تكتبوه الضمير راجع الى الحق والدين صغيرا
كان او كبيرا يعني قليلا كان الحق او الدين او كثيرا الى اجله يعني الى محل الحق والدين ذلكم يعني ذلك الكتاب
اقسط عند الله يعني اعدل عند الله لانه هو امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة
يعني ان الكتابة تذكر الشهود وادنى ان لا ترتابوا يعني واحرى واقرب الى ان لا تشكوا في الشهادة
الا ان تكون تجارة حاضرة اي الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم اي
فيما بينكم ليس فيها اجل فليس عليكم جناح اي لا ضرر عليكم ان لا تكتبوها يعني التجارة
الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النما والزيادة بالارباح وانما
رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس
فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من المتبايعين
حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد
واشهدوا اذا تبايعتم يعني فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل
هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيه وقيل هو امر ندب
واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليود الذي
ايتمن امانته وقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد هذا نهي عن المضارة واصله يضارر
بكسر الرا الاولى ومعناه لا يضارر الكاتب فيابى ان يكتب والشاهد فيابى ان يشهد ويضار
الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما املي عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا
الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الرا الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما
مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا اذا
دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما وان تفعلوا
يعني ما نهيتم عنه من الضرار فانه فسوق بكم اي معصية وخروج عن الامر واتقوا الله اي خافوا
الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ويعلمكم الله يعني ما يكون ارشادا لكم في امر
الدين والله بكل شي عليم يعني انه تعالى عالم بجميع مصالح عباده ولا يخفى عليه شي من ذلك
قوله عز وجل وان كنتم على سفر اي في سفر ولم تجدوا كاتبا يعني ولم تجدوا الات الكتابة فرهن
جمع رهن وقرى فرهان مقبوضة يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة ليكون وثيقة
لكم باموالكم واصل الرهن من الدوام يقال رهن الشي اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند

الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم
الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند
ابي الشحم اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت
ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب
والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد على حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم للتوثيق
بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلما على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا ومع
وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر
الاية واجاب الجمهور عن ظاهر الاية بان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل
الشرط واتفق العلما على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعني
ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم
الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا اسلم الرهن لزم من جهته
حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام شي من الحق باقيا وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا
يعني فان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيا لحسن ظنه به
فليود الذي ايتمن امانته يعني فليود المديون الذي عليه الحق الذي كان امينا في ظن الداين
الذي هو صاحب الحق امانته يعني حقه سمي الدين امانة وان كان مضمونا لايتمانه عليه
حيث امن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ منه رهنا حث المديون على
ان يكون عند ظن الداين الذي ايتمنه وان يودي اليه حقه الذي ايتمنه عليه ولم يرتهن
عليه شيا ثم زاد ذلك توكيدا بقوله وليتق الله ربه اي المديون في ادا الحق عند حلول
الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع
الى خطاب الشهود فقال تعالى ولا تكتموا الشهادة يعني اذا دعيتم الى اقامتها واداها
وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل به لذلك حق صاحب الحق
فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال ومن يكتمها يعني الشهادة فانه
اثم قلبه اي فاجر قلبه والاثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من
الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب
قيل ما اوعد الله على شي كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه اثم قلبه واراد به
مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك والله بما تعملون عليم يعني من بيان الشهادة وكتمانها
ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها قوله تعالى لله ما في السموات وما في
الارض ملكا وملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحا
سبكم به الله وهذا ايضا ولحديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن

من دفعها

من دفعها فالمواخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر
الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود
فهذا مما يواخذ الانسان به والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن
يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم هذه الاية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها
فقال بعضهم هي متصلة بالاية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الاية ان
تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا الكتمان يحاسبكم
به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان وارد اعقيب قضية فلا يلزم صرفه
اليها وقال بعضهم ان الاية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المومنين والمعنى وان تبدوا
اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله
وذهب اكثر العلما الى ان الاية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالاية التي
بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الاية اشتد ذلك
على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد
والصدقة وقد انزل الله عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقتراها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها
امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها
الله تعالى فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين
من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت
بدل نعم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز عن
امتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورها
وقال قوم ان الاية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار
وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال
قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه

من حركة جارحة او همة قلب لا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر لمن يشاء
ويعذب بما يشا وقال الاخرون في معنى الاية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من
اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه اخف مما يعملوا به وهو
ما يحدث لهم في الدنيا من النوايب والمصايب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول
عايشة عن امية انها سالت عايشة عن قول الله عز وجل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءا يجز به فقالت ما سالني عنها احد منذ سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمة والنكبة حتى
البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما
يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا
اراد بعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيمة وقال قوم في معنى الاية وان
تبدوا ما في انفسكم يعني مما عزمتم عليه او تخفوه اي ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم
به الله فاما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يواخذ
به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اواخذ بها
وقيل في معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما
بكل ما في الضماير والسراير مما ظهر او خفي ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه
مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمومنين اظهار الفضله
ويعذب الكافرين اظهار العدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله
ولم يقل يواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة ويدل عليه ايضا ما روى عن صفوان
ابن محرز المازني قال بينا ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يدني المومن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول
اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة
حسناته واما الاخرون والكفار والمنافقون فينادى بهم على روس الخلايق هولا الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى فيغفر لمن يشا ويعذب من
يشا قال ابن عباس يغفر لمن يشا الذنب العظيم ويعذب من يشا على الذنب الصغير لا يسال عما
يفعل وهم يسالون والله على كل شي قدير يعني انه تعالى قادر على كل شي كامل القدرة فيغفر
للمومنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا قوله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه عن ابن عباس
لما نزلت هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منه شي لم يدخل

من شي فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون الاية
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او
اخطانا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض
الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلا والحيض والجهاد وقاصيص الانبيا وما ذكر
من كلام الحكما ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بجميع ذلك
ومعنى امن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا
القران وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله عز وجل والمومنون يعني وصدق المومنون
بذلك ايضا كل اي كل واحد من المومنين امن بالله وملايكته وكتبه ورسله
فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضرورياته فاما الايمان بالله فهو ان تومن بالله واحد
احد لا شريك له ولا نظير له وتومن بجميع اسمايه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم
قادر على كل شي واما الايمان بالملايكة فهو ان تومن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون
وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسايط بين الله وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان
تومن بان الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله الى رسله فانها حق وصدق من عند الله تعالى
بغير شك ولا ارتياب وان القران لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه
وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان تومن بانهم رسل الله الى عباده
وامناوه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر
بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود
من هذا الكلام شي اخر وهو اثبات نبوة الانبيا والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون
بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض
الانبيا على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله لا نفرق بين احد من
رسله فنومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نومن بجميع رسله وفي الاية
اضمار تقديره وقالوا يعني المومنين لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا يعني
سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال المومنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعناه فيما الزمنا
من فرايضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما امرنا به ونهانا عنه غفرانك ربنا اي نسالك
غفرانك ربنا او يكون المعنى اغفر لنا ربنا غفرانك واليك المصير يعني قالوا واليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا
فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال تلقين الله تعالى

غفرانك ربنا واليك المصير قوله تعالى لا يكلف الله نفسًا الا وسعها قيل يحتمل ان يكون
ابتدا اخبر من الله ويحتمل ان يكون حكاية عن المومنين وفيه اضمار كانه قال تعالى عنهم وقالوا
لا يكلف الله نفسًا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق قال
ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه ضج المومنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل
واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الاية والمعنى انكم لا تستطيعون
ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس لان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه
هم المومنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وسيل سفيان بن عيينه
عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسًا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها طاقتها وهذا قول حسن
لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسًا الا وسعها فلا يتعبدها
بما لا تطيق لها ما كسبت يعني للنفس ما عملت من الخير فلها اجره وثوابه وعليها ما اكتسبت
يعني من الشر وعليها وزره وعقابه وقيل في معنى الاية ان الله تعالى لا يواخذ احدا بذنب غيره
قوله عز وجل ربنا لا تواخذنا وهذا تعليم من الله عباده المومنين كيف يدعونه ومعناه
قولوا ربنا لا تواخذنا اي لا تعاقبنا وانما جا بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسي قد
امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه اعان عليه من يعاقبه بذنبه وياخذ به
ان نسينا او اخطانا فيه وجهان احدهما انه من النسيان الذي هو السهو وقيل ضد التذكر
قيل كان بنو اسرايل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم
شيئا مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المومنين ان يسالوه
ترك مواخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان في محل العفو قطعًا فما
معنى طلب العفو عنه بالدعا قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين
اما الاول فهو ما كان من الانسان على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كمن
راى على ثوبه دمًا فاخر ازالته عنه ثم نسي فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان
يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله على وجه السهو
او ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كاكل ادم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه
النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
فمثل هذا يجب ان يسال الله ان يعفو عنه واما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها
او ترك دراسة القران بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط

فثبت

فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان الوجه
الثاني من الجواب ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم
ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم الوجه
الثالث ان المقصود من هذا الدعا هو التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطا في قوله
او اخطانا فعلى وجهين ايضا احدهما ان ياتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك
خطا منه وهو به ماخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه
الوجه الثاني ان يكون الخطا على سبيل الجهل والظن بان له فعله كان ظن ان وقت الصلاة
لم يدخل وهو في يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطا الموضوع عن العبد
لكن طلب العفو والغفران بسبب تقصيره وقوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا يعني عهدا ثقيلا وميثاقا
غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود
فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك
ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن اصاب منهم ثوبه نجاسة
قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذه من الاثقال والاصار التي
كتبت عليهم فسال المومنون ربهم ان يصونهم من امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة
وقد اجاب الله تعالى دعاهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى ما جعل عليكم
في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسال المومنون ربهم ان يعصمهم من مثله ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به يعني لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف
ما لا يطاق على وجهين احدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن
بالعدو فهذا النوع من التكليف لا يكلف الله به عبده بحال الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق
هو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة
والفرايض الثقيلة كان في ابتدا الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سال المومنون
ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الاية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جايز
اذ لو لم يكن جايزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعا من الله تعالى وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل
هو شماتة الاعدا وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله
من ذلك كله قوله واعف عنا اي تجاوز عنا ذنوبنا وامحها عنا واغفر لنا اي استر علينا ذنوبنا
ولا تفضحنا وارحمنا اي تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا
من رحمته وقيل انا لا ننال العمل بطاعتك الا بعطايك ولا نترك معصيتك الا برحمتك
واصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا

الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كان العبد يقول اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب انت مولانا اي ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولي امرنا فانصرنا على القوم الكافرين يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا اواخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال ولا احمل عليكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا اختم سورة البقرة قال امين م عن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك من امته شيا المقحمات قوله المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار واصل الاقتحام الولوج ق عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايتان من اخر سورة البقرة من قراهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام الليل م عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل صلى الله عليه وسلم اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السما فقال هذا باب من السما فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا بحرف منها الا اعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل منه ايتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقران في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب اخر تفسير سورة البقرة والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة ال عمران مدنية وهي مايتا اية وثلاثة الاف واربعمايه وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسماية وخمسة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال المفسرون نزلت هذه الايات في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يوول امرهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بامر

طعامهم

طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم من علمه واجتهاده في دينهم فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب يقول من راهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شي يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شا وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فهل يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم ابوا الا الجحود فانزل الله ردا عليهما الم الله لا اله الا هو يعني ان كان منازعتكم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى انه لا احد لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي القيوم اما الحي في صفة الله تعالى فهو الدايم الباقي الذي لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القايم بذاته والقايم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم نزل عليك الكتاب يعني القران بالحق اي بالصدق والعدل مصدقا لما بين يديه يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرايع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شي تقدم على الشي هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره وانزل التوراة والانجيل من قبل اي من قبل القران فان قلت لم قال نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القران نزل منجما مفصلا في اوقات كثيرة ونزل هو للتكثير

وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة هدى للناس يعني انزل التوراة والانجيل قبل الفرقان كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القران في اول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف القران بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القران المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرايع والاحكام وانزل الفرقان يعني الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القران وانما اعاد ذكره تعظيما لشانه ومدحا لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في امر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدي في الاية تقديم وتاخير تقديره وانزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس ان الذين كفروا بايات الله يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشي من ايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز اي غالب لا يغلب ذو انتقام يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما لا يخفى عليه شي من امر العالم وهو المطلع على احوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات هو الذي يصوركم في الارحام التصوير جعل الشي على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشي بالتاليف والارحام جمع رحم كيف يشا يعني الصورة المختلفة المساوية في الخلقة ذكرا او انثى ابيض او اسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة ق عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر

ام انثى

ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقيل ان الاية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول اكلت في دارك كذا اصنعت كذا وانه احيى الموتى وابرا الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم ذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما وانه المصور في الارحام كيف يشا وان عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل لا اله الا هو العزيز الحكيم وهذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا لله وقد صوره الله في الرحم قوله عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب يعني القران منه ايات محكمات يعني مبينات مفصلات احكمت عبارتها من احتمال التاويل والاشتباه سميت محكمات من الاحكام فانه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها هن ام الكتاب يعني هن اصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الايات في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله كله شي واحد وقيل ان كل اية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه اية يعني ان كل واحد منهما اية واخر جمع اخرى متشابهات يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع اخر محكما فقال الر كتاب احكمت اياته وجعله في موضع اخر كله متشابها فقال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الايات قلت حيث جعله كله محكما اراد ان كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارة العلما فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث ايات التي في اخر سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرايل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الايات وعنه ان المحكمات هي الناسخ والمتشابهات هي الايات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عليه عباده على معناه والمتشابه ما استاثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفنا الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استاثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل اوجها روي ذلك عن الشافعي وقيل المحكم ساير القران والمتشابه هي الحروف المقطعة في اوايل السور قال

ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراوهما اتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فانشدك الله انزلت عليك
قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل انزل
عليك غيرها قال نعم المص قال هذه اكثر هي احدى وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها
قال نعم الر قال فهذه اكثر هي مايتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم
المر قال هذه اكثر هي مايتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلط علينا فلا ندري ابكثيره
ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا يومن بهذا فانزل الله هذه الاية قوله فاما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت
الفاظه وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص
والامثال الغاز فان قلت انما نزل القران لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فايده
المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة احدها ان القران
نزل بالفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز
الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد وللتوكيد الضرب
الثاني المجاز والكنايات والاشارة والتلويحات واغماض بعض المعاني وهذا الضرب
هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القران على هذين الضربين
ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكانه قال عارضوه باي الضربين شيتم ولو نزل كله محكما
واضحا لقالوا هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه
لفايدة عظيمة وهو ان يشتغل اهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك
فكرهم ويتحصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم
ولو انزل القران كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره
ولملت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج
المعاني وقد قيل في عيب الغنا انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث على
الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم معاني
غامضة ومسايل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب
لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند
العلما جاز ان يكون مما انزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى
انزل المتشابه في كتابه مختبرا به عباده ليقف المومن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك
ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيتحقق بذلك العقوبة كما ابتلي بنو اسرايل بالنهر
والله اعلم **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني

بهم

بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا
فانزل هذه الاية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقا هذه الامة واستخراجه
بحساب الجمل من الحروف المتقطعة في اوايل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج
وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون
ما بال هذه الاية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو
المعني بهذه الاية **ق** عن عايشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات محكمات الى قوله وما يذكر الا اولوا الالباب فقال فاذا رايتم
الذين يتبعون ما تشابه منه فاوليك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى **ابتغا الفتنة**
اي طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد
ذات البين **وابتغا تاويله** اي تفسيره واصل التاويل في اللغة المرجع والمصير تقول آل
الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تاويلا لان الامر يصير اليها قال ابن عباس في قوله
وابتغا تاويله اي طلب بقا ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى
يبعثون وكيف احياوهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه **وما يعلم تاويله
الا الله** يعني تاويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضا ملك هذه الامة الا الله لان انقضا
ملكها مع قيام الساعة وذلك لا يعلمه الا الله وقيل يجوز ان يكون للقران تاويل استاثر
الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها
وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وعلم الحروف المتقطعة واشباه ذلك مما استاثر الله
بعلمه فالايمان به واجب وحقايق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين
وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه وابي بن كعب وعايشة واكثر الناس
فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدا فقال تعالى **والراسخون
في العلم** اي الثابتون في العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك **يقولون
امنا به** قال ابن عباس سماهم الله راسخين في العلم بقولهم امنا به فرسوخهم في العلم هو الايمان
وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الاية انتهى علم الراسخين في العلم بتاويل القران الى ان قالوا
امنا به **كل من عند ربنا** يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم نعلم
فنحن معتقدون في المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الايمان به
والعمل بمقتضاه وروي عن ابن عباس انه قال تفسير القران على اربعة اوجه فمنه تفسير لا يسع
احدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلما وتفسير لا يعلمه الا الله

وقيل ان الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني ان تاويل المتشابه يعلمه الله
ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون امنا به روي عن ابن عباس انه كان يقول انا من
الراسخين في العلم وعن مجاهد عندنا انا ممن يعلم تاويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه
لينتفع به عباده ولا يجوز ان يكون في القران شي لا يعرفه احد من الامة وفي المراد بالراسخين
هنا قولان احدهما انهم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه بدليله قوله تعالى
لكن الراسخون في العلم منهم والقول الثاني ان الراسخين هم العلما العاملون بعلمهم سيل انس
ابن مالك عن الراسخين في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد
في علمه اربعة اشيا التقوى فيما بينه وبين الله والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد
فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما
يتعظ بما في القران الا ذووا العقول وهذا ثنا من الله عز وجل على الذين قالوا امنا به كل من
عند ربنا قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا اي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا
اي لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ بعد اذ هديتنا اي وفقتنا
لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك وهب لنا من لدنك رحمة اي اعطنا توفيقا
وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة انك انت الوهاب
الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب في صفة الله تعالى انه يعطي كل احد
على قدر استحقاقه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف حيث يشا ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث
الصفات وللعلما فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جا من غير تعرض لتاويل ولا تكييف
ولا لمعرفة معناه بل نومن به وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وهذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم
والقول الثاني انه يتاول بحسب ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله
شي فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد انه تحت قدرته
وفي تصرفه لا انه حال في كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب
عباده وغيرها كيف شا لا يمتنع عليه منها شي ولا يفوته ما اراد منها كما لا يمتنع
على الانسان ما بين اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه
ويعلمونه من انفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود
من التمثيل بحسب ما اعتاده وان كان غير مقصود به التثنية او الجمع وهذا مذهب
جمهور المتكلمين وغيرهم من المتاخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهي ان الله تعالى جعل

القلوب

القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل ساير
الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات والله اعلم قوله عز وجل ربنا انك جامع
الناس ليوم لا ريب فيه اي ليوم القضا وقيل اللام بمعنى في اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك
فيه انه كاين وهو يوم القيامة ان الله لا يخلف الميعاد هذا من بقية دعا الراسخين في
العلم وذلك انهم لما طلبوا من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية
والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزا في يوم القيامة ونعلم ان وعدك
حق وانك لا تخلف الميعاد فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة
فهو ناج من العذاب سعيد قوله تعالى ان الذين كفروا يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس هم قريظة والنضير لن تغني اي لن تنفع ولن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من
الله شيا اي من عذاب الله شيا وقيل من بمعنى عند اي عند الله شيا واوليك هم وقود النار
كداب ال فرعون قال ابن عباس كعادة ال فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة ال فرعون وقيل
كعادة ال فرعون والمعنى ان عادة هولاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود
الحق كعادة ال فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون والذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية
مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا باياتنا يعني لما جاتهم بها الرسل فاخذهم الله بذنوبهم اي فعاقبهم
الله بسبب تكذيبهم والله شديد العقاب وقيل في معنى الاية ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل ال فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم
تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قري بالتا
والتا فيهما فمن قرا بالتا المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرا بالتا
المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون الى جهنم قيل اراد بالذين كفروا مشركي قريش
والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الاخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الاية
قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان ابا سفيان
جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله هذه الاية وقيل ان هذه الاية نزلت في اليهود
وقال ابن عباس ان يهود اهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين
يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وارادوا اتباعه ثم قال بعضهم
لبعض لا تعجلوا حتى ننظر وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب النكبة بالفتح المصيبة
ق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقا فلم يسلموا وكان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف
في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل

الله بهذه الاية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود
احذروا مثل ما انزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل
تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت
منهم فرصة وانا والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني
اليهود ستغلبون اي ستهزمون وتحشرون يعني في الاخرة الى جهنم وبيس المهاد اي الفراش
والمعنى بيس ما مهد لهم في النار وقوله تعالى قد كان لكم اية في فيتين التقتا قيل الخطاب للمومنين
يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار فيكون عطفا على الذي قبله
ويخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال
قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لان الاية مونثة قلت كلما ليس بمونث حقيقي يجوز
تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيانا فذهب الى المعنى وترك اللفظ
وقال الفرا انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المونث فذكر الفعل وكلما جا من
هذا فهذا وجهه ومعنى الاية قد كان لكم اية اي عبرة ودلالة على صدق ما اقول
انكم ستغلبون في فيتين اي فرقتين واصلها في الحرب لان بعضهم يفي الى بعض اي يرجع
التقتا يوم بدر فية تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين
ومايتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب
وكان صاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم
من السلاح ستة اذرع وثمانية سيوف وقوله تعالى واخرى كافرة اي وفرقة اخرى كافرة
وهم مشركوا مكة وكانوا تسعماية وخمسين رجلا من المقاتلة وكان راسهم عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس وكان فيهم ماية فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى يرونهم مثليهم قرئ بالتاء يعني ترون يا اهل مكة ضعفي
المسلمين يا معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا
على من تكون الدبرة ولمن النصر فراوا المشركين مثلي عدد المسلمين وراوا النصر للمسلمين فكان ذلك
معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الروية للمسلمين
ثم له تاويلان احدهما يرون المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما
كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلي هذا
الدرهم يعني الى مثليه سواه فتكون ثلاثة دراهم ووجه اخر وهو ان الله تعالى اظهر
للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المومنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم

وهذا التاويل الثاني هو الاصح قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى راوهم مثليهم فان
قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين او المسلمين استكثروا
المشركين وان الفيتين تساويا في استقلال احدهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كان في
حالتين مختلفتين فان قلنا ان الفية الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين عند بداية
القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا
على قتالهم بهذا السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا
اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية اخرى عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى
لو قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم ماية قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم
قال الفا وان قلنا ان الفية الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الروية راجعة الى المشركين
يعني يرى المشركون المسلمين مثليهم قلل الله المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب
خذلانهم وقد روي ان المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلاثمائة
وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال
في التكثير والتقليل وما ذلك الا اظهار للقدرة التامة وقوله تعالى راي العين اي في راي العين
والله يويد اي يقوي بنصره من يشاء ان في ذلك يعني الذي ذكر من النصر وقيل روية الجيش مثليهم
لعبرة اي لاية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المودية الى العلم واصلها من العبور كانه
طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم
لاولي الابصار لذوي العقول السليمة قوله عز وجل زين للناس قال اهل السنة المزين هو الله تعالى
لانه تعالى الخالق لجميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده
واباحتها للعبيد تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقناكم حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله
تعالى ومما يوكد ذلك قراة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو
الشيطان وهو قول طايفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشيا بان
اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين
لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشيا في معرض الذم للدنيا ويدل عليه اخر الاية
وهو قوله تعالى والله عنده حسن الماب ونقل عن ابي علي الجبائي من المعتزلة ان ما كان
حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزين له هو الله تعالى والصحيح
ما ذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى الخالق لكل شي ولا شريك له في ملكه وقوله حب الشهوات

يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشي المشتهى من النسا انما بدا بذكر النسا لان التلذذ
بهن اكثر والاستيناس بهن اتم ولانهن حبايل الشياطين واقرب الى الافتتان والبنين انما خص البنين
بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده
ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقا
التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك والقناطير المقنطرة جمع قنطار وسمي قنطارا من الاحكام
والعقد يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة اي المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل
هو محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ
ابن جبل ان القنطار الف ومايتا اوقية وقال ابن عباس الف ومايتا مثقال وعنه انه اثنى
اثنى عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو ماية الف
ومايتا من وماية رطل وماية مثقال وماية درهم ولقد جا الاسلام يوم جا وبمكة ماية
رطل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا
وقال السدي هو اربعة الاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدود وقال الربيع
ابن انس المال الكثير بعضه على بعض وروي عن ابي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار
وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحكم القنطار ما بين السما والارض من مال
وقال ابو نضرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا او فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة
تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة اي المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله
ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل ان تكون تسعة او ستة وقيل المقنطرة المسكوكة
المنقوشة من الذهب والفضة انما بدا بهما من بين ساير اصناف الاموال لانهما قيم الاشيا وانما
كانا محبوبين لان المالك لهما مالك للقادر على ما يريده وهذه صفة كمال وهي محبوبة وقيل
سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اي تتفرق والخيل المسومة
الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها
وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه تخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة
على ثلاثة اقوال الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها للرعي والمقصود
انها اذا رعت ازداد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي العلامة ثم القايلون بهذا
القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل
البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المطهمة الحسان وتسويمها حسنها والانعام
جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه
غلب عليها والحرث يعني الزرع ذلك يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف متاع الحياة الدنيا
اي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زايلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى والله عنده

القنطار

حسن

حسن المآب اي المرجع ففيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الاخرة وقيل فيه اشارة
الى ان من اتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الاخرة لانها
السعادة القصوى قوله تعالى قل اؤنبئكم اي اخبركم بخير من ذلكم يعني الذي ذكر من متاع الدنيا
للذين اتقوا قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يعرفهم ويشوقهم الى
الاخرة قال العلما ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك عند ربهم معناه انه تعالى اخبر انما
عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا فحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير
فقال تعالى جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله ق عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا
لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون
واي شي افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد
اذا علم ان الله تعالى قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه والله بصير بالعباد يعني انه
تعالى عالم بمن يوثر ما عنده ممن يوثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب
على قدر الاعمال وقيل انه تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات قوله عز وجل
الذين يقولون ربنا اننا امنا اي صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا اي استر علينا وتجاوز عنا وقنا عذاب
النار قوله تعالى الصابرين يعني على ادا الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي الباسا والضرا
وحين الباس وقيل الصابرين على دينهم وعلى ما اصابهم والصادقين يعني في ايمانهم وقال قتادة
هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون
في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو الا تنصرف
عنه قبل تمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه والقانتين يعني المطيعين لله
وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها والمنفقين يعني
اموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة
رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات والمستغفرين بالاسحار يعني المصلين بالسحر
وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت
السحر اخذوا في الدعا والاستغفار فكان هذا دابهم في لياليهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل
ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو
حتى يصبح ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى
كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني
فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي لفظ لمسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني

وله في رواية اخرى فيقول هل من سايل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له
حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلما فيه وفي امثاله مذهبان معروفان
مذهب السلف الايمان به واجراوه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب
من يتاول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على
ما يشاهده من النزول الذي هو تدلي من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة
الاجسام فاما نزول من لا يستولي عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه
وانما هو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاهم ومغفرته لهم
يفعل ما يشا لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شي وهو
السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالاسحار وصفهم الله تعالى هولا بما وصف
ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروي عن لقمان
انه قال لابنه يا بني لا تكن اعجز من الديك يصوت في الاسحار وانت نايم على فراشك وقيل هم
الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم
طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو قيل في سبب نزول هذه الاية
ان حبرين من احبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما
لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا
على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت انت اخبرتنا به امنا بك وصدقناك
قال سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الاية فاسلم
الحبران وقيل ان هذه الاية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله
تعالى شهد الله يعني بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله
حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك ببيان الدلايل لما امكن التوصل
الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من عجايب مصنوعاته
وغرايب مبتدعاته سيل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل
على البعير واثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة
اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة
الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة فشهد لنفسه بنفسه
قبل ان يخلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه
لا اله الا هو والملايكة اي وشهد الملايكة فمعنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى
شهادة الملايكة والمومنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من
هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما واولوا العلم اي وشهدوا

اولوا

اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اولي العلم فقيل هم الانبيا عليهم السلام لانهم
اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين
والانصار وقيل هم علما مومني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علما جميع
المومنين قايما بالقسط اي بالعدل نصب على الحال او القطع او المدح ومعناه انه تعالى قايم بتدبير
خلقه كما يقال فلان قايم بامر فلان يعني انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قايم بحق فلان
اي انه مجاز له فالله مدبر امر خلقه وقايم بارزاقهم ومجاز لهم باعمالهم لا اله الا هو انما كرره
للتاكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم وتعليم اي قولوا لا اله الا هو وقيل
فايدة التكرير الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها
والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات العزيز اي الغالب الذي
لا يقهر الحكيم يعني في جميع افعاله ان الدين عند الله الاسلام يعني ان الدين المرضي عند الله هو
الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما
ادعت اليهود انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية
فرد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرى ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان
الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين في اللغة
الجزا يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة
قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو
الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة روى البغوي بسند
الثعلبي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف
اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الاية شهد
الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش
وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده وديعة ان الدين عند
الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع الله فيها شيا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت اني سمعتك
ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت
سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وايل عن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي
هذا عندي عهدا وانا احق من وفا بالعهد ادخلوا عبدي الجنة قوله تعالى وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاهم العلم يعني بيان نعته
وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من احبار

بني اسرايل واو دعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني
والثالث وقع الفرقة والاختلاف بينهم ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم
العلم يعني بيان ما في التوراة من الاحكام بغيا بينهم اي طلبا للملك والرياسة فسلط
الله عليهم الجبابرة وهم الذين اوتوا الكتاب وهم من ابناء اوليك السبعين حتى اهرقوا الدما
وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم
كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بان
الله تعالى واحد احد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني للمعاداة والمخالفة
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود
والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل فان حاجوك اي خاصموك
يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية
والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحتج
عليهم بانه اتبع امر الله الذين هم مقرون به بقوله فقل اسلمت وجهي لله اي انقدت له بقلبي هو
ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة
فاذا خضع وجهه لشي فقد خضع له سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اي
اخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الى الله ومن اتبعن يعني ومن اسلم كما اسلمت انا وقل
للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والاميين يعني مشركي العرب اسلمتم لفظه
استفهام ومعناه امر اي اسلموا فان اسلموا فقد اهتدوا يعني الى الفوز والنجاة في الاخرة
فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال
لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا قال
الله تعالى وان تولوا اي اعرضوا فانما عليك البلاغ يعني تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم
واختلف علما الناسخ والمنسوخ في الاية فذهب طايفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية
النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتالم لتركهم الاجابة وذهب طايفة
الى انها منسوخة باية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ باية السيف
والله بصير بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يومن ومن لا يومن قوله عز وجل ان الذين يكفرون
بايات الله يعني يجحدون القران وينكرونه وهم اليهود والنصارى ويقتلون النبيين بغير
حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس كان انبيا بني اسرايل ياتيهم الوحي ولم يكن ياتيهم
كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلون انبياهم فيقوم
رجال ممن امن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
فيقتلونهم ايضا فهم الذين يامرون الناس بالقسط يعني بالعدل من الناس روى البغوي بسند

الثعلبي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة
قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم
من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلاثة
واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام ماية واثنا عشر رجلا من عباد بني
اسرايل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم
فهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه وانزل الاية فيهم فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفا
في قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزا التقدير من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيمة
وهو محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب
وفي هذه الاية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان
اسلافهم الذين قتلوا الانبيا لانهم رضوا بفعلهم اوليك الذين حبطت اي بطلت اعمالهم في
الدنيا والاخرة وبطلان العمل هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الاخرة وما لهم من
ناصرين يعني يمنعونهم من العذاب قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في اليهود
يدعون الى كتاب الله يعني القران وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القران فاعرضوا عنه قال ابن
عباس ان الله جعل القران حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القران
على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروي عن ابن عباس ايضا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له
نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان
يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه
فانزل الله هذه الاية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروي عنه ايضا ان رجلا
وامراة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم
فقال النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم بالتوراة قالوا
رجل اعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل
قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا
قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتوراة وقال له اقرا فقرا فلما اتى على اية الرجم وضع يده عليها وقرا ما بعدها فقال عبد
الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقراها على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما
وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن والتوراة على
اختلاف الروايتين ليحكم بينهم اي ليقضي بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز
ثم يتولى فريق منهم يعني الروسا والعلما وهم معرضون يعني عن الحق وقيل الذين تولوا هم
العلما والذين اعرضوا هم الاتباع ذلك بانهم يعني ذلك التولي والاعراض انما حصل بسبب انهم
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات تقدم تفسيره في سورة البقرة وغرهم اي واطمعهم
في دينهم ما كانوا يفترون اي يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن ابنا الله واحباؤه
وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق
وانتم على الباطل فكيف اذا جمعناهم اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي في يوم لا ريب
فيه اي لا شك فيه انه كاين وواقع وهو يوم القيامة ووفيت كل نفس ما كسبت فيه تهديد هم
واستعظام لما اعد لهم في ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم
وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل ان اول راية ترفع لاهل
الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم على روس الاشهاد ثم يومر بهم الى النار
وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سياتهم قوله عز وجل
قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سال ربه عز وجل ان يجعل
ملك فارس والروم في امته فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة ووعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس
والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل
الله هذه الاية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جا بنقل النبوة من بني اسراييل
الى غيرهم فنزلت هذه الاية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف الندا زيدت الميم في اخره
وقيل ان الميم فيه معنى اخر وهو يا الله امنا بخير اي اقصدنا مالك الملك اي مالك العباد وما ملكوا
وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يوتيه من يشا وقيل معناه
مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعي الملك احد غيره وفي بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك
الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم
رحمة وان هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي
اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شي
ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك اي جنس الملك يتصرف

فيه

فيه كيف يشا توتي الملك من تشا يعني النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبي له
الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له امر الا على ظواهرهم بعض الخلق وهو من
يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة وتنزع الملك ممن تشا يعني بذلك تنزع
النبوة من بني اسرايل وايتائها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبي بعده ولم يشركه في نبوته
ورسالته احد وقيل توتي الملك من تشا يعني محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشا يعني
من ابي جهل وصناديد قريش وقيل توتي الملك من تشا يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم
وتنزع الملك ممن تشا يعني فارس والروم وقيل توتي الملك من تشا يعني ادم وذريته وتنزع
الملك ممن تشا يعني ابليس وجنوده الذين كانوا في الارض قبل ادم وتعز من تشا يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وتذل من تشا يعني اليهود باخذ الجزية منهم ونزع
النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشا يعني محمدا
واصحابه حين دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين عليها وتذل من تشا يعني ابا جهل واصحابه
حين قتلوا والقوا في قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشا بالطاعة وتذل من تشا بالمعصية
وقيل تعز من تشا بالغنى وتذل من تشا بالفقر وقيل تعز من تشا بالقناعة والرضى وتذل
من تشا بالحرص والطمع بيدك الخير يعني النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد
العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان
الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الله الى عباده المومنين وهو الذي انكرته اليهود
والمنافقون فقال بيدك الخير توتيه اولياك على رغم اعدايك وقيل ان قوله بيدك الخير
لا ينافي ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير
بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه انك على كل شي قدير يعني من ايتا الملك من تشا وازالته
من تشا واذلال من تشا قوله تعالى تولج الليل في النهار الاية لما ذكر الله تعالى انه مالك
الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج
الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشا بغير حساب وفي ذلك دلالة على ان من
قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول قادر على ان ينزع الملك من
فارس والروم واليهود ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل في النهار
يعني تدخل الليل في النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زايدا في النهار حتى
يكون النهار خمسة عشر ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك
غاية قصر الليل وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمسة عشر ساعة وذلك غاية طول
الليل ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه تعالى ياتي بسواد الليل
عقيب ضوء النهار وياتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الاية

بلغ

لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي يعني انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك ساير الحيوانات وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن لان المومن حي الفواد والكافر ميته وترزق من تشا بغير حساب يعني من غير تضييق ولا تقتير بل يبسط الرزق لمن يشا ويوسعه عليه قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاوليك النفر اجتنبوا هولا اليهود لا يفتنوكم عن دينكم فابى اوليك النفر الا مباطنتهم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود وياتونهم بالاخبار يرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى المومنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفا من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معي خمس ماية من اليهود وقد رايت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الاية وقوله لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا يعني انصارا واعوانا من دون المومنين يعني من غير المومنين والمعنى لا يجعل المومن ولايته لمن هو غير مومن نهى الله المومنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او صحبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان ومن يفعل ذلك يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورات المسلمين او يودهم ويحبهم فليس من الله في شي اي فليس من دين الله في شي وقيل معناه فليس من ولاية الله في شي وهذا امر معقول من ولاية المولى معاداة اعدايه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الاية ان الله نهى المومنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المومن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمين بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقاة لا تكون الا مع خوف القلب مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين

وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول لكم التقاة باللسان والقلب مطمين بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في الحرب وقيل انما تجوز التقاة لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان ويحذركم الله نفسه اي ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهي او تخالفوا المامور او توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله والى الله المصير يعني ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الاخرة قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم يعني ما في قلوبكم من امور الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدور لانه وعا القلب او تبدوه يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي تظهروه بالحرب والمقاتلة له يعلمه الله اي يحفظه عليكم ويجازيكم به ويعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شي في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم والله على كل شي قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يعني تجد كل نفس جزا ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شي وما عملت من سوء اي وتجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء تود اي تتمنى لو ان بينها وبينه اي وبين ما عملت من السوء امدا بعيدا اي مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية والنهاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينه وبينها امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه انما كرره لتاكيد الوعيد والله روف بالعباد قيل معناه انه روف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه روف بالعباد حيث امهلهم بالتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله روف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المومن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابنا الله واحباوه فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

بالدلايل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل
ان كنتم صادقين في ادعا محبة الله فكونوا منقادين لاوامره ومطيعين له فاتبعوني
فان اتباعي من محبة الله وطاعته قال العلما ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله
وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناوه عليه ورضاه
عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم يعني ان من غفر له فقد
ازال عنه العذاب والله غفور رحيم يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله
وكرمه ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين لاصحابه
ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى بن مريم
فانزل الله عز وجل قل اطيعوا الله والرسول يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمة الله كل امر ونهي ثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه او نهى
عنه وقال ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني
وتعصوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلن اقبل منكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله
فان الله لا يحب الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعصي
الامير فقد عصاني قوله عز وجل ان الله اصطفى ادم ونوحا قال ابن عباس قالت اليهود
نحن من ابنا ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله
اصطفى هولاء بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار
من الصفوة وهي الخالص من كل شي ادم هو ابو البشر ادم عليه السلام ونوحا هو نوح بن
لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي سليمان
الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه وال ابراهيم قيل اراد
بال ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل ال ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب وذلك ان الله
تعالى جعل ابراهيم عليه السلام اصلا لشعبتين فجعل اسماعيل من ابراهيم عليهما
السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفا
وجعل اسحاق اصلا لبني اسرايل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل المراد بال ابراهيم من كان
على دينه وال عمران واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي

بيصهر

ابن

ابن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون ال عمران موسى وهارون او نفسه وقيل
هو عمران بن اشيم بن امون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام
وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بال عمران مريم وابنها عيسى
عليهما السلام وانما خص هولا بالذكر لان الانبيا والرسل من نسلهم على العالمين اي على عالمي
واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة ذرية اي اصطفى ذرية واصلها
من ذرا بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من ظهر ادم كالذر وانما سمي الاباء
والابنا ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابنا من ذرية الابا والابا من ذرية ادم
وهو من ذراه الله اي خلقه بعضها من بعض اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من
بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض والله سميع يعني انه تعالى سميع
لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا
قوله تعالى اذ قالت امراة عمران هي حنة بنت فاقوذ ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن
اشيم وليس بعمران ابي موسى لان بينهما الفا وثمانماية سنة وكان بنو ماثان روس بني اسرايل
في ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي جعلت الحمل الذي
في بطني نذرا محررا مني لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه ومعنى محررا اي عتيقا خالصا
متفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشي من امور الدنيا وقيل كان المحرر عندهم
اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم
يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شا فان اراد الخروج بعد ان اختار الاقامة
في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبيا بني اسرايل وعلمايهم الا ومن اولاده جماعة
محررة لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس
لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره
اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقوذ وهي ام
يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذ اختها اشاع عند عمران وهي ام مريم وكان قد
امسك عن حنة الولد حتى ايست وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان
فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطاير يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله
ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس
فيكون من سدنته وخدمته فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها
زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى فلا يصلح لذلك فوقعا جميعا
في هم شديد من اجل ذلك ومات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا
عنها فتقبل مني يعني نذري والتقبل اخذ الشي على الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل

بالجزا وهذا سوال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضى الله تعالى والاخلاص في دعائه
وعبادته انك انت السميع يعني لتضرعي ودعاي العليم يعني بنيتي وبما في ضميري قوله عز وجل
فلما وضعتها اي ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان في علم الله انها جارية وكانت
حنة ترجوا ان يكون غلاما قالت يعني حنة رب اني وضعتها انثى تريد به لذا اعتذارا الى
الله تعالى من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام
لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه والله اعلم بما وضعت قرئ بجزم التا
اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشي الذي وضعت وقرئ وضعتُ
برفع التا وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب اني وضعتها انثى خافت ان تكون
اخبرت الله تعالى بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعتُ وليس الذكر
كالانثى يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقديم وتاخير تقديره
وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة في
الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها ولما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز
لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الاية ان المقصود منه هو تفضيل هذه الانثى على
الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبي لخدمة المسجد وهذه الانثى هي موهوبة الله تعالى
وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي هي موهوبة الله تعالى وكانت مريم من اجمل النسا
وافضلهن في وقتها واني سميتها مريم يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم واردت بهذه
التسمية ان يفضلها الله تعالى على اناث الدنيا واني اعيذها بك وذريتها اي امنعها واجيرها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم يعني الطريد اللعين وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت
تطلب من ان يكون لها ولد ذكر فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من
الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل
صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شيتم واني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن ادم يطعن الشيطان في جنبيه
باصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب قوله تعالى
فتقبلها ربها بقبول حسن يعني تقبل الله مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضي
قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال
قبلت الشي قبولا ويجوز قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو ليس في المصادر فعول بفتح الفا
الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد فهما سوا وهو ان يرى الشي
وياخذه وقيل معنى التقبل في التربية والقيام بشانها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين

يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضى وانبتها نباتا حسنا معناه
وانبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله فتقبلها ربها بقبول حسن اي سلك
بها طريق السعدا وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان
فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام وكفلها زكريا قال اهل الاخبار لما ولدت
حنة مريم فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابنا هارون
وهم يوميذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس
فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان
خالتها عندي فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع
عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار
قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم في الما على ان من ثبت قلمه في الما وصعد فهو اولى بها من غيره
وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التي
كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الما ووقف وانحدرت اقلامهم ثم رسبت في الما وقيل
جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جري الما الى اسفل فسهمهم زكريا
وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفا
ومعناه وضمها الله زكريا فضمها بالقرعة وقرئ بتخفيف الفا ومعناه وضمها زكريا الى نفسه
بالقرعة وقام بامرها وزكريا ابن ادن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان عليهما السلام فلما ضم
زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت
وبلغت مبالغ النسا بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا
يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها كل يوم وذلك قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا
المحراب يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما ترقى
اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب وجد عندها
رزقا يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا
قال يعني زكريا يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذه الفاكهة قالت يعني قالت مريم مجيبة لزكريا
هو من عند الله يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان ياتيها رزقها
من الجنة فيقول لها زكريا يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما
تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحاق اصابت بني اسرايل ازمة
وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرايل فقال يا بني اسرايل
تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد
جهدنا واصابنا من الشدة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام

فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله يرزقنا فصار يوسف يرزقها منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب نماه الله وزاده فيه فدخل زكريا عليها فيقول يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب ويحتمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتدا كلام من الله عز وجل ومعناه انه تعالى يرزق من يشا بغير تقدير لكثرته او من غير سبب وفي هذه الاية دليل على جواز كرامات الاوليا وظهور خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان ياتي مريم بالفاكهة في غير وقتها وجنيها من غير سبب لقادر على ان يصلح لي زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه من الكبر فطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسال ربه الولد قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع الدعا اي سامعه ومجيبه قوله عز وجل فنادته الملايكة يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشانه ولانه رئيس الملايكة وقل ان يبعث الا ومعه جمع من الملايكة فجرى ذلك على مجرى العادة وهو قايم يصلي في المحراب اي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى ياذن لهم في الدخول فبينما هو قايم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان ياذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى اي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقيل لان الله احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى بن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقايق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبيا الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة اب فلما جا قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان ام يحيى لقيت ام عيسى وهما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى يا مريم اشعرت اني حامل فقالت مريم

وانا

وانا ايضا حامل فقالت ام يحيى اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى امن بعيسى وصدق به وسيدا اي من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المومنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا اي في العلم والعبادة والورع وقيل هو السيد الحليم الذي لا يغضبه شي وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس على انا نبخله قال واي دا ادوا من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا ياتي النسا ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات او اصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النسا قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول اخر وهو ان الحصور هو الممتنع من الوطي مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمذهب الانبيا لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثنا وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى احد منهم نقص او فتور فحمل الكلام على منع النفس عن الوطي مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطي مع العجز عنه ونبيا من الصالحين يعني انه من اولاد الانبيا الصالحين قوله تعالى قال يعني زكريا رب اي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الاية المتقدمة دلت على ان الذي ناداه هم الملايكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي اي يا سيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملايكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب انى يكون لي غلام يعني من اين يكون وكيف يكون لي غلام وقد بلغني الكبر قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملايكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به اكان شاكا في وعد الله او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اي جهة يكون لي الولد ايكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله قال كذلك الله يفعل ما يشا وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا ندا الملايكة جاه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله وانما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك كما يوحي اليك في ساير الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب

بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبيا كلام الملايكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع
الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلايل
على صدق الانبيا فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك
فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول
الوسوسة فسال زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا
يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية
الضحاك كان ابن مايه وعشرين سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى
وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد قال كذلك الله يفعل ما يشا يعني انه تعالى
قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشا لا يعجزه شي قوله عز وجل **قال** يعني زكريا
رب اجعل لي اية اي علامة اعلم بها وقت حمل امراتي فازيد في العبادة والشكر لك **قال ايتك** اي
علامتك على الذي طلبت معرفة علمه **الا تكلم الناس** اي لا تقدر على تكليم الناس **ثلاثة ايام** اي مدة
ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقل لسانه عن تكلم الناس ثلاثة ايام مع ابقايه على قدرة
التسبيح ولذلك قال في اخر الاية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام منعك
من تكلم الناس وهذه من الايات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر
مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات
وانما منع عن الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله وذكره فلا يشتغل لسانه
بشي اخر توفيرا منه على قضا حق هذه النعمة الجسيمه وشكر الله على اجابته فيما طلب الاية من اجله
وان يكون ذلك دليلا له على وجود الحمل ليتم سروره بذلك قال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام
عقوبة لسواله الاية بعد مشافهة الملايكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة
ايام **الا رمزا** يعني الا اشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالراس وكانت اشارته
بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي شبه
الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح
لموافقة اهل اللغة عليه **واذكر ربك كثيرا** وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة
امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه **وسبح** اي عظم
ربك ونزهه عن النقايص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة سبحة لان فيها تنزيها للرب
سبحانه وتعالى **بالعشي والابكار** فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي
صلاتي الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله تعالى **واذ قالت
الملايكة** يعني جبريل عليه السلام **يا مريم ان الله اصطفاك** اي اختارك **وطهرك** يعني من مسيس
الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب **واصطفاك** اي

واختارك

واختارك **على نسا العالمين** اي على عالمي زمانها وقيل على جميع نسا العالمين فان قلت هل
فرق بين الاصطفا الاول والثاني قلت ذكر العلما في معناهما وجوها يحصل منها الفرق
فقيل في معنى الاصطفا الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم يحرر
قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النسا وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها
زكريا ومعنى الاصطفا الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملايكة
ولم يحصل ذلك لغيرها من النسا **ق** عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول خير نسايها مريم بنت عمران وخير نسايها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار
وكيع الى السما والارض قيل اراد بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نسايها ومعناه
انهما خير كل نسا بين السما والارض قال الشيخ محي الدين النواوي والاظهر ان معناه ان كل واحدة
منهما خير نسا الارض في عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه **ق** عن ابي موسى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران
واسية امراة فرعون وفضل عايشة على النسا كفضل الثريد على ساير الطعام قال العلما
معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم
فيه افضل من مرقه بغير ثريد وفضل عايشة على النسا كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في
هذا تصريح بتفضيلها على مريم واسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نسا هذه الامة عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم بنت عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واسية امراة فرعون اخرجه الترمذي
قوله عز وجل **يا مريم اقنتي لربك** اي قالت الملايكة لها شفاها اطيعي ربك وقيل معناه
اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملايكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها
وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه **واسجدي واركعي مع الراكعين** انما قدم السجود على
الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هي للجمع كانه قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل
انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري امرها امرا عاما
وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملي السجود والركوع في كل حال ولم يرد تقديم السجود
على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع
الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنسا والصلاة مع الرجال افضل
وانم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة اي صلي مع المصلين
في جماعة قوله تعالى **ذلك من انبا الغيب** يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت
لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب **نوحيه اليك** اي نلقيه
اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه

ردا الضمير الى ذلك فلذلك ذكرا للفظ وما كنت يعني يا محمد لديهم هنا لك عندهم اذ يلقون
اقلامهم يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء الاجل لاقتراع ايهم يكفل مريم يعني يربيها ويقوم
بمصالحها قيل بسبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران
وكان ربيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة
المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها اذ قالت الملايكة يا مريم ان الله
يبشرك معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملايكة يعني جبريل
عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة
من الله وخير من عنده فهو كقول القايل القي الي فلان كلمة سرني بها واخبرني بخبر فرحت
معنى الاية اذ قالت الملايكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير
بعل ولا فحل وذلك الولد اسمه المسيح عيسى بن مريم وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو
قوله كن فسماه الله كلمة لانه كان عن كلمته التي هي كن كما يقال لما قدر الله منه شيا هذا قدر الله
وقضا الله يعني ان هذا الامر عن قدره وقضايه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام
وانما سماه كلمة لانه وجد عند الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة
التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق
وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث
عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة
اتم واكمل وبهذا التاويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت
الضمير في قوله اسمه عايد الى الكلمة وهي مونثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر
ولهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد
وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى
وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قال الذي يعرف به ويتميز به عن من سواه هو مجموع
هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل
فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى
واصله موشى وميشا وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي
عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برا وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح منه باب
الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل
عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض
ولا يقيم بمكان فكانه يمسح الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زايدة
وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى

وما كنت لديهم اذ يختصمون [illegible]

العينين

العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب
وبه سمي الدجال فعلى هذا انكون هذه الكلمة من الاضداد قوله تعالى وجيها اي شريفا رفيعا
ذا جاه وقدر في الدنيا والاخرة اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبري الاكمه
والابرص ويحيي الموتى واما وجاهته في الاخرة فبسبب علو منزلته عند الله وهو قوله تعالى
ومن المقربين يعني عند الله يوم القيمة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبيا ودرجاتهم
اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الله الى السما ويكلم الناس في
المهد يعني ويكلم الناس صغيرا او هو في المهد وذلك قبل ابان الكلام ووقته والكلام الذي
تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وتكلم
ببراة امه مما رموها به اهل القرية من القذف وحكي ان مريم قالت اذا خلوت انا وعيسى
حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم ببراة
امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى
ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق وكهلا يعني ويكلم الناس في حال الكهولة
والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين
وقيل هو الذي وخطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وتنبا فيه الانبيا
قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا
ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاه الوحي على راس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث
سنين ثم رفعه الله فمعنى الاية انه يكلم الناس وهو في المهد ببراة امه وهو معجزة عظيمة
ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى
حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل
عليه التغيير فيكون ردا على النصارى الذين يدعون فيه الالاهية وقال الحسن بن الفضل
وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السما وفي هذه الاية نص على انه سينزل من السما
الى الارض ويبطل الباطل وقال مجاهد الكهل الحليم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة
الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة ومن الصالحين
يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبيا وانما
ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعدما وصفه بالاوصاف العظيمة لان
الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج
الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله بكونه وجيها في الدنيا والاخرة
ومن المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات
واشرف المقامات قوله تعالى قالت يعني مريم رب يعني يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها

بالولد وقيل تقوله لله عز وجل انى يكون لى ولد اى من اين يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر اى ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا فى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب قال كذلك الله يخلق ما يشا يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله اية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشا ويصنع ما يريد وهو قوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يعنى كما يريد ونعلمه الكتاب يعنى الكتابة والخط باليد والحكمة يعنى العلم والسنة واحكام الشرايع والتوراة يعنى التى انزلت على موسى والانجيل يعنى الذى انزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة ورسولا الى بنى اسرايل اى ونجعله رسولا الى بنى اسرايل وكان اول انبيا بنى اسرايل يوسف بن يعقوب واخرهم عيسى ابن مريم عليهم السلام فلما بعثه اليهم قال انى قد جيتكم باية من ربكم اى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال باية وقد جا بايات كثيرة لان الكل دل على شى واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال عيسى ذلك لبنى اسرايل قالوا وما هذه الاية قال انى اخلق لكم اى اصور واقدر من الطين كهيئة الطير والهيئة الصورة المهياة من قولهم هيات الشى اذا قدرته واصلحته فانفخ فيه اى فى الطين المهيا للصور فيكون طيرا قرى بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرى فيكون طايرا بالتوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طايرا او ما اخلقه يكون طايرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدى وتحيض وذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السما والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى باذن الله معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى اعمل هذا التصوير فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام وابرى الاكمه والابرص اى واشفى الاكمه والابرص واصحهما واختلفوا فى الاكمه فقال ابن عباس هو الذى ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعمش وقيل هو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابرا الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه قال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين الفا فمن اطاق ان يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعا على شرط الايمان برسالته واحيى الموتى باذن الله قال ابن عباس قد احيا اربعة

النفس

كان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت
اليه اخته ان اخاك عازر [illegible]

انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له الا سام ابن نوح فاما عازر فانه كان صديقا لعيسى فارسلت اليه اخته ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام ويحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ياخذ العشور من الناس ماتت بنت له بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها واما سام بن نوح فان عيسى عليه السلام جا الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان فقال اقد قامت القيامة فقال له عيسى لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل وانبيكم يعنى واخبركم بما تاكلون اى مما لم اعاينه وما تدخرون فى بيوتكم اى وما ترفعونه فتخبيونه فى بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك وقيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكل اليوم وبما يدخره للعشا وقيل كان فى الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباوهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا او قد رفعوا لك كذا فينطلق الصبى الى اهله فيبكى على اهله حتى يعطوه ذلك الشى فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم فى بيت فجا عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما فى البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشى ذلك فى بنى اسرايل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا فى نزول المايدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المايدة وبما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفى هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهو اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الايات الباهرات من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر الى علمه الا الانبيا عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد فى اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها وبواسطة حساب الرمل ونحو ذلك وقد يخطى فى كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برئية من الجن

وقد يخطي ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبيا عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس باستعانة بواسطة حساب ولا عبرة لحصل الفرق ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابرا الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات لاية لكم اي لعبرة ودلالة على صدقي اني رسول من الله اليكم ان كنتم مومنين يعني مصدقين بذلك ومصدقا قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل هو عطف على اني قد جيتكم باية من ربكم والمعنى وجيتكم مصدقا لما بين يدي من التوراة وذلك لان الانبيا عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل اليه من الكتب والشرايع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهم السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرايل اني لم ادعوكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك انه تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشيا عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الجنايات كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جا عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جا به عيسى الين مما جا به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جا به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشيا من الطير والحيتان وزاد غيره فجا بهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال اخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرايع والناسخ والمنسوخ حق وصدق وجيتكم باية من ربكم اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله فاتقوا الله يعني يا معشر بني اسرايل فيما امركم به وانهاكم عنه واطيعون يعني فيما دعوتكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله ومما ادعوكم اليه هو قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من ساير النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بريا مما نسبه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله هذا صراط مستقيم يعني التوحيد قوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر اي وجد وعرف وقيل راى والاحساس عبارة عن وجدان الشي بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله ذكر سبب القصة قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى عليه السلام الى بني اسرايل وامره باظهار رسالته والدعا اليه نفوه واخرجوه من بينهم

فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزلا الى قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجا ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كيبا حزينا قالت لا تساليني قالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فاني امر ابني ان يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت مريم لا تبالي فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا اقرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ما ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ما القدور مرقا ولحما وما الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جا الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راه الملك قد خلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الما خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى صار الما خمرا بدعوته ليستجيبن له حتى يحيي ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اذا رايته فقال عيسى ان انا احييته تتركني انا وامي نذهب حيث نشا قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكة الملك قد عاش تنادوا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى وقصده واقتتلوا وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله قال يعني عيسى عليه السلام من انصاري الى الله اي مع الله وقيل معناه الي ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله قال الحواريون نحن انصار الله وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بني اسرايل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به فخرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورييسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسالوه اية تدل على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الما

فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا
باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك امنوا به وانطلقوا معه
واختلفوا في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما امنوا بعيسى صاروا يصطادون
الناس ويهدونهم الى الدين فسموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشي بمعنى بيضته
وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم
سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان اخر من سلمته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته
الى رئيسهم ليتعلم منهم فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه
الصنعة وانا خارج الى سفر ولا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت
على كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم
الى سفره فطبخ عيسى جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله
كما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الجب فقال لعيسى ما فعلت فقال قد
فرغت منها فقال اين هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت علي الثياب قال
عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا
اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم ان
ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فامن هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا
حواريين لصفا قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفيا
وكانوا اصفيا عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفا وقيل هم الوزرا وكانوا خلفا
عيسى ووزراوه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به
(ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير
ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل
نبي حواري وحواري الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار دين الله ورسوله
واعوانه امنا بالله اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شي واشهد يعني انت يا عيسى بانا
مسلمون قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد مني نصرك والذب عنك مستسلمون
لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبيا
قبله لا اليهودية والنصرانية ربنا امنا بما انزلت يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى
عليهم انهم مسلمون ربنا امنا بما انزلت يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام
واتبعنا الرسول يعني عيسى فاكتبنا مع الشاهدين يعني الذين شهدوا للانبيا بالصدق
واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسمانا مع اسمايهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما
تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون الشاهدين الذين سالوا الحواريين ان يكونوا معهم من يفضل

فلهذا

على

فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته
لانهم هم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع
الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على امته قوله عز وجل ومكروا يعني كفار
بني اسرايل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب
من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله
وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع
الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به
فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة ومكر الله اي جازاهم على مكرهم
فسمي الجزا باسم الابتدا لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة
من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الاية خاصة هو القا الشبه على صاحبهم
الذي دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل
رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جا الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه
وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهودا راس
اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه
ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام فادخله خوخة في سقفها روزنة
فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهودا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس
ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها
والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه قال
وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها
فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملايكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه
السلام الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك
ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى الحواري الى اليهود
وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما
دخل البيت الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى واخذوا الذي
دل عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون
انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى كان عيسى عليه السلام
دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام
وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شي شبه لهم فلما كان
بعد سبعة ايام قال الله لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع فهو نسبة اليه

فانه لم يبك عليك احد بكاها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين
فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل
نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الارض ثم رفعه الله في تلك الليلة التي تدخن
فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك
قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين يعني وهو افضل المجازين بالسيئة العقوبة
وقال السدي ان اليهود حبست عيسى في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل
منهم وكان قد نافق فالقي عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا
ان نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال
رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه فكساه الريش
والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملايكة فهو معهم حول
العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث
عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورى شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر
على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر
من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم
بعد رفعه ست سنين قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي اختلفوا في معنى
التوفي هنا على طريقين فالطريق الاول ان الاية على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير وذكروا
في معناها وجوها الاول معناها اني قابضك ورافعك الي من غير موت من قولهم توفيت الشي
واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه انه لا يصل اعداوه من اليهود اليه
بقتل ولا غيره الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نايم ليلا يلحقه خوف
فمعنى الاية اني منيمك ورافعك الي الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال
ابن عباس معناه اني مميتك قال وهب بن منبه ان الله تعالى توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار
ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه
ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي لا تفيد الترتيب والاية تدل على انه
يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث
ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شا الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطي
معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الي وذلك ان عيسى عليه السلام
لما رفع الى السما صارت حالته حالة الملايكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفي
اخذ الشي وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه

دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض
ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى عليهم بقوله اني متوفيك ورافعك الي فاخبر
الله تعالى انه رفعه بتمامه الى السما بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الاية
تقديما وتاخيرا تقديره اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى
الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى في القران قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه
لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السما عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في
رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة
اقروا ان شيتم وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته وفي رواية كيف انتم اذا نزل
ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذيب تدري ما امكم منكم
قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد
مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه
السلام فينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل
مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل
الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل
كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى صلى الله
عليهما وسلم وقوله تعالى ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد
وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز
والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل
هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب فلم يبق لهم مملكة وملك
النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعا لا اتباع الدين لان
النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك لان عيسى
عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول اصح لان الذين اتبعوه هم الذين
شهدوا بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة ثم الي

مرجعكم يعني يقول الله عز وجل الي مرجع الفريقين في الاخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا
به والذين كفروا به فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يعني من الحق في امر عيسى ثم بين الحكم فقال
تعالى فاما الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من
الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من ساير اليهود والنصارى فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا
يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية منهم والاخرة اي واعذبهم في الاخرة وما لهم من
ناصرين يعني مانعين يمنعونهم من عذابنا واما الذين امنوا يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا
بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته وعملوا الصالحات يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم
فنوفيهم اجورهم يعني جزا اعمالهم لا ننقص منه شيئا والله لا يحب الظالمين اي لا يحب
من ظلم غيره حقا له او وضع شيا في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم
بجميل ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك
من القصص نتلوه عليك اي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل
الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه اليه من الايات
يعني من القران وقيل الايات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها
الا من يقرا او يكتب وبني يوحي اليه وانت امي لا تقرا ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي السماوي
الذي نزل عليك والذكر الحكيم اي المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القران لانه
حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه تنزلت
جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضا معلق بالعرش قوله عز وجل ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب الاية اجمع اهل التفسير ان هذه الاية نزلت في محاجة
نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شانك تذكر صاحبنا فقال
من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه اجل انه عبد الله فقالوا له
هل رايت له مثلا او انبيت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم
اذا اتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذرا البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل
رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله ان مثل عيسى عند الله اي في الخلق والانشا في كونه
خلقه من غير اب كمثل ادم في كونه خلقه من تراب لا من اب وام فمن اقر بان الله خلق
ادم من التراب ليا بس وهو ابلغ في القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى بن مريم من غير اب
بل الشان في خلق ادم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل ادم لانه تشبيه كامل ثم قال
تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستانف على جهة التفسير لحال خلق ادم في كونه خلقه من

تراب اي قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشاه الله
خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الاية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب
ثم قال له كن فهذا يقتضي ان يكون خلق ادم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق
واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا
خبرا اخر فقال اني اخبركم ايضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة
ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم
وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال في الاية فان
قلت كيف شبه عيسى بادم وقد وجد عيسى من غير اب ووجد ادم من غير اب ولا ام
قلت هو مثله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه
به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا
عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب في العادة
من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته
اذا نظر فيما هو اغرب مما استغرب به وحكي ان بعض العلما اسر في بعض بلاد الروم فقال
لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان
يحيي الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل اربعة الاف قالوا
وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما وقوله كن
فيكون قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن
واعلم يا محمد انما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة الحق من ربك الذي اخبرتك به من تمثيل
عيسى بادم هو الحق من ربك فلا تكن من الممترين اي من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب
مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله
تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا والمعنى فلا تكون من الممترين ايها السامع كاينا من كان
لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة قوله تعالى
فمن حاجك فيه اي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم يعني بان عيسى
عبد الله ورسوله فقل تعالوا اي هلموا والمراد منه المجي واصله العلو بالراي والعزم كما تقول
تعالى نفكر هذه المسالة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم قيل اراد بالابنا الحسن والحسين وبالنسا فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه
وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين ثم نبتهل قال ابن عباس
نتضرع في الدعا وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعا وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان
يقال عليه بهلة الله اي لعنة الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في امر عيسى

قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران ودعاهم
الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم ناتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض
قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم
يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولين فعلتم ذلك لنهلكن فان ابيتم الا الاقامة على
ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي
خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما راهم اسقف نجران
قال يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله
فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم
قد راينا انا لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم
فابوا ذلك فقال فاني انابذكم فقالوا ما لنا بحرب لعرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا
ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نودي اليك في كل سنة الفي حلة الف في صفر والف
في رجب زاد في رواية وثلاثة وثلاثين درعا عادية وثلاثة وثلاثين بعيرا واربعا
وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي
نفسي بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول
على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاوه الى المباهلة الا ليتبين الصادق
من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابنا والنسا
في المباهلة قلت ذلك الدعا فيه الدلالة على ثقته بحاله واستيثاقه بصدقه حيث
استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر
على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته
هلاك استيصال ان تمت المباهلة وانما خص الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلب وربما فدا هم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على
النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى
المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم وقوله تعالى ان هذا يعني الذي قص عليك
يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله لهو القصص الحق واصله من القص وهو تتبع الاثر
والقصص الخبر الذي يتتابع فيه المعاني وما من اله الا الله من دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان

واستيثاقه صح

عيسى

عيسى ليبين بالدكما زعمت النصارى فتعيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين انهم
الهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية وان الله لهو العزيز اي الغالب
المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها اخر الحكيم يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى
لان عيسى لم يكن كذلك فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه فان الله عليم بالمفسدين
اي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا
باليهود فاختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على
دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا
مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما نريد الا ان نتخذك كما اتخذت
اليهود في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف
ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة او قصيدة لها اول واخر وشرح كلمة سوا
اي عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل والقران وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله وذلك ان النصارى عبدوا غير الله
وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك ويسجدون
لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه
الثلاثة اشيا ومعنى الاية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى الامر النصف وهو ان لا نقول
عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع احبارنا
ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض
لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احدا في معصية الله فان
تولوا يعني فان اعرضوا عما امرتم به فقولوا انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون اي مخلصون بالتوحيد
لله والعبادة له ق عن ابن عباس ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا
تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه
وهم بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظما الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي بعث به مع دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك
بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسيين
ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا

بعضنا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث احد
روايات البخاري وقد اخرجه باطول من هذا وفيه زيادة قوله فعليك اثم الاريسيين وفي رواية
الاريسيين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل
كان في الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى اتباع عبد
الله بن اروس وهم الاروسية وقيل هم الأُرسيون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون
انبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدهم عن الاسلام واتبعوك
على كفرك قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه
وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا
وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم
وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده ومعنى الاية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ابراهيم عليه السلام وادعت كل طايفة انه كان
منهم وعلى دينهم فبرا الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية
انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم
وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسماية سنة وخمس وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة
وستماية واثنان وثلاثون سنة وقال ابن اسحاق كان بين ابراهيم وموسى خمسماية سنة وخمس
وستون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعماية وعشرون سنة واورد على هذا
التاويل بان الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك القران
انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما
واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القران ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة
والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه
اليهود والنصارى وهو قوله افلا تعقلون يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى
لا تجادلوا مثل الجدال المحال ها انتم هولا ها للتنبيه وهو موضع الندا يعني يا هولا
والمراد بهم اهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى حاججتم اي جادلتم وخاصمتم
فيما لكم به علم يعني فيما وجدتم في كتبكم وانزل عليكم بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم انكم
على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعني انه ليس في
كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا والله يعلم يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين وانتم
لا تعلمون يعني ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم براه الله عز وجل عما قالوا
فيه واعلمهم ان ابراهيم برى من دينهم فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا يعني لم يكن كما
ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما يعني مايلا عن

الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويختتن ويضحي
ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن الاديان واسهلها واحبها الى الله عز وجل وما
كان من المشركين يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين بقولهم
بالالهية المسيح وعباد تهم له قوله عز وجل ان اولى الناس بابراهيم يعني احقهم به واقربهم
منه للذين اتبعوه يعني الذين كانوا في زمانه وامنوا به واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم والذين امنوا يعني هذه الامة الاسلامية والله ولي المومنين يعني بالنصر
والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين
وولي ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
امنوا والله ولي المومنين اخرجه الترمذي وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه
محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب
واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة
وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر
فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك
رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا الادم وغيره
فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان
قومنا لك ناصحون شاكرون ولصاحبك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك
هولا الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه
احد منا الا السفها وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل
عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث
اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا
لنكفيكهم قالا واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية
التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح
جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصايح فليعد كلامه
ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه وقال
الا تسمعون كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه
فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي
ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله
الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا

صادقنا امرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي
ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل ثم قال ايكم الهاتف ليستاذن عليك حزب الله
قال جعفر انا قال فتكلم قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب
ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين
فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر
للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا فقد ابقنا من اربابنا فردنا
عليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية
فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر
سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي فما تطلبون منهم
قال كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا
قومنا اليك فتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه
فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما
واما الدين الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل
كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر
النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده
قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم
القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد امن بي ومن
كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وماذا يامركم به
وما ينهاكم عنه فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويامر
بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا
علي مما يقرا عليكم فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه
من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب
النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وامه فقرا عليهم
سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله
ما زاد المسيح على ما يقولون ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي
يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب
ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا
من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه
المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة

قال

قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين قوله تعالى ودت طائفة من
اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين
دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب
يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون الا انفسهم
لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين وما يشعرون
يعني ان وبال الضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال
المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم واشياعهم يا اهل الكتاب
الخطاب لليهود لم تكفرون بايات الله يعني القران وقيل المراد بايات الله الواردة في التوراة
والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيها من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك وانتم تشهدون يعني ان نعته وصفته مذكورة
في التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون عن الناس نعته وصفته فاذا خلا
بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول
من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات
والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم
تلبسون الحق بالباطل معناه بتحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم
بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطئوا على اظهار
الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في اخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون
ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى
لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس وتكتمون الحق يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
في التوراة وانتم تعلمون انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا
وانتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل وقالت طائفة من اهل الكتاب
امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وهذا نوع اخر من تلبيسات اليهود قيل
تواطا اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار
باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المبعوث وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في دينهم
واتهموه وقالوا انهم اهل كتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شان القبلة وذلك

انه لما صرف الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بالذى
انزل على محمد فى امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم اخر النهار
لعلهم يرجعون فيقولون هولاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الاية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شئ
لانه اول ما يواجه منه وانشدوا فى معناه شعر ٥ من كان مسرورا بمقتل مالك ٥ فليات
نسوتنا بوجه نهار ٥ وقوله لعلهم يرجعون يعنى لعله انا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون
فى دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فلم تتم
ولم يحصل لها اثر فى قلوب المومنين ولولا هذا الاعلام من الله لكان ربما اثر ذلك فى قلوب
من كان فى ايمانه ضعف قوله تعالى ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم هذا متصل بالاول وهو
من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تومنوا اى لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اى وافق
ملتكم التى انتم عليها وهى اليهودية واللام فى لمن صلة كقوله ردف لكم اى ردفكم قل ان الهدى
هدى الله اى ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من
قال هذا الكلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود
بعضهم لبعض ومعنى الاية ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا تومنوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
من العلم والحكمة والكتاب والايات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات
ولا تومنوا او يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك
قال فى اثنا ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذى انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره
فاذا امر بدين اخر وجب اتباعه والانقياد لامره لانه هو الذى هدى اليه وامر به وقيل معناه
قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم فى دفعه هذا الكيد الضعيف
وقرا الحسن والاعمش ان يوتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده
من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد
من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم يعنى الا ان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل
منكم وقوله عند ربكم اى عند فعل ربكم ذلك بكم وقيل او فى قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الاية
ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرا ابن
كثير آن يوتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فى الكلام اختصار تقديره ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تومنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا
من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل
نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا وقوله او يحاجوكم على هذه القراة
رجوع الى الخطاب بالمومنين ويكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزا يوضع احدهما موضع الاخر

خ البينة الحكمه

والمعنى

والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المومنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن
عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمومنين ويكون نظم الاية ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
يا معشر المومنين فلا تحسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله
ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تومنوا من كلام الله تعالى
يثبت به قلوب المومنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول الله تعالى لا
تصدقوا يا معشر المومنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الدين
والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان
الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله واسع عليم فتكون الاية كلها خطابا للمومنين عند
تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يعنى قل لهم يا محمد
ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اى نعمة له وقادر عليه دونكم ودون سائر
خلقه يوتيه من يشا يعنى الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشا من عباده ويوفق
له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود فى قولهم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله تعالى
ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يوتيه من يشا واصل الفضل فى
اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان والفاضل الزايد على غيره فى خصال
الخير والله واسع اى ذو سعة يتفضل على من يشا عليم اى بمن يتفضل عليه وهو للفضل
اهل يختص برحمته يعنى بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقران
من يشا يعنى من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل
لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل ان يخص بما يشا الى من
يشا بغير استحقاق والله ذو الفضل العظيم قوله عز وجل ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يوده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك نزلت فى اليهود واخبر عز وجل
ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال
القليل يقول منهم من يودى الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من لا يوديها
وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس فى هذه الاية اودع
رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومايتى اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك قوله تعالى ومن
اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك يعنى
فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يوده اليه وقيل اهل
الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود لان من مذهبهم انه يحل قتل من خالفهم فى الدين
واخذ ماله باى طريق كان الا ما دمت عليه قايما قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح
والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قايما على راسه موكلا

عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل اراد انه
ان اودعته شيا ثم استرجعته منه في الحال وانت قايم على راسه لم تفارقه رده عليك
وان اخرت استرجاع ما اودعته انكره ولم يرده عليك ذلك اى سبب ذلك الاستحلال والخيانة
بانهم قالوا يعني اليهود ليس علينا في الاميين سبيل يعني انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج
في اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة
لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابنا الله
واحباوه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان
الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل
علينا في اخذها منهم باى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين في
الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق وليس عندنا قضا
لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم
الله تعالى فقال ويقولون على الله الكذب يعني اليهود وهم يعلمون يعني انهم كاذبين ثم انه
تعالى رد على اليهود قولهم فقال بلى اى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفي
ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدى من اوفى اي ولكن من اوفى بعهده اي بعهد الله
الذي عهد اليه في التورية من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران الذي انزل عليه وبادا
الامانة الى من يستحقها عليها وقيل الها في قوله بعهده راجعة الى الموفي واتقى يعني الكفر
والخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين يعني الذين يتقون الشرك ق عن عبد الله بن عمرو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت
فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اوتمن خان واذا حدث
كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي رواية اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
قال عكرمة نزلت هذه الاية في احبار اليهود ورؤسايهم في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق
وكعب بن الاشرف وحيي بن اخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة من شان محمد
صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم
الرشى والماكل التي كانوا ياخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعا اليهود انه
ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت
في الاشعث بن قيس وخصم له ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرا علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم

ثمنا

ثمنا قليلا الى اخر الاية وفي رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال
امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله عز وجل تصديق ذلك ان
الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فدخل الاشعث بن قيس
الكندي فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فيّ نزلت
كان بيني وبين رجل خصومة في بير فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف
ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها
مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية واخرجه الترمذي وابو داود وقال ان
الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الاية في رجل
اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه خ عن عبد الله بن ابي اوفى
ان رجلا اقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد اعطي بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا
من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية وقيل الاولى
حمل الاية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما امر الله
به ويدخل فيه العهود والمواثيق الماخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل
نفسه من عهد وميثاق وكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفا به ومعنى ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني
شيا يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشتري ياخذ شيا ويعطي شيا فكل واحد من
المعطى والماخوذ ثمن للاخر فهذا معنى الشرا اوليك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم
في الاخرة اى لا نصيب لهم في الاخرة ونعيمها وجميع منافعها ولا يكلمهم الله يعني كلاما يسرهم
به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب ولا ينظر اليهم اى لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا
يوم القيامة ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ولهم عذاب اليم يعني
في الاخرة ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطي بها اكثر مما اعطى
وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع
فضل ما فيقول الله له اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك م عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا
وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللنساي

المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب م عن ابي امامة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة
واوجب له النار قالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك
قوله عز وجل وان منهم يعني من اليهود لفريقا يعني طايفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون اي يعطفون
ويميلون واصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها السنتهم بالكتاب يعني
بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه
عن سنن الصواب بما ياتي به من عند نفسه قاله الواحدي ويحتمل ان يكون المعنى
يلوون بالسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بالسنتهم فيا تون به على
على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون السنتهم معناه ان يعمدوا الى
اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب
فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي
صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها واية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا لتحسبوه
من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي نزله الله على انبيايه
وما هو من الكتاب يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه ويقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين
مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التاكيد ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني انهم
كاذبون وقال ابن عباس ان الاية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة
والانجيل والحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله تعالى ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم
ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام ان يوتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله
تعالى ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يوتيه الله الكتاب يعني القران وذلك
ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا
قال معاذ الله ان امر بعبادة غير الله وما بذلك امرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله
هذه الاية ما كان لبشر اي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني ادم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط
ويوضع موضع الواحد والجمع ان يوتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو امضا
الحكم عن الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
ومعنى الاية لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى

عبادة نفسه دون الله وقد اتاه الله ما اتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبيا
موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعا الالهية والربوبية منها ان الله تعالى اتاهم الكتب
السماوية ومنها ايتا النبوة ولا تكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى
ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب
العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن
عباس معناه كونوا فقها علما وعنه كونوا فقها معلمين وقيل معناه حكما علما وقيل الرباني
الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني
العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم
بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني
هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته
وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب
العلم واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم وينصحهم والالف والنون
للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب
وطاعته وعلى قول المبرد الرباني ماخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر
والعلما وهم الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الاية على هذا التاويل لا ادعوكم الى ان تكونوا
عبادا لي ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلما ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعته
وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية او سريانية
وسوا كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير
وقوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين
ومعلمين بسبب دراستكم الكتاب فدلت الاية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون
الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه
قوله عز وجل ولا يامركم قرئ بنصب الرا عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر
وقيل على اضمار ان اي ولا ان يامركم وقرئ برفع الرا على الاستيناف وهو ظاهر ومعناه
ولا يامركم الله وقيل ولا يامركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يامركم عيسى وقيل ولا
يامركم الانبيا ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا يعني كفعل قريش والصابيين حيث
قالوا الملايكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وانما
خص الملايكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من اهل الكتاب
لم يحك عنهم الا عبادة الملايكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انما قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله

قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين قال الزجاج موضع اذ نصب المعنى واذكر في اقاصيصك
اذ اخذ الله وقال الطبري واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين
واصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على امتهم
من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه
ما خوذ من الانبيا والثاني انه ماخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه
الاية فذهب فريق الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب
الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يومن بمن
ياتي بعده من الانبيا وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ
الميثاق من موسى ان يومن بعيسى ومن عيسى ان يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد
صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا
فقيل انما اخذ الله على اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى
اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن
اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين
واممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبيا لان العهد مع المتبوع
عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا ادم فمن بعده
الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليومنن به
ولين بعث وهم احيا لينصرنه وقيل ان المراد من الاية ان الانبيا كانوا ياخذون العهد
والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يومنوا به وينصروه وهذا
قول كثير من المفسرين وقوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة قرى بفتح اللام من لما وبكسرها مع
التخفيف في القراءتين فمن قرا بفتح اللام قال معنى الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل
الذي اتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لتومنن
به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرا بكسر اللام جعل قوله لتومنن به من اخذ الميثاق
كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الاية
واذ استحلف الله النبيين للذي اتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم
ليومنن به ولينصرنه وقوله ثم جاءكم رسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم
وذلك ان الله وصفه في كتب الانبيا المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله
مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام

قوله

قوله لتومنن به لام القسم تقديره والله لتومنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز وجل
للانبيا حين استخرج الذرية من صلب ادم والانبيا فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق
ما قرر في عقولهم من الدلايل الدالة على ان الانقياد من الله واجب فاذا جا رسول وظهرت المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه
بتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق قال االقررتم يعني قال الله
فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين اقررتم بالايمان به
والنصرة له وان فسرناه بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته اقررتم وذلك
لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك طلب
هذا الاقرار واضافه الى نفسه وان وقع من الانبيا والمقصود ان الانبيا بالغوا في اثبات
هذا الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد واخذتم على ذلكم
اصري اي عهدي واصل العهد الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد
قالوا اقررنا اي قال النبيون اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين
لما معنا من كتبك قال فاشهدوا يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني انتم على
انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملايكة
فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم
والبيان وانا معكم من الشاهدين يعني قال الله يا معشر الانبيا وانا معكم من الشاهدين عليكم
وعلى اتباعكم او قال للملايكة وانا معكم من الشاهدين عليهم فمن تولى اي اعرض عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم ونصرته بعد ذلك الاقرار فاوليك هم الفاسقون اي الخارجون عن الايمان
والطاعة قوله عز وجل افغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق
منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضايك
ولا ناخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ
يعني افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلايل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام يبغون
قري بالتاء خطاب للحاضر اي افغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقري بالغيبة
ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاوليك هم الفاسقون وله اسلم اي خضع وانقاد من في السموات
والارض طوعا وكرها فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من
النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل
الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المومن طوعا وانقاد الكافر

كرها وقيل هذا في يوم اخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة
قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المومن طوعا فينفعه
اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت الياس فلم ينفعه ذلك في
القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد
لله تعالى فيما امره به او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها لانه في جميع ما يقضي
عليه ولا يمكنه دفع قضايه وقدره عنه والیه ترجعون قرئ باليا والتا والمعنى ان مرجع
الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قوله تعالى قل امنا
بالله لما ذكر الله عز وجل في الاية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبيا في تصديق الرسول
صلى الله عليه وسلم الذي ياتي مصدقا لما معهم بين في هذه الاية ان من صفة محمد صلى الله
عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم فقال تعالى قل امنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل
وجمع في قوله امنا لانه انما خاطبه بلفظ الواحد ليدل هذا الكلام على انه لا مبلغ
هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال امنا تنبيها على انه حين قال هذا القول
وافقه اصحابه فحسن الجمع في قوله امنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا
لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل وما انزل
علينا يعني وقل يا محمد صدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القران
لانه اشرف الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل وما انزل على ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى انما خص هولا الانبيا بالذكر لان اهل
الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثني عشر
وكانوا انبيا ثم جمع جميع الانبيا فقال والنبيون اي وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين
احد منهم وذلك ان اهل الكتاب يومنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عز
وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يومن بجميع الانبيا
فان قلت لم عدي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلا وفيما تقدم من مثلها في البقرة
بحرف الانتها قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجا تارة
باحد المعنيين وتارة بالمعنى الاخر ونحن له مسلمون اي موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل
له شريكا في عبادتنا قوله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يعني ان الدين
المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح
ما يامر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الاخرة من الخاسرين يعني الذين وقعوا
في الخسارة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة
في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل

لنبيه

٢٧

وجميعهم الهدى

لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله تعالى كيف يهدي
الله قوما كفروا بعد ايمانهم نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة
واتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري وطعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت
وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان نبي مبعوث
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف
يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بعد ايمانهم اي بعد تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جا به من عند ربه وشهدوا ان الرسول
حق يعني وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق وجاءهم
البينات يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت النبوة
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى انهم
ظالمون وقيل لا يهديهم في الاخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال في اول الاية كيف
يهدي الله قوما كفروا وقال في اخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس
فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو مختص باوليك المرتدين عن الاسلام
ثم انه تعالى عمم ذلك الحكم في اخر الاية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع
الكفار المرتدين والكافر الاصلي وانما سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها

عام الكفر

اوليك جزاوهم يعني الذين كفروا بعد ايمانهم ان عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
خالدين فيها اي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي ولا هم يوخرون عن وقت العذاب ولا يوخر عنهم من وقت
الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك يعني من بعد ارتدادهم
وكفرهم وذلك ان الحارث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل الى قومه ان
سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فانزل الله الا الذين تابوا من بعد
ذلك واصلحوا الاية فبعث بها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تايبا
وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه واصلحوا اي وضموا الى التوبة
الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل
معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات
فان الله غفور رحيم اي غفور لقبايحهم في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو وقيل غفور
بازالة العذاب رحيم باعطا الثواب قوله عز وجل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
لن تقبل توبتهم نزلت في اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره

من انبيايهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل نزلت في اليهود
والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما راوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما
ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل
نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله حق ثم ازدادوا كفرا
يعني باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون
وقيل نزلت في الاحد عشر رجلا من اصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع
الحارث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا
الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن
دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار الاية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله تعالى لن تقبل
توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم فقال الحسن وقتادة
وعطا والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال
وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان فان
الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال ان اليهود والكفار والمرتدين الذين فعلوا ما
فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس هم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار
التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمايرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها
في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد
لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم مما ازدادوا
من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى وعد ان يقبل التوبة عن عباده
وانه قابل توبة كل تايب من كل ذنب بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله
الله غفور رحيم علم ان المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل منه فعلى هذا
فالذي لا تقبل توبته هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبته ما اقام على
كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح
فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى واولئك هم الضالون يعني هولاء الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق واخطاوا منهاجه قوله تعالى
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل
من كان من اصحاب الحارث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الاية فيمن مات منهم على الكفر
وقيل نزلت فيمن كان كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام
فالاية عامة في جميع من مات على الكفر فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملا

الارض

خالفهم

الارض من شرقها الى غربها ولو افتدى به قيل معناه لو افتدى به والواو زايدة مقحمة وقيل
الواو على حالها وفايدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لن يقبل
منه وهذا اكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك
شيا في الاخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام قد ورد
على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان للكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة
لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شي من ذلك وقيل معناه لو ان الكافر
انفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير
مقبولة اولئك اشارة الى من مات على الكفر لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين يعني مانعين
يمنعونهم من العذاب ق عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز
وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما في الارض من شي اكنت تفتدي
به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي
شيا فابيت الا الشرك لفظ مسلم وقوله عز وجل لن تنالوا البر قال ابن عباس يعني الجنة
وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن
تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل
البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب
ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه ق
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر
وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي
الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا م عن
النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر
حسن الخلق والاثم ما حاك في الصدر وكرهت ان يطلع عليه الناس منك فعلى هذا
المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال ان
لفظ البر هو الجنة فقال معنى الاية لن تنالوا ثواب البر المودي الى الجنة حتى تنفقوا مما
تحبون يعني من جيد اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويوثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة ق عن ابي هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل
الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا في
هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة

اموالكم فعلى هذا القول قيل ان الاية منسوخة باية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب
في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سابر الصدقات وقال الحسن كل شي انفقه المسلم
من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون ق عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر انصاري بالمدينة مالا وكان
احب ماله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ما فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول
في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وانا احب موالي الي بيرحا وانها صدقة
لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ مال رابح او قال ذلك مال رابح ارى ان تجعلها في الاقربين
فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه قوله بخ هي
كلمة تقال عند المدح والرضى وتكرر للمبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت
جرت ونونت فقلت بخ بخ وقيل بخ بخ قوله مال رابح اي ذو ربح وفي الرواية الاخرى
ذلك مال رايح باليا معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحا اسم موضع بالمدينة
وهو حايط كان لابي طلحة ويروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري
ان يبتاع له جارية من سبي جلولا يوم فتحت فلما جات اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل
يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله
ابن عمر خطرت على قلبه هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله
فذكرت ما اعطاني الله تعالى فما كان شي احب الي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى
قال ولولا اني لا اعود في شي جعلته لله لنكحتها ق عن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الاية لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جا زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان اتصدق بها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيدا وجد في نفسه فلما راى ذلك
منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما ان الله قد قبلها وروي ان ابا ذر نزل به ضيف فقال
للراعي ايتني بخير ابلي فجا بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير
الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي
وقوله تعالى وما تنفقوا من شي يعني من اي شي كان من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه
فان الله به عليم اي يعلمه ويجازيكم به قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم

جرت

اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها
وانت تاكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك كله حلالا
لابراهيم قالوا كلما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله
عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه وهو يعقوب من قبل
ان تنزل التوراة يعني ليس الامر على ما ادعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل
كان ذلك حلالا على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من
الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم باحضار التوراة وطلب ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك
وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشيا على ابراهيم وقيل ان اليهود
انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جايز فابطل الله ذلك عليهم واخبر
ان كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه
كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان
النسخ غير جايز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن ادم الى هذا الوقت
فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض
انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرايل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا
من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم
بان النسخ غير جايز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله
عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما اخبر ان ذلك في التوراة
علم ان الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم انه وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام كان حلا لبني اسرايل
الا ما حرم اسرايل على نفسه اسرايل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا
في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس
ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا
اي الطعام حرم اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدكم بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرايل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال
سقمه منه فنذر لله نذرا لين عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه
وكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال
ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه فيما روي عن
الضحاك ان يعقوب كان نذر لين وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا

يعني كل انواع الطعام والشراب التي يطعمونها

ان يذبح احدهم وفي رواية اخرهم فتلقاه ملك من الملايكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي
فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع احدهما صاحبه فغمز الملك غمزة فعرض له عرق النسا
من ذلك ثم قال اما اني لو شيت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك نذرت ان
اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت اخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم
يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فاتاه الملك وقال له انما غمزتك
للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في اخرى اقبل يعقوب
من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه
ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد
الى السما ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع
ويبيت وله زقا اي صياح فحلف يعقوب لين شفاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق
فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق فيخرجونها من اللحم ولا ياكلونها
وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطبا تجنب لحمان الابل فحرمها يعقوب
على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجيز ذلك
فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الاية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرايل
ثم استثنى ما حرم اسرايل على نفسه فوجب بحكم الاستثنا ان يكون ذلك حراما على
بني اسرايل اما قوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع
الطعام كانت حلالا لبني اسرايل سوى ما حرم اسرايل على نفسه اما بعد نزول التوراة
فقد حرم الله تعالى عليهم اشيا كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا
الطعام المحرم على بني اسرايل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة
ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرايل
فانه قال ان عافاني الله تعالى لا اكله ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال
الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم كما قال تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنوا اسرايل اذا اصابوا ذنبا
عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك
لم يكن شي من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على انفسهم اتباعا
لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال تعالى قل فاتوا بالتوراة
يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتوراة فاتلوها اي فاقروها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم
ان كنتم صادقين يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى فمن افترى على الله

الكذب لا فترا اختلاق الكذب والافترا الكذب والقذف والافساد واصله من فري الاديم
اي قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود من بعد ذلك اي من بعد ظهور
الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله فاوليك هم الظالمون اي المستحقون
للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود
وتكذيب لهم حيث ارادوا براة ساحتهم فيما نعي عليهم مما نطق به القران من تعديد
مساويهم التي كانوا يكتبونها قل صدق الله يعني قل يا محمد صدق الله فيما اخبر ان ذلك
النوع من الطعام صار حراما على اسرايل واولاده بعد ان كان حلالا له فصح القول بالنسخ
وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة
لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرايل بسبب تحريمها اسرايل على نفسه وقيل
صدق الله في ان ساير الاطعمة كانت محللة لبني اسرايل وانما حرمت على اليهود جزا على
قبايح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر
وانتم كاذبون يا معشر اليهود فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد
صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد
ومن امن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم وما كان من
المشركين اي لم يدع مع الله الها ولا عبد سواه قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من
الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبيا وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل
فانزل الله هذه الاية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم فاكذبهم
الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى
في الاية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعاير ملة ابراهيم الحج
الى الكعبة ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج وقوله ان اول بيت
وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشي الذي يوجد ابتدا
سوا حصل عقيبه شي اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه الله موضعا
للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا للحج والطواف وتزداد فيه الخيرات
وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سوا العاكف
فيه والباد فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه الى الناس
اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم
له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم
وقبلة صلواتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين البا والميم فيقولون ضربة لازب

ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما
انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه فلهذا قال
سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول
محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة
اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير
واما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه
اذا امص كلما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت ام رحم لان
الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها ولان الناس يحطم بعضهم
بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف
العلما في كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول في الوضع والبنا قال
مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية عنه ان الله
خلق البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الما
عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضا على وجه
الما فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول
بيت بني على الارض وروى عن علي بن الحسين بن علي ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا
وهو البيت المعمور امر الملايكة ان يطوفوا به ثم امر الملايكة الذين في الارض ان يبنوا
بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من في الارض ان
يطوفوا به كما يطوف اهل السما بالبيت المعمور وروى ان الملايكة بنوه قبل خلق
ادم بالفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه ادم قالت الملايكة بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا
البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس انه اول بيت بناه ادم في الارض وقيل ان ادم
لما اهبط الى الارض استوحش وشكى الوحشة فامره الله تعالى ببنا الكعبة فبناها
وطاف بها وبقي ذلك البنا الى زمان نوح فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السما
وبقي موضع البيت اكمة بيضا الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنايه
القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه
سياق الاية وهو قوله تعالى للذي ببكة مباركا روى ان رجلا قام الى علي بن ابي طالب
فقال الا تخبرني عن البيت هو اول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت
ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان
امنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة
وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت

جعل قبلة للناس ق عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد
وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال
اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيث ما ادركت الصلاة فصل زاد البخاري فان
الفضل فيه وقوله مباركا يعني ذا بركة واصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير
الالهي فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر
العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الصلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد
الحرام وهدى للعالمين يعني انه قبلة للمومنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان
فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل
هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له
الجنة برحمته قوله تعالى فيه ايات بينات اي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد
فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الايات فقيل هي قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان
امنا وقيل الايات غير مذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا تطير
فوق الكعبة في الهوى بل تنحرف عنه اذا وصلت اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحش لا تؤذي
بعضها بعضا في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظبا ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منها
شي استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده
جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الايات التي فيه الحجر
الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الايات ومنها ان الامر
ببنا هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل والمساعد
في بنايه هو اسماعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى مقام ابراهيم يعني
الحجر الذي كان يقوم عليه عند بنا البيت وكان فيه اثر قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة
المسح بالايدي ومن دخله كان امنا قيل لما كانت الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت
وضع للناس موجودة في جميع الحرم اذ المراد بقوله ومن دخله كان امنا جميع الحرم ويدل
عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا يعني من ان يهاج فيه
وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من
القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا
جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الاية ومن دخله عام عمرة
القضا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن
دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا

كان وحدا فالتجا الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص والحد فى الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع
ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال
الشافعى اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجا الى الحرم استوفى منه فى الحرم واجمعوا على
انه لو قتل فى الحرم او سرق او زنى فانه يستوفى منه الحد فى الحرم عقوبة له وقيل فى معنى الاية ومن
دخله معظما له متقربا بذلك الى الله كان امنا من العذاب يوم القيامة وقيل من دخله كان
امنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت اى ولله على الناس فرض
حج البيت والحج احد اركان الاسلام ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام
على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتا الزكاة والحج وصوم رمضان
فعد النبى صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة من استطاع اليه سبيلا يعنى وفرض الحج
واجب على من استطاع من اهل الكتاب ووجد السبيل الى حج البيت الحرام فصل فى فضل البيت
والحج والعمرة ق عن ابى ذر قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس للذى
ببكة مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما
سود ته خطايا بنى ادم اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد
على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضا ما بين المشرق
والمغرب قال الترمذى وهذا يروى عن ابن عمرو موقوفا ق عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ق عن ابى
سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا
والمسجد الحرام والمسجد الاقصى م عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جا رجل الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذى وقال
حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزى المكى قد تكلم فيه بعض اهل العلم قبل حفظه ق عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له
جزا الا الجنة وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفى لفظ
من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه اخرجه الترمذى وقال غفر له ما تقدم من
ذنبه عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب

والفقر

والفقر كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة
وما من مومن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذى وقال حديث
حسن صحيح غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم
يلبى الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من هاهنا وهاهنا
قال الترمذى هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذى هذا حديث
غريب فصل فى احكام تتعلق بالحج قال العلما الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان
الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرايط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة
ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون
ولا يجب على الصبى والعبد ولو حج صبى يعقل او عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض
فاذا بلغ الصبى وعتق العبد واجتمع فيهما شرايط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب
على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف
غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان
احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والاخر ان يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع بنفسه
فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر فى الزاد
والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل واما المرفوع انما رواه
ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك
الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلما فى قوله من استطاع
اليه سبيلا فقالت طايفة الاية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم
ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان يستثنى من ظاهر الاية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد
اليه السبيل باى وجه كانت الاستطاعة للحج على ظاهر الاية قال ورويناعن عكرمة انه قال
الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليوجر نفسه باكله وعقبه
حتى يقضى نسكه وقال مالك الاستطاعة على طاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا
يقدر على المشى واخر يقدر على المشى على رجليه وقالت طايفة الاستطاعة الزاد والراحلة
لذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم
وقال الشافعى للاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من
ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثانى ان لا يقدر ان يثبت على
الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال يجد من يستاجره فيحج
عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج ما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد

من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان تكون المنازل المأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق اهلها بجدب وغار مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عنده من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستاجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستاجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة لما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج به ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحارث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه متعلقة بما قبلها وقيل انها كلام مستانف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الاخر فان الله غني عن العالمين وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته لم تكفرون بآيات الله يعني الآيات الدالة

على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكانت صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبه والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم تبغونها عوجا يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفة وانتم شهداء قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان في التوراة مكتوبا ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الان جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رايت يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه

يردوكم بعد ايمانكم كافرين والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان
الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الاخرة النار وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم
رسوله وكلمة كيف تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ
وذلك لان تلاوة ايات الله وهي القران حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم
الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر بعيدا على هذا الوجه قال في هذه الاية علمان
بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله
بين اظهركم رحمة منه ونعمة م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا
بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس
انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور
فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله
في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وقوله تعالى ومن يعتصم بالله اي يمتنع بالله ويستمسك بدينه
وطاعته واصل العصمة الامتناع من الوقوع في افة وفيه حث لهم في الالتجا الى الله تعالى
في دفع شر الكفار عنهم فقد هدي الى صراط مستقيم اي الى طريق واضح وهو طريق الحق المودي
الى الجنة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج
عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر
بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة
ابن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملايكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن
معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القران
ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورييسهم فجرى
الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجا الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي
صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم وانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان
تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة لايم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم
واباءكم وابنايكم وعن انس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب
تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلما في هذا القدر من هذه الاية هل هو
منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الاية شق ذلك على المسلمين
وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن
فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول
الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاووس وموجب هذا الاختلاف

يرجع الى معنى الاية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان ياتي العبد بكل ما يجب لله
ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفا به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق
تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فاتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته
لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته
كما يحق ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى
هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف
في تلك الحالة مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد حضوره انعم
الله عليه بالبال فاما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما
يجب عند الدعا والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون
لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا
ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام
فان الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام
حتى اذا اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم
وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مومنون مخلصون مفوضون الى الله اموركم محسنون الظن به عز
وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا
معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل
واعتصموا بحبل الله جميعا اي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به الى البغية
وسمي الايمان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبيل الذي به
يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الاية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب
يوصل اليه وقيل حبل الله هو القران لانه ايضا سبب يوصل اليه وفي افراد مسلم من حديث
زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله
هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القران هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفا النافع
عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة
فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل
بحبل الله يعني بامر الله وطاعته ولا تفرقوا يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا
يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل
معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها ففيه النهي

عن الاختلاف في الدين وعن التفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي
بسنده عن ابي هريرة انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا
يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله
امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ
كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا قال محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار
كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة قتل ثم تطاولت تلك العداوة
والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله تعالى ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه
عليه الصلاة والسلام وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا
تسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى
الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها
علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعي افضل من هذا قرانا نزله الله عز وجل على نور
وهدى فتلا عليه القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف
الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم
ابو الحيسر انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف
من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم
وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال انا رسول الله بعثني الله الى العباد
ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله شيا وانزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القران
فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر حفنة من البطحا
فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جينا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث
اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه
على القبايل من العرب كما يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم
خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث وهو ابن عفرا ورافع بن مالك العجلاني
وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي يهود قالوا نعم قال افلا
تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم

القران

القران قال وكان مما صنع الله به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب
وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شي قالوا ان نبيا الان مبعوث قد اظل
زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر
ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا
تسبقكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من
العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم
الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما
قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق
دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم
من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعوذ ابنا عفرا ورافع بن مالك العجلاني
وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر
وقطبة بن عامر فهولا خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه
بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النسا على ان لا يشركوا
بالله شيا ولا يسرقوا ولا يزنوا الاية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيا من ذلك فاخذتم بحده
في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شا عذبكم وان شا غفر لكم قال وذلك
قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم فبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامره
ان يقريهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان يسمى مصعب بالمدينة المقري وكان منزله على اسعد
ابن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حايطا من حوايط بني ظفر فجلسا في الحايط
واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين الذين
اتيا دارنا ليسفها ضعفانا فازجرهما فان اسعد بن خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ
واسيد بن حضير سيدا قومهما من بني عبد الاشهل وهما بعد مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته
ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما جالسان في الحايط فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا
سيد قومه قد جاك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال
ما جا بكما الينا تسفها ضعفانا اعتزلا ان كانت لكما في انفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس
فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره فقال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما
فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القران فقالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم
في اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا
الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل
وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قال ان ورايي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه

وسارسله البكا الان سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في
ناديهم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به
من عندكم فلما وقف اسيد على النادي فقال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت
بهما باسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى
اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا
للذي ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت شيا فانصرف اليهما فلما راهما
مطمينين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا
ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب
جاك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب ونقعد فتسمع فان
رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز
الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القران قالا فعرفنا والله الاسلام في
وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك
ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين
ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه مقبلا قالوا نحلف بالله
لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل
كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسايكم علي
حرام حتى تومنوا بالله ورسوله قال فما امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلم ومسلمة
ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل سعد فاقام عنده يدعوا الناس الى
الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونسا مسلمون ومسلمات الا ما كان
من دار امية بن زيد وخطمة ووايل ووافق وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر
وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج
معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة
فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهي بيعة العقبة
الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الرحمن بن عمرو بن حرام وابو جابر اخبرناه وكنا نكتم
من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف
من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا او دعوناه الى الاسلام فاسلم
فاخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك

الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا
امراتان من نسايناا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نسا بني النجار واسما بنت عمرو بن عدي ام منيع
احدى نسا بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جانا ومعه عمه
العباس بن عبد المطلب وهو يومىذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له
فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا
الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو
على مثل راينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق
بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك
وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا
قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شيت قال فتكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتلا القران ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما
تمنعون منه انفسكم ونساكم وابناكم قال فاخذ البرا بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق
نبيا لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا
عن كابر قال فاعترض القول والبرا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله
ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان
ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم
انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلا على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم
فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمر بن قتادة ان القوم لما
اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر
الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان
كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي
في الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف
فخذوه فهو والله خير في الدنيا والاخرة قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف
فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول
من ضرب على يده البرا بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم
والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا

ارب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك
بالحق لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك
ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت
علينا جلة قريش حتى جاونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا
تستخرجوه من بين ظهرنا وتبايعوه على حربنا وانه والله ما حي من العرب ابغض الينا ان
تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا نفر يحلفون بالله
ما كان من هذا من شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم
وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان قال فقلت له كلمة كاني
اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوا يا جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من سادتنا
مثل نعل هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الي وقال والله
لتنتعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال قلت لا اردهما فال
والله صالح لئن صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شددوا العقد
فلما قدموها اظهر الله الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون فيها فامرهم
بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد
المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل
اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه عليه افضل الصلاة
والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعني بالاسلام
اذ كنتم اعدا يعني قبل الاسلام فالف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه السلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية
بعد العداوة وكنتم يعني يا معشر الاوس والخزرج على شفا حفرة من النار يعني على طرف حفرة
مثل شفا البير ليس بينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم فانقذكم منها الى خلصكم
بالايمان من الوقوع في النار كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون قوله تعالى ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اللام في قوله ولتكن لام الامر اي لتكن منكم
امة دعاة الى الخير منكم وقيل ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز
وجل اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الامة في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما

بيده او بلسانه او بقلبه م عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك
اضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الاية كونوا امة دعاة الى الخير امرين بالمعروف ناهين
عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به
واحد سقط عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة من لا يقدر على
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز او ضعف فحسن ادخال لفظ من في قوله ولتكن منكم
امة وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلما وولاة الامر فعلى هذا
يكون المعنى ليكن بعضكم امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر خ عن النعمان بن بشير عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل القايم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة
فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من
الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم وما
ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في الاية هو كل شي
يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن امة اي
جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى
فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف
والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس اولا وهو الخير ثم
اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه
والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه قوله تعالى واوليك هم المفلحون تقدم
تفسيره قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا يعني ولا تكونوا يا معشر المومنين
كالذين تفرقوا يعني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول اكثر المفسرين واختلفوا
اي في دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد وقيل تفرقوا
بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في الدين فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه
الاية هم اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام ان يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب
وقال ابن عباس امر الله المومنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك
من كان قبلهم بالمرا والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو
امامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على روس الحرورية على
درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مومنين فكفروا بعد ايمانهم
ثم قرا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية شر قتيل تحت اديم السما وخير قتيل تحت اديم السما الذين قتلهم هولاء قلت فما شانك دمعت
عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدي فقال ان بارض منهم

كثيرا وفي رواية ثم قرا بعد قوله فكفرتم بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله
اكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذي عن ابي غالب قال راى ابو امامة روسا منصوبة على درج
دمشق فقال ابو امامة كلاب اهل النار شر قتلى تحت اديم السما خير قتلى من قتلوه ثم قرا
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى اخر الاية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاث مرات او اربع مرات حتى عد سبعا ما
حدثتكموه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى من بعد ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات
فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التانيث من
الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع واولئك لهم عذاب عظيم يعني لهولاء
الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الاخرة وفيه زجر عظيم للمومنين عن التفرق
والخلاف عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربقة الاسلام عقد الاسلام واصله
ان الربق حبل فيه عدة عرى يشد بها البهم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده
عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة
فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد قوله
تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني اذكروا يوم تبيض فيه وجوه المومنين وتسود
وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض
وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان احدهما
ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل
يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه
اسود وجهه وارتبد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل
وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا ابيضاض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها
بعملها وذلك ان المومن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله
ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت
صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد
القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك
وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب
نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيمة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها
حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المومن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى
ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها ان اهل

الموقف اذا راوا البياض وجه المومن عرفوا انه من اهل السعادة واذا راوا سواد وجه الكافر
عرفوا انه من اهل الشقاوة فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال اكفرتم بعد
ايمانكم وهم لم يكونوا مومنين فمن المراد بهولاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلما في
ذلك فروي عن ابي بن كعب انه قال المراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا
بلى فامن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا
بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم امنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن ابي بكر الصديق
وهم اهل الردة ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض
وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لانا ولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال
انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض
رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي اصحابي فليقالن لي
انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي ق عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي او قال من امتي فيحلون عن الحوض
فاقول يا رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى
وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن ابي طالب وقتلهم وهم الحرورية م عن زيد بن وهب انه
انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين صاروا الى الخوارج فقال علي ايها الناس اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتي يقرون القران ليس قراتكم الى قراتهم بشي ولا صلاتكم
الى صلاتهم بشي ولا صيامكم الى صيامهم بشي يقرون القران انه لهم يحسبون انه لهم وهو عليهم
لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه
يقرون القران لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم
فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيمة ق عن يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف
هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيا قال سمعته يقول واهوى بيده
الى العراق يخرج منه قوم يقرون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية
وقيل هم اهل البدع والاهوا من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول
كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد م عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي
كافرا ويمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الاعور سمعت علي
ابن ابي طالب يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به

النار ثم قرا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية ثم نادى هم الذين كفروا بعد ايمانهم
ورب الكعبة وقوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم يعني المومنين المطيعين لله عز وجل
ففي رحمة الله يعني ففي جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الي
ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى هم فيها خالدون قيل انما كرر
كلمة في لان في كل واحدة معنى غير الاخرى المعنى انهم في رحمة الله وانهم في الرحمة خالدون تلك ايات
الله يعني القران وقيل هذه الايات التي تقدمت نتلوها عليك بالحق اي بالمعنى الحق لان المتلو
حق وما الله يريد ظلما للعالمين يعني لا يعاقب احدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم
هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون اخبر انهم فعلوا فيما فعلوا فيه بسبب فعالهم المنكرة وانه لا يظلم احدا من خلقه ولله
ما في السموات وما في الارض لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم
وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا او عزا او سلطانا او يتم نقصا فيه بما يظلم غيره ولما
كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال اخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميع
ما فيهما ملكه واهلها عبيده واذا كان ذلك كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا
من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال والى الله ترجع الامور يعني والى الله مصير امور جميع
الخلايق المومن والكافر والطايع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم
قوله عز وجل كنتم خير امة سبب نزول هذه الاية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين
قالا لعبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم ودينا
خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الاية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى
الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان شانا قصته وهي عبارة
عن وجود الشي في زمان ماض ولا يدل على انقطاع طاري بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا
التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بانكم خير امة
وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير امة وقيل معناه كنتم مذ انتم خير امة وقيل قوله
خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في
دنياكم خير امة فلهذا استحقيتم ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى
انتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فقوله كنتم اي صرتم خير امة فاما المخاطبون بهذا منهم
فيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله لقال انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كان خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله

عز وجل

عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم ق عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين
او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون وينذرون ولا يوفون
ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون ق عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجي قوم تسبق شهادة احدهم يمينه
ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابي والقرن اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه
الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمالهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل
ثمانون وقيل ماية سنة ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس
في رواية عطا في قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير امة
الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره قوله كتب
عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كان ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في
حق الكل كذا ها هنا عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله
تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشي وامة محمد صلى الله
عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم خ عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن ابى قال من اطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد ابى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او قال
امة محمد على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها في الدنيا
الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل امتي كمثل المطر لا يدرى اخره خير ام اوله اخرجه الترمذي وله عن بريدة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون وماية صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير
الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه
مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي
سالت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله
زاد غيره في الحديث وهم شركا الناس في ساير الابواب عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من امتي من يشفع في الفيام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة
ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذي خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا او سبعماية الف متماسكين اخذ بعضهم ببعض حتى يدخل
اولهم واخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل من امتي سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل
الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي اخرجه الترمذي وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبيا كلهم حتى ادخلها
وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وقوله تعالى **اخرجت للناس** معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس
في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير
امة اخرجت (خ) عن ابي هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس تاتون بهم
في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير امة للناس
وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم **تامرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر** هذا كلام مستانف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم
يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تامرون
الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك **وتومنون بالله** اي وتصدقون بالله وتخلصون له
التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر
مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله امر مشترك
فيه جميع الامم المومنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على
ساير الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما
الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شي من الطاعات مقبولا فثبت
ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم امرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب
حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان وقوله تعالى **ولو امن اهل الكتاب**
يعني ولو امن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به **لكان خيرا لهم**
يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام
ولو امنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة وهو دخول الجنة **منهم** يعني من
اهل الكتاب **المومنون** يعني عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه
الذين اسلموا من النصارى **واكثرهم الفاسقون** اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا
في دينه وهو لاء مع كفرهم هم فاسقون قوله تعالى **لن يضروكم الا اذى** سبب نزول هذه الاية ان
روسا اليهود عمدوا الى من امن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه فاذوهم لاسلامهم فانزل
الله تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لن يضركم ايها المومنون هولاء اليهود الا اذى يعني باللسان
من طعن في دينكم او تهديد او القا شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم **وان**

يقاتلوكم

يقاتلوكم يولوكم الادبار يعني منهزمين مخذولين **ثم لا ينصرون** يعني لا يكون لهم النصر عليكم
بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يوذونهم بالقول
ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول الى
غيره من الضرر وبشرهم بالغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال
تعالى **ضربت عليهم الذلة** يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشي يضرب على الشي فيلصق
به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها
ذلة وصغار وقيل الذلة انهم اينك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون
في جميع البلاد **اينما ثقفوا** اي حيث ما وجدوا وصودفوا **الا بحبل من الله** يعني الا بعهد
من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة **وحبل من الناس** يعني المومنين ببذل الجزية والمعنى
ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل من الناس وهو ذمة
الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاوهم الى الذمة لما
قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف **وباوا
بغضب من الله** اي رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله من البوا وهو المكان
والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه **وضربت عليهم المسكنة** يعني كما يضرب البيت
على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان
الله اخرج المسكنة عن الاستثنا وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية
فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر
وان كان غنيا موسرا **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوا بالغضب **بانهم** اي
بسبب انهم **كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**
اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدايهم حدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل
ليسوا سوا قال ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما امن بمحمد صلى الله
عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين ابايهم فانزل الله تعالى هذه الاية وفي قوله ليسوا سوا قولان
احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين تقدم ذكرهم منهم المومنون واكثرهم
الفاسقون ليسوا سوا وقيل معناه لا يستوي اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القايمة بامر الله
الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سوا متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله **من اهل الكتاب
امة قايمة** فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قايمة ومنهم امة مذمومة غير
قايمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفا بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين
يغني عن ذكر الاخر قال ابو ذويب: دعاني اليها القلب اني لامره مطيع فلا ادري ارشد طلابها
اراد ام غير رشد فاكتفى بذكر احد الضدين دون الاخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة

بلغ

لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق فاعلم الله
ان منهم امة قايمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قايمة وانما ابتدا بذكر فعل الاكثر منهم وهو
الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قايمة قال
ابن عباس قايمة اي مهتدية قايمة على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قايمة اى عادلة وقيل
قايمة على كتاب الله وحدوده وقيل قايمة في الصلاة يتلون ايات الله اي يقرون كتاب الله عز وجل اناء
الليل يعني ساعاته وهم يسجدون يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود
وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشا لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود
الخضوع والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطا في قوله ليسوا سوا من اهل الكتاب امة
قايمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به وكان من عدة نفر من الانصار منهم
اسعد بن زرارة والبرا بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام
موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرايع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله
عليه وسلم فامنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال يومنون بالله
واليوم الاخر وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الاخر بغير ما يصفه المومنون
وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيايه ورسله واليهود يومنون ببعض الانبيا ويكفرون
ببعض والايمان باليوم الاخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان
الخالص بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعني غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم
بعضا وقيل يامرون بالمعروف يعني بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن
الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويسارعون في الخيرات اي يبادرون اليها خوف الفوات
وذلك لان من رغب في امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين
ولا كسالى واوليك اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به من الصالحين اي من جملة الصالحين الذين صلحت
احوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا
حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يريد
بالصالحين المسلمين والمعنى واوليك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله تعالى وما تفعلوا
من خير فلن تكفروه قرى بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مومني اهل الكتاب وذلك ان اليهود
لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله انهم فازوا
بالدرجات العلا وما فعلوا من خير يجازيهم به ولا يمنع خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل
فاعل للخير وقرى بالتا على انه ابتدا كلام وهو خطاب لجميع المومنين ويدخل فيه مومنوا اهل الكتاب
ايضا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها المومنون فلن تكفروه اى فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او

تمنعوه

تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به والله عليم بالمتقين فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة
على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيا قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك لان روسا اليهود مالوا الى
تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل
الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا جهل
كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر واحد على المشركين وقيل ان
الاية عامة في حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجرا اللفظ على
عمومه ومعنى الاية ان الذين كفروا لن تغني اى تدفع عنهم اموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله
ولا اولادهم بالنصرة وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة
بفدا المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شي من ذلك
في الاخرة ولا يخلصه من عذاب الله وهو قوله واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون
لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا قيل اراد
نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل اراد نفقة اليهود على علمايهم وروسايهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم
في الدنيا وقيل اراد نفقات المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم المال
اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الاخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر في الاخرة
في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الاخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان
كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك
المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته في الاخرة ثم ضرب لذلك
الانفاق مثلا فقال تعالى كمثل ريح فيها صر فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل
اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان
الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة وعلى
الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانه سوا كان فيها برد فهو مهلك او حر فهو مهلك
ايضا اصابت يعني الريح التي فيها صر حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم يعني بالكفر
والمعاصي ومنع حق الله فيه فاهلكته يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الاية مثل نفقات
الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته
فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض في تشبيه ما انفقوا ابطال ثوابه وعدم الانتفاع به
بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب
وهو ما حصل فيه المشابهة بين الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت

المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزا كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا
القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة
للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل
هو تشبيه ما ينفقون بشي يذهب بالكلية ولا يبقى منه شي وقوله تعالى وما ظلمهم الله يعني بان لم
يقبل نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون يعني انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم
واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الاية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون
اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الاية
ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الايات المتقدمة
فيها ذكر اليهود فتكون هذه الاية كذلك وقيل كان قوم من المومنين يصافون المنافقين ويفشون
اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكر
في سياق هذه الاية قوله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه
صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول
معنى الاية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المومنين ان يتخذوا بطانة غير
المومنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه
من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري
والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد التقرب
يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره من دونكم قيل من صلة
زايدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دون اهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا اوليا واصفيا من غير اهل
ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى لا يالونكم خبالا يعني لا يقصرون
ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق
الانسان فيورثه نقصان العقل ودوا ما عنتم اي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضر والشر
والهلاك والعنت المشقة قد بدت البغضاء من افواههم اي ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة
والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على اسرار المومنين وما تخفي صدورهم يعني من
العداوة والغيظ اكبر اي اعظم مما يظهرونه قد بينا لكم الايات يعني الدالة على وجوب الاخلاص في
الدين من موالاة المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون يعني ما بين لكم فتعملون به قوله تعالى
ها انتم ها للتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور اولا اسم للمشار اليه في قوله تحبونهم والمعنى انتم
ايها المومنون تحبون هولا اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة
والرضاع والمصاهرة والحلف ولا يحبونكم يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين

وقيل

وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشيا ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو
شر الاشيا لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون
ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم
ولا يحبونكم اي لا يفعلون مثل ذلك معكم وتومنون بالكتاب كله يعني وهم لا يومنون وانما ذكر الكتاب
بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى
انكم تومنون بالكتب كلها وهم لا يومنون بشي من كتابكم واذا لقوكم قالوا امنا يعني ان الذين
وصفهم في هذه الاية بهذه الصفات اذا لقوا المومنين قالوا امنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم
وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود واذا خلوا اي خلا بعضهم الى بعض عضوا عليكم الانامل
من الغيظ الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة
وشدة الغيظ على المومنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم واصلاح ذات بينهم وعض الانامل
عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ
والغضب قل موتوا بغيظكم وهذا دعا عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون
من قوة الاسلام وعزة اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور يعني به الخواطر القايمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه
وهي لكونها حالة في القلب منتسبة اليه كني عنها بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل
في قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو
اخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل ان تمسسكم اي تصبكم ايها المومنون واصل المس
باليد ثم سمي كل ما يصل الى الشي ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اي اصابه حسنة
المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهور على عدو واصابة غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول
في دينكم وخصب معايشكم تسوهم اي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسن وان تصبكم سيئة اي مساة
من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او جدب او نكبة ومكروه يصيبكم
يفرحوا بها اي بما اصابكم من ذلك المكروه وان تصبروا يعني على اذاهم وقيل وان تصبروا على طاعة
الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا اي تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه
لا يضركم اي لا ينقصكم كيدهم اي عداوتهم ومكرهم شيا اي لانكم في عناية الله وحفظه ان الله بما
يعملون قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتهم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء
على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المومنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه محيط
اي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شي منه قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوي المومنين مقاعد
للقتال قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن
عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن اسحاق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب

ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طايفتان منكم
ان تفشلا وقد اتفق العلما ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى
الله عليه وسلم من منزل عايشة تمشي على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح
قال محمد بن اسحاق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فلما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قبلها قط
فاستشاره فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله
ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا
فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلناهم الرجال في وجوههم ورماهم
النسا والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خايبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا الراي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا انا قد جبنا
عنهم وضعفنا وخفنا هم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا فاولتها
خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة
قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في
الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى
اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقا القوم حتى دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بيس ما صنعنا نشير
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله
اصنع ما رايت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعا والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج
اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان
نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا
عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام
فاذا عاينوكم وولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله
صلى الله عليه وسلم راي عبد الله بن ابي بن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان
وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداهم اذا عاينوهم
انهزموا فاذا رايتم اعداهم فانهزموا انتم فيتبعوكم فيصير الامر على خلاف ما قاله محمد لاصحابه
فلما التقى الجمعان وكان عسكر المومنين الفا وكان المشركون ثلاثة الاف فانخذل عبد الله بن ابي

ابن سلول بثلثماية من اصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعماية
من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى المومنون انهزام المشركين طمعوا
في ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله نزع
الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ
غدوت اي اذكر اذ غدوت من اهلك يعني من منزل عايشة ففيه منقبة عظيمة لعايشة رضي
الله عنها بقوله من اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله تبوي المومنين اي تنزل المومنين مقاعد
للقتال اي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ معسكرا للقتال والله سميع يعني لاقوالكم عليم يعني
بنياتكم وما في ضمايركم قوله عز وجل اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا اي تجبنا وتضعفا عن
القتال والطايفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد في الف رجل وقيل في تسع ماية وخمسين رجلا وكان
المشركون ثلاثة الاف فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن ابي بثلث الناس ورجع في ثلاثماية
وقال علي م نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمي وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم
فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطايفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي
فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا
فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طايفتان منكم
ان تفشلا والله وليهما اي ناصرهما وحافظهما ومتولي امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم
على فعل الشي والاية تدل على ان الطايفتين عزمتا على الفشل وترك القتال معصية فكيف مدحهما
الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك
فحمل الهم على حديث النفس في هذه الاية اولى والله تعالى لا يواخذ بحديث النفس ويعضده
قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مدحهم الله بقوله والله وليهما ق عن جابر قال فينا نزلت اذ همت طايفتان منكم ان
تفشلا والله وليهما قال نحن الطايفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل فيها لقول
الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزال فيهم اية ناطقة
مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التي هموها ما اخرجتهم عن ولاية الله تعالى وقوله تعالى
وعلى الله فليتوكل المومنون التوكل مفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته

والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى
ثقة بحسن تدبيره فامر الله تعالى عباده المومنين ان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا
امرهم الا اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف
وقيل هو اسم لبير هناك وكانت البير لرجل يقال له بدر فسميت به فذكر الله المومنين منته
عليهم بالنصر يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين
كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة
السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على النواضح
وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد
وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم الف فرس وكان معهم
السلاح والشوكة فنصر الله المومنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم فاتقوا الله يعني في الثبات
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون يعني بتقواكم ما انعم الله به عليكم من
نصرته قوله تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة
منزلين بلى اختلف المفسرون في ان هذا الوعد بانزال الملائكة حصل يوم بدر ام يوم احد على
قولين احدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكة
مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكرها هنا بلى ان تصبروا وتتقوا
وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم
الله بخمسة الاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما
سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا ومددا وقال الحسن هولاء الخمسة
الاف ردء للمومنين الى يوم القيامة وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم
الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم ياتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة الاف
وكانوا قد امدوا بالف من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا
القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الاية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا
يقتضي ان الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية
ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة فكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثاني
ان هذا الوعد بامداد الملائكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير
ابن اسحاق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي
وفتى شاب يتنبل له كلما رمى النبل اتاه به فنثره وقال ارم يا اسحاق ارم يا اسحاق مرتين فلما انجلت

المعركة سيل عن ذلك الرجل فلم يعرف ق وعن سعد بن ابي وقاص قال رايت على يمين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رايتهما
قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من
الملائكة كما نص عليه في سورة الانفال ولم يكن بثلاثة الاف وبخمسة الاف كما هنا وايضا فان
الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منه وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة
وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ
للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة الاف فناسب
ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر
واجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بانه تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة
الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز للكفار قريش شق عليهم وعدوا
بان يمدوا بثلاثة الاف وبخمسة لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم
بدر الفا فانزل الله الفا وفي يوم احد كانوا ثلاثة الاف فانزل الله ثلاثة الاف بان هذا انقر يب
حسن والله ان يزيد ما شاء في اي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم
من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا وقيل
لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حين حاصروا قريظة ق وعن عايشة
قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال له
قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال هاهنا واشار الى بني قريظة
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم خ عن انس قال كاني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب
جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال عبد الله بن ابي اوفى كنا محاصرين
قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو
يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها راسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة
والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة الاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري
واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمومنين الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة الاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة
الاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا الله ولا دلالة في الاية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا
بهم فقد يجوز ان الله امدهم ويجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت في ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك
وقد ثبت بنص القران انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما في سورة الانفال فاما يوم احد فالدلالة
على انهم لم يمدوا ابين منها بانهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت

فما نصنع بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه راى ملكين عن يمين النبي صلى الله
عليه وسلم وشماله قلت انما كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم
اصحابه يوم احد واما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمومنين فعلى قول من قال انه هذا كان
يوم بدر قال نظم الاية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمومنين ومن قال هذا يوم احد
يقول نظم الاية ان الله ذكر قصة احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك
هو قادر على ان ينصركم في ساير المواطن ثم رجع الى قصة احد فقال تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم
ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اغاثة الجيش
فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه
مده مددا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلاثة الاف من الملايكة منزلين انما وعدهم بنزول
الملايكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق لوعد الله اي بلى يمدكم
وقيل بلى ايجاب لما بعد لن يعني يكفيكم الامداد فاوجب الكفاية ان تصبروا اي على لقاء عدوكم وتتقوا
يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن
عباس ابتدا الامر يوجد فيه ثم يوصل باخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم اراد ابتدا مخرجهم يوم
بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتدا غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد
من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة لم يرد خمسة الاف سوى الثلاثة المتقدمة
بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز
ابن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية على تقدير ان يجي للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المومنين بغير
الف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن ابي طالب قال بينا انا امتح من قليب
بدر جاءت ريح شديدة لم ارا شد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ارا شد منها الا التي قبلها ثم جاءت
ريح شديدة لم ارا شد منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل في الفين من الملايكة
وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكايل نزل في الفين من الملايكة
وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملايكة عن
يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداه ومن الناس من ضم العدد
القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة الاف وخمسة
الاف فيكون المجموع تسعة الاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية الاف لانه ليس
فيها ذكر الالف المفردة مسومين قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه
معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة السيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقا
ليعرف بها قال عنترة فتعرفوني انني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم ومن كسر الواو نسب الفعل

الى

الى الملايكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة واعلموا خيلهم واختلفوا
في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملايكة على خيل بلق وعليهم عمايم صفر وقال علي
وابن عباس كان عليهم عمايم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت
عمايم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني الصوف المصبوغ
في نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملايكة
قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بسند وقيل كانت عمامة الزبير
صح بغير سنده
يوم بدر صفرا فنزلت الملايكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال قوله تعالى
وما جعله الله يعني هذا الوعد والمدد الا بشرى لكم يعني بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به
ولتطمين اي ولتسكن قلوبكم به اي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله
يعني لا تحيلوا النصر على الملايكة والجند وكثرة العدد فان النصر من الله لا من عند غيره والغرض
ان يكون توكلهم على الله لا على الملايكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال
على مسبب الاسباب العزيز الحكيم يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة
والحكم وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده ليقطع طرفا من الذين كفروا هذا متعلق
بقوله لقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اي ليهلك طايفة من
الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم
وسادتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر
وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكبتهم اصل الكبت
في اللغة صرع الشي على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة
او الاهلاك او اللعن والخزي فينقلبوا خايبين اي بالخيبة لم ينالوا شيا من الذي املوه من
الظفر بكم قوله عز وجل ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم اختلفوا في سبب
نزول هذه الاية فقيل انها نزلت في اهل بير معونة وهم سبعون رجلا من القرا بعثهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بير معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في
صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القران والعلم
وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك
وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبايل باللعن خ عن ابن
عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخرة من الفجر
يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله عليه
ليس لك من الامر شي الى قوله فانهم ظالمون ق عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي

ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحيا من العرب حتى انزل الله ليس لك
من الامر شي الاية وسماهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله
قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته
وشج في راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو
يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من الامر شي وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم
بالاستيصال فنزلت هذه الاية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما وقف على عمه حمزة وراى ما صنعوا به من المثلة فاراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الاية
قال العلما وهذه الاشيا كلها محتملة فلا يبعد حمل الاية في النزول على كلها ومعنى الاية ليس لك
من امر مصالح عبادي شي الا ما اوحي اليك وان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم
فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك مسلة هلاكهم والدعا عليهم لانه
تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشا منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شي الا ما وافق
امري انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب عليهم معطوف على
قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا وقوله ليس لك من الامر شي كلام معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
ليس لك من الامر شي بل الامر امري في ذلك كله قال بعض العلما والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم
من الدعا عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم او
سيولد منهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعا عليهم لان دعوته
صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك اهلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق
في علمه ابقاهم ليتوب على بعضهم ويخرج من بعضهم ذرية مومنة صالحة ويهلك بعضهم
بالقتل والموت وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل
والاسر وفي الاخرة وهو عذاب النار فانهم ظالمون هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم
لانهم ظالمون ثم قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وهذا تاكيد لما قبله من قوله ليس
لك من الامر شي والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لاحد
معه امر يغفر لمن يشا بفضله ورحمته ويعذب من يشا بعدله يحكم فيهم بما يشا لا منازع له في حكمه
ولا معارض له في فعله والله غفور رحيم يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم
بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل

الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه
النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
الربا اضعافا مضاعفة اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال
وتاخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جا الاجل ولم يكن للمديون
ما يود قال له صاحب الدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين
اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته واتقوا الله يعني في امر
الربا فلا تاكلوه لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا وتبقوا في الاخرة وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى
فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان الربا من الكباير ولهذا اعقبه بقوله واتقوا النار
التي اعدت للكافرين يعني واتقوا ايها المومنون ان تستحلوا شيا مما حرم الله فان من استحل شيا
مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمومنين ان يستحلوا
ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم هذه الاية اخوف اية
في القران حيث اوعد الله المومنين النار المعدة للكافرين ان لم يتقوا ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي
في هذه الاية تقوية لرجا المومنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة
للكافرين دون المومنين واطيعوا الله يعني فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره والرسول
اي واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحاق في هذه الاية معاتبة
للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا ولا تعذبوا اذا
اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قوله عز وجل وسارعوا
الى مغفرة من ربكم يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المامور
بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه
المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة
لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن ابي طالب الى ادا الفرايض لان اللفظ مطلق
فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروي عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها
التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات
هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد وجنة اي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة
والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيه اشعار بانه لا بد من
المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة
المودية الى الجنة عرضها اي عرض الجنة السموات والارض يعني كعرض السموات والارض لان نفس
السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول في العادة
يكون اكثر من العرض يقول هذا صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسطة

فشبهت باوسع شي علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض
بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد
بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر كان بلاد الله وهي
عريضة على الخايف المطلوب كفة حابل والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق
وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروي ان هرقل ارسل الى النبي صلى الله عليه
وسلم انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جا النهار وقيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك
حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة
السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه فقالوا
ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر ارايتم اذا جا الليل فاين يكون
النهار واذا جا النهار فاين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه حيث يشا الله تعالى
فان قلت قال الله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعدوا به الجنة ومذهب
اهل السنة انها في السموات واذا كانت الجنة في السما فكيف يكون عرضها السموات والارض
قلت المراد من قولنا انها في السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سيل انس بن مالك عن الجنة
افي السموات هي ام في الارض فقال اي ارض وسما تسع الجنة قيل له فاين هي قال فوق السموات تحت
العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس قال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة
كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة
في السما وعرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين اي هيئت للمتقين وفيه دليل على ان
الجنة والنار مخلوقتان الان قوله تعالى الذين ينفقون في السرا والضرا يعني في اليسر والعسر لا يتركون
الانفاق في كلتي الحالتين في الغنى والفقر والرخا والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة
وبلا وسوا كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس واول ما ذكر الله
من اخلاقهم الموجبة للجنة السخا لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك
الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعدا ومواساة الفقرا من المسلمين عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار
والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من
عابد بخيل اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل
والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت
او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيا الا لزقت كل حلقة
مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله
دعاه خزنة الجنة اي فل هلم فقال ابو بكر يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لارجو ان تكون منهم قوله اي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذاك الذي
لا هلاك عليه وقوله تعالى والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عند امتلا نفوسهم منه والكظم
حبس الشي عند امتلايه وكظم الغيظ هو ان يمتلي غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل
وصبر عليه وسكت عنه ومعنى الاية انهم يكفون غيظهم عن الامضا ويردون غيظهم في اجوافهم
وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على روس الخلايق
حتى يخيره من اي الحور شا اخرجه الترمذي وابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروي عن عايشة
ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفا والعافين عن الناس يعني اذا
جنى عليهم احد لم يواخذوه فتكون الاية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك لسو ادب يقع منهم
فتكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم واسا عليهم وهو قريب من القول الاول والله يحب
المحسنين يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فيكون اشارة الى المذكورين
في الاية والاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان ان
تحسن الى من اسا اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل احد
كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان
هذه الخصال المذكورة في هذه الاية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى
الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب
قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قال ابن مسعود قال المومنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله كانت بنو اسرايل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة
على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الاية وروى عطا عن ابن عباس انها نزلت في نبهان التمار اتته امراة حسنا تبتاع منه تمرا فقال لها ان
هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له
اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وفي رواية
ابي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا بين رجلين احدهما انصاري والاخر ثقفي فخرج
الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المراة ان تاخذه

منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على راسه وهام على وجهه
فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسال امراته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان
مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى
به الى ابي بكر رجا ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر
ويحك اما علمت ان الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة
فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال والافعال واصل الفحش
القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله او ظلموا انفسهم وظلم النفس هو ما دون
الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة
وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب كان ذكروا الله يعني ذكروا
وعيد الله وعقابه وان الله يسالهم عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا اجلال الله الموجب
للحيا منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله فاستغفروا لذنوبهم يعني لاجل
ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط
صحة التوبة المقبولة ومن يغفر الذنوب الا الله وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان
التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه
ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه انه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو
القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه ولم يصروا على ما فعلوا
يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا وقيل الاصرار
هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد
في اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال حديث غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل وهم يعلمون
قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون
ان الله يملك مغفرة الذنب وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو
عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني
بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى اخرها فصل في فضل
الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفعني الله منه بما يشا ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف
لي صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد
مومن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرا
هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر الاية اخرجه ابو داود

والترمذي

والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعود
وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسما الا هذا الحديث عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل
هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب اخرجه ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذنب عبد ذنبا
فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا علم ان له ربا يغفر الذنوب وياخذ
بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا علم ان
له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت قد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادري
اقال في الثالثة او الرابعة اعمل ما شئت عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا
ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السما ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو
اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن عنان السما بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها اي ما ظهر
لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها والضم اشهر وهو ما يقارب ملاها عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال
حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل ذنب عسى الله ان يغفره او قال عسى ان يغفره الله الا من مات مشركا او مومن قتل مومنا متعمدا اخرجه
ابو داود وقوله تعالى اولئك اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية جزاوهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار معنى الاية ان المطلوب بالاية للتوبة امران احدهما
الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب واليه الاشارة
بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار اي ذلك لهم ذخرا لا يبخس واجر لا يوكس خالدين فيها اي في الجنات
ونعم اجر العاملين اي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يعني
قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستيصال لانهم خالفوا الانبيا والرسل
للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقا فيها فانقرضوا ولم يبق منهم احد وقيل معنى السنة الطريقة
المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن اي
شرايع وقيل سنن اي امم والسنة الامة ومعنى الاية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم
من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلته لاهلاكهم

فسيروا في الارض امر ندب على سبيل الوجوب بل المقصود تعرفوا احوال الماضين بقوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فرغب امة محمد صلى الله عليه وسلم في تامل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا زجر للكافر عن كفره لانه اذا تامل احوال الكفار واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى اثار المتقدمين له اثر في النفس كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار وفي هذه الاية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة احد يقول فانا امهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلت لهم في اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليائه وهلاك اعدائه قوله تعالى هذا يعني القران وقيل هو اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده بيان للناس يعني عامة وهدى يعني من الضلالة وموعظة للمتقين يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المامور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم هم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا نزلت في يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الاية وحث فيها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما اصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الاية ولا تهنوا اي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا على من قتل منكم لانهم في الجنة وانتم الاعلون يعني بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فاقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين وقيل مومنين معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق قوله تعالى ان يمسسكم قرح قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم الم الجراحة والاية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون

قرح يوم احد فقد مس القوم يعني الكفار قرح مثله يعني يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم وتلك الايام نداولها بين الناس المداولة نقل الشي من واحد الى اخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى اخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى اخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهولاء ويوم لهولاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين وادبل للمشركين من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين خ عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله ابن جبير فقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطاناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزمهم قال فانا والله رايت النسا قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اي قوم الغنيمة قد ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هولاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذين عددت لاحيا كلهم وقد بقي لك ما يسوك فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم امر بها ولم تسوني ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البغوي وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم احد للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وليعلم الله الذين امنوا يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المومن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة او شدة وقيل معناه وليعلم الله الذين امنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اي ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه

ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشي قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى
ليقع ما علمه غيبا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل
معناه ليعلم اوليا الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين
المومنين والمنافقين فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ويتخذ منكم
شهدا اي وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم
بدر فكانوا يتمنون لقا العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه
الشهادة والشهدا جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى
الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل احيا عند ربهم فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها
وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهدا لانهم يشهدون
يوم القيامة مع الانبيا والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة
ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية والله لا يحب الظالمين يعني المشركين وقيل هم
الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون
الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد وليمحص الله الذين امنوا اي وليطهرهم
من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص في اللغة التنقية والازالة ويمحق الكافرين اي يفنيهم
ويهلكهم ومعنى الاية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محقهم
واستيصالهم قوله عز وجل ام حسبتم اي بل احسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا
ايها المومنون ان تدخلوا الجنة وتنالوا كرامتي وثوابي ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قال
الامام فخر الدين الرازي ظاهر الاية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما
حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الاخر وقال الواحدي النفي في الاية
واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز في انتفا الجهاد لو كان يعلمه
والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي وجب عليكم فجرى النفي على العلم للايجاز على سبيل التوسع
في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر
الصابرين اي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبري
يقول ولما يتبين لعبادي المومنين المجاهد منكم على ما امرته به ويعلم الصابرين يعني في الحرب وعلى ما
نالهم في ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفي هذه الاية معاتبة لمن انهزم يوم احد والمعنى
ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا
على الم الجراح والضرب وثبتوا للعدو وهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم قوله تعالى ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قال ابن عباس لما اخبر الله عز وجل المومنين على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم

وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون
باخوانهم فاراهم الله يوم احد فلم يلبثوا الا ان انهزموا الا من شا الله منهم فانزل الله هذه الاية
وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدون فاراهم الله يوم احد ومعنى
قوله تمنون الموت اي تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه يعني من قبل ان تلقوا
يوم احد فقد رايتموه يعني رايتم ما كنتم تتمنون والهافي رايتموه عايدة على الموت اي رايتم اسبابه
معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم وانتم تنظرون قيل ذكره تاكيدا وقال الزجاج
معناه فقد رايتموه وانتم بصرا كما تقول رايت كذا وكذا وليس في عينك علة اي رايته روية حقيقية
وقيل معناه وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
قال اهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد في سبعماية رجل وجعل
عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى
لا ياتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين
ما ثبتم مكانكم وكانت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم
النسا يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه على المشركين فهزموهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من ياخذ
هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما
اخذه اعتم بعمامة حمرا وجعل يتبختر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية
يبغضها الله ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا وراوا اصحابهم
ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة
وراى ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله
ابن قمية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق
عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين
درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة
ووقفت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان
والانوف حتى اتخذن من ذلك قلايد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه وكان قد
قتل يوميذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قمية يريد
قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقتله ابن قمية وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قتلت محمدا
وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس لعنه الله فانكفا الناس فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الي عباد الله الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا

عند المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثر له رسول الله صلى الله
عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابي وامي وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ
قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر معه جعبة النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى
تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست
وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف
عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدا عن فرسه
وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك باس فقال بلى لو كانت
هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي انا اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني
فما لبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف خ عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا
وجه نبي الله قالوا وفشا في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا
رسولا الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم
وقال اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر عم انس بن مالك
يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول
هولاء يعني المسلمين وابرا اليك مما جاء به هولاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين
ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه
فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا نبي الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك
قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
ومعنى الاية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم
فعليكم انتم تمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده
بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه

بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله
عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه
وتعالى فسماه محمدا واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت ۝ الم تر ان الله ارسل عبده ۝ ببرهانه والله
اعلى وامجد ۝ اغر عليه للنبوة خاتم ۝ من الله مشهور يلوح ويشهد ۝ وشق له من اسمه ليجله ۝ فذو
العرش محمود وهذا محمد ۝ ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب
والعاقب الذي ليس بعده نبي وسماه رءوفا رحيما م عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله
المقفي هو اخر الانبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا
المرسل بدليل قوله وانك لمن المرسلين افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يعني انقلبون على اعقابكم
ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على
عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب ضعفا
في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم
ومن ينقلب على عقبيه يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر فلن يضر الله شيئا يعني بارتداده لان الله
تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه وسيجزي الله
الشاكرين يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام
وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته
وروى ابن جبير عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم
ابا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احبار الله وكان اشكرهم واحبهم الى
الله قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بامر الله وبقضائه وقدره وعلمه وذلك ان الله
يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله وامره والمراد من الاية تحريض المسلمين
على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو واعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احدا
لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يندفع الموت بحيلة فلا
فائدة في الخوف والجبن وفي الاية ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو
وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما
لم يضره شيء كتابا مؤجلا يعني موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب
لكل نفس اجلا لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ
لان فيه جميع اجال الخلق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا
ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها ما نشاء مما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز

يوم احد وطلبوا الغنيمة ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها يعني من اراد بعمله الآخرة
نؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم
ان هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان
الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا
فيها وكذلك من اراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه ايضا فيها ق عن عمر بن الخطاب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل
امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوي
بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب
الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته
طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له
وقوله تعالى وسنجزي الشاكرين يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يروا
باعمالهم الا الله والدار الآخرة قوله عز وجل وكأين من نبي اي وكم من نبي قتل معه وقرئ قاتل
معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله وجهان احدهما ان يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى
هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون
معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم
ما وهنوا في دينهم ولا استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي
لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض
ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين ومعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما
ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا
كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيين لا النبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان
معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه
العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا
على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه
فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير
ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله ربيون كثير قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف
وقيل الربية الواحدة عشرة الاف وقيل الف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم
الاتباع فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله لما اصابهم
وما ضعفوا يعني عن مجاهدة عدوهم لما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا

يعني

يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد
عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق
عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واتباعهم
لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله
يحب الصابرين يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع
والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له
وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه ثم قال تعالى وما كان قولهم يعني قول الربيين الا ان
قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فيدخل فيه جميع الذنوب الصغائر والكبائر واسرافنا في امرنا
يعني وما اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشيء ومجاوزة
الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر وثبت اقدامنا يعني لكي لا تزول عند
لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين لان النصر
على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء
والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه ان تقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة
امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول لهلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا فآتاهم الله
ثواب الدنيا يعني النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا وحسن
ثواب الآخرة يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على
جلالته وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه
سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص والله يحب المحسنين يعني الذين يفعلون مثل الذي فعل
هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة
لطيفة وهي انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله محسنين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة
يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من
ترك الجهاد يردوكم على اعقابكم يعني يرجعوكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد
الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين في الدنيا والآخرة
اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار
القرار بل الله مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به وهو خير الناصرين يعني انه
تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعوا الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر
انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل سنلقي في

قلوب الذين كفروا الرعب وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكانه تعالى قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله تعالى ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله **بما اشركوا بالله** يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله **ما لم ينزل به سلطانا** يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستضاء به وقيل السلطان القدرة والقوة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل **وماواهم النار** لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الاخرة فقال تعالى وماواهم النار اي مسكنهم **وبئس مثوى الظالمين** اي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها قوله تعالى **ولقد صدقكم الله وعده** قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتدا وقيل ان الله وعد المومنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا **اذ تحسونهم** يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستاصلونهم بالقتل **باذنه** يعني بعلم الله وامره وقيل بقضا الله وقدره **حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم** قال الفرا فيه تقديم وتاخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اي قوم ما تصنع بمقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما راى خالد بن الوليد وعكرمة ابن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا

يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعر من بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل وكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز **من بعد ما اراكم ما تحبون** يعني من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين **منكم من يريد الدنيا** يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب **ومنكم من يريد الاخرة** يعني الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد ونزلت هذه الاية **ثم صرفكم عنهم** يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني عن المشركين بالهزيمة **ليبتليكم** يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلا لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم فيتميز المومن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الاخرة **ولقد عفا عنكم** ايها المخالفون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستاصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون **والله ذو فضل على المومنين** وهذا من تمام نعمه على عباده المومنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المومنين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الاية دليل على ان صاحب الكبيرة مومن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شا لان الله سماهم مومنين مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك قوله عز وجل **اذ تصعدون** قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتدا الكلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التا وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرا الحسن تصعدون بفتح التا من الصعود وهو الارتفاع من اسفل الى اعلى كالصعود في الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الاية قولان احدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الحرب **ولا تلوون على احد** اي لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الحرب **والرسول يدعوكم في اخراكم** اي في اخركم ومن ورائكم يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر اي رجع فله الجنة **فاثابكم غما بغم** يعني فجازاكم عن تبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه ماخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كلما يعود الى الفاعل من جزا فعله سوا كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر ٭ اخاف زيادا ان يكون عطاوه ٭ اداهم سودا او محدرجة سمرا ٭ فجعل العطا مكان العقاب لان الادهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والبا في قوله

غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل البا على بابها والمعنى
غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم
الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول هو ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثاني
هو ما سمعوا بان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم
الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف ابو سفيان عليهم
وذلك ان ابا سفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم
يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك وقوله تعالى لكيلا في لفظة لا قولان احدهما انها باقية
على اصلها ومعناها النهي فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا
عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فاثابكم غما
انساكم الحزن على ما فاتكم وما اصابكم وقد روي انهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل
نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم
واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة
والله خبير بما تعملون اي عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله ثم انزل عليكم يا معشر
المسلمين من بعد الغم الذي اصابكم امنة نعاسا يعني امنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع
زوال الخوف والامنة مع بقا سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باق والنعاس اخف النوم والمعنى
اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تناعسون معه لان الخايف لا يكاد ينام فامنهم
بعد خوفهم يغشى طايفة منكم قال ابن عباس امنهم يوميذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يامن
والخايف لا ينام خ عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من
يدي مرارا يسقط واخذه ويسقط واخذه واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا
يوم احد وذكره نحو رواية البخاري وزاد والطايفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم
وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت انظر وما منهم يوميذ احد
الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام
لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله
اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا
ها هنا فقوله تعالى يغشى طايفة منكم يعني المومنين وطايفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين
اراد الله ان يميز المومنين من المنافقين فاوقع النعاس على المومنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على
المنافقين فبقوا في الخوف وفي القا النعاس على المومنين دون المنافقين اية عظيمة ومعجزة باهرة
لان النعاس كان سبب امن المومنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطايفة

نعاسا صح تناعسون

قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعدا كانت حاصلة
عندهم يظنون بالله غير الحق يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم
قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به ظن الجاهلية اي كظن
اهل الجاهلية يقولون يعني المنافقين هل لنا اي ما لنا من الامر من شي وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين في هذه الواقعة فاشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه
النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر
من شي وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا من
هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شي انما هو للمشركين قل يعني قل يا محمد لهولا المنافقين ان
الامر كله لله يعني النصر والظفر والقضا والقدر كله لله وبيده يصرفه حيث يشا ويدبره كيف احب
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم
على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم يقولون لو كان لنا من الامر شي
ما قتلنا ها هنا وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة
ولم يقتل رؤساونا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ها هنا وعن ابن عباس في قوله تعالى
يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ها هنا قيل ان
الذي قال هل لنا من الامر من شي هو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شي
هو معتب بن قشير قل اي قل يا محمد لهولا المنافقين لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
اي قضي عليهم القتل وقدره عليهم الى مضاجعهم يعني الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى
الاية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذي قدر عليهم القتل وقضاه وحكم
به عليهم لا بد وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر الذي قضى الله عليهم القتل
الى حيث يقتلوا فيه وليبتلي الله ما في صدوركم اي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه
غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم
وقيل معناه ليبتلي اوليا الله ما في صدوركم فاضاف الابتلا اليه تعظيما لشان اوليايه المومنين وليمحص
ما في قلوبكم قال قتادة اي يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجايب صنعه في القا الامنة
وصرف العدو واظهار اسرار المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمومنين خاصة وقيل معناه وليبين
وليظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمومنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين
خاصة والله عليم بذات الصدور يعني بالاشيا الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضماير
لانه عالم بجميع المعلومات قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي انهزموا وهربوا
يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المومنين يوم احد باحد وكان قد
انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من

المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد
الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم اجمعين انما استزلهم الشيطان اي طلب زلتهم
كما يقال استعجلته اي طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة
في قلوبهم لانه امرهم بها ببعض ما كسبوا يعني بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل
استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا
اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما
ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقا الله الا على حالة يرضاها ولقد عفا الله عنهم
يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان
عوتب في هزيمة يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطا لكن الله قد عفا عنه وقرا هذه الاية ان الله
غفور يعني لمن تاب واناب حليم لا يعجل بالعقوبة ولم يستاصلهم بالقتل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم يعني في النفاق والكفر
وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا في الارض يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها
او كانوا غزا جمع غاز اي في غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا في الارض
فماتوا او كانوا غزا فقتلوا لو كانوا عندنا يعني مقيمين ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم
وظنهم حسرة في قلوبهم يعني غما وتاسفا والله يحيي ويميت هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيي والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي
ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشا فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل يحيي احد من الموت
والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير او شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا
مثل المنافقين لان مقصودهم تنفير المومنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
فان الله هو المحيي المميت فمن قدر له البقا لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان اقام بينه
عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المومنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلان يموت في
الجهاد فيستوجب الثواب كان ذلك خيرا له من ان يموت في بيته بلا فايدة واليه الاشارة بقوله تعالى
ولين قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة يعني في العاقبة ورحمة خير مما يجمعون يعني من الغنايم
والمعنى ولين تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله او الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة
والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولين متم او
قتلتم لالى الله تحشرون يعني لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون
في الاخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعضهم مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا
من ناره امنه مما يخاف واليه الاشارة بقوله لمغفرة من الله ومن عبد الله شوقا الى جنته انا له ما يرجو
واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من اسما الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره

فهذا

فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله
تعالى لالى الله تحشرون قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة من الله وما صلة لنت
لهم اي سهلت لهم اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان منهم يوم احد ومعنى
فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى
القى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم ولو كنت فظا
يعني جافيا غليظ القلب يعني قاسي القلب سيي الخلق قليل الاحتمال لانفضوا من حولك اي لتفرقوا
عنك وتنفروا حتى لا يبقى منهم احد عندك فاعف عنهم يعني تجاوز عن زلاتهم وما اتوا يوم
احد واستغفر لهم اي واسال الله المغفرة لهم حتى تشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي استخرج
اراهم واعلم ما عندهم واختلف العلما في المعنى الذي من اجله امر الله عز وجل نبيه صلى الله
عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رايه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة
الخلق فيما احبوا وكرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله
فيه عهد وذلك في امر الحرب ونحو من امور الدنيا لتستظهر برايهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب
لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد
علم الله تعالى انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل انما
امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رايا وروى البغوي بسنده عن عايشة
انها قالت ما رايت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلما على ان
كل ما نزل فيه وحي من الله عز وجل لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة
وانما امر ان يشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم
في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شي لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى
بدر وهو من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر
من استغنى برايه والتدبر قبل العمل يومنك من الندم وقال بعض الحكما ما استنبط الصواب
بمثل المشاورة ومن فوايد المشاورة انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب
في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره
علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة وشاور
اذا شاورت كل مهذب لبيب اخا حزم لترشد في الامر ولا تك ممن يستبد برايه فيعجز
او لا يستريح من الفكر الم تر ان الله قال لعبده وشاورهم في الامر حتما بلا نكر وقوله تعالى
فاذا عزمت يعني على المشاورة فتوكل على الله اي فاستعن بالله في امورك كلها وثق به ولا تعتمد

الاعليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد فالمقصود الا يكون للعبد اعتماد على شي
الاعلى الله تعالى في جميع اموره وان المشاورة لا تنافي التوكل ان الله يحب المتوكلين يعني المتوكلين
عليه في جميع امورهم قوله تعالى ان ينصركم الله يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما
فعل يوم بدر فلا غالب لكم يعني من الناس لان الله هو المتولي نصركم وان يخذلكم كما فعل يوم احد
فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي ينصركم
من بعده اي من بعد خذلانه وعلى الله فليتوكل المومنون لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضايه
ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد في كل اموره على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل الا تعصي
الله من اجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا تجعل له شاهدا سواه م عن عمران بن
حصين قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب
قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام اخر
فقال يا نبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدوا خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل وما كان لنبي ان
يغل الاية قال ابن عباس نزلت هذه الاية وما كان لنبي ان يغل في قطيفة حمرا فقدت يوم بدر
فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله الاية الى اخرها اخرجه
ابو داود والترمذي وقال حديث غريب وروي عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلايع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلايع فانزل الله تعالى وما كان لنبي ان يغل
وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله وما كان لنبي ان يغل يقول ما كان ~~ما كان~~ لنبي ان يقسم
لطايفة من المسلمين ويترك طايفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويحكم فيه بامر الله
ويحكم فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبي استنوا به
وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنايم احد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبي
صلى الله عليه وسلم من اخذ شيا فهو له وان لا يقسم الغنايم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا
في الغنايم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري قالوا تركنا
بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فانزل الله هذه الاية
وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طايفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقويا الحوا عليه يسلونه من المغنم
فانزل الله وما كان لنبي ان يغل يعني فيعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية وقال
محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحاق بن يسار هذا في شان الوحي يقول وما كان لنبي ان يكتم شيا من
الوحي رغبة او رهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشي في خفية يقال غل فلان

يغل

يغل قرئ بفتح اليا وضم الغين اي وما كان لنبي ان يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان
لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلا تليق به الخيانة لانها في نهاية
الدناة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن
امته في شي لا من الغنايم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبتت براة ساحة النبي
صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة
معناه ما النبي ليغل على نفي الغلول عن الانبيا وقيل معناه ما كان لنبي الغلول اراد ما على نبي قط
فنفى عن الانبيا الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول واذا لم يحل لم يفعله وحجة هذه القراة
انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الغزوات فبين الله تعالى بهذه الاية ان
هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل وقري يغل بضم اليا وفتح الغين
ولها معنيان احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه وما كان لنبي ان يخان اي تخونه امته والثاني
ان يكون من الاغلال معناه وما كان لنبي ان يخون اي ينسب الى الخيانة ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة
يعني بالشي الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له
ذلك الشي في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشي في النار
فيكلف ان ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ما شا الله تعالى وقيل معناه انه يات باثم ما غل فيجازى به
يوم القيامة وهو قوله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك
المكسب او شرا فهو مجزي به يوم القيامة ويوفى جزا عمله وهم لا يظلمون يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة
في الجزا فيجازى كل على عمله فصل في ذكر احاديث وردت في الغلول ووعيد الغال قد تقدم ان اصل
الغلول هو اخذ الشي في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا
وردت الاحاديث ق عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه
وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته بعير له رغا يقول يا رسول الله اغثني فاقول
لا املك لك شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته شاة
لها ثغا يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيامة
على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم
يجي يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيا لا الفين احدكم
يجي يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك
لفظ مسلم الرغا صوت البعير والثغا صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة
ق عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا
غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ابلغتك

بعينكم

عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي
قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة
يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا
اخذها من الغنايم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال
اصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفي رواية
نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد بني الضباب وفيه اذ جاءه سهم غاير الشراك
سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم الغاير هو السهم الذي لا يدرى
من رماه خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال
له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا
عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي
فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك
فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين
اخرجه ابو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا
متاعه واضربوه اخرجه ابو داود وللترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود وقوله
تعالى افمن اتبع رضوان الله يعني فترك الغلول فلم يغل كمن باء اي رجع بسخط من الله يعني بغضب
من الله والمعنى فعل والسخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط
عليه وقيل في معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم احد
اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى حال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان
الله وحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير يعني الغال او
المتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون يعني هم
ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفون المنازل
عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى فمن
اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير
في قوله هم درجات عايد على قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات
لاهل الثواب والدركات لاهل العذاب ولان الله تعالى وصف من باء بسخط من الله ان مأواه جهنم
وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله عايد على من اتبع فقط وفيه تحريض
حـ ٥ رضوان الله
على العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه قوله عز وجل لقد من الله على المؤمنين يعني احسن
اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا لله تعالى ومنه قوله تعالى لقد من الله

على

على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشا بينهم
يعرفون نسبه وليس حي من احياء العرب الا وقد ولدته وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى
وثبتوا على النصرانية فطهره الله برسوله من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين
ومعنى قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد
من غير بني ادم وقيل من انفسهم يعني انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام
ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم
من العذاب العظيم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا
كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافقا له
يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم
وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
وقد حضر لذلك بنو هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل
وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما
امنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد
هذا له نبا عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا
على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم
بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط
مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم يتلو عليهم اياته
يعني يقرا عليهم كتابه الذي انزله عليه بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي السماوي
ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبايث ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القران
والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وان كانوا من قبل اي من قبل بعثة الرسول صلى الله
عليه وسلم لفي ضلال مبين يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا
فهداهم الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة يعني ما اصابهم يوم احد
قد اصبتم مثليها يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون
من المشركين سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول
الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام
المسلمين مرة واحدة قلتم انى هذا اي من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله
عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار قل هو من عند انفسكم يعني انما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو
واختاروا هم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز لاجل

الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب قال جاء جبريل
عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى
وقد أمرك أن تخيرهم بين أن تضربوا أعناق الأسارى وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا وإخواننا بل نأخذ فداءهم
فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى
أهل بدر لم يسنده البغوي وأسنده ابن جرير الطبري فعلى هذا يكون معنى قوله قل هو من عند أنفسكم
يعني بأخذكم الفداء واختياركم القتل لأنفسكم إن الله على كل شيء قدير يعني من نصركم مع الطاعة
وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل وما أصابكم يعني من القتل والجراح والهزيمة يوم التقى
الجمعان يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد فبإذن الله يعني فبعلمه وقضائه
وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تنفع
التسلية إلا إذا علموا أن ذلك كان واقعاً بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا أي ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق
المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من
المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذي أظهر الإيمان بلسانه وأضمر خلافه
واشتقاقه من النفق وهو السرب في الأرض للنافقاء ومنه نافقاء اليربوع لأنه جحر في الأرض
له بابان إذا طلب من أحدهما خرج من الآخر وكذلك المنافق صنع له طريقين أحدهما إظهار
الإيمان بلسانه والآخر إضمار الكفر بقلبه فمن أيهما طلب خرج من الآخر وقيل لأنه دخل في الإيمان
من باب وخرج منه بباب آخر والنفاق اسم إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام وقيل لهم تعالوا
قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا القول لعبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه وذلك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد في ألف رجل حتى إذا كان بالشوط بين أحد
والمدينة انخزل عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا
فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري أخو بني
سلمة وهو يقول يا قوم اذكروا الله أن تخذلوا نبيكم عند حضور عدوهم فذلك قوله تعالى
وقيل لهم يعني للمنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي لأجل دين
الله وطاعته أو ادفعوا يعني عن أموالكم وأهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين
إن لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعاً وقمعاً للعدو قالوا يعني المنافقين لو نعلم قتالاً لاتبعناكم
أي لو نعلم أن اليوم يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا لما اتبعوهم وقيل معناه لو نحسن
قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يعني المنافقين إلى الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان أي إلى الإيمان وإنما
قال تعالى يومئذ لأنهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما أظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين

وقولهم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم وإنما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الإسلام ويضمرون الكفر
يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يعني يظهرون بألسنتهم الإيمان وليس هو في قلوبهم إنما في
قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لأن صفة المؤمن المخلص مواطأة
القلب للسان على شيء واحد وهو التوحيد والله أعلم بما يكتمون يعني من النفاق الذين قالوا لإخوانهم
نزلت في عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وفي المراد بإخوانهم قولان أحدهما أن المراد بإخوانهم الذين
استشهدوا بأحد فيكون إخوانهم في النسب لا في الدين والقول الثاني أن المراد بإخوانهم المنافقين
فعلى القول الأول يكون معنى الآية الذين قالوا في إخوانهم أو عن إخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا
ما قتلوا لأنهم بعد أن قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الآية قالوا وهم عبد الله
ابن أبي وأصحابه لإخوانهم يعني في النفاق وقعدوا يعني عن الجهاد لو أطاعونا يعني هؤلاء الذين خرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لو أطاعونا في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو الانصراف عنه ما قتلوا يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله قل يعني قل لهم يا محمد فادرؤوا أي
فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين يعني إن الحذر لا ينفع من القدر وفي الآية دليل على أن المقتول
يموت بأجله خلافاً لمن يزعم أن القتل قطع على المقتول أجله قوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتاً قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية
من الأنصار وقال أكثر المفسرين إنها نزلت في شهداء أحد ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير
خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة
ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم وأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتاً بل أحياء عند ربهم إلى آخر الآيات أخرجه أبو داود عن مسروق قال سألنا عبد الله عن
هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما إنا
قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من
الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون
شيئاً قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات
فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى
نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق
سألنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو
وقد ذكره أبو مسعود الدمشقي والحميدي في مسند عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث
مرفوع لقوله أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على

ان الجنة مخلوقة الان خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت
وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفنا الجسد وان المحسن ينعم
ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة
ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر اي يجعل الله ارواح الشهدا في اجواف طير خضر وهذا ليس
ببعيد لا سيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب مع الارواح جزء من
الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتالم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى
ذلك الجزء طايرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتاوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث
من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها
في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف
وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جات به الشرايع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد
جا في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني
حتى يجي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيمة والله اعلم عن جابر قال لقيني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد ابي يوم احد
وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال ما كلم الله احدا قط الا من
ورا حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي اعطك قال يا رب تحييني فاقتل
ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الاية نزلت في شهدا بير معونة
وهي بير بين مكة وعسفان في ارض هذيل قال محمد بن اسحاق عن اشياخه من اهل العلم قالوا قدم
ابو برا عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لا اقبل
هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما اعد الله للمومنين وقرا عليه القران
فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي تدعوا اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد
فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل نجد
فقال ابو برا انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القرا منهم الحارث
ابن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسما بن الصلت ونافع بن بديل بن ورقا الخزاعي وعامر بن فهيره
مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بير معونة
وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الما فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الما فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر
عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بير
معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه
به في جنبه حتى خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر
ابن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نخفر ابا برا
فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبايل بني سليم عصية ورعلا وذكوان
فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف
فقاتلوا حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش
حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو
ابن عوف فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير
لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمايهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري
لعمرو بن امية ماذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري لكني
لا ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية اسيرا
فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها
كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي برا وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا برا
فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره
وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق فروى محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة
عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السما والارض حتى
رايت السما من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي برا ان عامر بن الطفيل اخفر
ذمة ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري
في كتاب جامع الاصول له في قسم الاسما في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن نيف وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج في اصل
اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه ق عن انس قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث خالا له اخا لام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالي اتقدمكم فان
امنوني حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه فبينما
هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اومووا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال

الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال
همام واراه اخر معه فاخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم
فرضي عنهم وارضاهم فقال فكنا نقرا ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم
نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله
وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين
رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا
كانوا ببير معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا
يدعو في الصبح على احيا من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال انس فقرانا فيهم
قرانا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ولمسلم قال جا ناس الى النبي
صلى الله عليه وسلم فسالوا ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القران والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا
من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اوليا الشهدا واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا
على الشهدا وقالوا نحن في النعمة والرخا واباونا وابناونا واخواننا في القبور فانزل الله هذه الاية
تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله اي ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لا يظنن
ظان بان الذين قتلوا في سبيل الله امواتا يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله بل احياء
اي بل هم احيا وظاهر الاية يدل على كون من قتل في سبيل الله حي فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون
احيا في الاخرة او يكون المراد انهم احيا في الحال وعلى تقدير انهم احيا في الحال هل يكون المراد اثبات
الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال
بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون احيا في الاخرة قال معنى الاية بل هم احيا في الدين وهذا القول
ليس بصواب لان الله اثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل هم احيا يعني في حال ما يقتلون فانهم يحيون
وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح او للجسم والروح معا فمن اثبت الحياة
للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهدا في حواصل طير خضر فخص
الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهدا تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش
الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الاية وهو قوله عند
ربهم يرزقون فاخبر سبحانه وتعالى انهم يرزقون وياكلون ويتنعمون كالاحيا وقيل ان الشهيد
لا يبلى في قبره ولا تاكله الارض كغيره وروي انه لما اراد معوية ان يجري الما على قبور الشهدا
امر فنادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم
رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن
عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير

وهو

وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هولا شهدا عند الله يوم القيامة فاتوهم
وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا
عليه وقوله عند ربهم يعني في محل كرامته وفضله يرزقون يعني من ثمار الجنة وتحفها
فرحين بما اتاهم الله من فضله يعني بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال
في دار النعيم ويستبشرون اي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل
للانسان عند البشارة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من اخوانهم الذين تركوهم
احيا في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من
الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهدا سالوا الله عز وجل ان يخبر
اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبرهم الله عز وجل اني قد انزلت
على نبيي محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله
عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا الا خوف عليهم يعني في الاخرة
ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا يستبشرون بنعمة من الله وفضل لما بين الله
تعالى ان الشهدا يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فهم ايضا يستبشرون لانفسهم
بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثاني لانفسهم
خاصة وان الله لا يضيع اجر المومنين يعني كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهدا
كذلك لا يضيع اجر المومنين فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد
في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي
خرج منه نايلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جا يوم
القيمة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على
المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزوا في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون
سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل
ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة
في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير
من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على
عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيمة ويومن من فتنة القبر اخرجه ابو داود
والترمذي عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة

وجبت له الجنة ومن سال الله القتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سال الله
القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله
او نكب نكبة فانها تجي يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك
ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهدا اخرجه ابو داود والنساي واخرجه
الترمذي مفرقا في موضعين ق عن ابي سعيد قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اي الناس افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب
من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه
وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي
رواية لما يرى من فضل الشهادة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من
مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذي والنساي نحوه عن ابي الدردا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته اخرجه ابو داود قوله تعالى
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح الاية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان
واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحا ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم
ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب
اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح الذي
اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا
من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابي كان خلفني على اخوات
لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان نترك هولا النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي
اوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو
ليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد
الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين
رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمرا الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال ق عن عايشة في قوله
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم

قالت

قالت لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم
ما اصاب يوم احد فانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب
منهم سبعون رجلا فيهم ابو بكر والزبير قالوا فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد
الخزاعي بحمرا الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيا كان بها ومعبد يوميذ مشرك فقال يا محمد والله
لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحا وقد اجمعوا على الرجعة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم
ولنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا قال ما وراك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه
يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم
وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شي لم ار مثله قط فقال ابو سفيان ويلك ما تقول
قال والله ما اراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم
قال فاني والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رايت على ان قلت ابياتا قال وما قلت قال قلت
كادت تهد من الاصوات راحلتي * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل * تردي باسد كرام لا تنابلة
عند اللقا ولا ميل معازيل * فقلت ويل ابن حرب من لقايكم * اذا تغطمطت البطحا بالجيل
اني نذير لاهل البسل ضاحية * لكل ذي اربة منهم ومعقول * من جيش احمد لا وخش تنابلة
وليس يوصف ما انذرت بالقيل * قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس
فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة واحمل لكم
ابلكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتمونا قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى
اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بحمرا الاسد فاخبروه بالذي قال ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا
الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال
مجاهد وعكرمة نزلت هذه الاية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين
اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شيت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شا الله فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان
في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي
نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه
ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه
اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة ولان يكون

الخلف من قبلهم احب الى من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا في جمع كثير
لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل اضعها على يد سهيل بن عمرو يضمنها لك قال وجا
سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن لي هذه القلايص وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم قال
فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال نعيم اين تريدون قالوا
واعدنا ابا سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بيس الراي رايتم اتوكم في دياركم
وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله
لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب
للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا
بدر الصغرى فجعلوا يلقون المشركين فيسالونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك
ان يرعبوا المسلمين فيقول المومنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت
موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم
درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اي
اجابوا الله واطاعوه في جميع اوامره واطاعوا الرسول ايضا من بعد ما اصابهم القرح يعني من
بعد ما نالهم من الم الجراح للذين احسنوا منهم واتقوا يعني احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه اجر عظيم يعني لهم ثواب جزيل
وهو الجنة قوله عز وجل الذين قال لهم الناس هذه الاية متعلقة بالاية التي قبلها لان المراد بالذين
من تقدم ذكرهم هم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود
الاشجعي فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان
ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى
الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثاني ان المراد
بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحاق الوجه الثالث ان المراد بالناس
المنافقون وذلك انهم لما راوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد ابي سفيان نهوا اصحابه
عن الخروج وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق منكم
احد ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه من روسا المشركين قد جمعوا لكم يعني الجموع الكثيرة لان العرب
تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا فاخشوهم اي فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم
ايمانا يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصرة نبيهم صلى الله

عليه

عليه وسلم وفي هذه الاية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع
الزيادة في الايمان وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله هو الذي يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس
وحسبك من غنى شبع وري اي يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل يعني نعم الموكول اليه في الامور كلها
وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله
هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذي
يستقل بامورهم كلها خ عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله حسبنا الله ونعم الوكيل
قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم قوله تعالى فانقلبوا اي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج
لان الانقلاب يدل عليه بنعمة من الله اي بعافية لم يلقوا عدوا وفضل اي تجارة وربح وهو ما اصابوا في
سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء اي لم يصبهم
اذى ولا مكروه من قتل وجراح وابتغوا رضوان الله يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم
قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله ذو فضل عظيم يعني انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل
عليهم بالقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه
يعني انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان القى ذلك في افواههم ليرهبوا
المومنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله يخوف اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المومنين باوليائه
وقيل معناه يعظم اولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف المنافقين اولياءه ليقعدوا عن قتال المشركين
واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويوثرون امره واولياء الله هم المومنون الذين
لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا امرهم فلا تخافوهم يعني اي فلا تخافوا اولياء الشيطان
ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم وخافون اي فجاهدوا في سبيلي مع رسولي فاني وليكم وناصركم ان كنتم
مومنين اي مصدقين بوعدي اني متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤسا اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام
والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم
وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في نصرة
الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم انهم لن يضروا الله شيئا يعني بمسارعتهم في الكفر انما يضرون
انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة يعني
لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الاخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الاية دليل على ان الخير
والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان يعني المنافقين امنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا

الايمان واخذوا الكفر كما يفعل المشتري من اعطا شي واخذ غيره بدلا عنه انهم لن يضروا الله شيا
يعني بمسارعتهم في الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اوليا الله شيا يريد الله الا
يجعل لهم حظا في الاخرة يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الاخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر
وفي الاية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة ولهم عذاب
عظيم يعني في الاخرة بما استبدلوا الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك ولهم عذاب اليم
يعني في الاخرة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا قرى يحسبن بالتا واليا فمن قرا بالتا فمعناه
ولا تحسبن يا محمد املانا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرا باليا فالمعناه ولا يحسبن الكفار املانا
لهم خير نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير انما نملي الاملا الامهال
والتاخير واصله من الملو وهي المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم
بطول العمر والانسا في الاجل لهم خير لانفسهم ثم قال تعالى انما نملي لهم انما نمهلهم ونوخر في اجالهم
ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين يعني في الاخرة وروى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه
قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاي الناس شر قال من
طال عمره وسا عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده وصححه الحاكم عن الاسود قال عبد الله ما من نفس
برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرا ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وقرا نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار قال ابن الانباري قال جماعة من اهل العلم انزل الله هذه الاية
في قوم معاندين للحق سبق في علمه انهم لا يومنون فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم
الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله يعطي على المعاصي
فان ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الاية وقال الزجاج هولا قوم اعلم الله نبيه صلى الله
عليه وسلم انهم لا يومنون ابدا وان بقاهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الاية حجة ظاهرة على القدرية
حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا واثما وعتيا قوله تعالى ما كان الله ليذر
المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اختلف العلما في سبب نزول هذه الاية فقال الكلبي
قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك
على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يومن بك وبمن لا يومن بك فانزل الله هذه
الاية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي امتي في صورها في الطين كما عرضت
على ادم واعلمت من يومن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزا زعم محمد انه يعلم من
يومن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسالوني عن شي فيما بينكم
وبين الساعة الا انباتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي يا رسول الله فقال
حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبك نبيا

فاعف

فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون فهل انتم منتهون
ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الاية وقيل ان المومنين سالوا ان يعطوا اية يفرقون بها بين المومنين
والمنافقين فنزلت هذه الاية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المومنين
فاظهر الله نفاقهم يوم احد وانزل هذه الاية واختلفوا في معنى الاية وحكمها فقال ابن عباس
واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه
يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمومنين
والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المومنين على ما انتم عليه من اختلاط المومن بالمنافق والتباس
بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المومن المخلص فميز الله المومنين من المنافقين
يوم احد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز
يوم احد بالقا الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مومنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل
ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الاية حتى يميز المومن من المنافق والكافر بالجهاد
والهجرة وقيل في معنى الاية ما كان الله ليذر المومنين في اصلاب رجال المشركين وارحام النسا المشركات
والمعنى ما كان الله ليدع اولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث
من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في اصلابكم وارحام نسايكم من المومنين فحكم لاهل الايمان بالجنة
ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار وما كان الله ليطلعكم على الغيب الخطاب في قوله ليطلعكم
لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عن من يومن بك ومن لا يومن والمعنى وما كان الله ليبين لكم ايها
الكفار المومن من الكافر فيقول فلان مومن وفلان كافر ومنافق من انه لا يعلم الغيب احد غيره
وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه احاد الناس فلا سبيل الى معرفة المومن من الكافر
او المنافق الا بالامتحان بتبالا فات والمصايب فيتميز المومن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل
المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الاية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم
بالمومن والكافر ولكن الله يجتبي من رسله من يشا يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشا
فيطلعه على ما يشا من غيبه فامنوا بالله ورسله يعني انه لما قامت الدلايل على صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل
ورسوله على التوحيد لقوله والله يجتبي من رسله من يشا ولانه اذا اقر بجميع الرسل كان مقرا باحدهم
وهذه صفة المومنين لانهم امنوا بجميع الرسل وان تومنوا وتتقوا يعني وان تصدقوا قولي اجتبيته برسالتي
واطلعته على ما اشا من غيبي واعلمته المنافق منكم والمومن المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم
عنه فلكم اجر عظيم يعني فلكم بايمانكم واتقايكم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم هو خيرا لهم يعني
البخل بل هو شر لهم والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر من البخل

لانه لا يعلم

والاية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابو
داود عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان
في مومن البخل وسو الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واختلف العلما فيمن نزلت هذه الاية
فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس في رواية ابي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت
هذه في الذين يبخلون ان يودوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلما ذهبوا الى ان البخل
عبارة عن منع الواجب وان منع من التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الاية
وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس
في رواية عطية عنه وابن جرير عن مجاهد انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة
عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال فلان بخل بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره
وقوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى
الاية على منع الزكاة والبخل بها فقال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق
في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة رضي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يود زكاته مثل له يوم القيمة
شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك
ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية اخرجه البخاري قوله له زبيبتان
قيل هما النكتتان السودا وان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبدتان
في شدقيها وقد جا في الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شدقيه وقيل هما مضغتان في اصل الحنك
وقيل هما عند منتهى اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب ق عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجيت حتى
جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من
قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب
ابل ولا بقر ولا غنم لا يودي زكاتها الا جات يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها
وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم
وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الاية انهم ياتوا بما بخلوا به من اموالهم
في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقال ابن عباس في قوله سيطوقون
ما بخلوا به اي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في
عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوقا من نار ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول

خـ اتتارب

الله صلى الله عليه وسلم من سيل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي
داود من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة فقيل في معنى الحديث انهم لما
سيلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام
من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض يعني انه سبحانه وتعالى
الباقي الدايم بعد فنا خلقه وزوال املاكهم فيموتون وتنقضي املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من
الاية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله سبحانه وتعالى وقيل في معنى الاية وله ما فيهما
مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهولا البخلا يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله
والله بما تعملون خبير قري يعملون باليا على الغيبة على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد
والمعنى والله بما يعملون يعني البخلا من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليها وقري بالتا على خطاب
الحاضرين قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا قال الحسن وقتادة لما نزلت
هذه الاية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنيا
وذكر الحسن ان القايل هذه المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق
كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة
وايتا الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا
قد اجتمعوا على فنحاص بن عازورا وكان من علمايهم ومعه حبر اخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص
اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاكم بالحق من عند الله
تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فامن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف
لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض منا اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني
فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنيا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة
وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله
فقير وانهم اغنيا فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا
لفنحاص وردا عليه لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وهذه المقالة وان كانت قد صدرت
من واحد من اليهود لكنهم رضوا بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلوا ان يكونوا قالوا هذه المقالة
عن اعتقاد لذلك القول او قالوه استهزا وايما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل
وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله سنكتب ما قالوا يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا لان
ذلك كذب وافترا والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحايف اعمالهم
التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم وقتلهم الانبيا بغير حق

خـ اعتقاد

قيل معناه سنكتب ما قال هولا اليهود ونكتب ما فعله اسلافهم فنجازي كلا الفريقين بما هو
اهله وانما نسب قتل الانبيا الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم
واوايلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الاية سنكتب على هولا ما قالوا بانفسهم
ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل ابايهم الانبيا والفايدة في ضم قتلهم الانبيا الى ما وصفوا الله تعالى
بالفقر اعلاما بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس بأولى ما ارتكبوه من العظايم وانهم
اصلا في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبيا لا يبعد منه الاجترا على مثل هذا
القول العظيم التحدي والقبح ونقول يعني لهولا الذين قالوا هذه المقالة ذوقوا عذاب الحريق اي ننتقم منهم
بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا ذلك اي ذلك العذاب
المحرق جزا فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبيا بما قدمت ايديكم انما ذكر الايدي على
سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا ان اليد لما كانت الة الفعل حسن اسناد الفعل اليها
ولان اكثر الاعمال تكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان الله ليس بظلام للعبيد
اي فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسي ويثيب المحسن قوله عز وجل
الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن
يهوذا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازورا وحيي بن اخطب من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نومن لرسول
يزعم انه جا من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جيتنا به صدقناك فانزل الله الذين قالوا
يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه الا نومن لرسول حتى ياتينا
بقربان تاكله النار يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى
امر بني اسرايل في التوراة من جاكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى
ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت
هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان دعا هذا الشرط
كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاي معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت
دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب
على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كلما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال
البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة
والصلاة قربان يعني انها مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنايم لا تحل لبني اسرايل
وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وتاتي نار بيضا من السما لا دخان لها ولها دوي
وحفيف فتاكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم

يقبل

بلغ

وجاة

٢١٨

يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطا كانت بنوا اسرايل يذبحون لله فياخذون الثروب
واطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت
ويناجي ربه عز وجل وبنوا اسرايل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضا لها دوي وحفيف
ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هولا
واقامة للحجة عليهم قل يعني قل يا محمد لهولا اليهود قد جاكم يعني يا معشر اليهود رسل من قبلي
يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات يعني بالدلالات الواضحات على صدقهم وبالذي
قلتم يعني ما طلبوه من القربان فلم قتلتموهم يعني فلم قتلتم الانبيا الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل
زكريا ويحيى وساير من قتلوا من الانبيا واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذي
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم ان كنتم صادقين يعني في
دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل ابايهم الانبيا مع اتيانهم بالقربان
ثم قال تعالى تسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فان كذبوك يعني هولا اليهود فقد كذب رسل من قبلك
يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل جاوا بالبينات يعني بالدلالات الواضحات
والمعجزات الباهرات والزبر اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور واصله من
الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق
والكتاب المنير اي الواضح المضي وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل اراد بالزبر
الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل قوله تعالى كل نفس ذايقة الموت يعني ان كل نفس مخلوقة
ذايقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزلت قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني
ادم فاين ذلك الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الاية وقيل لما خلق الله ادم
عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز وجل لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها
فما احد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة
لا تذوق الموت فما حكم لفظة كل في قوله كل نفس ذايقة الموت قلت لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة
بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شي ولم توت ملك سليمان فتكون الاية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون
المراد بهم المكلفين بدليل سياق الاية وهو قوله وانما توفون اجوركم يعني توفون جزا اعمالكم يوم القيمة
ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يعني فمن نجا وابعد عن النار
وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور يعني ان العيش في هذه
الدار الفانية يغر الانسان بما تمناه من طول البقا وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور
لانها تغر بنيل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدايم والمتاع كلما استمتع به الانسان من مال
وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوه والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور
الباطل ومعنى الاية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشيا التي يستمتع بها ثم تزول

عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ إلى ما هو خير منها ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤوا إن شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور قوله عز وجل **لتبلون** اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أي لتختبرن فيوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردي وذلك في وصف الله محال لأن الله تعالى عالم بحقائق الأشيا قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر **في أموالكم** يعني بالابتلا في الأموال النقصان منها وقيل بأدا ما فرض فيها من الحقوق **وأنفسكم** يعني بالمصائب والأمراض والقتل وفقد الأقارب والعشاير خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وما سيلقون من الشدايد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا** قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفنحاص بن عازورا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب إليه معه كتابا وقال لأبي بكر لا تفتاتن علي بشي حتى ترجع فجا أبو بكر وهو متوشح بالسيف إلى فنحاص فأعطاه الكتاب فلما قراه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشي حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب ابن الأشرف اليهودي وذلك أنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله قال نعم قال ايذن لي فلأقل قال قل فأتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال إن هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه قال إنا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر إلى أي شي يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني (أترهنني) نساكم قال أنت أجمل العرب نرهنك نساءنا قال له ترهنون أولادكم قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح قال نعم وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبير وعباد بن بشر قال فجاؤوا فدعوه ليلا فنزل إليهم قالت امرأته إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال إنما هو محمد ورضيعه أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال

حـ ٢ ورضيعي

محمد إني إذا جا فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي أن أشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لي أن أعود فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب السير والمغازي فاختلف عليه أسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فحملناه وجينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قايم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرناه بقتل كعب بن الأشرف وجينا برأسه إليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وأنزل الله عز وجل في شأن كعب بن الأشرف اليهودي لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالأذى قول اليهود إن الله فقير ونحن أغنيا وما أشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الأشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الأذى الكثير **وإن تصبروا وتتقوا** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي **فإن ذلك من عزم الأمور** أي من صواب التدبير الذي لا شك أن الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فإن ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمتم الأخذ به قوله تعالى **وإذ أخذ الله** أي واذكر يا محمد وقت إذ أخذ الله **ميثاق الذين أوتوا الكتاب** يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلما خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلما والأحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والإلزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل **لتبيننه للناس** يعني لتبينن ما في الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك أن الله أوجب على علما التوراة والإنجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلايل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **ولا تكتمونه** يعني لا يخفون ذلك عن الناس **فنبذوه** يعني الكتاب وقيل الميثاق **وراء ظهورهم** أي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به **واشتروا به ثمنا قليلا** يعني المأكل والرشى التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم **فبئس ما يشترون** ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مخصوصا بعلما أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علما هذه الأمة الإسلامية لأنهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا

ميثاقا اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة
وقال ايضا مثل علم لا ينقاد به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا ياكل ولا يشرب
وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا اعلم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه وقبله
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من
نار اخرجه الترمذى ولابى داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة
وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الاية
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهرى بعد ان ترك
الحديث فالفيته على بابه فقلت رايت ان تحدثنى فقال اما علمت انى قد تركت الحديث فقلت
اما ان تحدثنى واما ان احدثك قال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار
قال سمعت على بن ابى طالب رض يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم
ان يعلموا قال فحدثنى اربعين حديثا قوله عز وجل لا تحسبن الذين قرى بالتاء على الخطاب اى ولا
تحسبن يا محمد الفارحين وقرى بالياء على الغيبة يعنى ولا يحسبن الفارحون والمعنى ولا تحسبن
الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الاية فى المنافقين ق عن ابى سعيد الخدرى
ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فنزلت ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الاية وقيل نزلت فى اليهود ق عن حميد بن عبد الرحمن
ابن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب
ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الاية انما نزلت هذه الاية
فى اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الاية
وتلا ابن عباس ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سالهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد
اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ما سالهم عنه يفرحون
بما اتوا يعنى يفرحون بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اى ويحبون ان يحمدهم الناس
على شئ لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوم من احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة
الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب
اليم يعنى فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا
للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علماء وليسوا باهل
علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم

كتبوا

كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود فى الارض كلها ان محمدا ليس بنبى
فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة
واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اوتوا من تبديلهم التوراة واحبوا ان يحمدهم الناس على
ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا
لاصحابه نحن على رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك فى قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبى صلى الله عليه وسلم
والمسلمون على ذلك فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اى فلا تظننهم بنجاة من العذاب الذى اعده الله
لهم فى الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار ولهم عذاب اليم يعنى فى الاخرة وهذه
الاية وان كانت قد نزلت فى اليهود والمنافقين خاصة فان حكمها عام فى كل من احب ان يحمد بما لم
يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك قوله تعالى ولله ملك السموات والارض
يعنى انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن
اغنياء يقول الله عز وجل من له جميع ما حوته السموات والارض من شئ فكيف يكون من هذا ملكه فقيرا
والله على كل شئ قدير يعنى انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على
خلقه بامهالهم قوله عز وجل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى
الالباب قال ابن عباس ان اهل مكة سالوا النبى صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية فنزلت هذه والمعنى
تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشاته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما
عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما فى الطول والقصر فجعلهما يختلفان ويتعقبان عليكم لكى
تتصرفوا فيهما لمعايشكم وطلب ارزاقكم فى النهار وتسكنون بالليل لراحة اجسامكم فاعتبروا وتفكروا
يا اولى الالباب يعنى يا ذوى العقول الصافية الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار
لا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجايب مخلوقاته وغرايب مبتدعاته ق عن ابن عباس
انه بات عند ميمونة ام المومنين وهى خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت فى عرض الوسادة واضطجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم واهله فى طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل
او بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه ثم قرا
العشر ايات الخواتم من ال عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضا منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلى قال
عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده اليمنى على راسى واخذ باذنى يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين
ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح
وفى رواية فقمت عن يساره فاخذنى فجعلنى عن يمينه وفى رواية قال بت فى بيت خالتى ميمونة فتحدث
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر قعد فنظر الى السماء

فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وذكر قوله تعالى
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا
في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون
الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال خ عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسالت
النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب
واخرجه الترمذي وقال فيه سالته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه
اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنبه يومي براسه ايما وقال ابو حنيفة رحمه الله
بل يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية وهو قوله وعلى جنوبهم
وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال
اكثر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث
حالات وهي القيام والقعود وكونه نايما على جنبه وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد
مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من
الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود والترة النقص
وقيل هي هنا التبعة وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض اصل الفكر اعمال الخاطر في
الشي وتردد القلب في ذلك الشي وهو قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة
بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في الا الله ولا تفكروا
في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق
السموات والارض وما ابدع فيهما من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة
الصانع سبحانه وتعالى ويعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم اثاره وافعاله يدل على
عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وقيل ان الفكر مقلوب
عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل
الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الما للزرع النما وما جليت القلوب بمثل
الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة ربنا اي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات
والارض قايلين ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك
وكمال قدرتك سبحانك تنزيها لك عن ان تخلق شيا عبثا لغير حكمة فقنا عذاب النار يعني
انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك
فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم الثنا على الله اولا ويدل عليه
قوله سبحانك وبعد ذلك الثنا ياتي بالدعا ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل

النار فقد اخزيته اي اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلغت في اخزايه
والخزي ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحيا المفرط فان قلت قد تمسكت
المعتزلة بهذه الاية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب ان كل من
يدخل النار لا يكون مومنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى قلت قد ذكر العلما
في الجواب وجوها احدها ما روي عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته
قال من تخلده وروي نحو عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب
انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة
فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله فقد اخزيته الوجه
الثاني في الجواب ان المدخل في النار مخزي في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى
الاية على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو
بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه انا وعطا فسالته عن هذه الاية
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذلك الخزي
لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من دخل النار فقد خزي بدخوله اياها
وان خرج منها وذلك الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الاية على العموم
اولى من نقلها الى الخصوص لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل المعاني وهو ان
الخزي يحتمل معاني منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكافر ومنها الانحجال يقال خزي
خزاية اذا استحيى واذا عمل عملا يستحيي منه وتخجل فيكون خزي المومن الذي يدخل النار
الحيا من المومنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل
هذا الجواب ان لفظ الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله
في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب
وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزا حال ما يكونوا مع النبي وهذا
النفي لا ينافيه اثبات الاخزا في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم
قوله تعالى وما للظالمين يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها من انصار
يعني ينصرونهم يوم القيامة او يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا
ينادي للايمان قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة
هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي
المنادي هو القران قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل
احد يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان فقد فاز به وذلك لان القران مشتمل

على الرشد والهدى وانواع الدلايل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي اليها واللام في للايمان
بمعنى الى يعني يناد ي الى الايمان ان امنوا بربكم فامنا اي فصدقنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي كباير
ذنوبنا وكفر عنا سياتنا اي صغاير ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير
فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعا والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه
اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سياتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة
من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات وتوفنا مع الابرار يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم
الانبيا والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا
في جملة اتباعهم واشياعهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك يعني على السنة رسلك وقيل معناه
واتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سالوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف
الميعاد قلت معناه انهم لما طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد
وقيل هو من باب اللجا الى الله والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبيا عليهم السلام
يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع
اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتوتيهم
ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم
مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعدا قالوا قد علمنا انك
لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم ولا تخزنا يوم القيامة
يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله واتنا ما وعدتنا على رسلك
يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا يوم القيمة
وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الاية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن
فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها
ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيمة سببه لقوله
تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان
يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسالوا
الله ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد قوله تعالى فاستجاب
لهم ربهم يعني اجاب دعاهم واعطاهم ما سالوه اني اي وقال لهم اني لا اضيع عمل عامل منكم
يعني لا احبط اعمالكم ايها المومنون بل اثيبكم عليها واجزيكم بها من ذكر او انثى يعني لا اضيع
عمل عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله لا اسمع الله تعالى ذكر
النسا في الهجرة بشي فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر وانثى بعضكم من بعض
الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وقوله تعالى بعضكم من بعض يعني في الدين والنصرة

والموالاة وقيل كلكم من ادم وحوا وقيل بمعنى الكاف اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة
والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنسا
في الطاعة على شكل واحد فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي يعني المهاجرين
الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب سلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرجوا منها مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشايرهم لله ورسوله ومعنى
في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر
طايفة الى الحبشة وطايفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته
فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين
وقاتلوا وقتلوا يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار لاكفرن عنهم سياتهم يعني
لامحون عنهم ذنوبهم ولا غفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله
يعني ذلك الذي اعطاهم من تكفير سياتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم
والله عنده حسن الثواب وهذا تاكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه
جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول ثلاثة تدخل الجنة فقرا المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا امروا
سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره وان
الله عز وجل يدعو يوم القيمة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي
وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب
وتاتي الملايكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هولا
الذين اثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هولا عبادي الذين قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي
فتدخل الملايكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم
في هذه الايات تعليم من الله لعباده كيف يدعا وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من
باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس
مرات ربنا نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الايات وقال الحسن حكى الله
عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخا ولين من العيش يتجرون ويتنعمون
فقال بعض المومنين ان اعدا الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم
لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض
وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب متاع قليل اي ذلك متاع قليل وبلغة

فانية ونعمة زايلة ثم ماويهم يعني مصيرهم في الاخرة جهنم وبيس المهاد اى وبيس الفراش
ثم قوله تعالي لكن الذين اتقوا ربهم فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب
ما نهاهم عنه من معاصيه لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا اى جزاو ثوابا
والنزل ما يهيا للضيف عند قدومه من عند الله يعني من فضل الله وكرمه واحسانه وما
عند الله يعني من الخير والكرامة والنعيم الدايم الذى لا ينقطع خير للابرار يعني ذلك الفضل
والنعمة التي اعدالله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هولاء الكفار من نعيم الدنيا
ومتاعها فانه قليل زايل ق عن عمر بن الخطاب قال جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
في مشربة وانه لعلي حصير ما بينه وبينه شي وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وان
عند رجليه قرظا مصبورا وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال
ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون
لهما الدنيا ولنا الاخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي قوله عز وجل وان
من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة
واسمه اصحمه ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على
اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي
فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني
لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين
من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى صلى الله عليه وسلم فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه
وقيل نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مومني
اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى
النار ذكر حال من امن من اهل الكتاب وان مصيره الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض
اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يومن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم
يعني ويومن بما انزل اليكم ايها المومنون يعني القران وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة
والانجيل والزبور خاشعين لله يعني خاضعين ومتواضعين له غير مستكبرين لا يشترون بايات الله
ثمنا قليلا يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة
والماكل والرشا كما يفعله غيرهم من روسا اليهود اوليك اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب
لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من اعمال
عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب يا ايها الذين امنوا اصبروا يعني على دينكم الذى
انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر

لفظ

لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكما الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول
القضا وصدق الرضى وقيل في معنى الاية اصبروا على طاعة الله وقيل على ادا الفرايض وقيل على
تلاوة القران وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلا وقيل على الجهاد وقيل اصبروا على
احكام الكتاب والسنة وصابروا يعني الكفار والاعدا وجاهدوهم ورابطوا يعني وداوموا
على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هولا خيولهم وهولا خيولهم بحيث يكون
كل من الخصمين مستعد القتال الاخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراه مرابط وان لم يكن له مركب
مربوط ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله او الغدوة
خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها
عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه
وان مات فيجري عليه عمله الذى كان يعمله واجرى عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار
الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه
ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول
الله قال اسباغ الوضو على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم
الرباط فذلكم الرباط اخرجه مسلم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل
واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه الاية
يا ايها الذين امنوا اصبروا على بلايي وصابروا على نعماى ورابطوا على مجاهدة اعداى واتقوا محبة سواي
لعلكم تفلحون بلقاى وقيل اصبروا على النعما وصابروا على الباسا والضرا ورابطوا في دار الاعدا واتقوا
اله الارض والسما لعلكم تفلحون في دار البقا وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجا السلامة وصابروا عند
القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم
تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة النسا مدنية وهي ماية وخمس
وسبعون اية وثلاثة الاف وخمسماية واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة فهو كقوله يا بني ادم اتقوا ربكم اى احذروا ربكم
ان تخالفوه فيما امركم به او نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة
يعني من اصل واحد وهو ادم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به
الذكر فهو كما قال بعضهم ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال انما قال ولدته اخرى
لتانيث الخليفة وخلق منها زوجها يعني حوا وذلك ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام القى عليه النوم
ثم خلق حوا من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ راها جالسة عند راسه فقال لها ما انت
قالت امراة قال لما خلقت قالت خلقت لتسكن الي فقالت الملايكة والنها لانها خلقت منه واختلفوا في اي وقت

خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله

خلقت حوا فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحاق خلقت قبل دخول الجنة وقال ابن مسعود
وابن عباس انها خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وبث منها يعني نشر واظهر من ادم وحوا رجالا
كثيرا ونسا انما وصف الرجال بالكثرة دون النسا لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على
ان اللايق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النسا الاختفا والخمول واتقوا الله الذي تسالون
انما كرر ذكر التقوى للتاكيد وانه اهل ان يتقى والتسال بالله هو كقوله اسالك بالله واحلف عليك
بالله واستشفع اليك بالله والارحام قرى بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها
وقرى بكسر الميم كقولك سالتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من
عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم
واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الاية
دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة في ذلك
ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله
الله ومن قطعني قطعه الله ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه
من رزقه وينسا في اثره فليصل رحمه قوله ينسا في اثره اي يوخر في اجله ق عن جبير بن مطعم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم
وعن الحسن قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم
معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه
ان الله كان عليكم رقيبا يعني حافظا والرقيب في صفة الله تبارك وتعالى هو الذي لا يغفل عما
خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شي من امر خلقه فبين بقوله
ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله تعالى
واتوا اليتامى اموالهم نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان في حجره فلما
بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فلما سمعها
العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض
الصبي ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف
بقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده والخطاب في قوله تعالى واتوا للاوليا والاوصيا
واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها
واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقا معنى الانفراد من الابا لكن في العرف اختص اسم اليتيم
بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم
وسيل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى

بعد البلوغ على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل
المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى واتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد
وقيل معناه واتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح
ان المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد ولا
تتبدلوا اي ولا تستبدلوا الخبيث بالطيب يعني بالخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم
واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان اوليا
اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما كان احدهم ياخذ
الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول
شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطا هو الربح في مال اليتيم وهو
صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل
الجاهلية كانوا لا يورثون النسا والصغار وانما كان ياخذ الميراث الاكابر من الرجال فقيل هو
اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم فنهوا عن ذلك ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعني
مع اموالكم وقيل معناه ولا تضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل
مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود انه
كان حوبا كبيرا يعني ان اكل مال اليتيم بغير حق اثم عظيم والحوب الاثم قوله عز وجل وان خفتم
الا تقسطوا في اليتامى يعني وان خفتم يا اوليا اليتامى الا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا
غيرهن من الغرايب ق عن عروة انه سال عايشة عن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من النسا الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في
حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا
لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك في النسا الى وترغبون ان تنكحوهن فبين الله
لهم في هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها
في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من
النسا قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا
لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده
الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب
فيشاركه في مالها ثم يسي صحبتها ويتربص بها الى ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم
وانزل الله هذه الاية وقال عكرمة في روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من
النسا او اكثر فاذا صار معدما من مون نسايه مال الى مال يتيمه الذي في حجره فانفقه فقيل لهم

لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن اموال
اليتامى ويترخصون في النسا فيتزوجون ما شاوا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى
في اموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم انزل الله هذه الاية وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يقول فكما
خفتم الا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النسا ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا اكثر مما
يمكنكم القيام بحقهن لان النسا في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك
والسدي ثم رخص الله في نكاح اربع فقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا يعني ما حل لكم من
النسا واستدلت الظاهرية بهذه الاية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر
للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك
الشافعي في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك
لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم الاية فحكم في هذه الاية بان ترك النكاح خير من
فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع معناه
اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل
والوصف والواو بمعنى او في هذا الفصل لانه لما كانت بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو
بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام
بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتين وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع
فاربع لا انه يضم عددا واجمعت الامة انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة
على اربع من خصايص رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يشاركه فيها احد من الامة ويدل على ان
الزيادة على اربع غير جايزة وانه حرام ما روي عن الحرث بن قيس او قيس بن الحرث قال اسلمت وعندي
ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود
عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فامره النبي صلى
الله عليه وسلم ان يتخير منهن اربعا اخرجه الترمذي قال العلما فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة
حراير ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امراتين وهو قول اكثر العلما لانه خطاب لمن ولي وملك
وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج
باربع نسوة واستدل بهذه الاية واجاب الشافعي بان هذه مخصصة بالاحرار ويدل عليه اخر الاية
وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيا فثبت بذلك
ان المراد من حكم الاية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى فان خفتم يعني فان خشيتم وقيل فان علمتم
الا تعدلوا يعني بين الازواج الاربع فواحدة يعني فانكحوا واحدة او ما ملكت ايمانكم يعني وما
ملكتم من السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحراير ولا قسم لهن ذلك ادنى اي اقرب
ان لا تعولوا معناه ذلك اقرب من ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى ان لا تعولوا

فلما نزل

اي

اي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال
وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرايض اذا جاوزت سهامها وقيل
معناه ذلك ادنى ان لا تضلوا وقال الشافعي رحمه الله معناه ان لا تكثر عيالكم وقد انكر على
الشافعي من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل
اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطا الشافعي لانه انفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال
هذه المقالة من نكر على الشافعي وخطاه من لا علم له بلغة العرب فقد روى الازهري في كتابه
تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله الا تعولوا اي لا تكثر عيالكم وروى الازهري
ايضا عن الكسائي قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحا من يقول
عال يعول اذا كثر عياله قال الازهري وهذا يقوي قول الشافعي لان الكسائي لا يحكي عن العرب الا ما
حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض عليه وخطاه عجل
ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري ان يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا اخر
كلام الازهري وبسط الامام فخر الدين العبارة في هذا الموضع من تفسيره ورده على ابي بكر
الرازي وقال الطعن لا يصدر الا عن كثرة العبارة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن ابي حاتم
قال كان الشافعي اعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرا طلحة بن مصرف الا تعيلوا
وهي حجة للشافعي وآتوا النسا صدقاتهن نحلة قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للاوليا وقال ابو
صالح كان الرجل اذا زوج ايمة اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المراة كان اذا
زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها
اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى
اهله وقال الحضرمي كان اوليا النسا يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته ولا مهر بينهما
وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر في العقد ق عن ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار ان يزوج الرجل الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته
وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما
قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله بان يوتوا نسايهم الصداق والصدقات المهور واحدها
صدقة بفتح الصاد وضم الدال النحلة يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة
يعني عن طيب نفس واصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمي الصداق
نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي ق عن عقبة بن عامر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى
فان طبن يعني النسا المتزوجات لكم يعني للازواج عن شي منه يعني من الصداق ومن هنا لبيان
الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المراة لزوجها جميع صداقها جاز نفسا نصب على التمييز

والمعنى فان طابت نفوسهن عن شي من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس
الى اصحابها فخرجت النفس مفسرًا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع فكلوه يعني
ما وهبنه لكم هنيئًا مريئًا يعني طيبًا سايغًا وقيل الهني الطيب المساغ الذي لا ينغصه شي والمري المحمود
العاقبة وفي الاية دليل على اباحة هبة المراة صداقها وانها تملكه ولا حق للولي فيه قوله تعالى ولا
تؤتوا السفها اموالكم اختلفوا في هولاء السفها من هم فقيل هم النسا نهى الله الرجال ان يوتوا
النسا اموالهم سواكن ازواجًا او بناتًا او امهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه
مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده عليك وقيل هي امراتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد
الى مالك الذي خولك الله وجعل لك معيشة فتعطيه امراتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون
عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومونتهم
وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغي له ان يسلط
واحدًا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تونه اياه
وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف الاموال الى الاوليا لانهم قوامها ومدبروها واصل السفه
الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل في الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق
للحجر هو الذي يكون مبذرًا في ماله ومفسدًا في دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان
السفه المذكور في هذه الاية ليس هو صفة ذم لهولا وانما سموا سفها لخفة عقولهم ونقصان
تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا توتوا السفها يعني الجهال بموضع الحق
اموالكم التي جعل الله لكم قيامًا يعني قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم
كن انت قيم اهلك نفق عليهم ولا تعط مالك امراتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك
ولما كان المال سببًا للقيام بالمعاش سمي به اطلاقًا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة
لان به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار وارزقوهم فيها اي اطعموهم واكسوهم
يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهى الله عن ايتا المال للسفيه امر ان يجري له رزقه
وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقًا والرزق من
الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجرا الموظف المعلوم
لوقت معلوم محدود وقولوا لهم قولًا معروفًا يعني قولًا جميلًا لان القول الجميل يوثر في القلب
ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطا يقول اذا ربحت
اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظًا وقيل معناه الدعا اي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن
ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولًا
تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا امين عليه فاذا بلغت
ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم

وما

وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل وابتلوا اليتامى الاية نزلت في ثابت بن رفاعة
ابن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتًا وهو صغير فجا عمه الى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله
هذه الاية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم واديانهم وحفظ اموالهم حتى اذا بلغوا
النكاح اي مبلغ الرجال والنسا فان انستم اي ابصرتم وعرفتم منهم رشدًا يعني عقلًا وصلاحًا
في الدين وحفظًا للمال وعلمًا بما يصلحه فصل في احكام تتعلق بالحجر وفيه مسايل
المسئلة الاولى الابتلا يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشرا في الاسواق
يدفع اليه شيًا يسيرًا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر
بنفقته على اهله وعبيده واجرايه وتصرفه في احوال داره وتختبر المراة في امر بيتها وحفظ
متاعها وغزلها واستغزالها فاذا راى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارًا
يغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخًا يغلب عليه
السفه حتى يونس منه الرشد المسئلة الثانية قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل
المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الاية وذلك
لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلا انما يحصل قبل البلوغ
والمراد من هذا الابتلا اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاوليا
بالاذن لهم في البيع والشرا قبل البلوغ اجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى
الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان انستم منهم رشدًا فادفعوا اليهم اموالهم وانما
تدفع اليهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الاية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر
فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلا هو اختبار عقله واستبرا حاله في معرفة
المصالح والمفاسد المسئلة الثالثة في بيان البلوغ وذلك باربعة اشيا اثنان يشترك فيهما
الرجال والنسا فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلامًا كان
او جارية ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا
ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني اخرجاه في
الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة
وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة والثاني الاحتلام فهو انزال المني الدافق سوا انزل باحتلام
او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي والجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم
الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارًا اما انبات الشعر الخشن حول
الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا
ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة

الرجال والنسا واثنان يختصان بالرجال
اما اللذان يشترك فيهما

على البلوغ في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني
لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين والرجوع
الى قول ابائهم بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول ابائهم لكفرهم
فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي يختص بالنسا فهو الحيض
والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم
ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل المسيلة الرابعة في بيان الرشد وهو
ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي
تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا
يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخروية او لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشرا
فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه
قال الشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان
مفسدا لماله لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقران
حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين
سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا
السن المسيلة الخامسة اذا بلغ الصبي والجارية واونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه
ماله سوا تزوج او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا
تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب المسيلة السادسة
اذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان
كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما انه يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه
الصفة والثاني لا يحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتدا وعند ابي حنيفة لا حجر على
الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن عروة
عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لاتين عثمان ولاحجرن
عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان فقال
احجر على هذا فقال الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى
فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا الخطاب للاوليا يعني يا معشر الاوليا لا تاكلوا اموال
اليتامى بغير حق وبدارا ان يكبروا يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطون في انفاقها وتقولون
ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاوليا وقسمهم قسمين
فقال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع من اكل مال اليتيم ولا يرزاه قليلا ولا كثيرا ومن كان

فقيرا

فقيرا يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه فلياكل بالمعروف روى ابو داود عن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شي ولي يتيم
فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل واختلف العلما في حكم هذه الاية
فروي عن عمر وابن عباس وابن جبير وابو العالية وعبيدة السلماني وابي وايل ومجاهد ومقاتل
انه ياخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضا فذهب قوم الى
انه يلزمه القضا اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فلياكل بالمعروف والمعروف القرض اي
يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن
جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت تعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضا بل يكون ما ياكله
كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر
اليه كما يضطر الى الميتة ثم القايلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فلياكل بالمعروف
فقال عطا وعكرمة ياكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل
لكن ياكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن ياكل من ثمر نخله ولبن مواشيه
بالمعروف ولا قضا عليه فاما الذهب والفضة فلا ياخذ منه شيا فان اخذ وجب عليه رده
وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيا وروي
ان رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا افاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة
ابله وتهنا جربا وتلط حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك
في الحلب وقال قوم المعروف ان ياخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضا عليه وهو قول عايشة
وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا امر ارشاد
وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه
التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عنده بينة كان ابعد من ان يدعي عدم القبض وتظهر
بذلك امانة الوصي وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض وكفى بالله حسيبا يعني
محاسبا ومجازيا وشاهدا به قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نزلت هذه
الاية في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراته يقال لها ام كحة وله ثلاث بنات منها فقام
رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجه فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيا
من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النسا ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون
الرجال ويقولون لا نعطي الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كحة امراة اوس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا
امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجه ولم يعطيا لي

ولا لبناته منه شيئا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله عز وجل
هذه الاية وبين ان الارث غير مختص بالرجال بل امر يشترك فيه الرجال والنسا فقال تعالى
للرجال يعني الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من
الميراث وللنسا نصيب يعني وللاناث من اولاد الميت حظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل
منه او كثر يعني من المال المخلف عن الميت نصيبا مفروضا يعني معلوما والفرض ما فرضه الله
تعالى وهو اكد من الواجب فلما نزلت هذه الاية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا يفرقا من المال شيا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما
ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية فلما نزلت
ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كحة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين



ولكما باقي المال قوله عز وجل واذا حضر القسمة يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب
للوارثين اولوا القربى يعني القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم
وحاجتهم فارزقوهم منه اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلما في حكم هذه الاية
فقال قوم هذه الاية منسوخة باية المواريث وهذا قبل نزول اية المواريث فلما نزلت اية



المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه وهو رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب
وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهو الرواية الاخرى عن ابن عباس
وهو قول ابي موسى الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي وعطا بن ابي رباح وسعيد بن جبير
ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلما بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب
ام ندب على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة
شيا من المال بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول
اني لا املك هذا المال وهو لهولا الضعفا قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانت
الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولي والوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان
لي منه شي لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم ذلك حق
واجب في مال الصغار والكبار فان كانت الورثة كبارا تولوا اعطاهم بانفسهم وان كانوا
صغارا اعطى وليهم روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم اموال ايتام فامر بشاة فذبحت
وصنع طعاما لاجل هذه الاية وقال لولا هذه الاية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي
هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا ال الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك
فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحيى من
قسمته والقول الثاني ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح

الذي

الذي عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بانه لو كان لهولا حق معين لبينه الله تعالى كما بين
ساير الحقوق وحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل في معنى الاية ان المراد بالقسمة الوصية
فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقربا واليتامى والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا من
تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وهو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني اولادا صغارا خافوا عليهم يعني الفقر قيل هذا
خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك
لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلان كذا وفلان كذا حتى ياتي على عامة ماله
فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يامروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى
كما انكم تكرهون بقا اولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان
يحرم اولاده الضعفا من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه
لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا القايل هو الموصي لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا
يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصي بشي
فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك مالك لولدك فيمنعوه من الوصية لاقاربه المحتاجين
وقيل يحتمل ان تكون الاية خطابا لمن قرب اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية ليلا تبقى ورثته
فقرا ضعافا ضايعين بعد موته ثم ان كانت هذه الاية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل
الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان يوصي بالثلث
او باقل منه اذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة انهم وصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا
يقولون الخمس في الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث
كثير لان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسالونهم باكفهم وقيل هو
خطاب لاوليا اليتامى والمعنى وليخش من يخاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف
الذي ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود من الاية ان من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليتق الله
او وصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل باولاده من بعده فليتقوا الله يعني في الامر الذي تقدم ذكره
وليقولوا قولا سديدا يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو ان يامره بان
يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يجحف في وصيته والقول السديد من
الاوصيا واوليا اليتامى اذ يكلموهم كما يكلمون اولادهم ولا يوذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما قال مقاتل بن حيان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال اليتيم
وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الاية ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق
انما ياكلون في بطونهم نارا يعني سياكلون يوم القيامة نارا فسمى الذي ياكلون نارا بما يؤول اليه امرهم
يوم القيامة قال السدي يبعث اكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه لعله مسامه

واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من راه باكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا
النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل
بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار تخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هولا قال
هولا الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل
التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر
وان كان المراد سائر انواع الاتلافات وجميع التصرفات الردية المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل
ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتاكيد فهو كقولك
رايت بعيني وسمعت باذني **وسيصلون سعيرا** يعني باكل اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة هـ
للسعرة ولما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس واحترزوا عن مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية
فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم
ناسخ لهذه الاية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الاية واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا
لا يصير منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الاثام وان تخالطوهم فاخوانكم فانها واردة
على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب قوله تعالى **يوصيكم الله في
اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** اختلف العلما في سبب نزول هذه الاية فروي عن جابر قال مرضت
فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف
اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني بشي حتى نزلت اية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الا كلالة
فكيف الميراث فنزلت اية الفرايض وفي رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية اخرى
فلم يرد علي شيا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه البخاري ومسلم وقال
مقاتل والكلبي نزلت في ام كحة امراة اوس بن ثابت وبناته وقال عطا نزلت في سعد بن الربيع
النقيب استشهد يوم احد وترك امراة وبنتين واخا فاخذ الاخ المال فجات امراة سعد بن الربيع
بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع
قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال
قال يقضي الله في ذلك فنزلت اية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط
ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك اخرجه الترمذي وقال السدي كان اهل
الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفا من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال
فمات عبد الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امراة وخمس بنات فجات الورثة واخذوا ماله فشكت
امراته الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقبل الشروع في تفسير هذه الاية الكريمة
نقدم فصولا تتضمن احكام الفرايض واصول قواعدها **فصل** في الحث على تعليم الفرايض اعلم

ان علم الفرايض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهو ركن من اركان
الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في
فروعها واصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة
من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض والقران وعلموا الناس فاني مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيه
اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف
اثنان في الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا
الفرايض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى واول شي ينزع من امتي اخرجه ابن ماجة والدارقطني
فصل في بيان احكام الفرايض اذا مات الميت وله مال يبدا بتجهيزه من ماله ثم بقضا ديونه
ان كان عليه دين ثم انفاذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من
الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سوا كان لاب وام او لاب او لام
وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلوا والزوج
والمعتق والوارثات من النسا سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت
من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة منهم لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان
والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف
يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث
بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض
اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض
السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن ياخذ جميع
المال اذا انفرد وياخذ ما فضل عن اصحاب الفرايض **فصل** واسباب الارث ثلاثة نسب
ونكاح وولا فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه
بسبب النكاح والولا ان المعتق وعصباته يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف
الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا
مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل في الكفر
يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي والى هذا ذهب الزهري
والاوزاعي واحمد واسحاق لما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث بين اهل
ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شي اخرجه ابو داود وحمله الاخرون على الاسلام والكفر لان الكفر

عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع
الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطا لما روي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال هذا حديث لا يصح
والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لا يرث سوا كان القتل عمدا او خطا وقال بعضهم اذا كان
القتل خطا فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا
او انهدم عليهما بنا فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الاخر بل يكون ميراث كل واحد منهما
لمن كان في حياته يقينا بعد موته من ورثته فصل والسهام المحدودة في الفرايض المذكورة في
كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض
خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب وبنت الابن عند عدم
بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام اذا لم يكن ولد لاب وام وفرض الاخت للاب
عند عدم الشقيقة والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة
مع الولد والثلثان فرض الثنتين فصاعدا وبنات الابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين
فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من
الاخوة والاخوات الا في مسلتين احدهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث
الباقي بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم واناثهم فيه
سوا وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسلة صاحب فرض فكان الثلث خير للجد من المقاسمة
مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او
ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في
المسلة صاحب فرض وكان السدس خير للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض
الواحد من اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض
الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر خ عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية
للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد
منهما السدس والثلث وجعل للمراة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع فصل روي عن زيد
ابن ثابت قال ولد الابنا بمنزلة الابنا اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم واناثهم كاناثهم
يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن كان
للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فهو لاولى
رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان
وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف

الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات
يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات
واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد
الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون
بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي
واحمد واولاد الاب يسقطون بهولاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة جميعا
يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدردا وعايشة
وبه قال الحسن وعطا وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم
الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب
والام او للاب يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنوا الاخوة يقدم
اقربهم سوا كان لاب وام فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب ثم بنوهم
على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم يكن احد من عصبات
النسب وعلى الميت ولا فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور
يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت او عن
اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت
وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم ياخذ من الثلثين شيا حتى لو مات
عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شي لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن او اسفل منها
ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت
عصبة حتى لو مات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات
عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روي عن هذيل بن شرحبيل
قال سيل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وايت ابن مسعود
فسيتابعني فسيل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت اذا وما انا
من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضا رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن
السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسالوني ما دام
هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض
عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدا الله تعالى بذكر ميراث
الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده اشد من تعلقه بغيره فلهذا اقدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل
حظ الانثيين يعني ان للولد الذكر له من الميراث ضعفي سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو
حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفرض كالابوين اخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين

الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين فان كن يعني المتروكات من الاولاد نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك يعني بنتين فصاعدا واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الاية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيب للبنتين الوجه الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا فالتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوق فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين نصا وبالقران لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسألة وقوله تعالى وان كانت واحدة يعني البنت واحدة فلها النصف يعني فرضها ولابويه يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور تمما والداه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر وترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالفرض والسدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب فان لم يكن له ولد يعني للميت وورثه ابواه فلامه الثلث يعني ان الميت اذا مات عن ابوين وليس وارث سواهما فان الام تاخذ الثلث بالفرض وياخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة فان كان له يعني للميت اخوة يعني ذكورا او اناثا فلامه السدس يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد والاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال

عثمان

عثمان يا بني ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قد كان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند العرب جمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني داود وسليمان ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبيكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح انما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيئا البتة بل ياخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيئا معونة للاب لانه يقوم بشانهم وينفق عليهم دون الام من بعد وصية يوصي بها او دين يعني ان هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انكم تقرؤون الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق الميت والوصية حق له ومما يتقدمان على حق الورثة قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قيل هذا الكلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الاية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله تعالى من الاباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع من ولده رفع الله اليه ولده وان كان الولد ارفع من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية يكون سببا لرفعه اليها وقيل ان هذا الكلام معترض بينها ومعناه متعلق بمعنى الاية يقول اباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له ولكن الله تعالى هو الذي دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث فريضة من الله يعني ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة ان الله كان عليما حكيما يعني كان عالما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من المواريث وفرض من

الاحكام وقيل معناه كان عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم
يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله
تعالى كان عليما بالاشيا قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم
لما شاهدوا علما وحكما ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم
الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشيا كالخبر بالحال او الاستقبال لان صفات
الله لا يجوز عليها الزوال والتنقل قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان
كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين هذا ميراث الازواج من الزوجات
وقال تعالى في ميراث الزوجات من الازواج ولهن يعني للزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان
كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين لما جعل الله في الموجب النسبي
حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل في الموجب السببي للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة
من النسا لها الربع او الثمن وكذلك لو كن اربع زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد
يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسوا كان الولد للرجل من
الزوجة او من غيرها قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امراة تقدير الاية وان كان رجل او
امراة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا
والد روى الشعبي قال سيل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال سا قول فيها قولا براي فان كان صوابا
فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني
لاستحيي من الله ان ارد شيا قاله ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين
عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت
الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا
الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالراس
فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدايرة المحيطة بالانسان اما نسبة
الولادة فليست كذلك لان فيها تنوع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشي الواحد
الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام
والعمات وغيرهم فانما يحصل بينهم اتصال واحاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة
عبارة عن من عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال
طاوس واحتج لهذا القول بقوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرو هلك ليس له ولد وبيانه
عند عامة العلما ماخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها
اب ولا ابن لان اباه قتل يوم احد واية الكلالة نزلت في اخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم
فصار شان جابر بيانا لمراد الاية في اخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم

لمن

لمن فمنهم من قال اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه
مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول
ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلما الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد
ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد
فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد
الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد والحي والميت كلهم
كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال ابو الخير سال رجل عقبة عن الكلالة
فقال الا تعجبون من هذا يسالني عن الكلالة وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
شي ما اعضلت بهم الكلالة ق عن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد
الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث في ذكر الخمر
ق عن معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيا اهم عندي
من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شي ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي في
شي ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا يكفيك اية الصيف
التي في اخر سورة النسا واني ان اعش اقضي فيها بقضية يقضي بها من يقرا القران ومن لا يقرا
القران لفظ مسلم قوله الا يكفيك اية الصيف اراد ان الله عز وجل انزل في الكلالة ايتين
احداهما في الشتا وهي التي في اول سورة النسا والاية الاخرى في الصيف وهي التي في اخر السورة
وفيها من البيان ما ليس في اية الشتا فلذلك احاله عليها وقوله عز وجل وله اخ او اخت فلكل واحد
منهما السدس اراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلما وقرا سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت
من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة او امراة ثم قال تعالى وله اخ فذكر
الرجل ولم يذكر المراة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين
ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سوا ربما اضافوا احدهما الى الاخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله
تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفرا اذا جاء حرفان في معنى
واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا
في الثلث وهذا اجماع العلما ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم
وانثاهم فيه سوا قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الاية التي انزل الله في اول سورة النسا
من شان الفرايض انزلها في الولد والوالد والام والاية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام
والاية الثالثة التي ختم بها سورة النسا في الاخوة والاخوات من الاب والام والاية التي
ختم بها سورة الانفال انزلها الله في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى من بعد
وصية يوصى بها او دين تقدم تفسيره وبقي شي من الاحكام نذكرها وذلك ان ظاهر الاية يدل على جواز

الوصية بكل المال او ببعضه وفي معنى الاية ما روى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شي يوصي فيه وفي رواية له شي يريد ان يوصي فيه ان يبيت ليلتين
وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي
ليلة من منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في
الصحيحين ففي ظاهر الاية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على
تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص
قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس
اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث وان
النقصان عن الثلث جايز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روى عن عمرو بن خارجة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية
لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنساي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود قوله تعالى
غير مضار يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي باكثر من الثلث
وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت
فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصي بها او دين الى قوله ذلك
الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الموت فنهى
عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكباير لانه مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله
عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكباير واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر
ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة
فالاولى به ان لا يوصي بشي لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من
ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم
بعده في القلة والكثرة وصية من الله اي فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من
ميراث من مات منكم والله عليم يعني انه تعالى عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من
الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور حليم يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك
العقوبة عن من جار في وصيته وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه
غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة
قوله عز وجل تلك حدود الله يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة في مال اليتامى والوصايا
والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم

ان

ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرايضه ومن يطع الله ورسوله يعني في
شان المواريث ورضي بما قسم الله له وحكم عليه يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله يعني في شان المواريث ولم يرض بقسمة الله
ورسوله ويتعد حدوده يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب
مهين فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الاية وهل فيها دليل للمعتزلة
على قولهم ان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية
هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الاية من لم يرض بقسمة الله ويتعدى ما قال
الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك
فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمة الله كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار
اذا لم يتب قبل موته وان مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الاية للمعتزلة
والله اعلم قوله تعالى واللاتي جمع التي وهو كلمة يخبر بها عن المونث خاصة ياتين الفاحشة يعني
يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل
الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية
في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة هاهنا هي الزنا
وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه من نسايكم قيل من المزوجات وقيل المراد به جنس النسا
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج اي اطلبوا اربعة من
الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي اسمعوا شهادة اربعة عليهن ويشترط في
هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا ستركم
به دون فواحشكم فان شهدوا يعني الشهود بالزنا فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن في البيوت
والحكمة في حبسهن ان المراة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت
لم تقدر على الزنا حتى يتوفاهن الموت يعني يتوفاهن ملايكة الموت حتى عند انقضا اجالهن او يجعل
الله لهن سبيلا وهذا الحكم كان في اول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المراة اذا زنت حبست
في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا عن عبادة بن الصامت
قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه
ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر
جلد ماية ونفي سنة والثيب بالثيب جلد ماية والرجم فصل اتفق العلما على ان هذه
الاية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت
المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القران بالسنة وذهب بعضهم الى ان الاية منسوخة باية
الجلد التي في سورة النور وقيل ان هذه الاية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد

وقال ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الاية ولا في الحديث وذلك لان قوله
تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن في
البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه
وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث فصار هذا الحديث بيانا لتلك الاية لا ناسخا
لها واجمع العلما على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ
والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهب
طائفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضه والحسن البصري واسحاق بن راهوية
وداود اهل الظاهر وروي عن علي بن ابي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها
يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير
العلما الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية
ولم يجلدهما واما تغريب البكر الزاني فتغريبه سنة فذهب الشافعي وجماهير العلما وقال ابو حنيفة
وحماد لا يقضي بالنفي حدا الا ان يرى الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النسا ويروى
مثله عن علي قالوا لان المراة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة وحجة الشافعي وجماهير
العلما ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة
وروى نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب
وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه
يغرب نصف سنة قياسا على جلده وان كان الزاني مجنونا او غير بالغ فلا حد عليه قوله عز وجل
واللذان فهو تثنية الذي يأتيانها يعني يأتيان الفاحشة منكم يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما
البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالاية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النسا وهذه
للرجال لان الله تعالى حكم في الاية الاولى بالحبس في البيت على النسا وهو اللائق بحالهن لان المراة
انما تقع في فعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المعصية واما
الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت
عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل فآذوهما يعني عيروهما بالقول
باللسان وهو ان يقال له اما خفت الله اما استحييت من الله حيث زنيت وقال ابن عباس
سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال
فان تابا يعني من الفاحشة واصلحا يعني العمل فيما ياتي فاعرضوا عنهما اي اتركوهما ولا تؤذوهما
ان الله كان توابا رحيما يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا
الحكم كان في ابتدا الاسلام كان يحد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت
الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالاية التي في سورة النور وهو قوله تعالى الزانية

والزاني

والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله الاية فثبت
الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن وسوا في هذا
الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا
وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن واجيب
عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج قوله تعالى انما التوبة على الله
يعني التوبة التي يقبلها الله فتكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من اي من الله وقال اهل المعاني
ان الله عز وجل وعد قبول التوبة من المومنين كقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد
الله شيئا انجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله اوجب على نفسه من غير ايجاب
احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد للذين يعملون السوء يعني الذنوب والمعاصي سميت
سوا لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها بجهالة قال قتادة اجمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
على ان كل شي عصي الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من عصى الله فهو جاهل
وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا
وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب
والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان ياتي
الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار
اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب
بزمان قريب لئلا يعد في زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل
قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما سميت هذه المدة
قريبة لان كل ما هو ات فهو قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان
الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي الغرغرة ان يجعل المشروب
في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح
الى الحلقوم وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال
الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقيل في
معنى الاية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها فاولئك
يتوب الله عليهم يعني يقبل توبتهم وكان الله عليما حكيما قال ابن عباس علم ما في قلوب المومنين
من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولم يقدر فواق ناقة وقيل معنى الاية علم انه

انما يأتي تلك المعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها واناب
عن قريب قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات قال ابن عباس يريد الشرك وقال
ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال
ولا الذين يموتون وهم كفار حتى اذا حضر احدهم الموت يعني وقع في النزع وعاين ملائكة الموت
وهي حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده قال اني تبت الآن قال المحققون
قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها
الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه
الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل
وكنت من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان
قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا اهملوا
امرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله
اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت واجابه
قلت ليس الامر على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون
السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى في المؤمنين يعني قوله انما
التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والاخرى في الكافرين يعني
قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه
لحملها على المؤمنين وعلى تقدير ان تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روي عن ابن عباس
في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وارجا
اهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة
في حق المؤمنين وقوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم
وانما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب
اولئك اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها نزلت في اهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا
مات الرجل وخلف امرأته جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوي عصبته فالقى ثوبه على
تلك المرأة او على خبائها صار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق
الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها وان
شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت
هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت احق بنفسها

وكانوا

وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن
الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابي قيس فطرح ثوبه
عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فاتت كبيشة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه
فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى يأتي امر الله فيك
فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها يعني من ميراث نكاح
النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها يعني وهن كارهات ولا تعضلوهن اي لا تمنعوهن
من الازواج واصل العضل المنع لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعني لتفتدي ببعض مالها
قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها ولصحبتها
ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان
الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب
لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى الا ان يأتين بفاحشة مبينة يعني فح
يحل لكم ضرارهن لتفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق
وايذاء الزوج واهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المرأة اذا نشزت او زنت حل للزوج
ان يسأل لها الخلع وقيل كانت المرأة اذا اصابت فاحشة اخذ منها زوجها ما ساق اليها واخرجها
فنسخ الله ذلك بالحدود وعاشروهن بالمعروف قيل هو راجع الى الكلام الذي قبله والمعنى وآتوا
النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت
والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك فان كرهتموهن يعني فان كرهتم عشرتهن
وصحبتهن وآثرتم فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال ابن عباس ربما رزق
منها ولدا صالحا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة
وقيل في الآية ندب الى امساك المرأة مع الكراهة لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه
طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل
في العقبى وقيل في معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك
المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تتخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه
قوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الخطاب للرجال والمراد بالزوج الزوجة قال
المفسرون لما ذكر الله في الآية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي اما النشوز او الزنا
بين في هذه الآية تحريم المضارة اذا لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخل الرجل حق المرأة
اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها وآتيتم احداهن قنطارا يعني وان كان ذلك الصداق مالا كثيرا
وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت

امراة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الاية فقال كل الناس افقه من عمر
وفي رواية امراة اصابت وامير اخطا ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النسا
حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها فلا تاخذوا منه شيئا يعني من القنطار
الذي تيتموهن لو جعلتم ذلك القنطار لهن صداقا فلا تاخذوا منه شيا وذلك ان سوء العشرة
اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المراة فلا يحل له ان
ياخذ شيئا من صداقها وان كان النشوز من قبل المراة جاز له ذلك اتاخذونه استفهام بمعنى التوبيخ
بهتانا يعني ظلما وقيل ما طلا واثما مبينا يعني اتاخذونه مبينا متبين اثمين فلا تفعلوا مثل هذا
الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى وكيف تاخذونه كلمة تعجب والمعنى لاي وجه
تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيئا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو
استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى وقد افضى
بعضكم الى بعض اصل الافضا في اللغة الوصول يقال افضى اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين
في معنى الافضا في هذه الاية قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي
واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان
يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضا هو ان يخلو بها وان لم يجامعها وقال
الكلبي الافضا ان يكون معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفرا
ومذهب ابي حنيفة لان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل هو
قول الولي عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنسا على الرجال من امساك بمعروف او تسريح
باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي يستحل بها فرج النسا
ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه قال اتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا قال المفسرون
كان اهل الجاهلية يتزوجون ازواج ابائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية روي انه لما توفي ابو قيس
وكان من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امراة ابيه فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني
اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستامره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النسا الا ما قد سلف يعني الا ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه انه كان فاحشة
انما سماه فاحشة لان زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه
الله فاحشة لانه من قبح المعاصي ومقتا يعني انه يورث المقت من الله وهو اشد البغض وغاية
الخزي والخسار وسا سبيلا اي وبيس ذلك طريقا لانه يودي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل
من امراة ابيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي عمرو بن امية روى البغوي بسنده عن البرا
ابن عازب قال مر بي خالي ومعه لوا فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه

ايته

ايته براسه قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات من النسا
بسبب الوصلة اما بسبب ونسب خ عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرا
حرمت عليكم امهاتكم الاية فجملة المحرمات من النسا بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات
بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات امات وانما زيدت الها للتوكيد والام
هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امراة يرجع النسب اليها من جهة الابا ومن جهة الام
بدرجة او بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات وبناتكم والبنت
عبارة عن كل انثى يرجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات بانات كبنت البنت وان سفلت
وكذا بنت الابن واخواتكم جمع اخت وهي عبارة عن كل امراة شاركتك في اصليك فيدخل فيه الاخوات
من الاب والام ومن الاب والاخوات من الام وعماتكم جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في اصليه وهن
جميع اخوات الاب واخوات ابايه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الاب
وخالاتكم جمع خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصليها فيدخل فيهن جميع اخوات الام واخوات
امهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب وبنات الاخ وبنات الاخت
وهي عبارة عن كل امراة لاخيك او لاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ او الاخت فيدخل فيهن
جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص
الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده
اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هن
الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده اصل هن العمات والخالات
وان علون قال العلما كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة لا تحل بوجه من
الوجوه الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات بالرضاع وذلك في قوله
تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك
وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه
بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين ق عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب انها ابنة
اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمي بهن المرضعات
امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه
جميع احكام الامومة من كل وجه فلا يتوارثان ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الاخر وغير ذلك
من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون رضاع الصبي في حال الصغر وذلك
الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله

في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعا في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطا باطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله ابن مسعود لا رضاع الا ما شد العظم وانبت اللحم وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات روى ذلك عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم م عن ام الفضل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفي رواية ان رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا م عن عايشة قالت كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات فنسخ فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرا من القران قولها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرا من القران يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلما الى ان قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحمد في احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعي واحتج مذهب الجمهور بمطلق الاية لانه عمل بعموم القران وظاهره لم يذكر عددا واجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسئلة بان السنة مبينة للقران ومفسرة له وقوله تعالى **وامهات نسايكم** يعني انه اذا تزوج الرجل بامراة حرمت عليه امها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما في النسب والرضاع ايضا وهو مذهب اكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلما ان من تزوج امراة حرمت عليه امها بنفس العقد سوا دخل بها او لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المراة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امراة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امراة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذي وقوله تعالى **وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** الربايب جمع ربيبة وهي بنت المراة من رجل اخر سميت ربيبة لتربيتها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا بنفس العقد فيحرم على الرجل بنات امراته وبنات اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها او ماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى **وحلايل ابنايكم**

يعني ازواج ابنايكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحا وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنايه وابنا اولاده وان سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد **الذين من اصلابكم** انما قال من اصلابكم احترازا عن المتبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال تعالى ادعوهم لابايهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل ادعياكم ابناكم وقال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم وقوله تعالى **وان تجمعوا بين الاختين** يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سوا كانت الاخوة بينهما بنسب او رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فها هنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا باينا جاز له نكاح اختها الوجه الثاني ان من صور الجمع بين الاختين وهو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطي فاذا وطي احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى بيبع او هبة او عتق او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين وهو ان يتزوج احداهما ويشتري الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلما انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الاية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول اصح واولى لما روي قبيصة بن ذويب ان رجلا سال عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما اية وحرمتهما اية فاما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عنه فقال اما انا فلو كان لي من الامر شي ثم اجد احدا فعل ذلك لاجعلته نكالا قال ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى **الا ما قد سلف** يعني لكن ما قد مضى فهو معفو عنه بدليل قوله تعالى **ان الله كان غفورا رحيما** وقيل ان فايدة هذا الاستثنا ان انكحة الكفار كانت صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايهما شيت ويدل عليه ما روي عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يا رسول الله اني اسلمت وتحتي اختان قال طلق ايتهما شيت اخرجه ابو داود فروع تتعلق بحكم الاية الاول لا يجوز الجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها اخرجاه في الصحيحين قال بعض الحكما في حد ما يحرم الجمع كل امراتين بينهما قرابة او لبن وكان ذلك بينك وبين المراة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الاية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره

وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المراة وحليلة الابن وزوج الاب قد تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهره وهن ام المراة وحليلة الابن وزوج الاب وقد تقدم ذكرها في قوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الاية والربايب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين

الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة وانما يحصل بنكاح صحيح فلو زنا بامراة لم تحرم عليه امها ولا بنتها لو اراد ان يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على ابا الزاني ولا ابنايه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب لها به الصداق ويجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وفقها اهل الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وابي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق ولو لمس امراة اجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس المراة بشهوة هل يجعل كالوطي في تحريم الربيبة فيه قولان اصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثاني لا تثبت كما لا تثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى **والمحصنات** يعني وحرمت المحصنات **من النسا** واصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المراة العفيفة ويطلق الاحصان على المراة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمراة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج من النسا فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هي السابعة من النسا اللاتي حرمت بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية في نسا كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهي المسلمين عن نكاحهن ثم استثنا فقال تعالى **الا ما ملكت ايمانكم** يعني السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطيهن بعد الاستبرا لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله هذه الاية وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة تقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطيها وقال عطا اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النسا الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر **كتاب الله عليكم** يعني حرمت عليكم امهاتكم كتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما احل كتابا **واحل لكم ما وراء ذلكم** يعني واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الاية يقتضي حل كل من سوى المذكورات من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم

اصناف اخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا فلا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بامة ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتابيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الاية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عام مخصوص وقوله تعالى **ان تبتغوا باموالكم** فيه اضمار تقديره واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم يعني تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن وفي الاية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشي فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم **محصنين** يعني متزوجين وقيل متعففين **غير مسافحين** يعني غير زانين والسفاح الفجور واصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط وقوله تعالى **فما استمتعتم به منهن** قد اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النسا بنكاح صحيح لان اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع **فاتوهن اجورهن** يعني مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس ببدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الاية هو نكاح المتعة وهو ان تنكح امراة الى مدة معلومة بشي معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق وتستبري رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتدا الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة وحرمها م عن سبرة بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النسا وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شي فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيا والى هذا ذهب جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني ق عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النسا يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القران ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القران فعلى هذا قيل ان ناسخ هذه الاية قوله تعالى في سورة المومنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة فروي عنه ان الاية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال المتعة كما قال الله تعالى قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة فقال قاتلهم الله انا ما افتيت باباحتها

على الاطلاق لكني قلت انما تحصل للمضطر كما تحل الميتة له وروي انه رجع عنه وقال
نسخها ما روي عطا الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن فصارت منسوخة
بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وروي سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب
صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها الا اجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة
والميراث قال الشافعي لا اعلم في الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو
عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النسا قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا
قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق من اصحاب الاثر والراي وانه لا رخصة فيها
لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره قد تكلف قوم من مفسري القران فقالوا المراد بهذه الاية
نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النسا وهذا تكلف
لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها وحرمها فكان قوله منسوخا
بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن
فما نكحتموه على الشريطة التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال
ابن جرير الطبري اولى التاويلين في ذلك بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن
فاتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة النسا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فريضة
يعني لازمة واجبة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اختلفوا فيه فمن حمل
ما قبله على نكاح المتعة قال المراد انهما اذا عقدا عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت
المراة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا
ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به يعني من الابرا من المهر والافتدا والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم
ان تهب المراة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمراة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه
ان الله كان عليما يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها من ساير اموركم حكيما يعني فيما
دبر لكم من التدبير فيما يامركم به او ينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل فصل في قدر
الصداق وما يستحب منه اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى واتيتم احداهن قنطارا
فلا تاخذوا منه شيئا والمستحب ان لا يغالي فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الا لا تغالوا
في صدقة النسا فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله
عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسايه ولا انكح شيئا من بناته على اكثر
من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه م عن ابي سلمة قال سالت عائشة زوج

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه
ثنتي عشرة اوقية ونش قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسماية درهم
واختلف العلما في اقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا
او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحاق وقال قوم
يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك
ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل
ابن سعد قال جات امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي
لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طاطا رسول الله صلى الله
عليه وسلم راسه فلما رات المراة انه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول
الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال هل عندك من شي قال لا والله يا رسول الله قال
اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله
ولا خاتما من حديد ولكن هذا ازاري قال سهل ما له ردا فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شي وان لبسته لم يكن عليك منه شي فجلس
الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فراه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فامر به فدعي فلما جا قال ما معك
من القران قال سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقراهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد
ملكتكها بما معك من القران اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث دليل على
انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيئا فهذا يدل على جواز اي شي كان من المال ثم قال ولو
خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القران
صداقا وهو قول الشافعي ومنعه اصحاب الراي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اعطى في صداق امراة ملا كفيه سويقا او تمرا فقد استحل اخرجه ابو داود عن عبد الله بن
عامر عن ابيه ان امراة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذي قال عمر بن الخطاب
ثلاث قبضات من زبيب مهر قوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا يعني فضلا وسعة وانما
سمي الغنا طولا لانه ينال به المراد ما لا ينال بالفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة
ان ينكح المحصنات يعني الحراير المومنات فمما ملكت ايمانكم يعني جارية اخيك المومن فان الانسان
لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه من فتياتكم المومنات المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المومنة فليتزوج
الامة المومنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى ففي الاية
دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في

الاما بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن الشرط الثاني هو
خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا
قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب
مالك والشافعي واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري انه يجوز
للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة
والسبب في منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا
كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم
من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان
مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا ان تبريه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب
منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان
في نكاحه حرة وعند ابي حنيفة لا يجوز له ان كان تحته حرة كما يقول في الحر وفي الاية دليل على انه
لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المومنات يفيد جواز
نكاح الامة المومنة دون الكتابية لان فيها نوعا من النقص وهو الرق والكفر بخلاف الامة لان
فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة
يجوز التزوج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطي الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى
والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى
السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم
بعضكم من بعض يعني ان كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاما عند الضرورة وانما
قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله
تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة من التزوج بالاما فانكم متساوون
في النسب الى ادم وقيل معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم
الضرورة جاز له ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين بعضهم
اكفاء بعض فانكحوهن باذن اهلهن يعني اخطبوا الاما الى ساداتهن واتفق العلما على ان نكاح الامة
بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة واتوهن اجورهن
يعني مهورهن بالمعروف يعني من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه واتوهن مهور امثالهن واجمعوا على
ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتا المهر الى الاما لانه ثمن بضعهن محصنات يعني عفايف
غير مسافحات يعني غير زانيات ولا متخذات اخدان جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك
في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال اخذ المراة خدنا يعني صاحبا
الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات اخدان هي التي تختص بواحد

ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا
عندهم لا جرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا فاذا احصن
قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرئ احصن بضم الالف وكسر
الصاد ومعناه زوجن فان اتين بفاحشة يعني بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
يعني فعلى الاما اللاتي زنين نصف ما على الحراير الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا اذا زنى
خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول اكثر
العلما ويروى عن ابن عباس انه قال طاوس انه لا حد على من لم يتزوج لانه ليس بمحصن واجيب عنه
بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزوج فليس المراد منه ان التزوج شرط
لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده
الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وتبين انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو
ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها
فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها
فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اي لا يعيرها والتثريب التانيب
والتعييب والاستقصا في اللوم قال الشيخ محيي الدين النواوي وهذا البيع المامور به في الحديث مستحب
ليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشي الثمين
بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب
واجب فان قيل كيف يكره شيا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان
يعفها بنفسه او يصونها لهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم ذلك اشارة
الى نكاح الامة لمن خشي العنت منكم يعني الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان تحمله شدة الشبق والغلمة
وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهي شدة العقوبة فاباح الله
تعالى نكاح الامة بثلاث شرايط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مومنة
وان تصبروا يعني عن نكاح الاما متعففين خير لكم يعني كيلا يكون الولد عبدا رقيقا والله
غفور رحيم وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون
اليه قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اللام في قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الايات
من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين
ان الصبر عن نكاح الاما خير لكم ويهديكم اي ويرشدكم سنن الذين من قبلكم اي شرايع من قبلكم في تحريم
الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه
مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام
ويتوب عليكم يعني ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها

الى طاعته وقيل لما بين لنا امر الشرايع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط
فيما امر به وبينه فلاجرم انه تعالى قال ويتوب عليكم والله عليم يعنى بمصالح عباده في امر
دينهم ودنياهم حكيم يعنى فيما دبر من امورهم والله يريد ان يتوب عليكم قال ابن عباس معناه
يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر
لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم ويريد
الذين يتبعون الشهوات قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت
الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس الذين يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ فلما حرمهن الله
قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت الخالة العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت
فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم ان تميلوا يعنى عن الحق وقصد السبيل
بالمعصية ميلا عظيما يعنى باتيانكم ما حرم الله عليكم يريد الله ان يخفف عنكم يعنى يسهل عليكم
احكام الشرايع فهو عام في كل احكام الشرايع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا
منه الينا وتفضلا ولطفا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرايل فهو كقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى وخلق
الانسان ضعيفا يعنى في قلة الصبر عن النسا فلا صبر له عنهن وقيل انه اضعفه بستميله
هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في اصل الخلقة لانه خلق من ماء
مهين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يعنى بالحرام الذى
لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال
باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع
التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من الاموال الاكل وقيل يدخل فيه اكل
مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصى واما اكل مال غيره
فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى الا ان
تكون تجارة عن تراض منكم هذا الاستثنا منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال
بالباطل فكان الا هاهنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعنى بطيبة نفس كل واحد منكم
وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا
لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار
ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الاخر فان خير احدهما الاخر فتبايعا على ذلك فقد
وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه
في الصحيحين وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى ولا تقتلوا بعضكم بعضا وانما قال انفسكم

لانهم

لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة
الوداع الا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل هذا نهى للانسان عن
قتل نفسه ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل
نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه
في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده
يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله يتردى التردى هو الوقوع من موضع
عال الى اسفل وقوله يتوجا يقال وجاته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجا بها اى يضرب بها نفسه
ق عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل خراج فقتل نفسه فقال الله تبارك
وتعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح
فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت
عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه انه لا يفعل شيا يستحق به القتل مثل ان يقتل
فيقتل به فيكون هو الذى تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل
وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها ان الله كان بكم رحيما يعنى انه
تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شى تستوجبون به مشقة او محنة وقيل انه تعالى امر بنى اسرايل
بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة
الصعبة ومن يفعل ذلك يعنى ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب
المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة
وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هاهنا عدوانا وظلما يعنى بتجاوز الحد ووضع
الشى في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك
قد يكون اخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان وهو قوله تعالى
فسوف نصليه نارا اى ندخله في الاخرة نارا يصلى فيها وكان ذلك على الله يسيرا اى هينا لانه
تعالى قادر على ما يريد قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه اجتناب الشى المباعدة عنه وتركه
جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث
الواردة في الكباير فمن ذلك ما روى عن ابى بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا
انبيكم باكبر الكباير ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة
الزور وقول الزور وكان متكيا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين
ق عن انس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكباير فقال الشرك بالله وعقوق
الوالدين وقتل النفس وقال الا انبيكم باكبر الكباير قول الزور او قال شهادة الزور ق عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن

قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا والتولي يوم
الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات وعن ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم اي
قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك خ عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين
الغموس وفي رواية ان اعرابيا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكباير قال الاشراك
بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع به مال امري مسلم
بيمين هو فيها كاذب ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكباير شتم الرجل والديه قالوا
وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه وفي رواية من اكبر الكباير
ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكباير الاشراك بالله والامن من
مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سال ابن عباس عن
الكباير اسبع هي قال هي الى السبعماية اقرب وفي رواية الى السبعين اقرب لانه لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شي عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله
لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر
وقال علي بن ابي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري
الكباير ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغاير ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله
كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المومنين والمومنات تواهبوا
المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكباير ذنوب اهل البدع والسيات ذنوب اهل
السنة وقيل الكباير ذنوب العمد والسيات الخطا والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس
المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكباير ما نهى الله عنه من الذنوب والسيات مقدماتها
وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك ق عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لا محالة العينان زناهما
النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا
القلب يهوي ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم وقيل الكباير الشرك وما يودي اليه
وما دونه فهو من السيات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كباير وصغاير والى هذا
ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلايل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصي الى
صغاير وكباير فقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وهي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في
الدنيا بالحدود واما في الاخرة بالعذاب عليه نكفر عنكم سيئاتكم يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم

يعمل

يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا يكفر كبارها
الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكباير وزاد في رواية
اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكباير اخرجه مسلم وقوله تعالى
وندخلكم مدخلا كريما يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكباير واتيتم بالطاعات
ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اصل التمني
ارادة الشي وتشهي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل
التمني تقدير الشي في النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية واكثر
التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون عن مجاهد عن
ام سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النسا وانما لنا نصف الميراث فانزل الله
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلمات وكانت ام
سلمة اول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل
الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النسا نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال
لانا ضعفا وهم اقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله هذه الاية وقيل لما نزلت قوله للذكر
مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجو ان نفضل على النسا في الحسنات في الاخرة فيكون لنا
اجرنا على ضعف اجر النسا كما فضلنا عليهن في الميراث وقال النسا انا لنرجو ان يكون الوزر علينا
نصف ما على الرجال كما لنا الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الاية والتمني على قسمين
احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال الغير مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم
هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشا من عباده وهذا الحاسد يعترض
على الله فيما يفعل وربما اعتقد في نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا
اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم الثاني ان يتمنى مثل ما لغيره ولا يحب ان يزول
ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من يمنع منه ايضا قال لان
تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين والدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان
ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال فليعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض
بقضايه ولتكن امنيته الزيادة من عمل الاخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي
ومعادي وقوله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن قال ابن عباس يعني مما
ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب في الاجر
سوا يعني ان الرجال والنسا في الاخرة سوا لان الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك
الرجال والنسا وان فضل الرجال في الدنيا على النسا وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من الجهاد وللنسا

نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج واسئلوا الله من فضله قال ابن
عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سوال التوفيق للعبادة وقيل لم يامر الله عباده
بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيئا في الدعا والطلب ولكن يطلب
من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه واخرته وقيل لما تمنى النسا ان يكن رجالا
وان يكون لهن مثل ما للرجال فنهاهن الله عن ذلك وامرهن ان يسالنه من فضله فانه اعلم
بمصالح عباده ان الله كان بكل شي عليما يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسايلين فليقتصر
السايل على المجمل في الطلب فان الله عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى
ولكل يعني من الرجال والنسا جعلنا موالي يعني ورثة من بني عم واخوة وساير العصبات
مما ترك يعني يرثون مما ترك الوالدان والاقربون من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الذين يرثون
وقيل ان قوله موالي مما ترك يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا
الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه واقربوه
والقول الاول اصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره والذين عاقدت ايمانكم وقرى عقدت بغير الف
مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل ان يراد بها القسم
او اليد او بهما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا
على الوفا بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده
فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب
بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الاخر وكان
الحكم ثابتا في الجاهلية وابتدا الاسلام فذلك قوله تعالى فاتوهم نصيبهم يعني اعطوهم حظهم
من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال
ابن عباس نزلت هذه الاية في الذين اخا بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار
لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا
موالي مما ترك نسختها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب
الميراث فيوصي له وفي رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم كان الرجل
يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث احدهما الاخر فنسخ ذلك الانفال فقال واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الاية ثم نسخ ذلك وذهب
قوم ان الاية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفا والمراد من
قوله فاتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا
لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرا على
ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر ابي بكر الصديق فقرات والذين عاقدت ايمانكم فقالت

لا تقرا والذين عاقدت ايمانكم انما نزلت في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف
ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امره الله ان يوتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا
نسخ ايضا فمن قال ان حكم الاية باق قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصر لا غير والاسلام
لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف
في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم وقوله تعالى
ان الله كان على كل شي شهيدا قال عطا يريد انه لم يغب عنه ما خلق وبرا فعلى هذا الشهيد
الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشيا وقيل الشهيد الشاهد على الخلق يوم القيمة بكل ما عملوه
فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطايعين ووعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل
الرجال قوامون على النسا نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقبا وفي امراته حبيبة بنت زيد
من بني زهير وقيل امراته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها
معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا
جبريل اتاني فانزل الله هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا
والذي اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النسا اي مسلطون على تاديب
النسا والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امرا عليهن فعلى المراة ان تطيع زوجها في طاعة الله والقوام
هو القايم بالمصالح والتدبير والتاديب فالرجل يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها ولما اثبت
الله القيام للرجال على النسا بين السبب في ذلك فقال تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض يعني
ان الله تعالى فضل الرجال على النسا بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد
والجمعة والجماعات وبالامامة ولان منهم الانبيا والخلفا والايمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع
نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث
وبيده النكاح والطلاق والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النسا ثم قال
تعالى وبما انفقوا من اموالهم يعني وبما اعطوا من مهور النسا والنفقة عليهن عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد
لزوجها اخرجه الترمذي فالصالحات يعني المحسنات العاملات بالخير قانتات اي مطيعات
لازواجهن وقيل مطيعات لله حافظات للغيب لفروجهن في غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج
العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ
ماله وما يجب على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول
الله اي النسا خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها
بما يكره اخرجه النساي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم خير النسا امراة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النسا الاية وقوله تعالى **بما حفظ الله** يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا فان المراة خلقت من ضلع اعوج وان اعوج ما في الضلع اعلاه فاذا ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنسا وقيل في معنى الاية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن في مهورهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل بينهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان **واللاتي تخافون** اي تعلمون وقيل تظنون **نشوزهن** اي تعلمون واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسارع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه ولم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها **فعظوهن** يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى **واهجروهن في المضاجع** يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش اخر **واضربوهن** يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شاين قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنسا خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية اي اسيرة شبه المراة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق وقوله **فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** اي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود وقوله ولا تقبح اي لا تقل قبحك الله ق عن عبد الله ابن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله يجامعها او قال يضاجعها من اخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النسا فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النسا على ازواجهن فرخص

فرخص لهن

في ضربهن فطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نسا كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله ذئرن يعني اجترأت المراة على زوجها اذا نشزت واجترات عليه واطاف بالشي احاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنسا فان احتاج الى ضربها للتاديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك متفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شي اولى في هذا الباب واختلف العلما فقال بعضهم حكم الاية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الاية يدل على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها وان ابت هجرها مضجعه فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال اخرون هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها ويضربها عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسال الرجل فيم ضرب امراته اخرجه ابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امراته الى فراشه فابت ان تجي فبات غضبان عليها لعنتها الملايكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشه فتابى عليه الا كان الذي في السما ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملايكة حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امراته لحاجته فلتاته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا توذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التاديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذا وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن **ان الله كان عليا كبيرا** العلي في صفة الله تعالى معناه هو الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبريا وكبر الشان الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى ان الله متعال تام عن ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النسا وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر ان ينتصر لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه

يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المراة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها
وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم احق بالعفو
عن من جنى عليكم قوله وان خفتم يعني وان علمتم او تيقنتم وقيل معناه الظن اي ظننتم
شقاق بينهما يعني بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين
في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق
على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل
الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تودي الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل
قولا وفعلا وقوله تعالى فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن
المامور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية
اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله
على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امرا لاحاد الامة
سوا وجد الامام او لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا
فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما
شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يعني الحكمين وقيل الزوجين
يوفق الله بينهما يعني بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب رضه انه
جاءه رجل وامراة ومع كل واحد منهما فيام من الناس فقال علي ما شان هذين قالوا وقع بينهما شقاق
قال علي فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما عليكما ان رايتما ان
تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما فقالت المراة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل
اما الفرقة فلا قال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعي والمستحب ان يبعث
الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما
من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان يخلو كل واحد منهما
بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح او في المفارقة
ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق وطلاق او خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز
لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل او يفتدي حكم
المراة بشي من مالها فللشافعي في ذلك قولان احدهما انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق
الا باذنه ولا لحكم المراة ان تختلع بشي من مالها الا باذنها وهو مذهب ابي حنيفة واحمد لان عليا
توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به
فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاه ومعنى قول علي للزوج كذبت اي لست بمنصف في دعواك
حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث الحكمين

دون

دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم المراة ان تختلع دون رضاها
اذا رايا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك
ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المراة لما
رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له كذبت
حيث انكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على
الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون ذلك تارة بالفراق وتارة
بصلاح حاليهما في الوصلة وقوله تعالى ان الله كان عليما خبيرا يعني انه تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين
ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق قوله عز وجل واعبدوا
الله يعني وحدوه واطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل ياتي به العبد لمجرد امر الله تعالى
ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح ولا تشركوا به شيئا يعني واخلصوا له في العبادة
ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير الله فقد
اشرك به ولا يكون مخلصا ق عن معاذ بن جبل قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار
يقال له عفير فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله
اعلم قال اما حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب
من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق
الله على عباده معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله واما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه
عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيئا ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي
متاكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم راى ذلك
اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع لهم به الدرجات في الجنة
وقوله تعالى وبالوالدين احسانا تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما
وانما قرن الوالدين بعبادته وتوحيده لتاكد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم
بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة ق عن ابي
هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي
قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك
فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك م عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم
يدخل الجنة وقوله تعالى وبذي القربى اي واحسنوا الى ذي القرابة وهم ذو رحمه من قبل ابيه وامه
ق عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له في رزقه

ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه معنى يُنسأ له في أثره يؤخر له في أجله وعمره وقوله تعالى **واليتامى**
والمساكين أي وأحسنوا إلى اليتامى إنما أمر بالإحسان إليهم لأن اليتيم مخصوص بنوعين من العجز
الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك خ عن سهل بن
سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة
والوسطى وفرج بينهما شيئًا ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الأرملة
والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر
وقوله تعالى **والجار ذي القربى والجار الجنب** أي وأحسنوا إلى الجار ذي القربى وهو الذي قرب
جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب والجار
الجنب هو الأجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعن عائشة مثله خ عن عائشة قالت
قلت يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي قال إلى أقربهما منك بابًا م عن أبي ذر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية قال
أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك
فأصبهم منها بمعروف ق عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن
قيل ومن يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه
البوائق الغوائل والشرور ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات لا تحقرن
جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو أن تهدي لها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشيء الحقير
ق عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت
والصاحب بالجنب قال ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل هي المرأة تكون معك إلى جنبك وقيل هو
الذي يصحبك رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأصحاب عند
الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وقوله تعالى **وابن السبيل** يعني المسافر المجتاز بك الذي قد انقطع به السبيل وقال الأكثرون المراد بابن السبيل
الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن إليه ق عن أبي شريح خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول
الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت زاد في رواية لا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه
قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء له يقريه به قوله جائزته يومه وليلته الجائزة
العطية التي تقري الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل إلى منهل وقيل هو لمن يكرم الضيف

ثلاثة أيام فإذا سافر أعطاه ما يكفيه يومًا وليلة حتى يصل إلى موضع آخر وقوله ولا يقيم
عنده حتى يؤثمه أي يوقعه في الإثم لأنه إذا أقام عنده ولم يقره أثم بذلك وقوله تعالى **وما ملكت أيمانكم**
يعني المماليك فأحسنوا إليهم والإحسان إليهم أن لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن
وأن يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه بقدر الكفاية عن أبي بكر الصديق أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة أخرجه الترمذي عن رافع بن مكيث أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ق عن المعرور بن سويد
قال رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلًا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم إنك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم إخوانكم
خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا
تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه وقوله تعالى **إن الله لا يحب من كان مختالًا فخورًا**
المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس **فخورًا** الفخور هو الذي يفخر على الناس
ويعدد مناقبه تكبرًا وتطاولًا على من دونه وقيل هو الذي يفخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه
ولا يشكره عليها وإنما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لأن المختال والفخور يأنف
من أقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن إليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولأن المختال هو المتكبر
ومن كان متكبرًا فلا يقوم بحقوق الناس ق عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم
القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة
تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة
خ عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء خسف به
فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة ق عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب
الإبل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بها قوله تعالى **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**
نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها فعلى هذا يكون المراد بالبخل
كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوه وأسامة
ابن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحري بن عمرو كانوا يأتون رجالًا من الأنصار ويخالطونهم ويقولون لهم
لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل إن
ذلك يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لأن البخل في كلام العرب منع السائل من فضل
ما لديه وإمساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن إمساك الواجب ومنعه وإذا كان ذلك

امكن حمله على منع المال ومنع العلم ويكتمون ما اتاهم الله من فضله يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنيا الذين كتموا الغنا واظهروا الفقر وبخلوا بالمال
واعتدنا للكافرين يعني الجاحدين نعمة الله عليهم عذابا مهينا يعني في الاخرة عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسو الخلق اخرجه
الترمذي وقال الحديث غريب قوله عز وجل والذين ينفقون اموالهم ريا الناس يعني للفخار والسمعة
وليقال لما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله تعالى م عن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه
غيري تركته وشركه نزلت هذه الاية في اليهود وقيل في المنافقين لان الريا ضرب من النفاق وقيل
نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يومنون بالله ولا
باليوم الاخر يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزا الاعمال انه كاين ومن يكن الشيطان
له قرينا فسا قرينا يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبيس الصاحب وبيس الخليل الشيطان
وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقبيحا لعمل عمله وقيل هذا في الاخرة يجعل الله الشياطين قرناهم
في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة في النار ثم وبخهم الله وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى وما
ذا عليهم يعني واي شي عليهم واي وبال وتبعة تلحقهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم
الله اي اي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغا مرضاته وكان الله بهم عليما يعني
لا يخفى عليه شي من اعمال هولا الذين ينفقون اموالهم لاجل الريا والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم
قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة نظم الكلام وما ذا عليهم لو امنوا وانفقوا فان الله
لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة
راس نملة حمرا وقيل الذرة كل جز من اجزا الهبا الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضو الشمس لا وزن لها
وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشيا والمعنى ان الله لا يظلم احدا شيا من قليل ولا كثير فخرج
الكلام على اصغر شي يعرفه الناس وان تك حسنة يضاعفها يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا
عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعماية والى اجر عظيم قال
قتادة لان تفضل حسناتي على سياتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها م عن انس بن مالك
في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله لا يظلم مومنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات
ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يستخلص رجلا من امتي على روس الخلايق يوم القيمة
فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك

اليوم

اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر
وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه الترمذي
ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة
ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة
تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد
الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي
نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفا الحق من المومنين لله يوم القيامة لاخوانهم
الذين في النار وفي رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المومنين يوميذ للجبار اذا راوا
انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون ربنا انهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا
من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم
ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من
خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها
خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شيتم ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملايكة
وشفع النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا
خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل
السيل الا ترونها الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون
ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم
اهل الجنة هولا عتقا الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة
فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل
من هذا فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وهو بعض
حديث وقال بعضهم هذه الاية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن مسعود قال
اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين ثم ينادي مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجي
الى حقه فلياخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخته فياخذ منه وان كان
صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتساءلون ويوتى بالعبد
وينادي مناد على روس الاولين والاخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فلياتي الى حقه ثم يقال له
ات هولا حقوقهم فيقول اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملايكة انظروا

دينار

الى اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملايكة يا ربنا وهو
اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملايكة ضعفوها
لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملايكة
الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيئاتهم فاضيفوها
الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه
واسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة
للخصم على خصمه بل ياخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك
قوله عز وجل وان تك حسنة يضاعفها اي يجعلها اضعافا كثيرة ويؤت من لدنه يعني من عنده
اجرا عظيما يعني الجنة والمعنى ويعط من عنده اجرا عظيما يعني عوضا من حسنته وذلك العوض
هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى فكيف اذا
جينا من كل امة بشهيد يعني فكيف حال هولاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جينا من كل امة
بشهيد قال ابن عباس يريد نبيها والمعنى انه يوتى بنبي كل امة يشهد عليها ولها وجينا بك يا محمد
على هولاء شهيدا يعني تشهد على هولاء الذين سمعوا القران وخوطبوا بما عملوا ق عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي القران فقلت يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب
ان اسمعه من غيري قال فقرات عليه سورة النسا حتى اذا جيت الى هذه الاية فكيف اذا جينا من كل
امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا قال حسبك الان قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان
زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته وقوله تعالى يومئذ يعني يوم
القيمة يود اي يتمنى الذين كفروا يعني جحدوا وحدانية الله تعالى وعصوا الرسول يعني فيما امرهم
به من توحيد الله عز وجل لو تسوى بهم الارض يعني لو صاروا ترابها وسويت عليهم وقيل انهم
ودوا لو لم يبعثوا لانهم انما كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تبارك وتعالى
للبهايم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا فتستوي بهن الارض فعند ذلك تمنى الكافر لو كان ترابا
ولا يكتمون الله حديثا قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا
كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان مما كتموا في
الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستانف
قال سعيد بن جبير سال رجل ابن عباس فقال اني اجد في القران اشيا تختلف علي قال هات ما يختلف
عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا
فقال ان الله يغفر لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين
فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجا ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم

بما كانوا

بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القران فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن
لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين
وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن
لا يتساءلون وفي موطن يسالون الرجعة واخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم
فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون جمع سكران سبب نزول هذه الاية ما روي عن علي بن ابي طالب قال صنع لنا ابن عوف طعاما
فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل ان تحرم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرات قل يا ايها
الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح واخرجه ابو داود ولفظه
ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم
علي في المغرب فقرا قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا ياتون الصلاة وهم سكارى
قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية فعلى
هذا ففي المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين
والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة
وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا
مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع
وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم
ان هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها في غير اوقات
الصلوات ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الاية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم
يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس
لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا جنبا
يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب واصل الجنابة البعد سمي الذي اصابته الجنابة
جنبا لانه يجتنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل الا عابري سبيل العابر
ها هنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الاخر واختلف العلما في
معنى قوله الا عابري سبيل على قولين احدهما ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما

من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ما عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص
لهم العبور فيه فعلى هذا يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب
الا مجتازين فيه اما للخروج منه او للدخول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه
او يكون الما في المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود
وانس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطا الخراساني والنخعي والزهري
واليه ذهب الشافعي واحمد القول الثاني ان المراد بقوله الا عابري سبيل المسافرين والمعنى لا تقربوا
الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الما فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل
الا ان يكون في سفر ولا ما معه فيتيمم ويصلي الى ان يجد الما فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد
ابن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابري سبيل المسافر منع الجنب من العبور في المسجد وهو
مذهب ابي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري والواحدي القول الاول ويدل على صحته وجهان احدهما
ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هاهنا فيحتاج الى اضمار شي وان
الما ذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شي الوجه الثاني ان الله تعالى ذكر حكم السفر
وعدم الما وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الاية ويدل عليه ان جميع
القرا استحسنوا الوقف على قوله حتى تغتسلوا يعني الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة
باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال فصل في احكام تتعلق بالاية اختلف العلما في العبور
في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول اصحاب الراي وقال قوم يتيمم للعبور
في المسجد واختلف العلما في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم وقالوا لا يجوز
للجنب المكث في المسجد لما روي عن عايشة قالت جا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه
بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيا رجا ان ينزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال
وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد لحايض ولا جنب اخرجه ابو داود
وجوز احمد المكث في المسجد بشرط الوضو وبه قال المزني من اصحاب الشافعي واجاب احمد عن
حديث عايشة بانه في بعض رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل
احمد لمذهبه بما روي عن عطا بن يسار قال رايت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضوا وضو الصلاة اخرجه سعيد بن منصور
في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الاية وبما روي عن ام سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه
وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلا صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا لحايض
اخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراة القران كما يحرم عليه فعل الصلاة
ويدل على ذلك ايضا ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي ثم يخرج

فيقرا

فيقرا القران وياكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القران شي ليس الجنابة اخرجه
ابو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرينا القران على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث
حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرا الجنب ولا الحايض ولا النفسا
من القران شيا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد شيين بانزال المني وهو الما الدافق
او بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عايشة قالت سيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم
ولم يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمراة ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه
ابو داود والترمذي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها
الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل قوله تعالى وان كنتم مرضى جمع مريض
واراد به المرض الذي يضره معه امساس الما مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض
اعضايه جراحة وبه قروح يخاف من استعمال الما التلف وزيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع
وجود الما وان كان بعض اعضايه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين
لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه
هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الما فاغتسل فمات
فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذ لم
يعلموا فانما شفا العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او قال يعصب شك الراوي على جرحه
خرقة ثم يمسح عليه ويغسل ساير جسده اخرجه ابو داود والدارقطني ولم يجوز اصحاب الراي
الجمع بين التيمم والغسل قالوا اذا كان اكثر اعضايه او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه
وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم قوله
او على سفر يعني او كنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الما فانه يتيمم ويصلي ولا
اعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا
ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذر فسكت فقال ثكلتك امك ابا ذر لامك الويل فدعا بجارية سودا فجات
بعس فيه ما فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكاني القيت عني جبلا فقال الصعيد
الطيب وضو المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الما فامسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابو داود
والعس قدح من فخار يجعل فيه الما للوضو والاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم
الما في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الما وقدر عليه وبه قال
الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يوخر الصلاة حتى يجد الما قوله
تعالى او جا احد منكم من الغايط الغايط المكان المطمين من الارض وجمعه الغيطان وكانت

عادة العرب اتيان الغايط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضا الحاجة
طلب غايطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن اعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم
فهو من باب تسمية الشي باسم مكانه وقوله تعالى او لامستم النسا قرئ هنا وفي سورة المايدة
لامستم النسا ولمستم بغير الف واختلف العلما في معنى الملامسة على قولين احدهما انه الجماع وهو
قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله كنى باللمس عن الجماع لان
باللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس
هنا التقا البشرتين سوا كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي
ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام
على الحقيقة لا المجاز واما قراة من قرا او لامستم والملامسة مفاعلة من اللمس لا بد اعلى المجامعة
ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال ابو عبيد في معناها
هي ان تقول اذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس
باليد واذا كانت مستعملة في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى او لامستم النسا على صريح الجماع بل
حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل
المسيلة الاولى اذا افضى الرجل بشي من بدنه الى شي من بدن المراة ولا حايل بينهما انتقض وضوهما
وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن
ابن عمر انه قال قبلة الرجل امراته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امراته او جسها بيده فعليه الوضو
واخرجه مالك في الموطا قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد
واحمد واسحاق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضو وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امراة من نسايه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضا قال عروة ومن
هي الا انت فضحكت اخرجه الترمذي وابو داود واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت
قال الترمذي لانه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث وقال
حبيب بن ابي ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شي
وفيه ضعف من وجه اخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عايشة انما هو شيخ مجهول
قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل
وهو صايم كذا رواه الثقات عن عايشة وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضو باللمس الا ان
يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج
من لم يوجب الوضو بالمس بما روي عن عايشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومية
ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين واجاب من اوجب الوضو باللمس عن هذا الحديث

بانه

بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حايل المسيلة الثانية اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت
والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين عنده انه لا ينتقض الوضو به والثاني انه ينتقض الوضو به
وما خذ القولين عند اصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الاية في قوله او لامستم النسا او النظر
الى المعنى في النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الاية فينتقض الوضو بلمس المحارم
وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان
او امراة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فاحد القولين انه ينتقض وضو اللامس
والملموس لعموم الاية لانه لمس وقع بين الرجل والمراة فينتقض وضوهما معا والقول الثاني انه
ينتقض وضو اللامس دون الملموس لما روي عن عايشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدي على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان
وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي
ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوه صلى الله عليه وسلم لقطع
الصلاة ولو لمس شعر امراة او سنها او ظفرها فلا وضو عليه المسيلة الثالثة في الحدث وهو الخارج
من السبيلين عينا كان كالبول والغايط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شي من ذلك فلا تصح صلاته
ما لم يتوضا او يتيمم عند عدم الما لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا فقال رجل من اهل حضرموت ما الحدث يا ابا
هريرة قال فسا او ضراط اخرجاه في الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد
والحجامة والرعاف والقي ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضو من خروج هذه الاشيا يروى ذلك
عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطا وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي
لما روي عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل
محاجمه اخرجه الدارقطني وذهب قوم الى ايجاب الوضو من ذلك منهم سفيان الثوري وابن
المبارك واصحاب الراي واحمد واسحاق واتفق هولاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضو
ويدل على انتقاض الوضو بخروج هذه الاشيا ما روي عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدردا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قا فتوضا قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال
صدق انا صببت له وضوه اخرجه الترمذي وقال هو اصح شي في هذا الباب المسيلة الرابعة من نواقض
الوضو زوال العقل بجنون او اغما او نوم لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكا
السه فمن نام فليتوضا اخرجه ابو داود وابن ماجة ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا
بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ما روي عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتظرون العشا الاخرة حتى تخفق روسهم ثم يصلون ولا يتوضون اخرجه ابو داود وذهب قوم
الى ان النوم لا ينقض الوضو بكل حال وهو قول ابي هريرة وعايشة وبه قال الحسن واسحاق والمزني وذهب

قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابي هريرة وعايشة وبه قال الحسن
واسحاق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام قايمًا او قاعدًا او ساجدًا وهو في الصلاة فلا وضوء
عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي لما روى عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدًا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت
مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث المسلة الخامسة من نواقض
الوضوء مس الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر
وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار
واليه ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق غير ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا مس ببطن
الكف والرجل والمراة في ذلك سوا ويدل على ذلك ما روى عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح
ولابي داود والنساي نحوه وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من مس فرجه فليتوضا اخرجه ابن ماجة وصححه احمد وابو زرعه وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من افضى بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل
وذهب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وابي الدردا وحذيفة
وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحتجوا بما روى عن طلق بن علي
قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل كانه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في
مس الرجل ذكره بعد ما توضا قال هل هو الا مضغة او قال بضعة منه اخرجه ابو داود والترمذي
والنساي نحوه بمعناه واجاب من اوجب الوضوء من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة وهو يبني في المسجد وابو هريرة من اخرهم اسلامًا
وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابي هريرة ناسخًا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث
طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث وقوله تعالى فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدًا طيبًا اعلم ان التيمم من خصايص هذه الامة خصها الله به ليسهل عليهم
اسباب العبادة ويدل على ذلك ما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدًا
وجعلت تربتها لنا طهورًا اذا لم نجد الما اخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روى
عن عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيدا
او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه
وليسوا على ما وليس معهم ما فاتى الناس الى ابي بكر فقالوا الا ترى الى ما صنعت عايشة اقامت
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما قالت عايشة فعاتبني

ابو بكر

ابو بكر وقال ما شا الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير
ما فانزل الله عز وجل اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو احد النقبا ما هي باول
بركتكم يا ال ابي بكر قالت عايشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه
في الصحيحين قولها بالبيدا البيدا المفازة والقفر وكل صحرا فهي بيدا وجمعها بيد وذات الجيش
اسم موضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ما
هذا معطوف على ما قبله والمعنى او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فطلبتم الما
لتتطهروا به فلم تجدوه يعني فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر
بالما فاذا اعوزه الما عدل عنه الى التيمم بعد طلب الما قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة
طلب الما فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة
اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى
فلم تجدوا واما فعدم الوجدان يشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على
انه لو وجد الما لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع
وجدان ذلك الما وقوله تعالى فتيمموا صعيدًا طيبًا اصل التيمم في اللغة القصد يقال
تيممت فلانًا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الما لتادية الصلاة
واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال
ابن زيد الصعيد المستوي من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شي فيها
وقال الفرا الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود
بالصعدات قال الصعدات الطرق ماخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض
البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا ابالي كان في الموضع تراب او لا لان
الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد فقال
لا يقع الصعيد الا على تراب ذي غبار فاما البطحا الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم
الصعيد فان خالطه تراب ومدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم
بنورة ولا كحل ولا زرنيخ وكل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في
اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه في ذلك الفرا وابو عبيد في انه التراب وجميع الاقوال في
الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد بها هنا هو التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدًا
هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما يقع عليه
اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض
مسجدًا وترابها طهورًا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب

والطيب من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته
فعلى هذا ما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى في سورة المايدة فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتاتى ذلك في الصخر الذي لا تراب
عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه ماخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا
يكون ذلك في الصخر وما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم
بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب
يده على صخرة ملسا لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة ومن وافقه
بظاهر الاية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله
تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا واجيب
عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان
هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على
المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو
ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما يتصاعد على الارض واجيب عنه بما تقدم
من الادلة وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح في التيمم
وهو المحدود في الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليدين فذهب اكثر اهل
العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي انه يمسح الوجه
واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه
ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح
يديه الى المرفقين ويدل عليه ما روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان
ضربة للوجه وضربة لليدين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم
ابن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه
على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي السلام هذا حديث منقطع لان الاعرج
وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة انما سمعه من عمير مولى ابن عباس
عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم
ابن الحارث فقال ابو جهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بير جمل فلقيه رجل
فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحايط فمسح
بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة

الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته وكان من حديثه يوميذ ان قال مر رجل في سكة من سكك
المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غايط او بول فسلم عليه الرجل
فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيديه على حايط ومسح بهما وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه
السلام وقال لم يمنعني ان ارد عليك اولا الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه
الى المرفقين فهذا اجود ما في هذا الباب فان البيهقي اشار الى صحة اسناده وفيه
دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه
دليل على ان التيمم لا يصح بما لم يعلق بالوجه واليدين من غبار التراب لان النبي صلى الله عليه
وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري
الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل عليه ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا
بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بايديهم
كلها الى المناكب والاباط من بطون ايديهم اخرجه ابو داود وذهب جماعة الى ان التيمم
ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطا ومكحول
واليه ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحاق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر
قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الما فتمرغت في الصعيد كما تمرغ
الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بيديك
هكذا ثم ضرب بيديه الى الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما
ووجهه وفي رواية ان تقول هكذا او ضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه
وكفيه اخرجاه في الصحيحين وحجتنا ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض
اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال ابو اسحاق
الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم هو الكف
قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب
والاباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين
قال ان التيمم بدل عن الوضو واليد المغسولة في الوضو هي الممسوحة في التيمم فيحمل
المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذي في قوله تعالى
في اية الوضو فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق واجاب من ذهب الى هذا عن حديث
عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم فصل
واركان التيمم خمسة تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا

كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه
غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين
الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوي استباحة
الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب
ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم
واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه
ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز
تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلي به ما شاء من الفرايض ما لم يحدث وهو
قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري واصحاب الراي واتفقوا
على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى
ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرا القران ان كان جنبا ويشترط طلب الما
في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقانه وان كان في صحرا ولا حايل دونه نظر
نظر حواليه وان كان دون نظره حايل قريب من تل وجدار او نحوه عدل عنه لان الله
تعالى قال فلم تجدوا ما فتيمموا ولا يقال لم تجد الا لمن طلب ولا يشترط طلبه عند ابي
حنيفة فان لا كان الما ولا يقدر عليه لمانع من عدو او سبع يمنعه من الذهاب اليه
او كان الما في بير وليس معه آلة الاستقا فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة
عليه والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان عفوا يعني متجاوزا عن ذنوب عباده
ويعفو ويصفح عنهم غفورا ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه
تنبيه على ان الله رخص لعباده امر العبادة ويسرها عليهم لان من كان من عادته
انه يغفر الذنوب ويعفو عنها بان يرخص للعاجزين كان اولى قوله عز وجل الم
تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس
نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لويا السنتهما وعاباه فانزل الله الم تر يعني الم ينته علمك يا محمد
الى هولا الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اعطوا حظا من علم التورية وذلك انهم
عرفوا نبوة موسى من التورية وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى
بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التورية ولم يونوا العمل بها يشترون الضلالة
يعني يوثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم لياخذوا بذلك الرشا ويحصل لهم
الرياسة وانما ذكره بلفظ الشرا لانه استبدال الشي بشي وقيل فيه اضمار يعني
يستبدلون الضلالة بالهدي ويريدون يعني اليهود ان تضلوا السبيل يعني

عن



عن السبيل والمعنى انهم يتواصلوا الى اضلال المومنين والتلبيس لكي يجنبوا عن الاسلام
والله اعلم باعدايكم يعني انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة
والبغضا لكم يا معشر المومنين فلا تنصحوهم فانهم اعداوكم وكفى بالله وليا يعني متوليا
امركم والقايم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره عداوة احد وكفى بالله نصيرا يعني فهو
ينصركم عليه فثقوا بولايته ونصره قوله تعالى من الذين هادوا قيل هو بيان للذين اوتوا
نصيبا من الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل
هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتدا الكلام وفيه
حذف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه عن مواضعه
يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التورية وقال ابن عباس كانت اليهود ياتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا
خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القا الشبهة الباطلة والتاويلات
الفاسدة وهو تحريف اللفظ من معناه الحق الى معنى الباطل ويقولون سمعنا وعصينا
يعني سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشي
قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول
عنادا او استخفافا واسمع غير مسمع هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في
المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا
ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في انفسهم
لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا
يوافقك ولا كلاما ترتضيه وراعنا اي ويقولون راعنا يريدون به النسبة الى الرعونة
وقيل معناه ارعنا سمعك اي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب
به الانبيا بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتفخيم والتبجيل ليا بالسنتهم وطعنا
في الدين اصله لويا لانه من لويت الشي اذا فتلته والمعنى انهم انهم يفتلون الحق فيجعلونه
باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابه انما نشتمه
ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمايرهم وما في قلوبهم من
العداوة والبغضا ثم قال تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا يعني ولو انهم قالوا بدل
سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا واسمع يعني بدل قولهم لا سمعت وانظرنا يعني بدل قولهم
راعنا اي انظر الينا لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني اعدل واصوب ولكن لعنهم الله
يعني طردهم وابعدهم من رحمته بكفرهم يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يومنون الا قليلا
يعني فلا يومن منهم الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل منهم

اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب
لليهود امنوا بما نزلنا يعني القرآن مصدقا لما معكم يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا
الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به الحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر
فانزل الله عز وجل هذه الاية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى
من قبل ان نطمس وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس هاهنا
وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال
هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل يعميها فيكون المراد بالوجه
العين فنردها على ادبارها يعني فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفا وقيل نديرها
فنجعل الوجوه الى خلف والاقفا الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تسوية
الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون
هذا الوعيد مختصاً بيوم القيمة واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن
الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة
فنردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل
المراد بالطمس محو اثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام من
حيث جاؤا وهم اجلا بني النضير فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا
ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه
ومحو تخطيطها وحمله على حقيقته والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد امن
منهم ناس فرفع عن الباقين وروي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الاية جا الى النبي صلى الله
عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي
الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الاية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم
وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الاية فكان هذا الوعيد مشروطا بان
لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه امن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
كعبد الله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون
فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيمة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او
باللعنة وهو قوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم وقيل
المراد من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله يا ايها
الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فيجعل الكناية

في قوله ان نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليه وقوله تعالى وكان
امر الله مفعولا يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره
على معنى انه لا يمتنع عليه شي يريد ان يفعله وقيل معناه وكان مامور الله مفعولا والامر
هنا في موضع المامور سمي امرا لانه عن امره كان وكان لمراده مفعولا قوله عز وجل ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين
اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فعلى
هذا يكون في الاية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في
وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رض ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا
سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى اخر الايات وقد دعونا مع الله الها
اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب
وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قروهما
كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشية
فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال
ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا
فنزلت هذه الاية ومعنى الاية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشا من اصحاب الذنوب والاثام ففي الاية دليل على ان صاحب
الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشية ان شا عفا عنه وادخله الجنة بفضله
وكرمه وان شا عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة
لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا وفي الاية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة
ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشا لا مكره له ولا حجر
عليه ويدل على ذلك ايضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب
يا امير المومنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيا الا عمله غير انه مشرك قال عمر

هو في النار فقال ابن عباس لرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيئا قال
عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب
فسكت عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القران احب الي من هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن جابر قال جا
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله
شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئا دخل النار وقوله تعالى **ومن يشرك بالله** يعني يجعل
معه شريكا غيره **فقد افترى** اي اختلق **اثما عظيما** يعني اثما عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله
تعالى **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفال لهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد هل على هولا من ذنب قال لا قالوا وما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار
يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل نزلت
في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابنا الله واحباوه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى و التزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد
حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة
بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا من عند
الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشا ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه
بصلاح او وصفها بزكا العمل وبزيادة الطاعة والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله وهذه
الاشيا لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون
انفسهم يزعمون انهم ازكيا لانهم بروا انفسهم من الذنوب فقال الله تعالى ردا عليهم **بل الله**
يزكي من يشا فيجعله زكيا **ولا يظلمون فتيلا** يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك
التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل
المفتول فسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين اصابعك
من وسخ او غيره ويضرب به المثل في الشي الحقير الذي لا قيمة له **انظر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
انظر يا محمد الى هولا اليهود **كيف يفترون على الله الكذب** يعني قولهم انهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم
انفسهم **وكفى به** اي بذلك الكذب **اثما مبينا** قوله عز وجل **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا**
من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من
اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا
العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن
مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب
كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين فقعلوا

ذلك فذلك قوله تعالى يومنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجي
منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون رجلا فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت
لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرا القران وتعلم
ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض علي دينكم فقال ابو سفيان نحن
ننحر للحجيج الكوما ونسقيهم الما ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف
به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابايه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد
الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر يعني يا محمد الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يومنون بالجبت والطاغوت
يعني به سجودهم للصنمين واختلف العلما فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله
تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما طلبا لمرضاة قريش وقيل الجبت
اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيه يكلم الناس فيغترون
بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق
الزجر والعيافة وقيل هو زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا
فان اخذ ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو
ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو ان يتطير بالشي فيرى الشوم
فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطاير والخط هو ضرب الرمل واستخراج الضمير
وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت حيي بن اخطب
والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود **ويقولون** يعني كعب بن الاشرف
واصحابه **للذين كفروا** يعني لكفار قريش **هولا** يعني انتم يا هولا **اهدى من الذين امنوا سبيلا**
يعني طريقا **اولئك الذين لعنهم الله** يعني كعب بن الاشرف واصحابه **ومن يلعن الله** يعني يطرده
من رحمته **فلن تجد له نصيرا** يعني ينصره قوله تعالى **ام لهم نصيب من الملك** هذا استفهام
انكار يعني ليس لهم من الملك شي البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة
فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم **فاذا لا يوتون الناس نقيرا** هذا جواب
لجزا مضمر تقديره ولين كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يوتون الناس منه نقيرا وصفهم
الله بالبخل في هذه الاية ووصفهم بالجهل في الاية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الاية الاتية
وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والنقير هي النقطة
التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشي الحقير التافه الذي لا قيمة
له قوله عز وجل **ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله** اصل الحسد تمني زوال النعمة

على من هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها وصف الله اليهود بشر
خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان تقع عليه
لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع
مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة واحدة يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد
بالناس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد
بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه على ما احل الله
له من النسا وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن
الاهتمام بامر النسا فاكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب
والحكمة يعني انه قد حصل في اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين
الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمعنى
كيف تحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب
والحكمة وانتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة وآتيناهم ملكا
عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النسا فسر الملك العظيم في حق داود
وسليمان بكثرة النسا فانه كان لداود ماية ولسليمان الف امراة ثلثماية حرة وسبعماية سرية
ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة فلم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا
نقصا في نبوته فمنهم يعني اليهود من آمن به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله
ابن سلام واصحابه ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يومن به وكفى بجهنم سعيرا
يعني وكفى في عذاب من لم يومن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى ان الذين كفروا
باياتنا سوف نصليهم نارا هذا وعيد من الله عز وجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم
بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من ساير الكفار والمعنى ان الذين جحدوا
ما انزلت على رسولي محمد من آياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف
نصليهم نارا اي ندخلهم نارا نشويهم فيها كلما نضجت جلودهم يعني احترقت بدلناهم
جلودا غيرها يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس
وروي ان هذه الاية قريت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقاري اعدها فاعادها وكان عنده
معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة ماية مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سنده وقال الحسن تاكلهم النار في كل يوم سبعين الف مرة
ق وعن ابي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع م وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة
ثلاث فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة

وانما

وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو
الاول غير ان الصياغة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي
عصت واذا كان كذلك فغير مستحيل ان يخلق الله للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى
لتحترق ويصل المها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى
كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احرقت
لفنيت وفي فنايها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها
ولان الجلد احد اجزا الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من لحم الكافر
فيخرج من لحمه جلدا آخر وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تالم لتكون زيادة في عذابهم كلما
احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى ليذوقوا العذاب اي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا
الم العذاب وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ما نالهم من عظم العذاب الذي نالوه
اخبارا بان احساسهم به في كل حال كاحساس الذايق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان
في الاحساس ان الله كان عزيزا يعني في انتقامه ممن ينتقم منه من خلقه لا يغلبه شيء ولا يمتنع
عليه احد حكيما يعني في تدبيره وقضايه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم يعني سوف ندخلهم يوم القيمة جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها يعني باقين فيها ابدا يعني في ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع لهم فيها
يعني في الجنات ازواج مطهرة من الحيض والنفاس وساير اقذار الدنيا وندخلهم ظلا ظليلا
يعني كنينا ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يوذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة
فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يوذي حرها فما فايدة وصفها بالظل الظليل قلت انما
خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظام
اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله عز وجل ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار
وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت
وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب
منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه
المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج
ساله العباس ان يعطيه المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت
ثم جيت ترفق فقال علي لقد انزل الله عز وجل في شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة
فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان

بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو علم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر
والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة
في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي
فرافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم
وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم
الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر
قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصوا ومعه بلال
وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب
وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسيره هذه من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب يعطيه
اياه فقال العباس بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه
العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر فقال هاكه يا رسول الله
بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل جبريل بهذه الاية فدعا عثمان ودفعه اليه
ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله
عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر ما يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب
في قوله ان الله يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله عز وجل امره ان يرد مفتاح البيت
الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لولاة
امور المسلمين من الامرا والحكام وغيرهم ويدل عليه سياق الاية وهو قوله واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الاية ان الله يامركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتكم
عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الاية عامة في جميع
الامانات ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات
التي تحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام الاول رعاية الامانة في عبادة الله
عز وجل وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شي
حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وساير انواع العبادات
القسم الثاني وهو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه في ساير اعضايه
فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين
غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شي من اللهو والفحش والاكاذيب

ونحوه وهو ساير الاعضا على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع ساير
عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودايع والعواري الى اربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم
فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن
من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفا الكيل
والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك ايضا عدل الامرا والملوك في الرعية ونصح العلما للعامة
فكل هذه الاشيا من الامانات التي امر الله عز وجل باداها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن انس
قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله
تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل يعني وان الله يامركم ان تحكموا بين الناس بالعدل
فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له واصل العدل هو المساواة في الاشيا
فكل ما خرج عن الظلم والاعتدا سمي عدلا قال بعض العلما ينبغي للقاضي ان يسوي بين
الخصمين في خمسة اشيا في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع
منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال
الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض اخر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه
يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس
الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جاير اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان الله نعما يعظكم به
اي نعم الشي الذي يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا
يعني انه تعالى سميع لما تقولون وبصير لما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة
فهو بصير بفعلكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم ق عن ابن عباس قال نزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية في عبد
الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي
نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن
ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار وقد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء
خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير علي وانا الامير
فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير
فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد
وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله
واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى اطيعوا

الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلما في اولي
الامر الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولي الامر منكم يعني واطيعوا اولي الامر منكم قال
ابن عباس وجابر هم الفقها والعلما الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك
ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامرا والولاة وهي رواية ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب
حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويودي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان
ان يسمعوا ويطيعوا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص
الامير فقد عصاني ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع
والطاعة فيما احب وكره الا ان يومر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة خ عن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي
كان راسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امرا السرايا والبعوث
وهي رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان الاية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولي
الامر ابا بكر وعمر لما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري
ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر اخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما
روي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه
رزين في كتابه وروى البغوي بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا
فكيف نصلح قال الطبري واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامرا والولاة فيما كان لله عز
وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولي الامر من يقوم بشان المسلمين في امر
دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلما طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام على
الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق
وقوله تعالى فان تنازعتم في شي يعني اختلفتم في شي من امر دينكم والتنازع اختلاف الارا
واصلها من انتزاع الحجة ومراد كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه فردوه الى الله
والرسول اي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله
عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسول الله
واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله
ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر يعني افعلوا ذلك
الذي امرتكم به ان كنتم تومنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتومنون بالمعاد الذي فيه

جزا الاعمال قال العلما في الاية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول
ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا
بالله واليوم الاخر ذلك خير يعني رد الحكم الى الله ورسوله خير واحسن تاويلا يعني واحمد عاقبة
وقيل معناه ذلك الرد كم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تاويلا منكم له واعظم اجرا
قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه
وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف
وهو الذي سماه الطاغوت فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى
المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي
فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودي اختصمنا انا وهذا
الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمي اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم
فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به
المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضا الله وقضا رسوله فنزلت هذه الاية وقال
جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق
بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية فكانت قريظة حلفا الخزرج والنضير حلفا الاوس
وكان اذا اقتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر
واذا قتل رجل من النضير رجلا من بني قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جا الله
بالاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا
في ذلك فقال بنوا النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة
وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقال الخزرج هذا شي كنتم فعلتموه في الجاهلية
لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون
منهم ننطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله
عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني
الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابى
ان يحكم بينهم وانزل الله عز وجل اية القصاص وانزل هذه الاية الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم
بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا قيل زعم مطية الكذب
والمراد به في هذه الاية الكذب لان الاية نازلة في المنافقين وظاهر الاية يدل على انها نازلة في
الذين نافقوا من مومني اهل الكتاب ويدل عليه قوله امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون

ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي وقد امروا ان يكفروا به يعني بالطاغوت لان الكفر به ايمان بالله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم يعني عن طريق الهدى والحق ضلالا بعيدا واذا قيل لهم يعني للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني هلموا الى حكم الله الذي انزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به رايت المنافقين يصدون عنك صدودا يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واي اعراض وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بالحق المر ولا يقبل الرشى قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة يعني فكيف حال هولاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يجزون عنها بما قدمت ايديهم يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والاخرة ثم جاؤك يعني المنافقين حين تصيبهم المصايب يعتذرون اليك يحلفون بالله ان اردنا اي ما اردنا بالتحاكم الى غيرك الا احسانا يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة وتوفيقا يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جا اوليا المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم يعني من النفاق فاعرض عنهم يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم وعظهم يعني باللسان والمراد به زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الاخرة وقل لهم في انفسهم قولا بليغا يعني بليغا يوثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اي اغلظ عليهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم سارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وقيل هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقد تكلم العلما في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما تشوق اوله الى سماع اخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد

بالقول

بالقول البليغ في الاية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب واثر في النفوس وما ارسلنا من رسول قال الزجاج لفظة من هنا صلة موكدة والمعنى وما ارسلنا رسولا الا ليطاع باذن الله يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن في ذلك وامر به وقيل معناه بعلم الله وقضايه اي طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعته على من ارسلتك اليهم وفيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم اليه جاؤك يعني جاؤك تايبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة فاستغفروا الله يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذايك برد حكمك والتحاكم الى غيرك واستغفر لهم الرسول يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا للرسول صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤه فقد جاؤوا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة لوجدوا الله توابا رحيما يعني لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم قوله عز وجل فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الاية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب ان هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينيذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير براي اراد فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت الا في ذلك فلا وربك الاية

وقوله اختصما في شراج الحرة الشراج مسايل الما التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحد شرجه بسكون الرا والحرة الارض الحرا الملتبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تغير وهو قوله فلما احفظ اي اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اي استوفى له حقه في صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفا حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الاية مستانفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروي انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضا قال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضا يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الاية في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الاية متصلة بما قبلها فقوله فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتاكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم امنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه في بعض واختلط ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا بقضايك ويسلموا تسليما يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك في شي من امرك وقيل معناه فيسلموا لما تنازعوا فيه لحكمك قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم يعني فرضنا واوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود الى المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم يعني كما كتبنا على بني اسرايل القتل والخروج من مصر ما فعلوه الا قليل منهم معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الاية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ومن قال ان

الضمير

الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعني ريا وسمعة والمعنى انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه ولو انا كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه لكان خيرا لهم يعني في الدنيا والاخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا واشد تثبيتا يعني تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسوال مقدر كانه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نوتيهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تودي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المومنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المودي الى الجنة قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك يا ثوبان قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم اني اذا ذكرت الاخرة اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه الاية ومن يطع الله يعني في ادا الفرايض واجتناب النواهي والرسول اي ويطع الرسول في السنن التي سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الاخرة من النبيين يعني ان المطيعين مع النبيين في الجنة لا تفوتهم روية الانبيا في الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول والصديقين الصديق الصادق فعيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الاية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي سمي بالصديق في هذه الاية وهو افضل اتباع الرسل والشهدا هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد والصالحين جمع صالح وهو الذي استوى سريرته وعلانيته

في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد
صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابي بكر وبالشهدا عمر وعثمان وعلي وبالصالحين ساير الصحابة
وحسن اوليك رفيقا يعني المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهدا والصالحون وفيه معنى
التعجب كانه قال وما احسن اوليك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به
وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه
وحسن كل واحد من اوليك رفيقا (ق) عن انس ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال
متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شي الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت
قال انس فما فرحنا بشي فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب
النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو ان اكون معهم بحبي اياهم وان لم اعمل باعمالهم وقوله تعالى
ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب **الفضل من الله** يعني الذي اعطى الله المطيعين
من الاجر العظيم **وكفى بالله عليما** يعني بجزاء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو
يوفقهم لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله
تعالى ورحمته ويدل عليه ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل
احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة
لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم** الحذر احتراز عن مخوف والمعنى
احذروا واحترزوا من عدوكم فلا تمكنوهم من انفسكم وقيل المراد بالحذر هاهنا السلاح يعني خذوا
سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمي السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا
عدوكم ولقايل ان يقول اذا كان المقدور كاينا فما ينفع الحذر فاجيب عنه بانه لما كان الكل بقضا
الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضا الله وقدره **فانفروا ثبات** اي اخرجوا سرايا متفرقين سرية
بعد سرية **او انفروا جميعا** يعني او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم **وان
منكم لمن ليبطين** نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان في الجنسية والنسب
واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتاخرن وليتثاقلن عن الجهاد
وهو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وكان راس المنافقين **فان اصابتكم مصيبة** اي قتل وهزيمة
قال يعني هذا المنافق **قد انعم الله علي** يعني بالقعود **اذ لم اكن معهم** يعني مع المومنين **شهيدا** يعني
حاضر الوقعة فيصيبني ما اصابهم **ولين اصابكم فضل من الله** اي فتح وغنيمة **ليقولن** يعني هذا
المنافق **كان لم يكن بينكم وبينه مودة** اي معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم
وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المومنين في الظاهر **يا ليتني كنت معهم** في تلك الغزوة التي غنم فيها
المومنون **فافوز فوزا عظيما** اي فاخذ نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل **فليقاتل في سبيل الله**
هذا خطاب للمنافقين اي فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمومنين المخلصين

اي

اي فليقاتل المومنون في سبيل الله **الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة** اي يبيعون يقال شريت
بمعنى بعت لانه استبدل العوض بعوض والمعنى فليقاتل المومنون الكافرين الذين يبيعون
حياتهم في الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل
في سبيل الله المومنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الاخرة وثوابها على الدنيا الفانية
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل اي فيستشهد **او يغلب** يعني يظفر بعدوه من الكفار **فسوف نوتيه**
يعني في كلا الحالتين الشهادة او الظفر نوتيه فيهما **اجرا عظيما** يعني ثوابا وافرا (ق) عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق
برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر او غنيمة لفظ
مسلم قوله تعالى **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله** قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله
لاستنقاذ المومنين المستضعفين من ايدي الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى
لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى **والمستضعفين
من الرجال والنسا والولدان** قال ابن عباس يريد ان قوما من المسلمين استضعفوا فحبسوا وعذبوا
وقيل كان هولا بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما
من المومنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة
يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الاية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص
المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس
في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الاية قال كنت انا وامي من المستضعفين
وفي رواية ابن ابي مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان
قال كنت انا وامي ممن عذر الله انا من الولدان وامي من النسا فعلى هذه الرواية الثانية من حديث
ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان فانهم ممن
عذر الله في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير **الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية** يعني مكة **الظالم اهلها** يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم
عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل
فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها بالشرك **واجعل لنا من لدنك وليا** يعني وليا
يلي امرنا **واجعل لنا من لدنك نصيرا** يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاهم وجعل لهم من لدنه
خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين
يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين على
الظالمين وياخذ للضعيف من القوي قوله عز وجل **الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله** يعني في طاعة
الله واعلا كلمته وابتغا مرضاته **والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** يعني في طاعة الشيطان

فقاتلوا اولياء الشيطان اي فقاتلوا ايها المومنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان
كان ضعيفا الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال يعني بكيده ما كاد المومنين به من تحزيبه
اولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان وراي
النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه وادخال كان في قوله كان ضعيفا لتاكيد
ضعف كيد الشيطان قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة قال
الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي
وسعد بن ابي وقاص وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا
بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم امر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة يعني قيل لهم
كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا ما افترض من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة عليكم
كان قبل فرض الجهاد فلما كتب عليهم القتال اي فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج الى بدر اذا
فريق منهم يعني اذا جماعة من الذين سالوا ان يفرض عليهم الجهاد يخشون الناس يعني يخافون مشركي مكة كخشية
الله او اشد خشية او بمعنى الواو يعني واشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال يعني لم فرضت
علينا الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت باجالنا والقائلين
لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمومنين وقيل قاله بعض المومنين وانما قالوا ذلك
خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا من هذا القول قل اي قل لهم يا محمد متاع الدنيا قليل يعني ان
منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زايل والاخرة يعني وثواب الاخرة خير لمن اتقى يعني اتقى
الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون من اجوركم قدر فتيل
م عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه هذه واشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم يرجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم
الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم
بهذه الاية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى اينما
تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم
من الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت
يحصل به سعادة الاخرة ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شي بقوله ولو كنتم
في بروج مشيدة والبروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي
المطلية بالشيد وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله نزلت في المنافقين
واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون

واليهود

واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى
وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اي خصب الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند
الله يعني من قبل الله وان تصبهم سيئة اي جدب في الثمار وغلا في السعر يقولوا هذه من عندك
يعني من شوم محمد واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة
يوم احد ومعنى من عندك انت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبار عن
المنافقين خاصة قل اي قل لهم يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب
والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء منه
فمال هولاء القوم اي فما شان هولاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون
يفقهون حديثا يعني لا يفهمون معاني القران وان الاشيا كلها من عند الله عز وجل خيرها وشرها
قوله تعالى ما اصابك من حسنة يعني من خير ونعمة فمن الله يعني من فضل الله عليك يتفضل به
احسانا منه اليك وما اصابك من سيئة يعني من شدة ومكروه ومشقة واذى فمن نفسك
يعني فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام
قولان احدهما انه عام وتقديره ما اصابك ايها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم بري لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر وقد عصمه من حين بعثه فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على
ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فخاطبه وحده ثم
جمع الكل بقوله اذا طلقتم النسا فمعنى قوله فمن نفسك اي عقوبة بذنبك يا ابن ادم كذا قاله
قتادة وقال الكلبي ما اصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه
فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الاية القدرية وقالوا نفى الله السيئة
عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه
ليس المراد من الاية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة
والسيئة في هذه الاية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعله لانه لا يقال
في الطاعة والمعصية اصابني انما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه
ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى واذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسياته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى
من جا بالحسنة فله عشر امثالها ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية
وقال بعضهم لو كانت الاية على معنى ما يقول اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة وما اصبت
من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابني خير او مكروه واصبت حسنة
او سيئة وقيل في معنى الاية ما اصابك من حسنة اي النصر والظفر يوم بدر فمن الله اي من فضل الله

وما اصابك من سيئة اى قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعنى فبذنوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل العبد فى هذه الاية قلت اما اضافة الاشيا كلها الى الله تعالى فى قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتاخير تقديره فما لهولا القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري فى معنى الاية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا يعنى وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتى وما ارسلناك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال له بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم وكفى بالله شهيدا يعنى على ارسالك للناس كافة فلا ينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله سبب نزول هذه الاية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا فانزل الله هذه الاية من يطع الرسول يعنى فيما امر به ونهى عنه فقد اطاع الله يعنى ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعى ان كل فريضة فرضها الله تعالى فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف ناتيها ولا كان يمكننا اداء شى من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة من الشريعة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ومن تولى اى اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعنى حافظا تحفظ عليهم اعمالهم بل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ ذلك باية القتال قوله تعالى ويقولون طاعة نزلت فى المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اى امرنا وشاننا طاعة فاذا برزوا من عندك اى خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذى اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير

من حسنة نعم

وبدل

وبدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت فى قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا فى الليل ويتواد لك القول فخصهم بالذكر والله يكتب اى يثبت ويحفظ عليهم ما يبيتون يعنى ما يزورون ويضمرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق فاعرض عنهم اى لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم وضلالتهم فانا ننتقم منهم وقيل لا تخبر باسمائهم وتوكل على الله اى فوض امرك الى الله فى شانهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم وكفى بالله وكيلا يعنى ناصرا لك عليهم قوله عز وجل افلا يتدبرون القران اصل التدبر النظر فى عواقب الامور والتفكر فى ادبارها ثم استعمل فى كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشى اى نظرت فى عاقبته ومعنى تدبر القران تامل معانيه والتفكر فى حكمه وتبصر ما فيه من الايات قال ابن عباس افلا يتدبرون القران فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلما ان الله تعالى احتج بالقران والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة فى ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته التى عجز الخلايق عن الاتيان بمثله فى اسلوبه الثانى اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم وما ياتى فى المستقبل من امور الغيبة التى لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته عن الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القران جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى افلا يتفكرون فى القران فيعرفون بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وانما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القران ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يتحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المومنين فانزل الله هذه الاية واذا جاءهم يعنى

المنافقين امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة
اذاعوا به اي افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه
واظهره قال الشاعر اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ولو ردوه
يعني الامر الذي تحدثوا به الى الرسول يعني انهم لم يتحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الذي يحدث به ويظهره والى اولي الامر منهم يعني ذوي العقول والراي والبصر بالامور منهم
وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب
الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهم
العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البير
اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه
وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها
باجتهاده وفهمه وفي الاية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب
والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الاية ولو ان هولا المنافقين هو
والمذيعين ردوا الامر من الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم
لعلموا حقيقة ذلك منهم والنظر اولي بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع او يكتم قوله عز وجل
ولولا فضل الله عليكم ورحمته يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران
ورحمته بالتوفيق والهداية لاتبعتم الشيطان يعني لبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا اختلف
العلماء في هذا الاستثناء والى ما يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمومنين عن هذه الاذاعة
لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفرا وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى
المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم
الا قليلا فعلى هذين القولين في الاية تقديم وتاخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول
الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشي
البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم امنوا
واهتدوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزال القران مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن
نوفل وقس بن ساعدة الايادي قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك نزلت في مواعدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم
بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد

العدو والاستنصار للمستضعفين من المومنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك
بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو
لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى
فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه
الاية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الاية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس
واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره
بذلك ولقد اقتدى به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة
فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده وحرض المومنين يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب
وليس عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله اي لعل الله ان يكف باس الذين كفروا
يعني لعل الله ان يمنع باس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان ابا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج الى الموعد
والله اشد باسا اي اعظم صولة واشد تنكيلا يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الشفاعة ماخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان
بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان
المراد بالشفاعة المذكورة في الاية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه
من بلا نزل به وقيل هي الاصلاح بين الناس وقيل معنى الاية من يصير شفعا لوتر اصحابك
يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله
وكرامته ومن يشفع شفاعة سيئة قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل
اراد بالشفاعة السيئة دعا اليهود على المسلمين وقيل معناه ومن يشفع كفره بقتال المومنين
يكن له كفل اي ضعف وقيل نصيب منها اي من وزرها وكان الله على كل شي مقيتا قال ابن عباس
يعني مقتدرا او مجازيا والمقيت القادر على الشي المقتدر عليه قال الشاعر وذي ضغن كففت النفس عنه
وكنت على اساءته مقيتا يعني قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشيا
ق عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسال فاقبل علينا بوجهه وقال
اشفعوا توجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة اقبل على
جلسائه فقال اشفعوا توجروا وذكره قوله عز وجل واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها التحية
تفعلة من حيي واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب
الحياة في الدنيا او في الاخرة والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعا
وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الاية
يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظ حياك
الله لانه اتم واكمل لان معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة

كانت تحيته مذمومة منقصة واذا كان في تحيته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ
السلام **او ردوها** يعني او ردوا عليه كما سلم عليكم **ان الله كان على كل شيء حسيبا** يعني محاسبا او مجازيا
والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه مجازي عليه فصل في فضل السلام
والحث عليه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام خير
قال تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله اي الاسلام خير معناه اي خصال
الاسلام خير م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنة حتى تومنوا ولا
تومنوا حتى تحابوا اولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا
الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن ابي امامة
قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجة فصل في احكام تتعلق بالسلام
وفيه مسايل المسيلة الاولى في كيفية السلام ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله
تعالى ادم قال اذهب فسلم على اوليك نفر من الملايكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية
ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلما يستحب
لمن يبتدي بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فياتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا
ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فياتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن الحصين
قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عشر ثم جا اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جا اخر فقال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي
حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه مثله ولا يزاد عليه روي ان رجلا
سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيا فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة
ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد على الفور فان اخره
ثم رد لم يعد جوابا وكان اثما بترك الرد المسيلة الثانية في حكم السلام الابتدا بالسلام سنة مستحبة
ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم
كان افضل واكمل قال القاضي حسين من اصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر
لان تشميت العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس او
مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب
او يكون ذلك سنة متاكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او تاكد استحبابه اما
الرد على المسلم فقد اجمع العلما على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها

او ردوها

او ردوها والامر للوجوب ولان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم
عليه واحدا وجب الرد عليه واذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد
منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم اثموا عن علي بن ابي طالب رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يجزي عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزي عن الجلوس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود
المسيلة الثالثة في اداب السلام السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل
على الكثير والصغير على الكبير ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب
على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على
الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدي بالسلام هو الافضل
لما روي عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز
وجل من بداهم بالسلام اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله
الرجلان يلتقيان ايهما يبدا بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب ان
يبدا بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روي
عن انس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه
في الصحيحين وفي رواية لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم
واما السلام على النسا فان كن جمعا جالسات في موضع او مسجد فيستحب ان يسلم عليهن
اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روي عن اسما بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النسا قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي
حديث حسن واذا مر على امراة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد
هي عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد
هي عليه وحكم النسا مع النسا كحكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهن على بعض المسيلة
الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها فمن ذلك الذي يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم
عليه ولو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روي عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول
فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذي انما يكره هذا اذا كان على الغايط او البول ويكره
التسليم على من في الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالميازر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على
النايم والناعس والمصلي والموذن في حال الاذان والتالي في حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره
الابتدا بالتسليم في حال الخطبة لان الجلوس مامورون بالانصات للخطبة ويكره ان يبدا
المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسقه وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هولاء المسيلة
الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلما فيه فذهب اكثرهم الى انه

يجوز ان يبتدا وهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على
ذلك ما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبتدوا اليهود ولا النصارى
بالسلام واذا لقيتم احدهم فى طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي
او نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن انس ان يهوديا اتى على رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم هل
تدرون ما قال قالوا الله ورسوله اعلم سلم يا نبى الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه على فردوه
فقال قلت السام عليكم قال نعم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل
الكتاب فقولوا عليك اى عليك ما قلت اخرجه الترمذى فلو اتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم
جاز لانا نجاب عليهم فى الدعا ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روى عن جابر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلم عليه ناس من يهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال وعليكم فقالت
عايشة وغضبت لم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون
علينا اخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد
بتسليمه المسلمين لما روى عن اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من
المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذى والله اعلم قوله تعالى الله لا اله الا هو ليجمعنكم
هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم فى الموت وفى القبور الى يوم القيامة الى يوم
الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت
هذه الاية فى منكرى البعث لا ريب فيه يعنى لا شك فى ذلك اليوم انه كاين ومن اصدق من الله حديثا
يعنى لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كاينة لا شك
فيها ولا ريب قوله عز وجل فما لكم فى المنافقين فيتين اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت
فى الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد
تكلموا بكلمة الاسلام ق عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس
ممن خرج معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة
لا نقتلهم فنزلت فما لكم فى المنافقين فيتين وقال النبى صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفى الرجال
كما تنفى الكير خبث الحديد وقيل نزلت فى قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استاذنوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليانوا ببضايع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون
فيهم فقايل يقول لهم منافقون وقايل يقول مومنون وقيل نزلت فى ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا
ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا على الذى فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى اهلنا ثم انهم خرجوا فى تجارة

الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم فنقتلهم وناخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا
وقالت طايفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبى صلى الله
عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احد الفريقين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت فى قوم اسلموا بمكة ولم
يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق لما تكلم فى حديث
الافك ومعنى الاية فما لكم يا معشر المومنين فى المنافقين فيتين اى صرتم فى امرهم فرقتين فرقة تذب
عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وامر المومنين جميعا ان يكونوا على
منهاج واحد فى التباين لهم والتبرى منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله والله اركسهم يعنى نكسهم فى كفرهم
وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار بما كسبوا اى بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما
اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق اتريدون ان تهدوا من اضل الله هذا خطاب للفية
التى دافعت عن المنافقين والمعنى اتبغون ايها المومنون هداية هولا المنافقين الذين اضلهم الله
عن الهدى ومن يضلل الله يعنى عن الهدى فلن تجد له سبيلا يعنى فلن تجد له طريقا تهديه فيها
الى الحق والهدى قوله تعالى ودوا يعنى تمنوا اولييك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر لو تكفرون
يعنى تكفرون انتم يا معشر المومنين كما كفروا فتكونون سوا فى الكفر فلا تتخذوا منهم اوليا يعنى من الكفار
منع المومنين من موالاتهم حتى يهاجروا يعنى حتى يسلموا ويهاجروا فى سبيل الله معكم وهى هجرة اخرى
والهجرة على ثلاثة اوجه الاول هجرة المومنين فى اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانى هجرة المنافقين
وهى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم
فى هذه الاية منع المومنين عن موالاة المنافقين حتى يهاجروا فى سبيل الله والهجرة الثالثة هجرة المومنين
ما نهى الله عنهم فان تولوا يعنى فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر
فخذوهم الخطاب للمومنين اى خذوهم ايها المومنون واقتلوهم حيث وجدتموهم يعنى اين
وجدتموهم فى الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا يعنى فى هذه الحال ولا نصيرا يعنى ينصركم على اعدايكم
لانهم اعدا ثم استثنا الله عز وجل طايفة منهم فقال تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق هذا الاستثنا يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال
ومعنى يصلون ينتسبون اليهم ويتصلون اليهم او يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد
يلجاون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اى عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وادع هلال بن عويمر الاسلمى عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال
من قومه وغيرهم ولجا اليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال وفى رواية عن ابن عباس قال المراد بالقوم الذين
بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من
دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم ايضا داخلون فى عهدكم او جاوكم حصرت صدورهم
يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت

صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلوا الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم ان يقاتلوكم يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم او يقاتلوا قومهم يعني من امن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هولا المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا او لجا الى معاهد او ترك القتال فانه لا يجوز قتل هولا وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الاية منسوخة باية السيف وذلك لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل ولو شا الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف باس المعاهدين وذلك لما القي الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا هو تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين فان اعتزلوكم يعني فان اعتزلوا عن قتالكم فلم يقاتلوكم وقيل فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم والقوا اليكم السلم يعني الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهي قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملناهم على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل ستجدون اخرين قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام ريا وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا امنت فيقول امنت بهذا القرد والعقرب والخنفسا واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة يريدون ان يامنوكم يعني يريدون باظهار الايمان لكم ان يامنوكم فلا تتعرضوا لهم ويامنوا قومهم يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم كلما ردوا الى الفتنة يعني كلما دعوا الى الشرك اركسوا فيها رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على رؤوسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة ويلقوا اليكم السلم اى ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم فخذوهم يعني اسرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث ادركتموهم واولئكم يعني اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هو ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والغدر قوله تعالى

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من اطامها والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وابي جهل بن هشام وهما اخوا عياش لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهم الحارث بن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالا له انزل فان امك لم يوويها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك الله علينا ان لا نكرهك على شي ونحول بينك وبين دينك فلما ذكرا له جزع امه واوثقا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شا الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش ان هذا الذي كنت عليه لين كان هدى لقد تركت الهدى ولين كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر وليس عياش حاضرا يوميذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قبا اذ لقي الحارث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اي شي صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا ومعنى الاية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطا استثنا منقطع معناه لكن ان وقع خطا فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطي المؤمن فكفارة خطايه ما ذكر بعده والخطا فعل الشي من غير قصد وتعمد ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة يعني فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة ودية مسلمة الى اهله اي وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا يعني الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه فان كان يعني المقتول من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اراد انه اذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحارث ابن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة يعني انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعني الرقبة

فصيام شهرين متتابعين اي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة توبة من الله يعني جعل الله
ذلك توبة لقاتل الخطا وكان الله عليما يعني بمن قتل خطا حكيما يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة
فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل المسلة الاولى في بيان صفة القتل قال الشافعي
القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطا العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل غالبا
فيقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافي او دية حالة مغلظة في مال القاتل واما شبه العمد
فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل ان ضربه بعصى خفيفة او رماه بحجر
صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين
واما الخطا المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيا اخر فاصابه فمات منه فلا قصاص
عليه ويجب فيه دية مخففة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطا ايضا
ان يقصد رمي مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه
لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطا في الفعل والثانية خطا في القصد المسلة الثانية
في حكم الديات ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم او الدنانير
في قول وفي قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثنى عشر الف درهم ويدل على ذلك ما روى عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانماية دينار او ثمانية الاف
درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومية على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف
عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل
الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مايتي بقرة وعلى اهل الشاه الفي شاة وعلى اهل الحلل
مايتي حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود وذهب
قوم الى ان الواجب في الدية ماية من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو قول عروة بن
الزبير والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها ماية من الابل او الف دينار او عشرة
الاف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي ودية المراة نصف دية الذكر الحر ودية
اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانماية درهم
وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية
المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي وقال قوم دية الذمي
نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك والاصل في ذلك ما روى عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر
اخرجه ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين
وهم اليهود والنصارى اخرجه النساي فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب
عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم نقصت من عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي

فتقر

فتقر على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلم والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب
ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة في بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد
ابن ثابت وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي لما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اوليا المقتول فان شاوا قتلوا وان شاوا اخذوا الدية
وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد
القتل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا وان قتيل العمد بالسوط
والعصا والحجر ماية من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية اخرى الا ان كل قتيل
خطا العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا ماية من الابل فيها اربعون في بطونها اولادها اخرجه
النساي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون
بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة هذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب
مالك واحمد واصحاب الراي واما دية الخطا فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا
في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك
والشافعي وابدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الراي
والدية في قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شي
لان النبي صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضا والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه
ودية اعضا المراة على النصف من دية اعضا الرجل والله اعلم المسلة الثالثة في حكم الكفارة
والكفارة اعتاق رقبة مومنة وتجب في مال القاتل سوا كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او
امراة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة
او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه
فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم
شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب
عليه استيناف الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلما
فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استيناف الشهرين وهو قول النخعي واظهر قولي الشافعي
لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب
والحسن والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا
طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النسا ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه
الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا ففيه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار

والثاني لا ينتقل الا ان الله لم يذكر له بدلا فقال صيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم
وجعل ذلك عقوبة لقاتل الخطا والله اعلم قوله عز وجل ومن يقتل مومنا متعمدا نزلت في مقيس بن
ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص
منه وان لم تعلموه ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم
له قاتلا ولكنا نودي اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا
فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك فتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فيكون نفس مكان
نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا
الى مكة كافرا وقال في ذلك * قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بني النجار ارباب فارع *
وادركت ثاري واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام اول راجع *
فنزلت فيه ومن يقتل مومنا متعمدا يعني قاصدا القتل فجزاوه جهنم خالدا فيها يعني بكفره وارتداده
وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق
باستار الكعبة وغضب الله عليه يعني لاجل كفره وقتله المومن متعمدا ولعنه يعني وطرده عن رحمته
واعد له عذابا عظيما اختلف العلما في حكم هذه الاية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مومنا
متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مومنا متعمدا من توبة قال لا
فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الا بالحق الى اخر الاية فقال هذه اية مكية نسختها اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم
وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المومن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل
ولم ينسخها شي وفي رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة والذين لا يدعون مع
الله الها اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا
النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الى اخر الاية
زاد في رواية فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه ناظر ابن عباس في هذه الاية فقال من اين لك انها محكمة
فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن
خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول انزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه
جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق بستة اشهر اخرجه ابو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية له
بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها

اخر

اخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة واراد بالغليظة
هذه الاية التي في سورة النسا وباللينة اية الفرقان وذهب الاكثرون من علما السلف والخلف
الى ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسختها التي في الفرقان وليس هذا
القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النسا والمتقدم لا ينسخ المتاخر وذهب جمهور من قال
بالنسخ الى ان ناسخها الاية التي في النسا ايضا وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين
بان هذه الاية خبر عن وقوع العذاب لمن فعل ذلك لا امر لمذكور في الاية والنسخ لا يدخل الاخبار
ولين سلمنا انه يدخله النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يبقى بينهما تعارض وذلك بان يحمل
مطلق اية النسا على مقيد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاوه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد
عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان
بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجا تائبا يقال له لك توبة
وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه ايضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة
ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم
اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فما روي عن جابر بن عبد الرحمن قال جا اعرابي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل
الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجه مسلم ق عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه
بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيا من ذلك
فستره الله عليه فامره الى الله ان شا عفا عنه وان شا عذبه فبايعناه على ذلك فصل وقد تعلقت
المعتزلة والوعيدية بهذه الاية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار واجاب علما السنة
بان الاية نازلة في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن ضبابة فتكون الاية على هذا مخصوصة وقيل
الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مومن كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب
كفره وعن ابي مجلز في قوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم قال هي جزاوه فان شا الله ان
يتجاوز عن جزايه فعل اخرجه ابو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة
التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقايها واذا ذكر
الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التابيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة
علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الاية ان الله
تعالى يعذب قاتل المومن عمدا في النار الى حيث يشا الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه

فانه قد ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المومن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الكفر اعظم من هذا القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل اولى والله اعلم قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا** الاية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة ابن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه واقام ذلك الرجل المسلم فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية فقال اسامة يا رسول الله استغفر لي فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم انما قالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني سافرتم للجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تاملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المومن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدمون عليه **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام** يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتاخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما اظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام والانقياد اي من استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلم والسلام بمعنى واحد اي لا تقولوا لمن سلم عليكم **لست مومنا** يعني لست من اهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا راى الغزاة في بلد او قرية او حي من العرب شعار الاسلام يجب عليهم ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني قال كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رايتم مسجدا او سمعتم موذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابو داود والترمذي وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي او النصراني انا مومن لا يحكم بايمانه لانه يدعي ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبرا من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لا انه رسول الى الكافة فاذا اعترف ان محمدا رسول الله الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من التهود والتنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته قوله تعالى **تبتغون عرض الحيوة الدنيا** يعني تطلبون الغنيمة التي هي حطام من حطام الدنيا سريع النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها **فعند الله مغانم كثيرة** اي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المومن **كذلك كنتم من قبل** يعني كما كان هذا الذي القى اليكم السلام فقلتم له لست مومنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان يعز الله دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تامنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تخيفوا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين **فمن الله عليكم** يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة **فتبينوا** اي ولا تعجلوا بقتل مومن وهو تاكيد للامر بالتبين **ان الله كان بما تعملون خبيرا** اي فلا تتهاونوا في القتل وكونوا محترزين من ذلك محتاطين فيه قوله عز وجل **لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم** الاية خ عن زيد بن ثابت قال املى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر ق عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر وفي رواية اخرى قال لما نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير في كتابه جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الاية فضل الجهاد

في سبيل الله والحث عليه قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين يعني لا يستوي المتخلفون
عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير أولي الضرر يعني غير أولي
الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان لهم العذر اقعدهم عن الجهاد م عن
جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة
رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض خ عن انس قال رجعنا من
غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا
واديا الا وهم معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر
والخارجون اليها وقوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر فضل الله المجاهدين على
اولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا الضرر كانت لهم
نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن الجهاد درجة وكلا يعني المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى
يعني الجنة بايمانهم وفضل الله المجاهدين يعني في سبيل الله على القاعدين يعني لا عذر لهم
ولا ضرر اجرا عظيما يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى درجات منه
قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل
في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله تعالى في سورة براءة
حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم
وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعون سنة
م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد فقال اعدها علي يا رسول الله فاعادها
عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض
قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا
على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها فقالوا او لا نبشر الناس
بذلك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين
السماء والارض فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه
عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الاية الاولى درجة واحدة وذكر
في هذه الاية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت اما الدرجة الاولى فتفضيل المجاهدين
على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة
الاولى درجة للمدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم

قوله تعالى

قوله تعالى ومغفرة يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها ورحمة يعني رافة بهم وكان الله غفورا
يعني لذنوب عباده المومنين رحيما يعني بهم يتفضل عليهم بمغفرته ورحمته عن ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي
ضمنت له ان ارجعه ارجعته بما اصاب من اجر او غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي
فصل اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من
المومنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من اهل تلك البلد الخروج
الى عدوهم دفعا عن انفسهم وعن اهليهم وجيرانهم وسوا في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب
على الكافة وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب
مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض
على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا القسم اعني فرض الكفاية الفقرا والعبيد واذا
كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او بسراياه
حتى لا يبطل الجهاد والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه ولكن لا يفترض
عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا
على الكفاية لاستحق القاعد عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم قوله تعالى ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم الاية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة
وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار
فانزل الله هذه الاية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم
يلون قبض ارواح المومنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما
ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان احدهما
انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية
الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي انفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان
الله لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك
بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين
وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت
الملائكة وجوههم وادبارهم قالوا فيم كنتم سوال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهولا
الذين قتلوا في اي الفريقين كنتم في فريق المسلمين او في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة
المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا كنا مستضعفين يعني عاجزين في الارض يعني في ارض
مكة قالوا يعني قالت لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني الى المدينة وتخرجوا
من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم فاولئك يعني من هذه صفته

ماواهم يعني منزلهم جهنم وساءت مصيرا يعني بئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى اهل
العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان لا يستطيعون
حيلة يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة ولا يهتدون سبيلا يعني ولا
يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة فاولئك يعني المستضعفين واهل الاعذار عسى الله ان
يعفو عنهم يعني يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى
اذا اطمع عبدا اوصله اليه وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلا المستضعفين في الصلاة ق عن ابي هريرة قال لما رفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني
يوسف قوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قال الزجاج معنى
مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا لان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف
اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف
عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت
فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم ابال انه رغم انفه ويقوي ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج
عن بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا هاجر عن قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم
ومقاطعا وقال الفرا المراغم المضطرب والمذهب في الارض وانشد الزجاج في المعنى الى بلد غير داني
المحل بعيد المراغم والمضطرب فعلى هذا يكون معنى الاية يجد مذهبا يذهب اليه اذا راى ما يكرهه
هذا قول اهل اللغة في معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من ارض الى ارض وقال مجاهد
يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحد يقال راغمت
قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق
وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس
لما نزلت الاية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله
ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله
لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق
بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك المشركون
وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
يعني قبل بلوغه الى مهاجره فقد وقع اجره على الله يعني فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه
على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلما ويدخل في حكم

الاية

الاية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا
وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمل واتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح
لان الاية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل
له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب له ثوابها كاملا
وكان الله غفورا رحيما يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا
قوله عز وجل واذا ضربتم في الارض يعني اذا سافرتم فيها فليس عليكم جناح اي حرج واثم ان تقصروا
من الصلاة يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشا واصل القصر
في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشي الى اصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم اره لاحد من اهل
التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها وبعض اركانها
ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الاية قولين احدهما انه في عدد
الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد من القصر ادخال التخفيف في ادائها
وهو ان يكتفي بالايما والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من
في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض
الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى ان خفتم ان يفتنكم
يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة الذين كفروا ذهب داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال
الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط
يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه
يقتضي نسخ القران بخبر الواحد وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز
ويدل عليه ما روي عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبد الله
بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصروا الصلاة وانما قال الله عز وجل ليس عليكم جناح ان
تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتانا ونحن ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نصلي ركعتين
في السفر اخرجه النسائي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف
الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذي والنسائي واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة
ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم ان عند عدم الشرط يلزم عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم
يقتضي ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الاية ساكتة عن حال
الامن فاثبات الرخصة في حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القران وذلك غير

ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القران فان قلت اذا كان هذا
الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فايدة تقييده بحال الخوف قلت انما نزلت الاية على غالب
اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم تخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث
انه هو الاغلب في الوقوع وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهر العداوة
فلعلمي بهذا ارخصت لكم في قصر الصلاة ليلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا
ولم يقل اعدا لانه يستوي فيه الواحد والجمع فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل
المسلة الاولى في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جايز باجماع الامة وانما اختلفوا
في جواز الاتمام في حال السفر فذهب اكثر العلما الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي
وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وابي حنيفة
ويدل على ذلك ما روي عن عايشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر
واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها
ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر اخرجاه في الصحيحين
وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر افضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن ابي وقاص
واليه ذهب الشافعي واحمد وهي رواية عن مالك ايضا ويدل على ذلك ما روى البغوي بسند الشافعي
عن عايشة قالت كل ذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عايشة انها اعتمرت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بابي انت وامي
قصرت واتممت وافطرت وصمت قال احسنت يا عايشة وما عاب علي اخرجه النساي فظاهر
القران يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظة لا جناح
انما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن حديث عايشة فرض الله الصلاة ركعتين
بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم واقرت صلاة
السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل اخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع
بين الاحاديث ودلايل الشرع المسلة الثانية اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين
هل هي مقصورة ام غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان
تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وابو حنيفة
فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الاية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب
عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب
الشافعي واحمد المسلة الثالثة مذهب الشافعي ومالك واحمد والجمهور الى انه يجوز القصر في كل
سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية
وقال ابو حنيفة والثوري يجوز ذلك المسلة الرابعة اختلف العلما في مسافة القصر فقال داود واهل

الظاهر

الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال
لي جابر بن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا
في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران
ويفطران في مسيرة اربعة برد وهي ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحاق وقول
الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين
قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فيكون ثمانية واربعين ميلا بالهاشمي والميل
ستة الاف ذراع والذراع اربع وعشرون اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات
معترضات معتدلات وقال الثوري وابو حنيفة واهل الكوفة لا قصر في اقل من ثلاثة ايام
فصل وقيل في قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما
قبله وان خفتم روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال انزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزلت ان
خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الاية ومثل هذا
في القران كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر اخر هو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل
عنه قوله عز وجل واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الاية روي عن ابن عباس وجابر ان المشركين لما
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا الا كانوا كبوا
عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابايهم وامهاتهم يعني
صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل فقال يا محمد انها صلاة الخوف
وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروي عن ابي عياش
الزرقي في سبب نزول هذه الاية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد
ابن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفي رواية غفلة لو حملنا عليهم وهم في
الصلاة فنزلت الاية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في اصحابك وشهدت معهم القتال فاقمت لهم الصلاة فلتقم طايفة
منهم معك يعني اذا حل وقت الصلاة واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم
معك فتصلي بهم وليأخذوا اسلحتهم اختلفوا في هولاء الذين امرهم الله باخذ السلاح فقيل
اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم ياخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما
ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يوذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر
وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته
وثقله عن الصلاة كالترس الكبير او يوذي من الى جنبه كالرمح فلا ياخذه وقيل اراد بهم الطايفة
الذين بقوا في وجه العدو فانهم ياخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون امرا للفريقين

بحمل السلاح لان ذلك اقرب للاحتياط فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يعني صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فليتصرفوا الى مكان الذين هم في وجه العدو للحراسة ولتأت طايفة اخرى لم يصلوا يعني ولتأت الطايفة التي كانت في وجه العدو فليصلوا معك يعني يصلوا معك الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني انه تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله ماخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر في اول الاية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون كونهم قايمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة ود الذين كفروا يعني تمنى الكفار لو تغفلون يعني لو وجدوكم غافلين عن اسلحتكم وامتعتكم يعني حوايجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشغولون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم فصل في احكام تتعلق بالاية وصفة الخوف وفيه مسايل

المسئلة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بها فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور الفقهاء ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الاية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الاية وجب ان ثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف في الصحابة واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان ساير امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب به وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله تعالى واذا كنت فيهم واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند

الثبوت واما العدم عند العدم فغير مسلم المسئلة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة واشكال متباينة فيتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة وابلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف فرقة تجاه العدو وتحرس ويصلي بالفرقة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فتحرس وتاتي الطايفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عن من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طايفة صفت معه وطايفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قايما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطايفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القران فان قوله ولتأت طايفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وهذا يدل على ان الطايفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطايفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجي والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة وتدركوا الغزو والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطايفة تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم على صلاتهم ثم تاتي الطايفة الثانية فتصلي مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطايفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تاتي الطايفة الثانية الى موضع الامام فتقضي فيه صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طايفة منا وطايفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطايفة الاخرى فصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطايفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف

باحدى الطايفتين ركعة والطايفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا
في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجا اوليك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعة ثم قضى هولا ركعة وهولا ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طايفة معه وطايفة ازا العدو فصلى بالذين
معه ركعة وجات الاخرى فصلى بهم ركعة وقضت الطايفتان ركعة ركعة وهذه
الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي والشهاب المالكي وهو جايز عند الشافعي
ايضا ثم قيل ان الطايفتين تقضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح
والفرق بين الروايتين ان الطايفة الاولى دركت اول الصلاة وهم في حكم من خلف
الامام واما الطايفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيها يقضي كالمنفرد
في حكم صلاته المسلة الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه
الصلاة ما روي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الخوف فصففنا صفين رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي
صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا
جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف الموخر في نحو العدو فلما قضى النبي
صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف الموخر بالسجود وقاموا
ثم تقدم الصف الموخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا
ثم رفع راسه من الركوع وركعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان
موخرا في الركعة الاولى فقام الصف الموخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود
والصف الذي يليه انحدر الصف الموخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم
وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هولا بامرايهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري
طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع
وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة المسلة الرابعة
اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومون بالركوع والسجود الى اي جهة
كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا
قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صورا اخر مذكورة في كتب الفقه وليس هذا
موضعها والله اعلم وقوله تعالى ولا جناح عليكم اي ولا اثم ولا حرج عليكم ان كان بكم اذى من
مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر
وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وخذوا حذركم يعني راقبوا عدوكم ولا
تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط كيلا يجترى الله وعليهم قال ابن عباس نزلت في

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو
احدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي
والسما ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه
فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر
من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم على راسه وقد
سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم
قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شيت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه من زلخة زلخها فبدر السيف من يده فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان فقال لا احد فقال
اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال لا ولكني اشهد ان لا اقاتلك ولا اعين
عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير مني
قال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا ويلك
يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه فوالله ما ادري
من زلجني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن
الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرا هذه
الاية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن
ابن عوف جريحا ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا يعني لهما يوثرنه قوله عز وجل فاذا قضيتم الصلاة يعني فاذا فرغتم من صلاة
الخوف فاذكروا الله يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع اموركم
قياما وقعودا وعلى جنوبكم فان ما انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل
والتضرع اليه وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل احيانه
وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض
وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح فاذا اطمانتم يعني فاذا امنتم وسكنت قلوبكم
واصل الطمانينة سكون القلب فاقيموا الصلاة يعني فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد
بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم فاتموا الصلاة تامة اربعا
من غير قصر وقيل معناه فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد
بالطمانينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف ان الصلاة كانت على المومنين كتابا
موقوتا يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات محدودة
فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر

اربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغا القوم سبب نزول هذه الاية
ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في اثارهم فشكوا
من الم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغا القوم
يعني في طلب ابي سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة في ذلك والزمهم بها فقال تعالى
ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس
ما تكابدونه من الوجع والم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن
قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر
منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم
ايها المومنون اولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون يعني وتاملون
من الله من الثواب في الاخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا واظهار دينكم
على الاديان كلها وكان الله عليما حكيما يعني انه تعالى لا يامركم بشي الا وهو يعلم انه مصلحة لكم
قوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق قال ابن عباس نزلت هذه الاية في رجل من
الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة
ابن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتشر من خرق في الجراب حتى انتهى
الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة
فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى
دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال
اليهودي دفعها الى طعمة بن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي
وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوا ان يجادل عن صاحبهم
طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الاية
انا انزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القران بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفصل
لتحكم بين الناس بما اراك الله يعني بما علمك الله واوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني روية
لانه جرى مجرى الروية في قوة الظهور روي عن عمر انه قال لا يقولن احدكم قضيت بما
اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رايه لان الراي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان راي احدنا
يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان
يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه ولا تكن يعني يا محمد للخائنين خصيما يعني ولا تكن
لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له
واستغفر الله يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة ان الله كان

غفورا يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم رحيما يعني بعباده المومنين
فصل وقد تمسك بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنب من الانبيا وقالوا لولم
يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه
احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين
خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما ساله قوم طعمة ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودي
فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما ياتيه من الوحي السماوي والامر
الالهي فنزلت هذه الاية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي
بري من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر
من المسلمين فامره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم وهم بان يقضي على اليهودي بالسرقة فلما اطلعه
الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطا في نفسه فامره الله
بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار
لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد
سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم
اعلى الدرجات ومنصبه اعلى المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال نبوته بالله
عز وجل فما يقع منه على وجه التاويل او السهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة
الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين وذلك بالنسبة
الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني ولا تجادل
يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما
سماهم خائنين لان من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها في العذاب وحرمها من
الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة فلا
تخاصم لخائن ولا تجادل عنه ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يعني خوانا بسرقة الدرع اثيما
برميه اليهودي وهو بري وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة
الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القران لحق بمكة مرتدا عن دينه
ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه
من مكة فلقي ركبا فعرض لهم فقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا
عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه
حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال

بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات ويروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المومنين فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون ويستحيون من الناس يريد بذلك بني ظفر بن الحارث وهم قوم طعمة بن ابيرق ولا يستخفون من الله يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاخفا الاستتار وانما فسر الاختفا بالاستحيا على المعنى لان الاستحيا من الناس يوجب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شي من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زاجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به وكان الله بما يعملون محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية ها انتم هولاء ها للتنبيه يعني يا هولا الذين هو خطاب لقوم من المومنين كانوا يذبون عن طعمة وقومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من المتخاصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة يعني اذا اخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع ام من يكون عليهم وكيلا يعني حافظا ومحاميا عنهم من باس الله اذا نزل به قوله تعالى ومن يعمل سوا او يظلم نفسه نزلت هذه الاية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسي ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الاية ومن يعمل سوا يسو به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السو لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوا اي قبيحا او يظلم نفسه برميه البري وقيل السو كل ما ياثم به الانسان والظلم هو الشرك فيما دونه ثم يستغفر الله يعني من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما في هذه الاية دليل على حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكباير والصغاير لان قوله ومن يعمل سوا او يظلم نفسه عم الكل الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب ومن يكسب اثما

يعني

يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به فانما يكسبه على نفسه يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكانه تعالى يقول يا ايها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضر والنفع فاكثر من الاستغفار ولا تياس من قبول التوبة فاني الغفار لمن تاب وهذه الاية نزلت في طعمة ايضا وكان الله عليما يعني بسارق الدرع حكيما يعني اذ احكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التايب ويغفر له ويقبل توبته ومن يكسب خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ثم يرم به بريا يعني ثم يقذف بما جناه بريا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الاخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريا فقد احتمل بهتانا البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا يعني ذنبا بينا لانه بكسبه الاثم اثم وبرميه البري باهت فقد جمع بين الامرين قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته وهذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما اوحي اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت طايفة منهم يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة ان يضلوك يعني عن القضا بالحق وتوخي طريق العدل وقيل معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمي بها اليهودي وما يضلون الا انفسهم يعني ان وبال ذلك يرجع اليهم بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم له انه بري فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم وما يضرونك من شي يعني لانهم وان سعوا في القايك في الباطل فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شي في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره احد وانزل الله عليك الكتاب يعني القران والحكمة يعني القضايا واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقايك في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من احكام الشرع وامور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضماير القلوب وعلمك احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد

عظيما فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما انزل عليك من كتابه
وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشملك باحسانه
وكفاك غايلة من اراد لك بسو ففي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
على ما حباه من الطاف وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى لا خير
في كثير من نجواهم يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هو
الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد به بيره قوم سرا كان او جهرا او تاجيته شاورته
واصله الخلو في نجوة من الارض وقيل اصله من النجا والمعنى لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون
فيه الا من امر بصدقة يعني الا في نجوى من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس
ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثنا منقطع تقديره لكن من
امر بصدقة وحث عليها او معروف يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها
معروف لان العقول تعرفها او اصلاح بين الناس يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا
الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وامر به عن ابي الدردا قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين
خ عن سهل بن سعد ان اهل قبا اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم ق عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين او قال بين الناس فيقول خيرا او ينمي
خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم اسمعه يرخص في شي مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب
والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المراة زوجها ومن يفعل ذلك يعني الاشيا
التي ذكر ابتغا مرضات الله يعني طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه
وان فعله ريا وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث فسوف
نوتيه يعني في الاخرة اذا فعل ذلك ابتغا مرضات الله اجرا عظيما لا حد له لان الله سماه عظيما
واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله عز وجل قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول نزلت في طعمة ايضا
وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة هرب الى مكة كافرا
مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان
واصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له الهدى
اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل
فيه واظهر من سرقته ما يدل له على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم

واظهر

واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام ويتبع غير سبيل المومنين يعني ويتبع غير طريق المومنين
وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان نوله ما تولى اي نكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا
ونتركه وما اختاره لنفسه ونصله جهنم يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلا وهو لزوم
النار وقتا لاستدفا وسات مصيرا يعني وبيس المرجع الى النار روي ان الشافعي سيل عن
اية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرا القران ثلاثماية مرة حتى استخرج هذه الاية
وهي قوله ويتبع غير سبيل المومنين وذلك لان اتباع غير سبيل المومنين وهو مفارقة
الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المومنين ولزوم جماعتهم واجب وذلك لان
الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المومنين فثبت بهذا ان
اجماع الامة حجة قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه
مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في شيخ من الاعراب جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وامنت به ولم
اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز
الله هربا واني لنادم تايب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله عز وجل هذه الاية ان الله
لا يغفر ان يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد
ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وامن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها
في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشا يعني لمن يشا من اهل التوحيد قال
العلما لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه
المشية فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة والصغيرة من
غير توبة فهو في خطر المشية ان شا غفر له وادخله الجنة بفضل رحمته وان شا عذبه
ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد ذهب عن طريق
الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الاية بلفظ واحد في موضعين
من هذه السورة وما فايدة ذلك قلت فايدة ذلك التاكيد اولا لان الاية المتقدمة نزلت
في سبب ونزلت هذه الاية في سبب اخر وهو ان الايات المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة
ابن ابيرق ونزلت هذه الاية في سبب ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل ان يدعون من
دونه الا اناثا نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيا
فقد دعاه لحاجته وفي قوله اناثا اقوال احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسما الاناث
فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان والقول
الثاني اناثا يعني امواتا قال الحسن كل شي لا روح فيه كالحجر والخشبة هي اناث قال الزجاج والموات
كلها يخبر عنها كما يخبر عن المونث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدرهم تنفعني ولان الانثى انزل

درجة من الذكر والميت انزل درجة من الحي كما ان الموات انزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات القول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون هم بنات الله وان يدعون اي وما يعبدون الا شيطانا مريدا قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه هو اغواهم واغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة لعنه الله اي ابعده الله وطرده من رحمته وقال يعني ابليس لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ولاضلنهم عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شيء قال بعضهم لو كان الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق ولامنينهم قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل امنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل ازين لهم ركوب الاهواء والامور الداعية الى العصيان وقيل امنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الاخرة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغيير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن اسما قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الاذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره انس اخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا ق
عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق اخرجه مالك في الموطا ومعناه في ترك الاختصاء نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير الخلق هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموه على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يامره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر فقد خسر خسرانا مبينا لان طاعة

الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران بقي في الاية سؤالان السؤال الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر القليل وقال في موضع اخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثنا القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المومنين في العدد لكنهم اقل من المومنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمومنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الاخرة وانشد بعضهم في هذا المعنى فقال . وهم الاقل اذا تعد عشيرة . والاكثرون اذا يعد السودد . وقيل ان ابليس لما لم ينل من ادم ما اراد ورأى الجنة والنار علم ان لهذه اهلا ولهذه اهلا فقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار السؤال الثاني من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامرنهم وقال في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه يقع منهم هذه الامور التي يريدها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لا انه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لا يومنون وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم يعني الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شيء منها فان لم يطل عمره ولم يحصل له ما اراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعني باطلا وضلالا اولئك يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا ماواهم جهنم يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم ولا يجدون عنها يعني عن جهنم محيصا يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المومنين فقال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني من تحت المساكن والغرف خالدين فيها يعني في الجنات ابدا يعني بلا انتها ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتدة التي لا انقطاع لها ولا يتجزى كما يتجزى غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود لا يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم بذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى وعد الله حقا يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا ومن اصدق من الله قيلا يعني ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب الأمنية أفعولة من التمنية والتمني تقدير شيء في النفس
وتصويره فيها والأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء إذا وقع في نفسه وإرادته
وفي المخاطب بقوله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب قولان أحدهما أنه خطاب للمسلمين
وأهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك أنهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الأنبيا وكتابنا يقضي على
الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم والقول الثاني أنه خطاب
لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لأهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار إلا
أياما معدودة والمعنى ليس الأمر بالأماني إنما الأمر بالعمل الصالح **من يعمل سوءا يجز به** قال الضحاك
يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لأهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوءا يعني شركا فمات عليه يجز به
النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لأنهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى
المؤمن بسيء عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا
القول سياق القول وهو قوله **ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** وهذا هو الكافر فأما المؤمن
فله ولي ونصير وقال الآخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوءا من مسلم وكافر قال ابن عباس هي
عامة في حق كل من يعمل سوءا يجز به إلا أن يتوب قبل أن يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس
في رواية أبي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول
الله وأينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر
حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت
آحاده أعشاره وأما ما كان جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة
حسنة وينظر في الفضل فيعطي الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول
ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة
يشاكها أخرجه مسلم وعن أبي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر
ألا أقرئك آية أنزلت علي قلت بلى يا رسول الله فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني وجدت انقصاما في ظهري
فتمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك يا أبا بكر قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي
وأينا لم يعمل سوءا وإنا لمجزيون بما عملنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر
والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك
لهم حتى يجازوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي إسناده مقال
وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا

ولا

ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فإن قلنا إن هذه الآية خاصة
في حق الكفار فتأويلها ظاهر وإن قلنا إنها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فإنه لا ولي لأحد
من دون الله يوم القيامة ولا نصير فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين
تكون بإذن الله فليس يمنع أحد أحدا عن الله وقوله تعالى **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى
وهو مؤمن** قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية
قال المفسرون بين الله تعالى فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات
للتبعيض لأن أحدا لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فإذا عمل بعضها استحق الثواب
فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس
يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء أعمالهم من غير
نقصان قوله عز وجل **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** لما بين الله تعالى أن الجنة لمن
يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الإيمان وبين فضله فقال تعالى ومن أحسن دينا يعني ومن أحكم
دينا والدين هو المشتمل على إظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الدين
الذي كان عليه إبراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم أن دين الإسلام مبني على أمرين أحدهما الاعتقاد وإليه
الإشارة بقوله أسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه أخلص
طاعته لله وقيل فوض أمره إلى الله الأمر الثاني من مباني الإسلام العمل وإليه الإشارة بقوله وهو
محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات
وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا قال بعض
العلماء وإنما صار دين الإسلام أحسن الأديان لأن فيه طاعة الله ورضاه وبها أحسن الأعمال وإنما
خص الوجه بالذكر في قوله أسلم وجهه لله لأنه أشرف الأعضاء فإذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد
انقاد لله جميع الأعضاء لأنها تابعة له **واتبع ملة إبراهيم** يعني دين إبراهيم عليه السلام **حنيفا**
يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الأديان كلها إلى الإسلام لأن ما سواه من الأديان
باطل وحنيفا يجوز أن يكون حالا لإبراهيم ويجوز أن يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن
عباس ومن دين إبراهيم عليه السلام الصلاة إلى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج والختان ونحو ذلك
فإن قلت ظاهر هذه الآية يقتضي أن شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع إبراهيم عليه السلام
وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الأمر كذلك فما الجواب قلت إن شرع إبراهيم
وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى
الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة إبراهيم عليه السلام لأنها داخلة في ملة
محمد صلى الله عليه وسلم وشرع إبراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وإنما قال تعالى واتبع ملة
إبراهيم لأن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو إلى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لأنه كان

مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك اليهود والنصارى
فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم
وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم
خليلا يعني صفيا والخلة صفا المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه
وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفا وسمي ابراهيم
خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل
المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل
وانشد في معنى الخليلية التي هي بمعنى المحبة ۞ قد تخللت مسلك الروح مني ۞ وبه سمي الخليل خليلا
وقيل الخليل من الخلة بفتح الخا وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيها وسمي
ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله عز وجل وخلة الله للعبد هي
تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر حاله ونصره والثنا عليه فقد اثنى الله عز
وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من اجله
اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان
منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة قحط فقصد الناس
باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تاتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم
غلمانه الى خليله بمصر فقال الخليل لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم انما يريد الطعام لنفسه
احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير
طعام فمروا ببطحا من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحا ليرى الناس انا قد جينا بميرة
فانا نستحي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملوا من ذلك الرمل الغراير التي معهم ثم اتوا الى ابراهيم
صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة نايمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام
واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جا الغلمان قالوا بلى قالت فجاوا
بشي قالوا نعم فقامت الى الغراير ففتحتها فاذا هي ملأى باجود دقيق يكون حوارى فامرت
الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين
لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله
خليلا وقيل لما اراه ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم
من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقا في النيران وبذل ولده للقربان
وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي
ذريته وقيل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل
اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملايكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقالوا كلوا

على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمي
ابراهيم خليل الله م عن انس قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله فصل وقد اتخذ الله محمدا
صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ الله ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا
وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر ولكنه اخي
وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي
صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه
فقد جا في حديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذي
باطول منه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قال اهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته
وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات
وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر
بلفظة ما وكان الله بكل شي محيطا يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشي من كل وجه حتى لا يشذ
عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه قوله عز وجل ويستفتونك في
النسا قل الله يفتيكم فيهن الاية قال ابن عباس نزلت في بنات ام كحة وقد تقدمت قصتهن في اول السورة
وقالت عايشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال
ومال بان يقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها وفي رواية
قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب فيها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره ان
يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك ونزلت هذه الاية
فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شان النسا وحالهن والاستفتا طلب الفتوى
وهي اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه
هو ميراث النسا وذلك انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية
الميراث قالوا يا رسول الله كيف نورث المراة والصغير فاجابهم الله بهذه الاية قل الله
يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شان النسا وحالهن وما يتلى عليكم في الكتاب
يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النسا بما انزل في كتابه عليكم وقيل المراد
بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح
المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى التي تجب
مراعاتها وان المخل بها ظالم في يتامى النسا قيل معناه في النسا اليتامى وقيل في اليتامى اولاد
النسا لان الاية نزلت في يتامى ام كحة اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن يعني ما فرض لهن من الميراث

وهذا على قول من يقول ان الاية نازلة في ميراث اليتامى الصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب
لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن
وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن ق عن عايشة
قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها
فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في كمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة
فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل يستفتونك في النسا الى
قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها
ولم يلحقوها بسنتها في كمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها
والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا
ان يقسطوا لها او يعطوها حقها الاوفى من الصداق وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان يعني
ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية
كانوا لا يورثون الصغار ايضا فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم حقوقهم من الميراث وان تقوموا
لليتامى بالقسط يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا ق عن عايشة في قوله تعالى
وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد
طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة علي
والقسمة لي قالت فذلك قوله فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في
عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها
وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امراة اخرى شابة واثرها عليها وجفى الاولى فاتت ابنة محمد
ابن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقيل كان رجل له امراة قد
كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على اولادي
واقسم لي كل شهر ان شيت وان شيت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله هذه الاية وان امراة خافت يعني علمت وقيل
ظنت وقيل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه
من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المراة نشوزا يعني بغضا
وقيل هو ترك مضاجعتها واصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين
وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المراة وهو قوله تعالى او اعراضا
يعني بوجهه عنها ويعبس في وجهها او يترك مضاجعتها او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل
المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذا

بل يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج
والمراة ان يصالحا من المصالحة وقرى ان يصلحا بضم اليا وكسر اللام من الاصلاح بينهما صلحا يعني
في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمراة انك قد كبرت ودخلت في السن واني اريد ان
اتزوج امراة شابة جميلة او اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت
ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم
ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها
ووفاها حقها مع الكراهة كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة
والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها والصلح خير يعني اقامتها
بعد تخييره اياها والمصالحة على بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس
قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل
يومي لعايشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا
عليه من شي فهو جايز اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسم لعايشة يومين يومها ويوم سودة واحضرت الانفس الشح اقبح البخل وحقيقته
الحرص على منع الخير وانما قال الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى
الاية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الاخر فالمراة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح
عليها بنفسه اذا كان غيرها احب اليه منها وان تحسنوا وتتقوا هذا خطاب للازواج يعني
وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المراة فانها امانة عندكم وقيل معناه
وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها والجور عليها فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني
فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا يعني ولن تقدروا ان تسووا بين
النسا في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم ولو حرصتم يعني على العدل
والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل يعني الى التي تحبونها في القسم
والنفقة والمعنى انكم لستم منتهين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم
ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان فلم يعدل بينهما جا يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه
الترمذي وعند ابي داود من كانت له امراتان فمال الى احداهما جا يوم القيامة وشقه مايل
عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا
تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والترمذي والنساي وقوله تعالى فتذروها كالمتوسطة
كالمعلقة يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمنوطة لا ايما ولا ذات بعل كالشي المعلق لا هو
في السما ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن

اليها وان تصلحوا يعني بالعدل في القسم وتتقوا يعني الجور في القسم فان الله كان غفورا يعني
لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض رحيما يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه وان يتفرقا
يعني ان لم يصطلحا واختارا الفرقة يغني الله كلا من سعته يعني من فضله ورزقه والمعنى
يغني الزوج بامراة اخرى والمراة بزوج اخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمراة بما تحب ويوسع
عليهما وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق وكان الله واسعا يعني واسع الفضل
والرحمة وقيل هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته
غناه حكيما يعني فيما امر به ونهى عنه فصل فيما يتعلق بحكم الاية وجملته ان الرجل اذا كان
تحته امراتان واكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم
عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضا للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا
لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامة قسم للحرة
ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان
يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه
يستانف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضا عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك
ما روى ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب قام عندها سبعا وقسم واذا
تزوج الثيب قام عندها ثلاثا وقسم وقال ابو قلابة لو شيت لقلت ان انسا رفعه الى النبي
صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له ان يحمل معه
بعض نسايه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان
طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روى عن عايشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه
البخاري مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسايه معه قوله تعالى ولله ما في
السموات وما في الارض يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته
وفضله اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزاينه
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة واياكم
يعني ووصيناكم يا اهل القران في كتابكم ان اتقوا الله اي بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه
وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم
السالفة في كتبهم وان تكفروا يعني وان تجحدوا ما اوصاكم به فان لله ما في السموات وما في الارض
يعني فان لله ملايكة في السموات والارض هم اطوع له منكم وقيل معناه انه تعالى خالق السموات
والارض وما فيهن وما لكم والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان
يتقيه ويرجوه وكان الله غنيا يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم حميدا يعني

محمودا

محمودا على نعمه عليهم ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس يعني شهيدا
على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفايدة في تكرير قوله
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قلت الفايدة في ذلك ان لكل اية معنى تختص به اما الاية
الاولى فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته
وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له ما في السموات وما في الارض
وانه قادر على اغنا جميع الخلايق وهو المستغني عنهم واما الاية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض والمراد منه انه تعالى منزه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب
المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات
وما في الارض قال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا
منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في
السموات والارض وقيل تكريرها تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه لان
التقوى والخشية اصل كل خير قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس قال ابن عباس يريد المشركين
والمنافقين ويات باخرين يعني بغيركم هو خير منكم واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم
ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله وكان الله على ذلك قديرا يعني وكان الله
على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شي اراده لم يزل ولا يزال
موصوفا بالقدرة على جميع الاشيا قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا يعني من كان يريد بعمله عرضا
من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيمة
فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم
كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يعني ان الذين يطلبون
باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون في قصدهم لان الله عنده ثواب
الدنيا وثواب الاخرة فلو كانوا عقلا لطلبوا ثواب الاخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب
الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها
ما اراد وليس له ثواب في الاخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله وثواب الاخرة فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة يوتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الاخرة خير الجزا وكان الله سميعا يعني لاقوالهم
وما يبرزونه من طلب ثواب الدنيا بصيرا يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا
بعمله وبمن يطلب الاخرة بعمله قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله قال السدي
ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني

فانزل الله هذه الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الاية
متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل
فامرهم الله تعالى ان يكونوا قايمين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات
واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في الشهادات على من كانت شهدا لله
يعني اقيموا شهاداتكم لوجه الله كما امركم فيها فيقول الحق في شهادته ولو على انفسكم يعني
ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد بان يشهد على نفسه بالحق وسوا ان يقر على
نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه او الوالدين والاقربين يعني
ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه واقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على
انفسكم او على الوالدين او على الاقارب فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه
ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى ان يكن يعني المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
يعني منكم والمعنى كلوا امرهم الى الله فهو اعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لانه رد
الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله اولى بالغني وبالفقير فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في ادا الشهادة وقيل معناه اتركوا
متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة
الهوى وان تلووا قرى بواوين ومعناه ان يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس
بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها او تعرضوا يعني او يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها
ولا يقيمها يقول لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلووا عن القيام
باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم
لويت الشي اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام بقوله وان تلووا يعني تميلوا مع احد الخصمين
دون الاخر وتعرضوا عنه بالكلية وقرى تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا
ومعناه فان تلوا امور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم فان الله كان بما تعملون خبيرا
يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسي باسائته فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا امنوا بالله ورسوله قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني
كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين
فهولا مومنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا مومنون بك وبكتابك
وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
بل امنوا بالله ورسوله محمد والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين
امنوا يعني بمحمد والقران وبموسى والتوراة امنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني امنوا بجميع
رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والتوراة وبعيسى

والانجيل

والانجيل امنوا بمحمد والقران وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم
ولم تومن قلوبهم امنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطاة
القلب وقيل هو خطاب للمومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا في الماضي والحال امنوا في المستقبل
وداوموا واثبتوا على الايمان والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القران والكتاب الذي انزل من قبل
يعني وامنوا بالقران وبجميع الكتب الذي نزلها على انبيايه قبل القران فيكون الكتاب اسم جنس
لجميع الكتب ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا قوله
عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس نزلت في اليهود امنوا
بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل انهم امنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم امنوا بداود ثم كفروا
بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم امنوا
ثم كفروا بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجري عليهم احكام المومنين
ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر وقيل بذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم قوم امنوا
ثم ارتدوا الى الكفر ثم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك ان من
تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه
ومن كان كذلك لم يكن مومنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاوهم وتلاعبهم
بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لا تقبل
توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم يعني
ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله
قل للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا
يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يعني
اخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة
الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب
لان العرب تقول تحيتك الضرب اي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر وخيل قد دلفت لها بخيل
تحية بينهم ضرب وجيع ثم وصف الله المنافقين فقال تعالى الذين يتخذون الكافرين اوليا
من دون المومنين يعني يتخذون اليهود اوليا وانصارا او بطانة من دون المومنين وذلك ان
المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على
المنافقين ايبتغون عندهم العزة يعني يطلبون من عند اليهود القوة والمعونة والظهور على محمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه فان العزة لله جميعا يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا
وهو الذي يعز اولياه واهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقد نزل عليكم

يعني يا معشر المومنين في الكتاب يعني في القران ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها
قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رايت
الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا نزل بمكة لان المشركين
كانوا يخوضون في القران ويستهزون به في مجالستهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون
مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزا بالقران فنهى
الله المومنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى
ياخذوا في حديث اخر غير الاستهزا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في
هذه الاية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيمة انكم اذا مثلهم يعني انكم يا ايها الجالسون
مع المستهزين بايات الله ورضيتم بذلك فانتم وهم في الكفر سوا قال العلما وهذا يدل على ان
من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر او خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم
يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف
فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضى وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعة
او منكر فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزا بايات الله فكذلك
يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيمة قوله عز وجل الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى
ينتظرون ما يحدث بكم من خير او شر فان كان لكم فتح من الله اي ظفر على عدو وغنيمة تنالونها
منهم قالوا يعني المنافقين الم نكن معكم يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل
معناه الم نكن على دينكم وان كان للكافرين نصيب يعني دولة وظفر على المسلمين قالوا يعني المنافقين
للكفار الم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلا والغلبة يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه
والمعنى الم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه الم نغلبكم على
رايكم ونمنعكم من المومنين يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه الم ندفع عنكم المومنين
بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبنا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين
اظهار المنة على الكفار فان قلت لم سمى ظفر المومنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما
لشان المومنين وتخسيسا لحظ الكفار لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السما حتى ينزل النصر
على المومنين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في
الدنيا ولهم في الاخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم
بينكم يوم القيمة يعني الفريقين فريق المومنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف
عن المنافقين في الدنيا الا لاجل كرامتهم بل اخر عذابهم الى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين
على المومنين سبيلا وفيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به في القيامة

بدليل انه عطف قوله فالله يحكم بينكم يوم القيمة روي ان رجلا سال علي بن ابي طالب
عن هذه الاية ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل
الله للكافرين يوم القيمة على المومنين سبيلا والقول الثاني انه في الدنيا والمعنى ان
حجة المومنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله
لم يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بان يجود دولة المومنين بالكلية او يستبيحوا بيضتهم
فلا يبقى احد من المومنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بالشرع
فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسايل من احكام الفقه
منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه
الاية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل
هذه الاية قوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم يعني يعاملون الله بالخداع وهو
يجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له
الايمان ويبطنون الكفر وهو خادعهم يعني والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون
نورا يوم القيامة كما يعطى المومنون فيمضي المومنون بنورهم على الصراط ويطفى نور المنافقين
واذا قاموا الى الصلاة يعني المنافقين قاموا كسالى يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم
يتبعونها لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على
تركها عقابا لان الداعي الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور يراون
الناس يعني انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الريا والسمعة لا لاجل الدين ولا يرونها واجبة
عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق ولا يذكرون الله الا قليلا قال ابن عباس
انما قل ذلك لانهم يفعلونه ريا وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان
الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد به ذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم
متى لم يكن معهم احد من المومنين فانهم لا يصلون واذا كانوا مع المومنين تكلفوا فعلها مذبذبين
بين ذلك يعني متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المومنين المخلصين ولا مع
المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى لا الى هولا ولا الى هولا يعني ليسوا من المومنين حتى يجب
لهم ما يجب للمومنين وليسوا من الكفار فيوخذ منهم ما يوخذ من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا يعني طريقا الى الهدى ق عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة
العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العايرة بالعين المهملة ومعناه
المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه
ومرة الى هذه لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المومنين ومرة مع الكافرين
او ظاهره مع المومنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين

اوليا من دون المومنين لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المومنين
ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا تتولوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن اوجب
له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بني قريظة
حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا يعني اتريدون ايها المتخذون الكفار اوليا ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم
الكفار اوليا من دون المومنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر المنافقين من النار فقال تعالى
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها
فوق بعض بحيث طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم
توقد فيه النار فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر في الكفر
وزيادة وهو انه ضم الى الكفر نوعا اخر من الكفر او اخبث منه وهو الاستهزا بالاسلام والمسلمين
وافشا اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار
والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرايعه
ولا يتبعه بعقيدته ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا اتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه
بالمنافق وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا يعني ولن تجد يا محمد لهولا المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب
الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى الا الذين تابوا يعني من النفاق
واصلحوا يعني اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرايضه وانتهوا عما نهاهم عنه واعتصموا
بالله يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به واخلصوا دينهم لله يعني واخلصوا طاعتهم واعمالهم التي
عملوها وارادوه بها ولم يريدوا ريا وسمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك
قال تعالى فاولئك يعني التايبين من النفاق مع المومنين يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المومنين
وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما يعني في الاخرة قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المومن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته
لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شي من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه
العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني فيه تقديم وتاخير
تقديره ان امنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على ساير الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان
الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة
العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا مبهما ثم اذا تمم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة
المنعم عليه فامن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم متقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على
الايمان

الايمان في الذكر وكان الله شاكرا يعني مثيبا عباده المومنين موفيا اجورهم والشكر من الله
الرضى بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر
سمى الجزا شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر
عليما يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسو من القول الا
من ظلم قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسو ولا غير الجهر به ايضا من القول يعني من
القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثنا متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثنا منقطع
ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلما لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة
المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة
لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني او غصب ونحو ذلك وان شوتم جاز له ان يشتم
بمثله ولا يزيد شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم اخرجه
مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو احد على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له
وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي
حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحو من الدعا وقيل نزلت الاية في الضيف اذا نزل بقوم
فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا
يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اسا ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق وذلك
ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان
ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجا الشيطان فقمت ونزلت هذه الاية وكان
الله سميعا يعني لدعا المظلوم عليما بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق قوله تعالى ان تبدوا خيرا
قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا
خيرا بدلا من السو او تخفوه يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا
بها تكتب لكم عشرا او ان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها
محصورة في شيين احدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر
في قسمين ايضا وهما ايصال النفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه
او دفع ضرر عنهم واليه الاشارة بقوله او تعفوا عن سو فيدخل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر
وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقرا جهرا او تخفوها
فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة فان الله كان عفوا قديرا يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام
فاعفوا انتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيامة لانه اهل للتجاوز والعفو

عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه قوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله نزلت في اليهود وذلك انهم امنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين والقران وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالسمع التكذيب ببعض رسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به اولئك يعني من هذه صفتهم هم الكافرون حقا يعني يقينا وانما قال حقا توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبيا كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض هو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة بجميع الانبيا فلزم الايمان بجميعهم واعتدنا يعني وهيانا للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه والذين امنوا بالله ورسله يعني والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع انبيايه وان جميع ما جاوا به من عند الله حق وصدق ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل بل امنوا بجميعهم وهم المومنون اولئك يعني من هذه صفتهم سوف نؤتيهم اجورهم يعني جزا ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله وكان الله غفورا رحيما يعني ان الله تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سياتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا امنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى يسالك اهل الكتاب يعني يسالك يا محمد اهل الكتاب يعني اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب جملة واحدة من السما كما اتى موسى بالتوراة وقيل سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تنزل عليهم كتابا من السما مختصا بهم وقيل سالوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان يشهد لك بانك رسول الله وكان هذا السوال من اليهود سوال تعنت واقتراح لا سوال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الايات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك يعني اعظم من الذي سالوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوال التعنت والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد مسالتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترايهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السما لما امنوا بك وانما اسند السوال الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السوال من ابايهم الذين كانوا في ايام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسوالهم ومشاكلين لهم في التعنت فقالوا يعني اسلاف هولا اليهود ارنا الله جهرة

يعني

يعني عيانا والمعنى ارنا نراه جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرايل خرجوا مع موسى عليه السلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم يعني بسبب ظلمهم وسوالهم الروية ثم اتخذوا العجل يعني الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه من بعد ما جاتهم البينات يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة فعفونا عن ذلك يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستاصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هولا الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السما انما يطلبونه عنادا ولجاجا فاني قد انزلت التوراة جملة واحدة على موسى واتيته من المعجزات الباهرات والايات البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الروية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعا الى التوبة والمعنى ان اوليك الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم يعفو عنكم واتينا موسى سلطانا مبينا يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي اعطاه الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرايل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق وقلنا لهم يعني والطور مظلهم ادخلوا الباب سجدا فخافوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يعني وقلنا لهم لا تتجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فتجاوزوا ما عندوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا يعني واخذنا عليهم عهدا موكدا شديدا بانهم يعملون بما امرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا وكفرهم بايات الله وبجحودهم بايات الله الدالة على صدق انبيايه وقتلهم الانبيا يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم بغير حق يعني بغير استحقاق لذلك القتل وقولهم قلوبنا غلف يعني ويقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع اغلف وقيل هو جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يومنون الا قليلا يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبيا والكتب وقيل لا يومنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا من اليهود قوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على

خلق الولد من غير اب ومنكر قدرة الله تعالى كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على برائتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم قوله عز وجل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله وما قتلوه وما صلبوه وفي قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله بدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى ولكن شبه لهم يعني القي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة الشبيه الذي شبه على اليهود في امر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى عليه السلام فقالوا لهم سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم وقال انا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى من يومه ذلك وفي رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا اخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل فقتل وصلب ورفع الله عيسى الى السما وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري واولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى عليه السلام القي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط به وبهم من غير مسألة عيسى اياهم ذلك ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه ارادوه به من قتل وغيره وليبتلي به من اراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون القي شبهه

على

على بعض اصحابه بعد ما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا من شبهه به وخفي امر عيسى عليهم وكان حقيقة ذلك الامر عند الله عز وجل فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى وهم اليهود لفي شك منه يعني من قتله وذلك ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان الله القى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى الجسد فراوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليهم رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السما وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول انه ما قتل وبعضهم يقول انه رفع الى السما فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى ما لهم به من علم يعني انهم قتلوا من قتلوه على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى ام غيره الا اتباع الظن يعني لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن علم وحقيقة وما قتلوه يقينا قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتلته علما وقتلته يقينا يعني علمه علما تاما واصل ذلك ان القتل للشيء يكون عن قهر واستيلا وغلبة ومعنى الاية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما كاملا تاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده وتقديره وما قتلوه بل رفعه الله اليه يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة ال عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في اقتداره على من يشاء من عباده حكيما يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم نيطيوس بن اسبيسانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة قوله تعالى وان من اهل الكتاب يعني وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الا ليؤمنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الاية حتى يرجع الضمير اليه وقوله

الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى قبل موته اختلف المفسرون
فى هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابى والمعنى وما من
احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى قبل موت ذلك الكتابى ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة
حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه انه اذا وقع فى الياس حين لا ينفعه ايمانه سوا احترق
او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجاة فقيل له ارايت ان خر من فوق
بيت قال يتكلم به فى الهوى فقيل له ارايت ان ضربت عنقه قال يتلجلج بها لسانه وقال شهر بن حوشب
ان اليهودى اذا احضره الموت ضربت الملايكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا
فكذبت به فيقول امنت انه عبد الله ورسوله وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن
الله فيقول امنت انه عبد الله واهل الكتاب يومنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب
جماعة من اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية ابن عباس ايضا والمعنى
وما من احد من اهل الكتاب الا ليومنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السما فى اخر الزمان
فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام قال عطا
اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا احد يعبد غير الله الا امن بعيسى انه عبد الله
وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع
الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا
وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شيتم وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته الاية
وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب
وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحنا والتباغض
والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل
على ان عيسى ينزل فى اخر الزمان فى هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا
برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من ايمتهم لقوله
صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه
وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعنى لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولا يقبل
من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابى
اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم
ليس مستمرا الى يوم القيمة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم
بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لانه هو المبين للنسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان

الامتناع

الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم
قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله
فى اخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته قال والذين يبقون
يوميذ يعنى عند نزوله شرذمة قليلة منهم واجاب اصحاب هذا القول يعنى الذين يقولون
ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى اخر الزمان فلا ينكر ان هذا على العموم ولكن
المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فهو مومن به ويكون معنى
الاية وما من احد من اهل الكتاب يدرك ذلك الوقت الا امن بعيسى عند نزوله من السما وصحح
الطبرى هذا القول وقال عكرمة فى معنى الاية وان من اهل الكتاب الا ليومنن بمحمد صلى الله عليه وسلم
قبل موت الكتابى فلا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة
حين لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يعنى يكون عيسى عليه السلام
شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا واشركوا به
ويشهد على تصديق من صدقه منهم وامن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيمة انه
قد بلغ رسالة ربه واقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا يعنى فبسبب
ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى ما حرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم
الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من
انواع الكفر والكباير العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وكقولهم ارنا الله جهرة
وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا عليهم وهى
ما ذكره فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية قال الطبرى فى معنى
الاية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا به وكفروا بايات الله وقتلوا انبياهم
وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به فى كتابه طيبات من الماكل وغيرها التى كانت لهم
حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى اخبر الله عنهم فى كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم
ظلموه وبغى بغوه حرمت عليهم اشيا ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل
قال كان الله حرم على اهل التوراة ان ياكلوا الربا ونهاهم ان ياكلوا اموال الناس ظلما فاكلوا
الربا واكلوا اموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية قال الواحدى
فاما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيا
انتهى اليه فتركته ولقد انصف الواحدى فيما قال فان هذه الاية فى غاية الاشكال وبيانه ان الله
تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون فى معنى الظلم المذكور فى الاية ما تقدم ذكره
وكلها ذنوب فى المستقبل فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم

ما حرم من الطيبات التي كانت حلالا لهم عقوبة لهم على ما يقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو
ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسيره هذه الاية
ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم ان انواع الذنوب محصورة في نوعين
الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه
بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشوة وهو المراد بقوله واكلهم اموال
الناس بالباطل فهذه الاربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا وفي الاخرة
اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد في الاخرة فهو المراد
بقوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان
قوما منهم سيومنون فيامنون من العذاب قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود
وهذا استثنا استثنى الله عز وجل من امن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في
الايات التي تقدمت فيهن فيما تقدم حال كون كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الاية
حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا
بمعنى الاستدراك ولا الاستثنا والراسخون في العلم الثابتون في العلم المبالغون فيه اولوا البصاير
الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم
رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمومنون
يعني بالله ورسوله يومنون بما انزل اليك يعني بالقران الذي انزل اليك وما انزل من قبلك يعني
ويومنون بساير الكتب التي انزلها الله على انبيايه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمومنين هاهنا
قولان احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المومنون والقول
الثاني انهم هم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمومنون ابتدا الكلام مستانف
يومنون بما انزل اليك يعني انهم يصدقون بالقران الذي انزل اليك يا محمد وما انزل من قبلك
والمقيمين الصلاة اختلف العلما في وجه نصبه فحكي عن عايشة وابان بن عثمان انه غلط
من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا ستقيمه
العرب بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهبت
عامة الصحابة وساير العلما من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره
واجيب عما روي عن عثمان وعايشة وابان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا
القران هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه
غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل
ومحال ان يوخر عثمان شيا فاسدا ليصلحه غيره ولان القران منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه
لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب
العرب وما لهم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه
على مثله وشواهده وربما غبي عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام
وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من
يلحق بهم ثم اختلف العلما في المقيمين الصلاة انهم الراسخون في العلم ام غيرهم على قولين احدهما
انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب
تفعل ذلك في صفة الشي الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم فربما خالفوا بين اعراب اوله
واوسطه احيانا ثم رجعوا باخره الى اعراب اوله وربما اجروا اعراب اخره على اعراب وسطه وربما
اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الاية ؞ لا يبعدن قومي الذين هم
سم العداة وافة الجزر ؞ النازلين بكل معترك ؞ والطيبون معاقد الازر ؞ وهذا على معنى اذكر
النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاني قومك المطعمين وهم المغيثون والقول الثاني
ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله
تعالى بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبيا لانه لم يخل شرع احد
منهم من اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملايكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج
القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى والموتون الزكاة عطف
على والمومنون لانه من صفتهم والمومنون بالله واليوم الاخر يعني والمصدقون بوحدانية الله وبالبعث
بعد الموت وبالثواب والعقاب اوليك يعني من هذه الاوصاف صفتهم سنوتيهم اجرا عظيما يعني
سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل انا
اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ؞ قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد
ما نعلم ان الله انزل على بشر من شي بعد موسى فانزل هذه الايات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن
سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما جملة واحدة فاجابهم الله عز وجل عن
سوالهم بهذه الاية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى
انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبيا المذكورين في هذه الاية وهم اثنى عشر نبيا
والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هولا الانبيا وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على
احد من هولا المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب
جملة واحدة على احد هولا الانبيا قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم
قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم قال المفسرون وانما بدا الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام
لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحايف وكان اول

من عذبت امته لردهم دعوته واهلك الله اهل الارض بدعايه وكان ابا البشر كادم عليه السلام وكان اطول الانبيا عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبيا من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبيا بالذكر لفضلهم وشرفهم فقال واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط هم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داود زبورا يعني واتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثنا على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية ويقرا الزبور ويقوم علما بني اسرايل خلفه ويقوم الناس خلف العلما ويقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على روس الناس فيستمعون لقراة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني البارحة وانا استمع لقراتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير ال داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراة قال بعض العلما وانما لم يذكر موسى عليه السلام في هذه الاية لان الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبيا في الاية انه لم ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل لما نزلت هذه الاية قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الاية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القران وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وما رد عليهم قومهم ورسلا لم نقصصهم عليك اي لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذين نوه الله بذكرهم من الانبيا يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تاكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحايط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله تعالى خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفرا العرب تسمي كلما يوصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة روى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى فجعل موسى يقول يا رب لا افهم حتى كلمه بلسانه اخر الالسنة فقال يا رب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيئا

قال

قال موسى يا رب هل في خلقك شي يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شبها بكلامي اشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلما كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكلم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبيا فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبيا قوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اوليك النبيين رسلا الى الخلق مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سوال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيا من العبادات ولم تالفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وثقل عليهم كما اخبر عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال الكتاب نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا وفيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لما كان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل يكون لهم حجة في ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل • وفي كل شي له اية • تدل على انه واحد • قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق على النظر في تلك الدلايل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسايط بين الله وخلقه ومبينون احكام الله التي افترضها على عباده ومبلغون رسالاته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص احب

اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى وكان الله عزيزا
يعني في انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله حكيما يعني في ارسال الرسل قوله تعالى لكن الله يشهد
بما انزل اليك قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني
والله اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الاية وفي رواية عن
ابن عباس قال ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود
وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك
يعني ان جحدك هولا اليهود يا محمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شي فقد
كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود
وان شهدوا ان القران لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه انزله عليك وشهادة الله انما عرفت
بسبب انه انزل هذا القران البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون
عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا لا جرم
قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القران الذي انزله عليك انزله بعلمه
يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم
تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده
وقيل معناه انزله بما علم من مصالح عباده في انزاله عليك والملايكة يشهدون يعني يشهدون بان
الله انزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملايكة لان الله تعالى اذا شهد بشي
شهدت الملايكة بذلك الشي وقد ثبت ان الله يشهد بانه انزله بعلمه فكذلك الملايكة يشهدون بذلك
وكفى بالله شهيدا يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره
ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملايكته كذلك قوله
عز وجل ان الذين كفروا يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله
يعني منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقا الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد
صلى الله عليه وسلم رسولا لاتى بكتاب من السما جملة واحدة كما اتى موسى بالتوراة قد ضلوا ضلالا بعيدا
يعني عن طريق الهدى ان الذين كفروا وظلموا يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمانهم صفته
وظلموا غيرهم بالقا الشبهات في قلوبهم لم يكن الله ليغفر لهم يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر
وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبايح افعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل
والسبي والجلا وفي الاخرة بالنار وهو قوله ولا ليهديهم طريقا يعني ينجون فيها من النار وقيل ولا
ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يومنون الا طريق جهنم يعني لكنه تعالى يهديهم
الى طريق يودي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم اهل لذلك خالدين فيها يعني في جهنم
ابدا وكان ذلك على الله يسيرا معناه هينا قوله تعالى يا ايها الناس هذا خطاب عام يدخل فيه جميع

الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب قد جاءكم
الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء
بالقران الذي هو الحق من ربكم يعني من عند ربكم فامنوا خيرا لكم يعني فامنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم
يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه وان تكفروا يعني وان تجحدوا
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم فان لله ما في السموات والارض
يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك
لم يكن محتاجا الى شي وانه قادر على ما يشا وكان الله عليما يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شي من
اعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله حكيما يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل
يا اهل الكتاب نزلت هذه الاية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود
فيما تقدم من الايات اتبع ذلك بابطال ما يعتقده النصارى واصناف النصارى اربعة
اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا في
عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم
يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة
فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية
فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ويقال ان
الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا في دين النصارى ليضلهم
بذلك وستاتي قصته في سورة التوبة ان شا الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل
الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في
التقصير في امره حتى حطوه من منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة وغلت النصارى
في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا اهل
الكتاب لا تغلوا في دينكم واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في
امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته ولا تقولوا على الله الا الحق
يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوا بالحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا
الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله تعالى من الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام
فقال تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب
غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك وكلمته هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير
اب ولا واسطة القاها الى مريم يعني اوصلها الى مريم وروح منه يعني انه كسائر الارواح التي خلقها
الله وانما اضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة

من الله يعني انه هو تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في جيب درع مريم فحملت
باذن الله وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعض المفسرين ان الله لما خلق ارواح
البشر جعلها في صلب ادم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله ان يخلقه
ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح
والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان
ذلك النفخ كان بامره واذنه وقيل ادخل النكرة في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح
واي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافه للتشريف الروح الى
نفسه لاجل التشريف والتكريم ق عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل وقوله تعالى
فآمنوا بالله ورسله يعني فصدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله
فيما جاءوكم به ولا تجعلوه الها وهو قوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة يعني ولا تقولوا الالهة ثلاثة
وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم
وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى
وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة
انتهوا خيرا لكم يعني يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه
عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى انما الله اله واحد ثم نزه نفسه عن الولد فقال سبحانه ان
يكون له ولد يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزية وعن صفات
الحدوث له ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده
وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه واذا كانا عبيدين له فكيف يعقل مع هذا
ان يكون له ولد او زوجة تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه عما نسب اليه من
الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
لان التجزية انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله
وكيلا يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه
وفقراء اليه وهو غني عنهم قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران
قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار
على عيسى ان يكون عبد الله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يانف ولم يتعظم والاستنكاف الاستكبار
مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت
الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولم يمتنع ولن يانف المسيح ان يكون عبد الله

ولا الملائكة المقربون يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل
الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة
خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما راوا منه خوارق العادات من احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التي وقعت
للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكة المقربون
فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الاية من يقول
بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من
الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر
بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او انهم الهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح
ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله
فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة
الله ويانف من التذلل له والخضوع بالطاعة من جميع خلقه فسيحشرهم اليه جميعا يعني فيجمعهم
يوم القيمة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم يعني فيوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما اعطاهم
من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر واما الذين استنكفوا واستكبروا يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله يعني من سوى الله لانفسهم وليا يعني يجيرهم من
من عذابه ولا نصيرا يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته تنبيه في الاية سؤال وهو ان
التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين
آمنوا فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد
وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك
جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك بوجهين
احدهما انما حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر
الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه
قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم اذا راوا اجور المطيعين
العاملين لله تعالى قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات
الباهرات التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى
الله عليه وسلم كان كذلك ولان الله تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق وانزلنا

وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشيا بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى فاما الذين امنوا بالله يعني صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب واعتصموا به يعني بالله في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به اي وتمسكوا بالنور وهو القران الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسيدخلهم في رحمة منه يعني فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة وفضل يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويهديهم اليه صراطا مستقيما يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري ق عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فنزلت اية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا انزلت وفي رواية الترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك فجعل لهم الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري عن قتادة ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سال حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك فيها ما لم احدثك يومئذ فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسالونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله هو يخبركم عما سالتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث

فهم

فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد وقوله تعالى ان امرؤ هلك يعني مات سمي الموت هلاكا لانه اعدام في الحقيقة ليس له ولد يعني ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر ويدل على المحذوف ان السوال عن الفتيا انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد وله اخت يعني ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه فلها نصف ما ترك يعني فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقي المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد ابن ثابت وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي عليها فان كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتاخذ الاخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعني ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك اراد اثنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يعني وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر مثل نصيب اثنتين من اخواته الاناث يبين الله لكم ان تضلوا يعني يبين الله لكم هذه الفرايض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها والله بكل شيء عليم يعني من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء ق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال ان اخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان اخر اية نزلت اية الكلالة وفي رواية لمسلم قال اخر اية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان اخر اية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزل بعدها سورة براءة وهي اخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره الله عليها قبل حجة الوداع في رهط يوذنون في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يوذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت اية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها

احدى وثمانين يوما ثم نزلت اية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي
صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما اخر تفسير سورة النسا والله اعلم بمراده واسرار
كتابه بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة المايدة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة
قراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال ايها الناس ان سورة المايدة من اخر القران نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور
القران بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القران يجب ان يحل حلالها وان يحرم
حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتنا بها فهو كقوله تعالى ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك
الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز
الظلم في شي من جميع شهور السنة وانما افرد الاربعة الاشهر الحرم بالذكر لزيادة الاعتنا بها وقيل
انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور
القران قال البغوي روي عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في
غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما
ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة
والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة
ولا حام وقوله تعالى شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود يعني العهود قال جماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي
امر الله تعالى بها فقال ابن جرير هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب
المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو
خطاب للمومنين امرهم بالوفا بالعهود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصر
والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسو وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم
قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا
في الاسلام وقيل بل العقود المذكورة هي التي يتعاقدها الناس فيما بينهم ويتعاقدونها وما
يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقدة النكاح وعقدة العهد وعقدة
البيع وعقدة الشركة زاد بعضهم وعقده الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب
ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها المومنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل
وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى

ابتعه

ابتعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وهذا خطاب للمومنين
خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري
من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو
بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها الحافر في قول جميع اهل
اللغة واختلفوا في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم
والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة
الانعام وحشيها كالظبا وبقر الوحش وحمار الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام
ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم
من البهايم فلهذا قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة
في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب اكثر العلما الى تحليله وهو مذهب الشافعي ويدل عليه
ما روي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي
وابن ماجة وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد
في بطنها الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شيتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن
ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا
اكله قال نعم هو بمنزلة ريتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان
بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام
وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت
شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد
ذكاة الام وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم يعني في القران تحريمه والمراد به قوله تعالى حرمت عليكم
الميتة الى اخر الاية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام غير
محلي الصيد وانتم حرم يعني احللت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظبا والبقر والحمر غير محل
صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه ان الله يحكم ما يريد
يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشا من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشا ان
يفرضه عليهم من احكامه وفرايضه مما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير
الله نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة
ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة
ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتا الزكاة فقال حسن الا ان لي امرا لا اقطع امرا دونهم ولعلي
اسلم واتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل
من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج ابن شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج

بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول
قد لفها الليل بسواق حطم، ليس براعي ابل ولا غنم، ولا بجزار على ظهر وضم، باتوا نياما وابن هند
لم ينم، بات يقاسيها غلام كالزلم، خدلج الساقين ممسوح القدم، فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام
القابل خرج شريح حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فقال
المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله قال ابن عباس هي المناسك وكان المشركون يحجون
ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعاير الهدايا المشعرة
واشعارها ان تطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة بانها
هدي وهو سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عايشة قالت فتلت قلايد
بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم الله شي كان له
حلالا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة
ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب
راحلته فلما استوت به على البيدا اهل بالحج وعند ابي حنيفة لا يجوز اشعار الهدي بل قال
يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الاية لا تحلوا شعاير الله هي ان تصيد وانت محرم وقيل شعاير
الله شرايع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيا من فرايضه التي فرضت عليكم واجتناب
نواهيه التي نهى عنها ولا الشهر الحرام اي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي
كانت العرب تعظمه وتحرم القتال في الجاهلية فلما جا الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده
والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعده وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر
الحرام النسي قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول الا اني قد احللت كذا وحرمت
كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسياتي تفسير النسي في سورة براة ولا الهدي ولا القلايد
الهدي ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلايد
جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلايد قال الشاعر
حلفت برب مكة والمصلى، واعناق الهدي مقلدات، فعلى هذا القول انما عطف القلايد على الهدي
مبالغة في التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداه والمعنى ولا تستحلوا الهدي وخصوصا
المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلايد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج
من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحا شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك فلا يتعرض لهم احد فنهى الله
المومنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شي من شجر الحرم ولا امين البيت الحرام يعني
ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها يبتغون يعني يطلبون

فضلا

فضلا من ربهم يعني الرزق والارباح في التجارة ورضوانا يعني ويطلبون رضى الله عنهم بزعمهم لان
الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن انه بفعله ذلك طالبا للرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه
وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد ان يحصل
لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في
حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم فيها وقيل ابتغاء الفضل هو للمومنين والمشركين عامة وابتغاء
الرضوان للمومنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا فصل اختلف علما الناسخ والمنسوخ
في هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة الى هاهنا لان قوله لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر
الحرام يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام في الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقوله تعالى ولا امين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك
منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن بالهدي
والقلايد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ
من سورة المايدة الا هذه الاية وقيل المنسوخ منها قوله ولا امين البيت الحرام نسختها اية براة
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال
ابن عباس كان المومنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المومنين ان يمنعوا احدا ان
يحج البيت او يتعرضوا له من مومن او كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال اخرون لم ينسخ من ذلك سوى القلايد التي كانت الجاهلية
يتقلدونها من لحا شجر الحرم قاله الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة
وان هذه الاية محكمة قالوا ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من اهل شريعتنا في الشهر
الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدي
من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلايد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا
غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلما من نسخ هذه الاية لاجماع العلما على ان الله عز وجل قد احل
قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه
جميع لحا الشجر لم يكن ذلك امانا له من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة او امان وكذلك اجمعوا
على منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم وقوله تعالى واذا حللتم يعني من احرامكم فاصطادوا هذا امر
اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم واباحه له
اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس بواجب على المحرم
اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض معناه انه
قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة ولا يجرمنكم قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم

ولا يجرمنكم شنان قوم يعني بغض قوم وعداوتهم ان صدوكم يعني لان صدوكم عن المسجد الحرام والمعنى
لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتدا لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة
قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم ان تعتدوا يعني بالقتل واخذ المال وتعاونوا على البر والتقوى
يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس متابعة السنة ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل
الاثم المعاصي والعدوان البدعة عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر
والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس واتقوا الله
اي واحذروا الله ان تعتدوا ما امركم به او تجاوزوا الى ما نهاكم عنه ان الله شديد العقاب
يعني لمن خالف امره ففيه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير لما بين الله تعالى في اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم
بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى منه
بقوله حرمت عليكم الميتة فكان ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب
تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقي في
العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم فهو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية
تجعل الدم في المصارين وتشويه وتاكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير واراد به جميع اجزائه
واعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة
احكام هذه الثلاثة اشيا واما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد
والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلما في ذلك وقوله تعالى وما اهل لغير الله
به يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسما اصنامهم
عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الاية وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والمنخنقة
قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك
والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب
احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق والموقوذة يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في
الجاهلية يضربون الشاة بالعصي حتى تموت وياكلوها فحرم الله ذلك والمتردية يعني التي تتردى
من مكان عال فتموت او في بير فتموت والتردي هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية
تلحق بالميتة فيحرم اكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل
او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي او بالسهم والنطيحة يعني التي
نطحتها شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تاكل ذلك فحرمه الله تعالى لانها في حكم الميتة
فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت لانها

صفات

صفات لموصوف مونث وهي الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية
وخصت الشاة لانها من اعم ما ياكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق
به غيره فان قلت لم اثبتت الهاء في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى
النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة نقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف
مخضوبة وعين مكحولة قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف
متقدم عليها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رايت قتيلة بني
فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم تعرف ارجل هو ام امراة فعلى هذا انما دخلت الهاء في النطيحة
لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تاتي فعيلة بالهاء وهي في
تاويل مفعول بها تخرج مخرج الاسما ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة
والفريسة واكيلة السبع ومررت بقتيلة بني فلان وقوله تعالى وما اكل السبع قال قتادة كان
اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله او اكل منه اكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع
اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذيب
والنمر والفهد ونحوه وفي الاية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع قد نفد
فلا حكم له انما الحكم للباقي منه الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة
من هذه الاشيا المذكورة والظاهر ان هذا الاستثنا يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الاية
من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة
وقال ابن عباس يقول الله تعالى الا ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبح فهو حلال وقال الكلبي
هذا الاستثنا مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم
من المفسرين اذا ادركت ذكاته بان يوجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جائز قال ابن عباس اذا
طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع
اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا يويس معه الحياة فلا ذكاة لذلك وان كان به حركة
ورمق لانه قد صار الى حالة لا يوثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختيار الزجاج وابن الانباري
لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح
لوجود الحياة فيه وقبل ذلك فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشي فالمراد من التذكية
تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روي عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر وساحدثكم عن ذلك اما السن
فعظم واما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين واقل الذبح في الحيوان المقدور عليه
قطع المري والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس
والمري مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما الة الذبح فكل ما انهر الدم وفري

الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله
تعالى وما ذبح على النصب يعني وحرمت ما ذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب
وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشيء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثماية وستون حجرا
منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام
انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم
النصب او لاجل النصب فهو حرام وان تستقسموا بالازلام يعني وحرم عليكم الاستقسام
بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت ازلامهم سبعة قداح مستوية
مكتوب على واحد منها امرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى
واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اي ليس عليه شيء وكانت العرب في الجاهلية اذا
ارادوا سفرا وتجارة او نكاحا او اختلفوا في نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور
العظام جاوا الى هبل وكان اعظم صنم لقريش بمكة وجاوا بماية درهم واعطوها صاحب القداح
حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه واذا جالوا على
نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان
على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل
اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام
كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد
وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط
وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصا والجبت كل ما عبد من دون الله وقيل الجبت الكاهن
وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم
بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيمة وقوله تعالى ذلكم فسق
يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الاية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فان تفعلوا فسق والفسق
ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عايدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح اليوم يئس
الذين كفروا من دينكم يعني يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا
يطمعون في ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام
وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الاية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد
يوما بعينه وانما المعنى الان يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما يقول اليوم قد كبرت تريد الان قد
كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا لم يرد يوما بعينه يعني وهو الان يجفونا ولم يقصد

اليوم

اليوم قال الشاعر: فيوم علينا ويوم لنا، ويوم نسا ويوم نسر. اراد فزمان علينا وزمان لنا
ولم يقصد ليوم واحد معين فلا تخشوهم يعني فلا تخافوا الكفار ايها المؤمنون ان يظهروا على
دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم واخشون اي وخافوا مخالفة امري واخلصوا الخشية
لي قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم نزلت هذه الاية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة
والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت
لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة ق عن طارق بن شهاب قال جاء رجل
من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤونها علينا نزلت معشر
اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فاي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا وعن
ابن عباس انه قرا اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده
يهودي فقال لو انزلت هذه الاية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم
عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان
في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس
ولم تجتمع اعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى
عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما
اذ كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاش بعدها احدى وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول
وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم يعني بالفرايض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه
الاية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرايض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة
معنى اكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
وقيل معناه اني اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل
اكمال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال
الدين لهذه الامة انهم امنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري
اليوم اكملت شرايع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله عز وجل كان يتعبد
خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت
الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القايل عندي عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرايع
التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد

بها فكمل الله عز وجل الشرايع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان
ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال انه اختار ان الدين ما كان ناقصا
البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرايع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما
في اول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا يصالح فيه لا جرم كان ينسخ بعد
الثبوت وكان يزيد بعد النحيم واما في اخر زمان البعثة فانزل شريعة كاملة وحكم ببقايها الى يوم
القيمة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة
فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى واتممت عليكم نعمتي يعني باكمال الدين
والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز
لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمينين
لم يخالطهم احد من المشركين ورضيت لكم الاسلام دينا يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين
الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرايض
والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي اكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم
نزلت هذه الاية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الاية
لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المومنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى
مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرايع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم
هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال فالزموه اليوم
عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخا وحسن الخلق
فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لاهل كل دين دينهم يوم
القيمة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم بالخير حتى يجي الاسلام فيقول يا رب انت السلام
وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزي وقوله تعالى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف
لاثم هذه الاية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان هذه
المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا
اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تاكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه
الخبايث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الاية
فمن اضطر اي اجهد واصيب بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى
في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذا عند الجوع غير متجانف لاثم
يعني غير مايل الى اثم او منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة او الى غيرها في المجاعة فليأكل
غير متجانف لاثم وهو ان ياكل فوق الشبع وهو قول فقها العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في

مقصد

مقصد وهو قول فقها الحجاز فان الله غفور رحيم يعني لمن اكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار
قوله تعالى يسلونك ماذا احل لهم روى الطبري بسنده عن ابي رافع قال جا جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم يستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل
بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امراة عندها
كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني
بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل
لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يسلونك
ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن
ابي خيثمة وعويم بن ساعدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت
يسلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي
واخرج حديث ابي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اقتنا الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب
حرث وماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا
ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية
في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطاييين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا فنزلت
هذه الاية قال البغوي وهذا القول اصح في سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى
يسالونك يعني يسالك اصحابك يا محمد ما الذي احل لهم اكله من المطاعم والماكل كانهم لما تلا
عليهم من خبايث الماكل ما تلا سالوه عما احل لهم قل احل لكم الطيبات يعني قل لهم يا محمد احل لكم
الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه
من غير ان يرد بتحريمه نص من كتاب وسنة واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ باهل
المروة والاخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم من يستطيبون اكل جميع الحيوانات
فلا عبرة بهم ولقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث فان الخبيث غير مستطاب
فصارت هذه الاية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى وما علمتم من الجوارح
مكلبين يعني واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة
الباقي عليه ولانهم سالوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح على ابتدا الكلام
خبره فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع

جارحة وهي الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب وكالبازي والصقر والعقاب
والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد
عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح
اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد وقيل هو
مودب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانها اكثر احتياجا الى
التعليم من غيرها من الجوارح تعلمونهن يعني تعلمون الجوارح الاصطياد مما علمكم الله
يعني من العلم الذي علمكم الله ففي هذه الاية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن
معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور
منها انه اذا ارسلت على الصيد استرسلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت
ولم تاكل منه شيا ومنها ان لا تنفر منه اذا اراد ان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع
الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتيلها اذا
جرحت بارسال صاحبها ق عن عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا
قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما امسك
عليك الا ان ياكل الكلب فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا
لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تاكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي
رواية فانك لا تدري ايها قتل وسالته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت بحده فكل واذا
اصابته بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين
ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع في الما فلا تاكل واختلف العلما فيما اذا اخذت الكلاب
الصيد واكلت منه شيا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه يروى ذلك عن ابن عباس وهو
قول عطا وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب الراي وهو اصح قولي الشافعي
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم في
اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك لما روى
عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب اذا ارسلت كلبك د
وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اخرجه ابو داود واما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت
صيدا او المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه حيا
فيذبحه فيحل ق عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل كتاب افناكل
في انيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال
اما ما ذكرت من انية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها

وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت
اسم الله فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى فكلوا مما امسكن
عليكم دخلت من في قوله مما للتبعيض لانه انما احل اكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث
والدم وقيل من زايدة فهو كقوله كلوا من ثمره اذا اثمر واذكروا اسم الله عليه قال يعني اذا ارسلت
جارحتك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا ارسلت كلبك
وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عايدا الى ما علمتم من الجوارح اي سموا
الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عايد الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم
ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عايدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا
تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسياتي بيان هذه المسلة
في سورة الانعام عند قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه واتقوا الله يعني واحذروا مخالفة
الله فيما احل لكم وحرم عليكم واعلموا ان الله سريع الحساب يعني اذا حاسب عباده يوم القيمة
ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل ما نهاه عنه قوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات انما كرر
احلال الطيبات للتاكيد كانه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سالتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم
اليوم الذي انزلت فيه هذه الاية او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يبس الذين كفروا من
دينكم او اليوم اكملت لكم دينكم فيكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد
باليوم يوم معين وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الاية المتقدمة وقوله تعالى
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يعني وذبايح اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن دخل في
دينهم من ساير الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم وهم من تنصر من العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن ابي طالب
قال لا تاكلوا من ذبايح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشي من النصرانية الا بشرب الخمر
وبه قال ابن مسعود وهو مذهب الشافعي انه من دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول القران فانه
لا تحل ذبيحته وسيل ابن عباس عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس به ثم قرا ومن يتولهم
منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطا ابن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري
والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى
مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبايح المجوس وساير اهل الشرك من مشركي العرب
وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم
خاصة لان ما سوى الذبايح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا
يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فايدة ولانه ما قبل هذه الاية في بيان حكم الصيد والذبايح

فحمل هذه الاية عليها اولى ولان ساير الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي او غيره انما تختلف
الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبايحهم واختلف العلما فيما
لو ذبح يهودي او نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر
اهل العلم الى انه يحل سيل الشعبي وعطا عن النصراني يذبح باسم المسيح فقالا يحل فان الله
قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي والنصراني وذكر غير اسم الله
وانت تسمع فلا تاكل واذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الاية اقتضت
اباحة ذبايح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا
تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح
فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم ناكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى وطعامكم
حل لهم يعني ان ذبايحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل
لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمومنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم
لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبايحنا وقيل ان الفايدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة
غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبايح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر الله ذلك تنبيها على
التمييز بين النوعين ثم قال تعالى والمحصنات من المومنات قال مجاهد هن الحراير فعلى هذا القول لا تحل
الامة المومنة في هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة
وقال ابن عباس المحصنات العفايف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا
التحليل واباح العلما نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا اراد
ان يزوج اخته فقالت اني اخشى ان افضحك اني قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له منها فقال
اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحراير والعفايف
ليحث المومنين على تخيير النسا ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم يعني واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن
عباس يعني الحراير من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد به العفايف من اهل
الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي لان الامة اجتمع
في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية
وهو مذهب ابي حنيفة لعموم هذه الاية واختلف العلما في حكم هذه المسالة فذهب
جمهور الفقها الى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى روي ان عثمان بن عفان تزوج
نايلة بنت الفرافصة على نسايه وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي
عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وكان يقول لا اعلم
شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن بانه عام

خص بهذه الاية فاباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل
الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحربيات من اهل الكتاب
لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلما بان
ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل الكتاب قال ابن عباس من نسا اهل الكتاب
من يحل لنا ومنهن من لا يحل لنا وقرا قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن
يد وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب وقوله اذا اتيتموهن
اجورهن يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمراة محصنين غير مسافحين يعني
متعففين بالتزوج غير زانين ولا متخذي اخدان يعني ولا منفردين ببغية واحدة قد
خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على
جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصدايق وهو الاخدان واحله على جهة الاحصان
وهو التزوج بعقد صحيح ومن يكفر بالايمان يعني ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وما جا به من عند الله فقد حبط عمله يعني فقد بطل ثواب عمله
الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والاخرة وقيل في معنى الاية ومن يكفر
بشرايع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين
قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نسا اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل لما اباح الله نكاح
الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضي اعمالنا لم يبح للمومنين تزويجنا فانزل الله
هذه الاية والمعنى ان تزوج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل
الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبايحهم ونكاح نسايهم الا ان ذلك غير
حاصل لهم في الاخرة لان كل من كفر بالله او جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله
وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد شيا مما
انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم وهو في الاخرة من الخاسرين اذا مات على ذلك
وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وامن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى
فاذا قرات القران فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القران فاستعذ بالله ومثله من الكلام
اذا اتجرت فاتجر في البز اي اذا اردت التجارة وعلى هذا القول يقتضي وجوب الوضو عند كل
صلاة وهو ظاهر الاية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم
الى انه يجزي عدة صلوات بوضوء واحد واجيب عن ظاهر الاية بان المعنى اذا قمتم الى
الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القران

وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا
احدث حتى يتوضا اخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة من
النوم وقيل هو امر ندب ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر
ويدل عليه ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب له عشر
حسنات اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء
عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلا فقدم اليه طعام فقالوا الا ناتيك بوضوء فقال
انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار في معنى
الاية وفروض الوضوء المذكورة في هذه الاية اربعة الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى
فاغسلوا وجوهكم واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الاية
وحجته ان الوضوء مامور به وكل مامور به يجب ان يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث
عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء
من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مامور به وانه من اعمال الدين لقوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت
النية الخالصة معتبرة كان اصل النية في جميع الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا
واستدل ابو حنيفة لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الاية قال ان النية ليست
شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الاية ولم
يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القران
بخبر الواحد وبالقياس غير جائز واجيب عنه بانا انما اوجبنا النية في الوضوء بدلالة
القران وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما حد الوجه فمن
منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه ماخوذ من
المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين
واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما اللحية
فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية
الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما
وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس
في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه والقول الثاني يجب امرار الماء على
ظاهره لان الوجه ماخوذ من المواجهة فيدخل جميع اللحية في حكم الوجه الفرض الثاني

قوله تعالى

قوله تعالى وايديكم الى المرافق يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان
اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل
ونقل عن مالك والشعبي وزفر وابي بكر بن داود الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل
واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سيل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق فقال الذي امر به ان يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة اصحاب
هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى
ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين
في الوضوء وحجة الجمهور ان حرف الى هاهنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم اي مع اموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه توضا فغسل وجهه
فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد
ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا والجواب عن الحجة المتقدمة ان
الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الاية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من
جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس
الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم اختلف العلماء في القدر الذي
يجب مسحه من الراس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية
الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربعه وفي رواية اخرى عنه انه
يجب مسح قدر ثلاث اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد
الصاق المسح بالراس وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالراس فاخذ
مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب واخذ الشافعي باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه
اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله
عليه وسلم توضا فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الراس
الفرض الرابع قوله تعالى وارجلكم الى الكعبين اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح
او الغسل فروي عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة ايضا وروي
عن انس انه قال نزل القران بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل انما نزل
فيهما المسح وعن الشعبي انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى انه ما كان عليه الغسل جعل عليه
التيمم وما كان عليه المسح اهمل وهو مذهب الامامية من الشيعة ان الواجب في الرجلين المسح وقال
جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والايمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو
الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري
المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء في هذا الحرف فقرا نافع

وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر
الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم وارجلكم الى الكعبين وامسحوا
برؤسكم قال اصحاب هذه القراة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه
ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فمن بعدهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراة النصب فالمعنى فيها ظاهر
لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف
واما قراة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي
الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف
الغسل تقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضات لها وهات ما امسح به للصلاة بمعنى
اتوضا قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي لا يرضى بصب الما على اعضايه حتى يمسحها مع الغسل
فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الراس والرجل ممسوحان الا ان مسح الراس
اخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين
لان التحديد انما جا في المغسول ولم يجي في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم
الغسل وقال جماعة من العلما ان الارجل معطوفة على الروس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه
قد ينسق بالشي على غيره والحكم فيها مختلف كما قال الشاعر ياليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا
ورمحا والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الاخر علفتها تبنا وما باردا
يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الاية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر
الغسل وعطف الارجل على الروس في الظاهر اكتفا بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من
مفهوم الاية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضو واما من جعل كسر اللام
في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت
للجحر لا للضب وانما اخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل
لاجل الضرورة في الشعر او يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب
بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب
وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق
والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلما في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان
هم العظمان الناشزان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلما من اهل الفقه واللغة
وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقالوا الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم
ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعبا واحدا فكان
ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما في قوله وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل

كعبين

كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور فصل قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه
الاية اربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الراس وغسل الرجلين الى الكعبين
وتقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على وجوب النية في الوضو فصارت فرضا خامسا
وذهب الشافعي ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضو وهو ان يغسل الاعضا في الوضو
على الولا كما ذكر الله تعالى في هذه الاية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح راسه ثم
يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضو غير
واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الاية وذلك ان الله امر بغسل الوجه ثم بغسل
اليدين ثم بمسح الراس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله ولقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث حجة الوداع ابدوا بما بدا الله وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا
والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضو
ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضا منكسا او غير
مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضو كما امر الله ونص عليه في هذه الاية واجب واحتج ابو حنيفة
لمذهبه بهذه الاية ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار
ذلك زيادة على النص وذلك غير جايز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه توضا الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يوخذ من السنة فصل في ذكر الاحاديث التي
وردت في صفة الوضو وفضله ق عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه
ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الانا فمضمض واستنشر ثم غسل رجليه ثلاث مرار الى الكعبين
ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا نحو وضوي هذا ثم قال من توضا نحو وضوي هذا
ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم
الانصاري قيل له توضا لنا وضو رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفا منه على يديه ثلاثا
ثم ادخل يديه فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده
فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى
المرفقين فمسح براسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء
رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدا بمقدم راسه ثم
ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدا منه عن عبد خير قال اتانا علي كرم الله
وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء فيه
ما وطست فافرغ من الانا على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض
ونثر من كف فاخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل
يده في الانا فمسح راسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان

يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بما في انا فغسل كفيه
ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح براسه فادخل اصبعيه
السباحتين في اذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا
الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد اسا وظلم او قال ظلم واسا اخرجه ابو داود وعن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح براسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذي وصححه
ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبيه فقال ويل للاعقاب من النار
م عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضا فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن وضوءك قال فرجع فتوضا ثم صلى اخرجه مسلم عن خالد عن
بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم
لم يصبها الما فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة اخرجه ابو داود ق عن عبد
الله بن عمرو بن العاص تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقنا
الصلاة ونحن نتوضا فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او
ثلاثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرة مرة اخرجه البخاري عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرتين مرتين اخرجه ابو داود والترمذي وقال وقد روي عن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا م عن عقبة بن عامر قال كانت علينا
رعاية الابل فجاءت نوبتي ارعاها فروحتها بعشي فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما
يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين
يقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قايل بين يدي
يقول التي قبلها اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اني قد رايتك جيت انفا قال ما منكم
من احد يتوضا فيبلغ الوضوا او يسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شا م عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد المسلم او المومن فغسل وجهه
خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الما او مع اخر قطر الما فاذا غسل رجليه
خرجت كل خطيئة بطشتها يداه مع الما او مع اخر قطر الما حتى يخرج نقيا من الذنوب ق
عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدعون يوم القيامة
غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رايت ابا
هريرة يتوضا فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم غسل
يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق ثم غسل

رجله اليسرى حتى اشرع في الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا وقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع
منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ
الحلية من المومن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على
طهر كتب له به عشر حسنات اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجه ابو داود وابن ماجة وقوله تعالى
وان كنتم جنبا فاطهروا اي اغتسلوا امرهم بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمراة
باحد شيئين اما بخروج المني على اي صفة كان من احتلام او غيره او بالتقا الختانين وان لم
يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل ق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
اغتسل من الجنابة بدا بغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضا كما
يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه في الما فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث
غرفات بيديه ثم يفيض الما على سائر جسده اما قوله وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم
من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه فقد تقدم تفسيره واحكامه في تفسير سورة النسا وفي قوله تعالى منه دليل على انه
يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج يعني من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الما ولكن يريد
ليطهركم يعني من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب وليتم نعمته
عليكم يعني ببيان الشرايع والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم لعلكم تشكرون يعني تشكرون
نعمته عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها توجب
مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم والانقياد لامره وهو الله تعالى وميثاقه
الذي واثقكم به يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به ايها المومنون اذ قلتم سمعنا واطعنا
وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وقيل
الميثاق هو الذي اخذه عليهم في يوم الست بربكم قالوا بلى واتقوا الله يعني فيما اخذه عليكم
من الميثاق فلا تنقضوه ان الله عليم بذات الصدور يعني انه تعالى عالم بما في قلوب عباده من
خير او شر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله قال ابن عباس يريد الهم
يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل
بطاعته واجتناب نواهيه شهدا بالقسط يعني ويشهدون بالعدل يقول لا تحاب في
شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك اهل بغضك واعدايك بل اقم شهادتك لهم

وعليهم بالصدق والعدل ولا يجرمنكم شنآن قوم ولا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا على ترك
العدل فيهم لعداوتهم اعدلوا أمر الله بالعدل في كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو هو
أقرب للتقوى أي العدل أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون يعني أنه تعالى خبير
بجميع أعمالكم مطلع عليها ومجازيكم عليها لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يعني عملوا بما أمرهم الله به وأوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها لهم مغفرة وأجر عظيم هذا بيان
للوعد كأنه لما قدم ذكر الوعد فقيل أي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم وإذا وعدهم
أنجز لهم الوعد فإنه تعالى لا يخلف الميعاد والذين كفروا وكذبوا بآياتنا يعني والذين جحدوا وحدانية
الله تعالى ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده أولئك يعني من هذه
صفته أصحاب الجحيم هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس إلا للكافر لأن المصاحبة
تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم الله بها
عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى إذ هم قوم أن يبسطوا
إليكم أيديهم يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم ثم اختلف
أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي أمر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم بذكرها والشكر عليها وقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ببطن نخل حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه
إذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل صلاة الخوف وقال
الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل
محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا أنك فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي
صلى الله عليه وسلم متقلد بسيفه فقال يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف
وينظر إليه مرة وإلى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة
والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة
في ثلاثين راكبا من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل
على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب
ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم إلا والطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها
علق الدم فقال أحد الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين
فلما خالطته الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه وقال الله أكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه
فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا إلى بني عامر

فقتلاهما

فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على
كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه
وسلم على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات وقيل إنه أراد أن يقترض منهم دية الرجلين
فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك
ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعض
اليهود ببعض وقالوا إنكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت
فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش أنا فجاء إلى رحا عظيمة ليطرحها
على النبي صلى الله عليه وسلم فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة وقال وخرج معه علي بن أبي طالب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج إليك أصحابي فمن خرج إليك
منهم وسألك عني فقل توجه إلى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا إليه ثم تبعوه إلى المدينة
وأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن
يبسطوا إليكم أيديهم يقال بسط يده إليه إذا بطش به وهو إذا مدها إلى المبطوش به
ليقتله فكف أيديهم عنكم يعني أنه تعالى منعهم مما أرادوه بكم واتقوا الله يعني فيما أمركم به
ونهاكم عنه وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمر الله المؤمنين بالتوكل عليه لأنه هو الكافي عباده
جميع أمورهم فإذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن أرادهم بسوء كما كف أيدي
اليهود عنهم لما أرادوا أن يفتكوا بهم وهذه القصة أولى بالصواب لأنه عقب الآية بذم
اليهود وذكر قبيح أفعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل
لما ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوا به من كيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه أتبعه بذكر أسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى
الآية أن الله أخذ ميثاقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأن يعملوا بما في التوراة من
الأحكام والتكاليف وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن
عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الأمين الكفيل وقيل
هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم ذكر القصة في ذلك قال أصحاب الأخبار
والسير إن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وكان
يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى أن يسير ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة
فإني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصركم عليهم
وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا

فاختار موسى النقبا وسار ببني اسرايل حتى قربوا من اريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هولا النقبا
يتجسسون الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق وعناق هي امه
وهي احدى بنات ادم عليه السلام وكان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلا ثماية وثلاثة وثلاثون
ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان ادم عليه السلام كان طوله على ما ورد في
الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان يحتجز بالسحاب ويشرب من مايه ويتناول الحوت
من قعر البحر ويشويه في عين الشمس ويروى ان الما طبق ما على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي
عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك في سفينتك فقال نوح اخرج عني يا عدو الله
فاني لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة الاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسى عليه السلام
وذلك انه قد صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على راسه
ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته
واقبل موسى عليه وهو مصروع فقتله قال فلما لقي عوج النقبا فاخذهم وجعلهم في حجره
وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امراته وقال لها انظري الى هولا الذين يريدون
قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم
بما راوا وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى
قومكم فاخبروهم بما رايتم وكان لا يحمل عنقود من العنب الا خمسة انفس منهم بينهم
في خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس فرجع النقبا وقال بعضهم
لبعض يا قوم انكم اذا اخبرتم بني اسرايل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يتبعونه
ولكن اكتموا عن بني اسرايل خبر القوم واخبروا موسى وهارون عما رايتم فيريان رايهما فاخذ
بعض النقبا على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرايل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل
رجل منهم سبطه بما راى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما وفيا
بالعهد ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثني
عشر نقيبا وقال الله اني معكم فيه حذف تقديره وقال للنقبا اني معكم يعني بالنصر والمعونة
وقيل هو خطاب لعامة بني اسرايل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان
عوده الى النقبا اولى ثم ابتدا الكلام فقال مخاطبا لبني اسرايل لين اقمتم الصلاة وهذه
جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة امور وهي قوله تعالى لين اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة
وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا وجزا الشرط قوله تعالى لاكفرن عنكم
سياتكم فذلك اشارة الى ازالة العقاب وقوله تعالى ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الاية لين اقمتم الصلاة المكتوبة واتيتم الزكاة المفروضة وامنتم
برسلي يعني بجميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتا

الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان
بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم واصل التعزير في اللغة الرد فمعنى عزرتموهم
نصرتموهم بان تردوا اعداهم عنهم وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم
الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فايدة في تفسير
هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا
لان مصدر اقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك
ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله
تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله تعالى لاكفرن عنكم سياتكم
يعني اذا فعلتم ما امرتكم به لامحون عنكم سياتكم ولاغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري
من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم يعني بعد اخذ العهد والميثاق فقد ضل سوا السبيل يعني
فقد اخطا الطريق المستقيمة وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه قوله تعالى
فبما نقضهم ميثاقهم اي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرايل نقضوا ميثاق الله وعهده بان
كذبوا الرسل الذين جاوا من بعد موسى وقتلوا انبيا الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرايضه
لعناهم يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد
عن الرحمة وجعلنا قلوبهم قاسية يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين
والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق
يحرفون الكلم عن مواضعه يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسو التاويل
ونسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وبيان نعته وصفته ولا تزال تطلع على خاينة منهم قال ابن عباس يعني على معصية
منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت الا قليلا منهم يعني انهم لم يحرفوا ولم
ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف عنهم واصفح
اي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم وعن مواخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح
عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية التي
في سورة براة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
على ذلك وانزل هذه الاية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها ثم لم ينصبوا
حربا ولم يمتنعوا من ادا الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الاية

فاعف عن مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغاير زلاتهم ما داموا باقين على العهد ان الله يحب المحسنين يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن وان الله يحب المحسنين قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم لما ذكر الله نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض الميثاق وانما قال تعالى من الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني فتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فاغرينا يعني فالصقنا واوقعنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرايضه وعطلوا حدوده القى العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء الاهوا المختلفة وفي الها والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضا حاصلة بينهم الى يوم القيمة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى وسوف ينبيهم الله بما كانوا يصنعون يعني انه تعالى يخبرهم يوم القيامة باعمالهم التي عملوها في الدنيا ففيه وعيد والتهديد لهم قوله تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا اية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له ويعفو عن كثير يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يواخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفايدة في ذكر ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجز له ايضا فيكون داعيا لهم الى الايمان به قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام وكتاب مبين يعني القران يهدي به الله يعني يهدي الله بالكتاب من اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه سبل السلام قال ابن عباس يريدون الاسلام لانه دين الله وهو السلام وسبله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من الظلمات الى النور يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه يعني بتوفيقه وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال ابن عباس هولاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون في المسيح انه الله تعالى الله

عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى قل يعني يا محمد لهولاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك يعني يقدر ان يدفع من الله شيئا يعني من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه يعني يعدم المسيح وامه ومن في الارض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما تقولون لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرها ولله ملك السموات والارض وما بينهما انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه اراد وما بين هذين النوعين والصنفين من الاشيا فانها ملكه واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده يخلق ما يشاء يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق ادم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق ساير الخلق من اب وام والله على كل شي قدير يعني انه تعالى لا يعجزه شي اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباوه قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن اضا وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابناء الله واحباوه كقول النصارى فانزل الله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباوه الاية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى بني اسرايل ان ولدك بكري من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرايل فاخرجهم فذلك قوله لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فرقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من حنته وعطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله صلى الله عليه وسلم واما النصارى فانهم تاولوا قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السما تقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تاويلها انه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب سلافهم الافاضل حتى انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان قالوا هذه المقالة نحن ابناء الله واحباوه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم معناه ان كان الامر على ما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه في النار

بل انتم بشر ممن خلق يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كساير بني ادم مجزيون
بالاساة والاحسان وقوله تعالى يغفر لمن يشا يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية
ويعذب من يشا يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشا فيغفر له
ويميت من يشا على كفره فيعذبه ولله ملك السموات والارض وما بينهما يعني انه تعالى
يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشا والتعذيب
لمن يشا وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون
له شبيه من خلقه او شريك في ملكه واليه المصير يعني والى الله مرجع العباد في الاخرة
فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل
قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود
اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه
لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا هذا لكم وما انزل الله من كتاب
بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الاية يا اهل الكتاب قد جاكم
رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرايع على فترة من الرسل
قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلما في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان
قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة اخرجه البخاري وقال قتادة
كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة وما شا الله من ذلك وعنه
انها خمسماية سنة وستون سنة وقال ابن السايب خمسماية سنة واربعون سنة
وقال الضحاك اربعماية وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة
من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى ومولد محمد صلى الله عليه وسلم
خمسماية سنة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بعد عيسى اربعة من الرسل فذلك
قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا ادري من هو فكان
تلك السنين ماية واربع وثلاثون سنة نبوة وسايرها فترة قال ابو سليمان الدمشقي والرابع
والله اعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه قال الامام
فخر الدين الرازي والفايدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي ان التحريف
والتغيير كان قد تطرق الى الشرايع المتقدمة لتقادم عهدها وطول ازمانها وسبب ذلك
اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات
لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله عز
وجل في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم ازالة لهذا العذر فذلك قوله عز وجل ان تقولوا ما جانا
من بشير ولا نذير يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير في

هذا الوقت فقد جاكم بشير ونذير يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر
والله على كل شي قدير يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل واذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا
ايادي الله عندكم وايامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري وهذا تعريف من الله لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم قديم تمادي هولا اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسو اختيارهم لانفسهم وشدة
مخالفتهم لانبيايهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه والايه لديهم مسليا بذلك نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعاجلتهم في ذات الله عز وجل اذ جعل فيكم انبيا
يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرايل بايام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا
نعمة الله عليكم ان فضلكم بان جعل فيكم انبيا قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى
من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا فان بني اسرايل هم من اولاد يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم
عليهما السلام وهولا لا شك لانهم من اكابر الانبيا واولاد يعقوب وهم الاسباط على قول
الاكثرين وموسى وهارون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده
في بني اسرايل انبيا فانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرايل من الانبيا فكان هذا شرفا
عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم وجعلكم ملوكا يعني وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد
ان كنتم عبيدا في ايدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا
اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان بنو اسرايل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند
وسال رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الستا من فقرا المهاجرين فقال له عبد الله الك امراة
تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنيا قال فان لي خادما قال
فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا
وفيه ما جار فهو ملك واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله
به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الما من الحجر لهم
وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم قوله يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا
للانبيا والمومنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان
فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي الطور وما حوله
وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت
في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها اكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله لكم في

اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها
لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله فانها محرمة
عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم
بشوم تمردهم وعصيانهم الوجه الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص
فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلها
وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم
يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما
مضت الاربعون دخلوها وصارت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى ولا ترتدوا على
ادباركم يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورايكم ولكن امضوا الامر الله الذي امركم
به وان فعلتم خلاف ما امركم الله به فتنقلبوا خاسرين يعني فترجعوا خايبين لانكم رديتم امر الله
قوله عز وجل قالوا يعني قوم موسى ياموسى ان فيها يعني في الارض المقدسة قوما جبارين
يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا اوليك القوم جبارين لشدة بطشهم
وعظم خلقهم وكانوا ذوي اجسام عظيمة واشكال هايلة وهم من العمالقة بقية قوم عاد
واصل الجبار في صفة الانسان فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر
الناس على ما يريد وقيل انه ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي
اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل وانا لن ندخلها يعني
ارض الجبارين التي امرهم الله بدخولها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها حتى يخرج الجبارون من الارض
المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من ارضهم فانا داخلون يعني اليها قال العلما
بالاخبار ان النقبا لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام خبر القوم وما عاينوا منهم
قال لهم موسى عليه السلام لا تخبروا بني اسرايل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقبا
الاثني عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرايل بما رايتم فلما رجعوا
واخبروا موسى امرهم ان لا يخبروا بني اسرايل بذلك فخالفوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل
من النقبا سبطه بما راى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم ذلك بنو
اسرايل وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكا وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله
ارضهم فتكون نساونا واولادنا واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرايل يقول لصاحبه
تعالوا نجعل لنا راسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرايل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر
موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله تعالى
قال رجلان من الذين يخافون يعني يخافون الله ويراقبونه انعم الله عليهما يعني بالهداية والوفا بالعهد
ادخلوا عليهم الباب يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لبني اسرايل ادخلوا على الجبارين

باب

باب مدينتهم فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله وعدكم بالنصر وانه منجز لكم وعده
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم
ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولنكم عظم اجسامهم فانا قد رايناهم فكانت اجسامهم
عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك اراد بنو اسرايل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا امرهما
ثم قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله تعالى قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا يعني قال قوم موسى لموسى انا
لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني مدة حياتنا ما داموا فيها يعني مقيمين فيها فاذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم وكانوا يجوزون
الذهاب والمجي على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلما ان كانوا قالوا هذا على
وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه
نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك يعينك
لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التاويل وقال بعضهم انهم ارادوا بقولهم وربك اخاه هارون
لانه كان اكبر من موسى والاصح انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال لقد شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون
انا صاحبه احب الي مما عدل به انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال
يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون ولكن امض ونحن معك فكانه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل
عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق
وجهه وسر قوله تعالى قال يعني موسى عليه السلام رب اي يا رب اني لا املك الا نفسي واخي يعني
انا لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا املك الا نفسي ونفس اخي لانه كان
يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لا املك الا نفسي واخي وان كان معه في
طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هارون به ولمزيد الاعتنا باخيه ويحتمل ان
يكون معنى واخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال
يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي فافصل وقيل احكم
بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لما راى بني
اسرايل وما فعلوه من مخالفة امرهم الله وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى لذلك ودعا عليهم
فاجاب الله تعالى دعا موسى عليه السلام فقال عز وجل فانها محرمة عليهم يعني فان الارض
المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما
اراد تحريم منع فاوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي
يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية اربعين سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما ابناوهم

الذين لم يتجاوزوا العشرين يدخلونها فعند ذلك قوله تعالى فانها يعني الارض المقدسة محرمة
عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد
فيجوز ان يكون امر الله تعالى امرهم بان يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم
على سوء صنيعهم اربعين سنة فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال
اربعين سنة يتيهون في الارض واما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم
وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم
وقوله تعالى يتيهون في الارض يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا
في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ست فراسخ وقيل ستة فراسخ في اثني عشر
فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة الف مقاتل وكانوا يرحلون
ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذا هم في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه
عقوبة لبني اسرائيل ما خلا موسى وهارون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم
عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع
العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد قلت
هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في ازمان الانبيا غير مستبعد فان الله
على كل شيء قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله حرم
عليهم الخروج من تلك الارض بل امرهم بالمكث اربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء
صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنوا اسرائيل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم
فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشو الناشي منهم فيكون
معه على مقداره وهيئته وسال موسى ربه ان يسقيهم فاتى بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا
نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنا عشر عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم الغمام يظلهم
في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا
ولم يدخل اريحا ممن قال لن ندخلها ابدا واختلفوا في ان موسى مات في التيه ام خرج منه فقيل
ان موسى وهارون ماتا في التيه جميعا قصة وفاة موسى وهارون عليهما السلام فاما
هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله عز وجل الى موسى اني متوف هارون
فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فاذا شجرة لم ير مثلها واذا
بيت مبني وفيه سرير عليه فرش وفيه رائحة طيبة فلما راى هارون ذلك البيت اعجبه
وقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال نعم قال اني اخاف ان ياتي رب هذا
البيت فيغضب علي قال لا تخف انا اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم انت معي
فان جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما اخذ هارون الموت فلما وجد حسه

قال

قال يا موسى خدعتني فلما قبض هارون رفع البيت والسرير الى السماء وهارون عليه وذهبت
الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل وليس هارون معه فقالت بنوا اسرائيل حسد موسى هارون
فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هارون كان اخي افترونني اقتله فلما اكثروا عليه قام
موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هارون فنظروا اليه وهو بين
السما والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه صعد موسى وهارون الى الجبل
فمات هارون وبقي موسى فقالت بنوا اسرائيل لموسى انت قتلته واذوه فامر الله الملائكة فحملوه
حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنوا اسرائيل انه مات وبرا الله موسى
مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم
ابكم واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحاق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الله
الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبا يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه
ويقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله الم اصحبك كذا وكذا سنة
فهل كنت اسالك عن شيء مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتدي به وتذكره لي ولا يذكر له
شيئا فلما راى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد
لا يريد الموت فرد الله اليه عينه فقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت
يده من شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالان فسال الله ان يدنيه من الارض
المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب
الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال
فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النواوي
قال المازري وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى
فقا عين ملك الموت واجاب العلماء عنه باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى
في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما اراد
الثاني ان موسى لم يعلم انه ملك الموت من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه
عنها فادت المدافعة الى فقء عينه لا انه قصدها بالفقء قال الشيخ وهذا جواب الامام ابي بكر
ابن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح
بانه قصد فقء عينه فان قيل كيف اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه
اتاه في المرة الثانية بعلامة علم انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى والله اعلم واما
سؤال موسى الادنا من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من فيها من المدفونين من الانبيا
وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من

مدافن الصالحين قال بعض العلما وانما سال موسى ادنا ولم يسال نفس بيت المقدس لانه خاف
ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض
حاجته فمر برهط من الملايكة يحفرون قبرا لم ير شيا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة
والبهجة فقال لهم يا ملايكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله
بمنزلة ما رايت كاليوم قط فقالت الملايكة يا صفي الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل فاضطجع
فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل نفس فقبض الله
روحه ثم سوت الملايكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض
روحه وكان عمر موسى عليه السلام ماية سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام
وانقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع نبيا الى بني اسرايل فاخبرهم ان الله تعالى
قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرايل الى اريحا وهي مدينة الجبارين
ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان في السابع فنفخوا في
القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين
وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرايل يجتمعون على عنق الرجل
من الجبابرة يضربونها حتى يقطعوها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت
الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس انك في طاعة الله
وانا في طاعة الله وسال الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعدا الله قبل دخول
السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام
فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبني اسرايل
وفرق عماله نواحيها وجمع الغنايم فجات النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني
من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاوا براس ثور من ذهب
مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان معه فجات النار فاكلت الرجل
والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن ابي هريرة قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبيا فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امراة وهو يريد ان
يبني بها ولما يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو
ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مامورة وانا مامور
اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنايم فجات يعني النار لتاكلها فلم تطعمها فقال
ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال ان فيكم الغلول فجاوا براس
مثل راس بقرة من الذهب فوضعها فجات النار فاكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنايم لاحد قبلنا
ثم احل الله لنا الغنايم لما راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا اخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث

قوله

قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امراة البضع بضم البا كناية عن فرج المراة ولما يبني بها اي لم
يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها
علينا قال الشيخ محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت
الى ورايها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطو حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال
ان الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضي وقد روي ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
حبست له الشمس مرتين احدهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس
فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة
ليلة الاسرا حين انتظر العير حين اخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في
زيادته على سيرة ابن اسحاق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل افرايم
وكان عمره ماية سنة وستة وعشرين سنة وكان تدبيره امر بني اسرايل بعد موسى
سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذي فتح اريحا هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون
على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بني اسرايل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى
واقام فيها ما شا الله ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق
العلما اي علما الاولين بالاخبار ان موسى عليه السلام هو قتل عوج بن عناق وهذا القول هو
اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم قال رب اني لا املك
الا نفسي واخي فقال الله عز وجل انها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب
عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى
فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى
في السما عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج
فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لم يجزع بنو اسرايل لانه
كان من اعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان سرير عوج ثمانماية ذراع وقالوا ان اهل العلم
باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان ممن اعان الجبارين بالدعا على موسى لانه كان يعلم
اسم الله الاعظم فدعا عليه موسى وسترد قصته في سورة الاعراف ان شا الله تعالى وقوله تعالى
فلا تاس على القوم الفاسقين يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل انه لما ندم موسى
على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تاس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجايز ان يكون خطابا
لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم المعاصي ومخالفة الرسل قوله عز وجل
واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني ادم وهما هابيل وقابيل في
قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني ادم الذين قربا القربان ما كانا ابني ادم لصلبه
وانما كانا رجلين من بني اسرايل ويدل عليه قوله تعالى في اخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل انه

من قتل نفسا بغير نفس الاية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال في اخر القصة
فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب
بالحق اي اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون
صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ قربا قربانا القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة
او نسك او غير ذلك مما يتقرب به ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ذكر
اهل العلم بالاخبار والسير ان حوا كانت تلد لادم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته
اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامه اقليما واخرهم عبد المغيث وتوامه امة المغيث
ثم بارك الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا
في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي ادم حوا بعد مهبطهما الى الارض بماية سنة فولدت له
قابيل وتوامه اقليما في بطن ثم هابيل وتوامه ليوذا في بطن وقال محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم
بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حوا في الجنة قبل ان يصيب الخطية فحملت بقابيل واخته
فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض
تغشاها فحملت بهابيل وتوامه فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان
ادم اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج اية
اخواته شا غير توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يوميذ نسا الا اخواتهم فلما كبر قابيل واخوه
هابيل وكان بينهما سنتين فلما بلغوا امر الله ادم ان يزوج قابيل ليوذا اخت هابيل ويزوج
هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من ليوذا فذكر ادم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط
قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال له ابوه ادم انها
لا تحل لك فابى ان يقبل وقال ان الله لم يامرك بهذا وانما هو من رايك فقال لهما ادم قربا قربانا
فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السما نار بيضا
فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تاكله الطير والسباع فخرجا من عند ادم ليقربا القربان
وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردي واضمر في نفسه ما ابالي ايتقبل مني ام لا
لا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقرب به واضمر
في نفسه رضى الله تعالى فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا ادم فنزلت النار من السما فاكلت قربان
هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى فتقبل من احدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الاخر
يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت
وغاب عنهم فاتى قابيل هابيل وهو في غنمه قال لاقتلنك قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل
لان الله قبل قربانك ورد قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسنا وانكح اختك الذميمة فيتحدث الناس

انك

انك خير مني ويتحدث ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين يعني ان
حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا دون الاخر ولان التقوى
من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال
انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب
مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين للنبي صلى الله عليه
وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين قال تعالى اخبارا
عن هابيل لئن بسطت الي يدك يعني لئن مددت يدك الي لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
يعني ما انا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتديك بالقتل وذلك ان
الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل
رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه
فاستسلم له خوفا من الله وذلك قوله اني اخاف الله رب العالمين والمعنى اني اخاف الله في بسط يدي
اليك اذ بسطتها لقتلك ان يعاقبني على ذلك قوله عز وجل اخبارا عن هابيل اني اريد ان تبوا باثمي واثمك
يعني ترجع باثم قتلي الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل اني اريد وارادة
القتل والمعصية من الغير لا تجوز قلت اجاب ابن الانباري عن هذا بان قال ان قابيل قال لاخيه
هابيل لاقتلنك فوعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الي يدك الاية فلم يرجع
فلما راه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني اريد ان
تبوا باثمي واثمك اي اذا قتلتني ولم يندفع قتلك اياي الا بقتلي اياك فجنبني ان يلزمك اثم قتلي اذا
قتلتني وكان هذا عدلا من هابيل والى هذا اشار الزجاج فقال معناه ان قتلتني فاني اريد ذلك
فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على
ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه اني اريد ان تبوء بعقاب اثمي واثمك فحذف المضاف ومن
بابا ثم بابعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه
لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار
مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة فتكون من اصحاب النار يعني الملازمين لها وذلك جزا الظالمين
يعني جهنم جزا من قتل اخاه ظلما قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه يعني زينت له وسهلت عليه
القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكباير صار ذلك صارفا له عن القتل فلا
يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى
فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله
فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم رضخه بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل
فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نايم فقتله واختلف

في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حرا وقيل بالبصرة عند مسجدها
الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة وقوله تعالى فاصبح من الخاسرين قال ابن عباس
خسر دنياه واخرته اما دنياه فاسخط والديه وبقي بلا اخ واما اخرته فاسخط ربه وصار
الى النار ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما
الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعرا
ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بني ادم على الارض فقصده السباع لتاكله فحمله قابيل
على ظهره في جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يري
قابيل سنته في موتى بني ادم في الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له
بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى
فبعث الله غرابا يبحث في الارض يعني يحفرها ويثير ترابها ليريه كيف يواري سوءة اخيه
يعني ليري الله او ليري الغراب قابيل كيف يواري ويستر جيفة اخيه فلما راى ذلك قابيل
من فعل الغراب قال يا ويلتى اي الزمه الويل وحضره وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع
الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب
علم ان الغراب بحكمته اكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وقلة علمه ومعرفته
فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتى وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب يعني مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الاخر فاواري سوءة اخي
يعني فاستر جيفته وعورته عن الاعين فاصبح من النادمين يعني على حمله على ظهره مدة سنة
لا على قتله وقيل انه ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه واخواته فندم لاجل
ذلك لا لاجل انه جنى جنايته واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق
من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت
الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت الارض دم المقتول كما تشرب الما فناداه الله تعالى اين اخوك
هابيل قال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك
قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا ويروى
عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان ادم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت
الفواكه واغبرت الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل
هابيل وقيل لما رجع ادم سال قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جلدك وقيل ان ادم مكث بعد قتل هابيل ماية سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال
تغيرت البلاد ومن عليها ٭ فوجه الارض مغبر قبيح ٭ تغير كل ذي طعم ولون ٭ وقل بشاشة الوجه الصبيح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب ان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبيا
كلهم في النهي عن الشعر سوا ولكن لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فلما قال ادم مرثيته قال
لشيث يا بني انت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى
يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر
فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها
وما لي لا اجود بسكب دمع ٭ وهابيل تضمنه الضريح ٭ ارى طول الحياة علي غما ٭ فهل انا من حياتي
مستريح ٭ قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون
وقد صح ان الانبيا عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق
صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب
الى من جعل الله علمه حجة على الملايكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر ادم ماية وثلاثين سنة
وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حوا شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من
هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه
خمسين صحيفة وصار وصي ادم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا
مرعوبا لا تامن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس
وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت
النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه
فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل
فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما
مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس
حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتا فهو يعذب بذلك
الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل الات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير
وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى غرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان
في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم
القيمة قوله تعالى من اجل ذلك يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية
يقال اجل عليهم شرا اي جنا عليهم شرا كتبنا اي فرضنا واوجبنا على بني اسرايل فان قلت من
اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرايل وهذا مشكل
لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرايل قلت قال
بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني من اجل
انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام

الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك
ابتدا الكلام وليس يتوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة
قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب
هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة في الدين
والدنيا والاخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حصل في انواع من الندم
والحسرة والحزن مع انه لا دافع له لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من اجل ذلك
الذي ذكرنا في اثنا القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص
على القاتل فان قلت فعلى هذا يكون شرعية القصاص حكم ثابت في جميع الامم فما الفايدة
تخصيصه ببني اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان الا ان التشديد
المذكور هاهنا في حق بني اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الاية
بان من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا شك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل
النفس عمدا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبيا والرسل
وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصص تسلية
النبي صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه
فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله اعلم
وقوله عز وجل انه من قتل نفسا يعني قتل نفسا ظلما بغير نفس يعني بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص
فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم او فساد في الارض هو عطف على بغير نفس يعني وبغير
فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله
قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من
قوله او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا قال مجاهد من
قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم
من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبيا
نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص
مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من غرق او حرق او وقوع في هلكة فكانما
احيا الناس جميعا يعني له من الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل
قتل مسلم بغير حق فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم
فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها على المجاز لان
المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه
سيل الحسن عن هذه الاية هي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والله الذي لا اله غيره ما كانت دما

بني

بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا وقوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات يعني ولقد جاءت بني اسرائيل
رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك يعني بعد مجي الرسل وبعد
ما كتبنا عليهم تحريم القتل في الارض لمسرفون يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق
وانما قال تعالى ثم ان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يومن بالله ورسوله وهم قليل من كثير قوله عز وجل
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم
ان شا ان يقتلوا وان شا ان يصلب وان شا ان يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك
ايضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بنحو
هلال ولم يكن هلال شاهدا فنهدوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضا
فيهم بهذه الاية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في قوم بني عرينة وعكل اتوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل ق عن انس بن مالك ان ناسا من
عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل
ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم
ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام
وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث
الطلب في اثرهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم
قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية
قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان ناسا من عرينة اجتووا
المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتوا ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها
فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم
وسمر اعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال ابو قلابة واي شي اشد مما صنع هولا
ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية ابي داود ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من
ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل في اثارهم فما ارتفع النهار حتى جي بهم فامر
بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة
فهولا قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية له وانزل الله عز وجل انما

جزا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الاية شرح غريب هذا الحديث وحكمه قولهم انا كنا اهل ضرع يعني اهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف من الارض التي فيها زرع وخصب والجمع ارياف قوله استوخموا المدينة يعني انها لم توافق امزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو في معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هي ارض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر واعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها اعينهم حتى ذهب بصرها وقوله ونهى عن المثلة المثلة ان تقطع اطراف الحيوان ويشوه خلقته ومثلة القتيل ان تقطع انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلما في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الاية ناسخة لما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الاية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلما قولان احدهما ان المحاربين لله هم المخالفون لامره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف امر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثاني معناه يحاربون اوليا الله واوليا رسوله فهو من باب حذف المضاف ويسعون في الارض فسادا يعني بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هولا المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي ومالك والليث ابن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هولا المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض وللعلما في لفظة او المذكورة في هذه الاية قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في امر المحاربين فان شا قتل وان شا صلب وان شا قطع وان شا نفى من الارض كما هو ظاهر الاية والقول الثاني ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلما لان الاحكام تختلف فترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرايم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم ياخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب الراي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن

في بطنه

في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الاية فقيل ان الامام يطلبهم ففي كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث والشافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون يعني من هذه الاية وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد اخر فيوذيهم ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكر في هذه الاية من الحدود لهم يعني للمحاربين خزي في الدنيا اي عذاب وهوان وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الاية فيهم فاما من اجري حكم الاية على المحاربين من المسلمين فينبغي العذاب العظيم عنهم في الاخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشية ان شا عذبه بجنايته ثم يدخل الجنة وان شا عفا عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة وقوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ولرسوله ومن السعي في الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم بشي من العقوبات المذكورة في الاية المتقدمة فاعلموا ان الله غفور يعني لمن تاب من الشرك رحيم يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثنا المشرك المحارب اذا امن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله عز وجل في هذه الاية وانه لا يطالب بشي مما اصاب من مال ودم قال ابو اسحاق جعل الله التوبة للكفار تدرا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا امن واصلح وكذلك لو امن بعد القدرة عليه لم يطالب بشي بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستامن قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر اذا امن لم يطالب بشي الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرد على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي وروي ان مالكا قال يوخذ بالدم اذا طالب به وليه فاما ما اصاب من الدما والاموال ولم يطلبها اولياوها فلا يتبعه الامام بشي من ذلك وهذا حكم علي بن ابي طالب في حارثة بن بدر وكان قد خرج محاربا فتاب من قبل ان يقدر عليه فامنه علي على نفسه وكذلك جا رجل من مراد الى ابي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذا مقام العايذ بك انا فلان بن فلان المرادي قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل ان يقدر علي فقام ابو موسى وقال هذا فلان المرادي وانه كان قد حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وانه

قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته
قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط بها ما كان من حقوق بني ادم من قصاص او مظلمة في مال
او غيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الاية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود
قال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
اي خافوا الله بترك المنهيات وابتغوا اليه الوسيلة يعني واطلبوا اليه القربة بطاعته والعمل بما
يرضي وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك
المنهيات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب
اليه ومنه قول الشاعر ان الرجال لهم اليك وسيلة اي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة اي تحببوا
الى الله عز وجل وجاهدوا في سبيله اي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته لعلكم تفلحون
يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل
محبوب قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب
يوم القيامة ما تقبل منهم يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه
من العذاب يوم القيمة لم يقبل منه ذلك الفدا ولهم عذاب اليم والمقصود من هذا ان العذاب لازم
للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا
بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي ولا ادخلك
النار فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم
القيمة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت
سيلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فيه وجهان
احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا حملهم لهب
النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار
بقلوبهم ولهم عذاب مقيم يعني ولهم عذاب دايم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا قوله عز وجل
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قال ابن السايب نزلت في طعمة بن ابيرق وقد مضت قصته
في سورة النسا وانما سمي السارق سارقا لانه ياخذ الشي الذي ليس له اخذه في خفا ومنه استرق السمع
مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتدا لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق
فاقطع يده والمراد باليد المذكورة في الاية اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراة
عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا
من هذه فجمع لانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شي من موحد من اعضا الانسان اذا ذكر مضافا
الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من رووس الاصابع

الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى جزاء بما كسبا يعني ذلك القطع جزاء على
فعلهم نكالا من الله يعني عقوبة من الله والله عزيز يعني في انتقامه ممن عصاه حكيم يعني فيما اوجبه
من قطع يد السارق فصل في بيان حكم الاية وفيه مسايل المسلة الاولى اقتضت هذه الاية وجوب
القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة ق عن عايشة ان قريشا اهمهم
شان المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه
الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم
كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان
فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عايشة قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النساي
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده
ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه
البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان
حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه المسلة الثانية اختلف العلما
في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلما الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار او
متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي
والشافعي ويدل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق
الا في ربع دينار فصاعدا اخرجاه في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحاق الى انه ثلاثة دراهم
او قيمتها لما روي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه
الجماعة المجن الترس ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن
ابي ليلى لما روي عن انس قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه النساي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار
او عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روي
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينار او عشرة دراهم
اخرجه ابو داود واذا سرق نصابا تاما من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من
الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير
معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود
الظاهري واحتجوا بعموم الاية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول
القليل والكثير وسواء سرقه من حرز او غير حرز المسلة الثالثة الحرز هو ما جعل للسكني

وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي تسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها
فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسوا سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق
فاما ما كان في غير بنا ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه واما نباش القبور
فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي واحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة
لا قطع عليه وان سرق شيا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان في بريه ولا راعي له
او متاع في بيت منقطع من البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيل عن الثمر المعلق فقال من اصاب بفيه من ذي حاجة غير متخذ خبنة
فلا شي عليه اخرجه الترمذي وابو داود والنساي وزاد فيه ومن خرج بشي منه فعليه غرامة
مثله والعقوبة ومن سرق منه شيا بعد ان يوويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع
ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثليه والعقوبة قوله غير متخذ خبنة بالخا المعجمة وبعدها
باموحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما ياخذه في خبنة ثوبه
وهو ذيله او سفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في
الموطا عن ابن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة
الجبل فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية
من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابن ابي حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلما من يجعل الحريسة السرقة
نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس
في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل ان تصل
الى ماواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تاوي اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس على خاين ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذي والنساي المسيلة الرابعة
اذا سرق ما لا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده او الوالد يسرق من مال ابنه او العبد يسرق
من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على احد من هولا فيه المسلة الخامسة اذا
سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا
فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله
اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر وهو قول قتادة وبه
قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا
يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت
يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس روي عن علي انه قال اني استحيي ان لا ادع له يدا يستنجي بها
ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب الراي قوله تعالى فمن تاب

من

من بعد ظلمه يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة واصلح يعني واصلح العمل في المستقبل فان الله يتوب
عليه يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه ان الله غفور يعني لمن تاب رحيم به فضلا وهذه التوبة
مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلما لان الحد جزا
على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل
عن ابي امية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت قال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك
يعترف فامر به فقطع ثم جي به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال
الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابو داود
والنساي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال
الثوري واصحاب الراي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرده على صاحبه وقطع
يده لان القطع حق الله والغرم حق الادمي فلا يمنع احدهما بالاخر والله اعلم قوله عز وجل الم تعلم
ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه
الم تعلم ايها الناس فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر
امر ما في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شي مما اراده فيهما لان ذلك
كله في ملكه واليه امره يعذب من يشا ويغفر لمن يشا قال ابن عباس يعذب من يشا على الصغيرة ويغفر لمن
يشا الكبيرة وقيل يعذب من يشا على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر
لمن يشا منهم بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة
قطع السرقة على التوبة وهذه الاية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع
ووجوب العذاب للعاصي لان الاية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضة الى المشية والوجوب
ينافي ذلك وجواب اخر وهو انه تعالى اخبر انه له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في
ملكه كيف شا واراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويوكد ذلك قوله والله على كل شي قدير يعني انه تعالى
قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده واستنقاذه من الهلكة
من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى يا ايها الرسول هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله تعالى عز وجل بيا ايها النبي في مواضع كثيرة
من كتابه وبيا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والاخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك وقوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يعني لا تهتم بموالاة الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك
عليهم وكافيك شرهم من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان
بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين ومن الذين هادوا اي وطايفة من اليهود قال الزجاج هذا
يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدا الكلام بقوله سماعون للكذب

ويكون تقديرا لكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف
الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدا فقال
تعالى من الذين هادوا سماعون للكذب اي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم
قابلون للكذب اي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول
كما يقال لا تسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا
يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا
ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى سماعون يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون لقوم اخرين
وهم اهل خيبر لم ياتوك يعني اهل خيبر لم ياتوك ولم يحضروا عندك يا محمد ذكر المفسرون في ذلك
قال علماء التفسير ان رجلا وامراة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم
في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم من قريظة فانهم جيرانه وصلح
معه فليسالوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسلوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا
ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم
الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل
ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب ان
تسالوه لنا عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يامركم بما تكرهون
ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف
وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية
اذا احصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام
باية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل
بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد
ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودي
بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جا
قال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودي قال كذلك يقولون
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لابن صوريا انا انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر
وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق ال فرعون وبالذي ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل
عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم
والذي ذكرتني به لولا خشية ان ينزل علينا العذاب ما كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي

في

في كتابكم يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب
عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزله الله في التوراة على موسى
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به في امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا
اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنا
ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل اخر في اسرة من قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه دونه
وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون
الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل
مطلي بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملا على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما
فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما
اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غايبا وكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد انشدني
بالتوراة ولولا خشية ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما
عند باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله هذه الاية وعن ابن عمر
قال ان اليهود جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شان الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون
فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على اية
الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم
فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يحني على
المراة يقيها الحجارة وفي رواية اخرى انهما قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامراة من اليهود قد زنيا
فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين فجاوا بها فقالوا لرجل ممن يرضون يا اعور اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها
فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا اية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا
فامر بهما فرجما فرايته يجانئ زاد في رواية اخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد م عن البراء بن
عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم يهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني
في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون
حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجد الرجم ولكنه كثر في اشرافنا
فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على
شي نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقولون ايتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان

افتاكم بالرجم فاحذروا فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحميم وهو الفحم وقوله وما تجدون في التوراة حد الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في ايديهم ولم يغيروه كما غيروا اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه وقوله تعالى يحرفون الكلم يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به من بعد مواضعه يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع اخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التاويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التاويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التاويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى يقولون يعني اليهود ان اوتيتم هذا فخذوه يعني ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه وان لم تؤتوه فاحذروا يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه ومن يرد الله فتنته يعني كفره وضلالته فلن تملك له من الله شيئا يعني فلن تقدر على دفع امر الله فيه اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه فلم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الاية دلالة على ان الله لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الاية من اشد الايات على القدرية لهم في الدنيا خزي يعني للمنافقين واليهود اما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فباخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود قوله عز وجل سماعون للكذب اكالون للسحت نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استاصله وسميت الرشوة في الحكم

سحتا

سحتا لانها تستاصل دين المرتشي والسحت كل حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون له بركة ولا لاخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحكم اذا رشيته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدي اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل فان جاؤوك يعني اليهود فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الاخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيري ديتين وللقرظي دية لانه كان من بني النضير وقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه يخير نبيه صلى الله عليه وسلم في الحكم فصل اختلف علماء التفسير في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم وزال التخيير وهذا القول مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم ان شاؤوا حكموا بينهم وان شاؤوا اعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الايتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي وهو مذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه الاية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط يعني بالعدل والاحتياط ان الله يحب المقسطين يعني العادلين فيما ولوا وحكموا فيه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وهذا من احاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفي امثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تاويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى

يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بما
يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة
والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا
واليمين ماخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين تنبيه على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله
عن ذلك فانها مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة
هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل
لمن عدل في تقلده من الاحكام والله اعلم قوله تعالى **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة** هذا تعجب من
الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك
الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله اظهر
جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفي هذه
الاية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة
فيها حكم الله يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من اجله **ثم يتولون من بعد ذلك** يعني ثم يعرضون عن حكمك
الموافق لما في كتابهم **وما اولئك** يعني اليهود **بالمؤمنين** يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك
بالمصدقين لك قوله عز وجل **انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور** سبب نزول هذه الاية استفتاء اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات
والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول
على بيان احكام التوحيد والنبوات والمعاد **يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا** اراد بالنبيين
الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرائيل الوفا من الانبياء ليس معهم كتاب
انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا اي انقادوا لامر الله والعمل بكتابه وهذا على سبيل
المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدا عن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن
والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم
وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على
اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لان
الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله منقادين لامره
ونهيه للذين هادوا يعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما ارادوه من الجلد
وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتاخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور
للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا **والربانيون والاحبار** اما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة

ال عمران

ال عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحدها حبر بفتح الحاء
وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه
صاحب كتاب وقال ابو عبيدة انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من اثر علومه في قلوب الناس
وافعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه
الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه وانما سمي العالم حبرا لما عليه
من اثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا وفيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون
والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله قدمهم
في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون
علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الاية يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها
الربانيون والاحبار وقوله تعالى **بما استحفظوا من كتاب الله** يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل
هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا احكامه وشرائعه وقد
اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من وجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم
ويدرسوه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا
قائمين بحفظه **وكانوا عليه شهداء** يعني ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله
ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله **فلا تخشوا الناس واخشون** هذا خطاب لحكام اليهود الذين
كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه
وسلم والعمل بالرجم واخشوني يعني في كتمان ذلك **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا** يعني ولا تستبدلوا بايات
الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم
عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه واخذ
الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون** يعني ان اليهود لما انكروا
حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى
والتوراة وبمحمد والقران واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الثلاث ايات وهي قوله ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الايات نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم
وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول
ما روي عن البراء بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار
كلها اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون
هذه الثلاث ايات في اليهود خاصة قريظة والنضير اخرجه ابو داود وقال مجاهد في هذه الايات

الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر وظالم وفاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما
انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار
الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله التي اتت بها الانبيا باطل فهو كافر وقال طاوس قلت
لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر ونحو هذا ما روي عن عطا قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي
هذه الايات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله
فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله
ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما من خفي عليه النص او اخطا في التاويل فلا يدخل في هذا الوعيد
والله اعلم بمراده قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة
ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن
الرجم واخبر ان اليهود بدلوه وغيروه واخبر ايضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هولا اليهود
غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من
قريظة ادوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير ادوا اليهم الدية كاملة فغيروا
حكم الله الذي انزله في التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال العلما بحكم القران فيقتلون
النفس بالنفس ويفقئون العينين بالعين ومعنى الاية ان النفس تقتل بالنفس تقتل بها اذا تكافا الدما
ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يقتل مسلم بكافر الحديث اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى والعين بالعين يعني تفقا بها والانف
بالانف يعني يجدع به والاذن بالاذن يعني تقطع بها والسن بالسن يعني تقلع بها واما سائر
الاطراف والاعضا فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى والجروح قصاص يعني فيما يمكن ان يقتص
منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه
الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل
والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم او جراحة في البطن
يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم ان هذه الاية دالة على ان هذا الحكم
كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الاية حجة في شرعنا
ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسالة ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته بعد البعثة
هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبيا فنقل عن اصحاب ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي
وعن احمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرايع من قبله بطريق الوحي اليه لا من
جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتاخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله

عليه

عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه
لم يعتبر فيه الوحي وهو الحق والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر احد كون النبي صلى الله عليه وسلم كان
متعبدا بعد البعثة بما اوحى الله تعالى اليه سوا كان من شريعة من قبله ام لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة
الى المنع من ذلك وهو اختيار السيف الامدي من المتاخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم ان الاجماع
منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية مع انه من شريعة من
تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا
الاستدلال وقوله تعالى فمن تصدق به يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني فهو كفارة له في هاء له قولان
احدهما ان الهاء كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح وولي المقتول اذا تصدق بالقصاص
كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي
عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشي من جسده
فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه خطيئة اخرجه الترمذي وعن انس قال ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شي فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود
والنسائي والقول الثاني ان الهاء في قوله له تعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا
عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يواخذ به في الاخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد
ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله تعالى قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك
هم الظالمون يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل قوله تعالى وقفينا على اثارهم يعني واتبعنا
على اثار الانبيا الذين اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة يعني ان عيسى عليه السلام
كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها
فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها واتيناه الانجيل فيه هدى ونور يعني فيه
هدى من الجهالة وضيا من عمى البصيرة ومصدقا لما بين يديه من التوراة هذا ليس بتكرير الاول
لان في الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بان الانجيل
مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار وهدى وموعظة للمتقين انما قال
وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتدا الناس
الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الانجيل موعظة لما فيه من المواعظ البليغة والزواجر
والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه قال اهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل
الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف
القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله
وليحكم ابتدا وفيه امر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز

ان يومروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القران قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان
ذكره في الانجيل موجود ووجوب التصديق بنبوته فاذا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في
الانجيل وقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الفاسقون يعني فاوليك هم الخارجون عن طاعة
الله عز وجل قوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد
القران بالحق يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني انه يصدق
جميع الكتب التي انزلها الله على انبيايه ومهيمنا عليه قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه
قول حسان ان الكتاب مهيمن لنبينا * والحق يعرفه ذووا الالباب يريد انه شاهد ومصدق لنبينا
صلى الله عليه وسلم وانما كان القران مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا
يبدل واذا كان القران كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حق
وصدق وقيل المهيمن الامين وانما كان القران امينا على الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم
فان كان ذلك في القران فصدقوا والا فلا فاحكم بينهم بما انزل الله يعني اذا ترافع اهل الكتاب اليك
يا محمد فاحكم بينهم بالقران الذي انزله الله اليك ولا تتبع اهوائهم يعني ولا تتبع اهوا هولا اليهود
في الحكم وقال ابن عباس لا تاخذ باهوايهم في جلد المحصن عما جاك من الحق يعني لا تنحرف عن الحق الذي
جاك من عند الله متبعا اهوايهم وقوله ولا تتبع اهوايهم عما جاك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله
عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهوايهم قط لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليهم وسلم اجمعين بدليل ان
الله عز وجل قال قبل هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على اثارهم بعيسى
ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة
يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقران شريعة والدين واحد وهو التوحيد
واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار يقال شرع بين واوضح وقيل هو من الشروع في الشي والشرعة
في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير
ذلك للطريقة الالهية المودية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان
عن معنى واحد والتكرير للتاكيد والمراد بهما الدين وقال اخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة
هي التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المودي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة
ومنهاجا سنة وسبيلا قال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة
وللقران شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشا ويحرم ما يشا ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي
لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جات به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب
الايمان منذ بعث ادم عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جا من عند الله ولكل قوم
شريعة ومنهاج قال العلما وردت ايات الله دالة على عدم التباين في طريقة الانبيا والرسل ومنها قوله

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله اوليك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده ووردت ايات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الاية وهي قوله لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الايات ان كل اية دلت على عدم التباين فهي دالة
على اصول الدين من الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فكل ذلك جات به الرسل من عند
الله ولم يختلفوا فيه واما الايات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر
العبادات فجايز ان يتعبد الله عباده في كل وقت بما يشا فهذه طريق الجمع بين هذه الايات والله اعلم
باسرار كتابه احتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل
على ان كل رسول جا بشريعة خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتدا بشريعة رسول اخر ثم قال تعالى
ولو شا الله لجعلكم امة واحدة يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه
ولكن ليبلوكم يعني ولكن اراد ان يختبركم فيما اتاكم يعني من الشرايع المختلفة هل تعملون بها وتنقادون لها ليتبين بذلك
المطيع من العاصي والموافق من المخالف فاستبقوا الخيرات هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
يعني فبادروا يا امة محمد بالاعمال الصالحات التي تقربكم الى الله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعني المطيع
والعاصي والموافق والمخالف فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون يعني فيخبركم في الاخرة بما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين في الدنيا والمعنى فيخبركم في الاخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطايع والعاصي
بالثواب والعقاب قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوايهم قال ابن عباس ان كعب بن
اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه
فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وسادتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود
ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم ونومن بك ونصدقك
فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وان احكم بينهم بما انزل الله يعني احكم بينهم يا محمد
بالحكم الذي انزل الله في كتابه ولا تتبع اهواهم يعني فيما امروك به قال العلما ليس في هذه الاية تكرار
لما تقدم وانما نزلتا في حكمين مختلفين اما الاية الاولى فنزلت في شان رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه
ان يجلده وهذه الاية نزلت في شان الدما والديات حين تحاكموا اليه في امر قتيل كان بينهم قال بعض العلما
هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن
بعض ما انزل الله اليك يعني واحذر يا محمد هولا اليهود الذين جاوا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم
وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك في كتابه واتباع اهوايهم فان تولوا يعني فان اعرضوا
عن الايمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني فاعلم يا محمد
ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في
الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلا واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم الى الاخرة وان كثيرا من
الناس لفاسقون يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى افحكم الجاهلية يبغون يعني الحكم الجاهلية يطلبون

هولا اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلالة والجور في الاحكام وتحريفهم
اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كانت بني النضير وقريظة دما وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان
يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنوا قريظة بنوا النضير اخواننا
ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنوا النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا وارش
جراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني احكم ان
دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحد منهما فضل على الاخر في دم
ولا عقل ولا جراحة فغضب بنوا النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تالوا
في وضعنا وتصغيرنا فانزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقرى بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد
افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يعني اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين
ان لكم ربا وانه عدل في احكامه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا
اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية وان كان حكمها عاما لجميع المومنين لان خصوص السبب
لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن ابي
ابن سلول راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اوليا من اليهود كثير عددهم شديدة
شوكتهم واني ابرا الى الله والى رسوله من ولايتهم لا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني
لا ابرا من ولاية اليهود فاني اخاف الدواير ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب
ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذا اقبل فانزل الله هذه الاية
وقال السدي لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طايفة من الناس وتخوفوا ان يديل عليهم الكفار
فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي واخذ منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال
رجل اخر انا الحق بفلان النصراني من اهل الشام واخذ منه امانا فانزل الله هذه الاية فنهاهما عن
موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم
الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه
على حلقه اشارة انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا
فنهى الله المومنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله وبرسوله
واخبر انه من اتخذهم انصارا او حلفا من دون الله ورسوله والمومنين فانه منهم وان الله ورسوله والمومنين
منهم برآ بعضهم اوليا بعض يعني ان بعض اليهود انصار البعض على المومنين وان النصارى كذلك
يدا واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ومن يتول اليهود والنصارى
دون المومنين فينصرهم على المومنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى متول احدا الا وهو راض به
وبدينه واذا رضيه ورضي دينه صار منهم وهذا تغليظ من الله عز وجل وتشديد عظيم في مجانبة
اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني ان الله لا يوفق من وضع

الولاية

الولاية في غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمومنين روي
ان ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك وله قاتلك الله الا
اتخذت حنيفا مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اوليا بعضهم اوليا بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم
الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب
انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الان واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى
فترى الذين في قلوبهم مرض يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق يسارعون فيهم يعني يسارعون في
مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل
ذلك نزلت في عبد الله بن ابي المنافق وفي اصحابه من المنافقين يقولون يعني المنافقين نخشى ان تصيبنا
دايرة الدايرة من دواير الدهر كالدولة تدول والمعنى ويقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان
يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة
قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد فعسى الله ان ياتي بالفتح
او امر من عنده قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد
لتعلق النفس به ورجا يها له والمعنى فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدايه
واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدايهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل
الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل المراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود
مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز
ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما القى في قلوبهم الرعب فاخلوا
ديارهم واخربوها بايديهم ورحلوا الى الشام وقوله تعالى فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين
يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم
وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود ويقول الذين امنوا يعني ويقول الذين امنوا في وقت اظهار الله
نفاق المنافقين اهولا الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وذلك ان المومنين كانوا يتعجبون
من حال المنافقين عندما اظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى وقالوا ان المنافقين حلفوا
بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والان كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين
للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة حبطت اعمالهم اي بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروا
من النفاق وموالاة اليهود فاصبحوا خاسرين يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الاخرة
باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الدايم المقيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن
دينه يعني يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر
بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيا وانما ضر نفسه

برجوعه عن الدين الصحيح الذى هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما يرجعون
عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سياتى بقوم يحبهم ويحبونه وذكر
صاحب الكشاف ان احدى عشر فرقة من العرب ارتدت ثلاثة منها فى زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسى وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على
بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل
والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمى فبيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى
خبر قتله فى اخر ربيع اول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبا وكتب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستاتى قصة قتله فيما بعد وبنو اسد وهم قوم
طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد
القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق فى خلافة ابى بكر الصديق
وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزارى وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم
الفجاة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعى وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبية التى زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندى وبنو بكر بن
وايل قوم الحطم بن يزيد فكفى الله امرهم على يد ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة واحدة ارتدت فى
خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلما فى المعنى بقوله تعالى فسوف ياتى
الله بقوم يحبهم ويحبونه فقال على بن ابى طالب والحسن وقتادة هم ابو بكر الصديق واصحابه الذين
قاتلوا اهل الردة ومانعى الزكاة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتدت عامة العرب كما تقدم
تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بنى عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام
ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة فهم ابو بكر بقتالهم وكره ذلك
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ودمه الا بحقه وحسابه
على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى
عناقا وقال عقالا كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك
كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا
بدا من الخروج على اثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتدا ثم حمدناه عليه فى الانتها وقال ابو بكر
ابن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابى بكر الصديق لقد قام مقام نبى من الانبيا

فى قتال

فى قتال اهل الردة وقالت عايشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأبت
النفاق ونزل بابى بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد
فى جيش كثير الى بنى حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله تعالى مسيلمة
على يد وحشى غلام مطعم بن عدى الذى قتل حمزة فكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية
وشر الناس فى الاسلام اراد بذلك وحشى انه فى حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفى حال
اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى يحبهم ويحبونه الاشعريون
قوم ابى موسى الاشعرى روى عن عياض بن غنم الاشعرى قال لما نزلت هذه الاية فسوف ياتى
الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعنى ابا موسى الاشعرى
اخرجه الحاكم فى المستدرك وقيل هم اهل اليمن ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افيدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدى نزلت فى الانصار
لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل هم احيا من اهل اليمن
الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جاهدوا فى سبيل الله يوم
القادسية فى خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على
وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الاية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت
قلبى معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا فمحبة الله العبد انعامه عليه وتوفيقه
وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء
مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله
ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وهذه من صفات الذين
اصطفاهم الله ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعنى انهم ارقا رحما لاهل دينهم واخوانهم من المومنين
ولم يرد ذل الهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المومنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم اشدا
اقويا غلظا على اعدايهم الكافرين قال على بن ابى طالب اذلة على المومنين يعنى اهل رقة على اهل
دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم فى دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده
وكالعبد لسيده وهم فى الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانبارى اثنى الله
على هولا المومنين بانهم يتواضعون للمومنين اذا لقوهم ويعنفون بالكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل
هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمومنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع
وانما اتى بلفظة على حتى تدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين فى انفسهم
بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الاية
وهو قوله اعزة على الكافرين يعنى انهم اشدا اقويا فى انفسهم وعلى اعدايهم يجاهدون فى سبيل الله
يعنى انهم ينصرون دين الله ولا يخافون لومة لايم يعنى لا يخافون عذل عاذل فى نصرهم للدين وذلك ان

المنافقين كانوا يرقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله في هذه الاية ان من كان قويا في الدين فانه
لا يخاف في نصرة دين الله بيده او بلسانه لومة لايم وهذه صفة المومنين المخلصين ايمانهم
لله تعالى ق عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف في الله
لومة لايم ثم قال تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم
بمحبة الله ولين جانبهم للمومنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لايم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم والله واسع عليم يعني انه تعالى
واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا قال ابن عباس نزلت
هذه الاية في عبادة بن الصامت حين تبرا من موالاة اليهود وقال اتولى الله ورسوله والمومنين يعني
اصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا
واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقراها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن
سلام رضينا بالله ربا وبرسوله وبالمومنين اوليا وقيل الاية عامة في حق جميع المومنين لان المومنين
بعضهم اوليا بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكوة وهم راكعون صفة
لكل مومن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المومنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون
انهم مومنين الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المومنين بانهم
يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويوتون الزكاة يعني ويودون زكاة اموالهم
اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع
هنا الخضوع والمعنى ان المومنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه
الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شانهم اقامة الصلاة وايتا الزكاة وانما خص الركوع بالذكر
تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الاية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت هذه في شخص معين وهو علي
ابن ابي طالب قال السدي مر بعلي سايل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلما العمل
القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن ابي
طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر
عن هذه الاية انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا من هم فقال المومنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي
فقال فعلي من الذين امنوا وقوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا يعني ومن يتولى القيام بطاعة الله
ونصرة رسوله والمومنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن ياتي بعدهم فان حزب الله يعني انصار
دين الله هم الغالبون لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رايه
وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبه يعني اهمه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا

دينكم

دينكم هزوا ولعبا قال ابن عباس كان رفاعة بن سويد بن التابوت وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام
ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله هذه الاية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعني اليهود والكفار يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب وبين الكفار
وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل
الكتاب اوليا يعني لا تتخذوهم اوليا والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر
المومنين اوليا هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم اوليا وانصارا واتقوا الله ان كنتم مومنين
يعني مومنين حقا لان المومن يابى موالاة اعدا الله عز وجل قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة
اتخذوها هزوا ولعبا قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة
وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكون على طريق
الاستهزا فانزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت هذه الاية في رجل من النصارى كان
بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة
فاحرقت البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا
المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيا لم يسمع
بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت الانبيا قبلك ولو كان فيه خير
لكان اولى الناس به الانبيا فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر
فانزل الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا
ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال السفها والجهال الذين لا عقل
لهم قوله تعالى قل يا اهل الكتاب خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهولا اليهود
والنصارى الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هل تنقمون منا هل تكرهون منا او تنكرون علينا الا ان
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى هل
تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وبما انزل الينا وبما انزل على جميع الانبيا من قبل وهذا ليس
مما ينكر وينقم منه وهذا كما قال بعضهم ۝ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتايب
يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وازار بن ابي ازار
واشيع فسالوه عمن يومن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق
ويعقوب الى قوله ونحن له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نومن بمن امن به
فانزل الله هذه الاية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا

من دينكم فانزل الله هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا وان اكثركم فاسقون يعني انكم
انما كرهتم ايماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل
لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثركم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يومن بالله وبرسوله
قوله عز وجل قل هل انبيكم بشر من ذلك هذا جواب لليهود حين قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم
والمعنى قل يا محمد لهولاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم
ونقمتم علينا من ايماننا بالله وبما انزل علينا مثوبة عند الله يعني جزاء فان قلت المثوبة مختصة
بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبيكم
بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر
لانه تعالى بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب
قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه
الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى من لعنه الله معناه هل انبيكم بمن لعنه الله
او من هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحمته وغضب عليه يعني وانتقم منه لان الغضب
ارادة الانتقام من العصاة وجعل منهم القردة والخنازير يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه
ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما في اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة
ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان
في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الاية عير المسلمون اليهود
وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك وعبد الطاغوت يعني وجعل منهم عبد
الطاغوت يعني من اطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو
الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت اوليك
يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين شر مكانا يعني من غيرهم ونسبة الشر الى المكان والمراد به
اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان اشد شرا منه واضل عن سواء السبيل
يعني واخطا عن قصد طريق الهدى قوله تعالى واذا جاوكم قالوا امنا قال قتادة نزلت في اناس من
اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مومنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون
بضلالتهم وكفرهم فكان هولاء يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم بحالهم وشانهم وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا
كافرين لم يتعلق بقولهم شيء من الايمان فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج والله اعلم بما يكتمون
يعني من الكفر الذي في قلوبهم قوله عز وجل وترى كثيرا منهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى

يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه
الاية ما كان يفعلها كل اليهود فلهذا قال تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون والمسارعة في الشي المبادرة
اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضده
العجلة وتستعمل في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون في الاثم والعدوان
واكلهم السحت لفايدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كانهم محقون فيها والاثم اسم
جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحت العدوان واكل السحت فلما ذكر الله العدوان واكل
السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت
هو الرشى وما كانوا ياكلونه من غير وجهه لبيس ما كانوا يعملون يعني لبيس العمل كان هولا
اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم السحت قوله تعالى لولا يعني هلا
وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء اهل
الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم عن قولهم الاثم
يعني الكذب واكلهم السحت والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت
لبيس ما كانوا يصنعون يعني الاحبار والرهبان اذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل
على ان ترك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الاية قال ابن عباس ما في
القران اشد توبيخا من هذه الاية وقال الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها قوله عز وجل
وقالت اليهود يد الله مغلولة نزلت هذه الاية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط
على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم
وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني
محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطا فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن
قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله
لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله
مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر
ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبد اباونا العجل والقول الاول اصح لقوله ينفق كيف يشا واعلم ان غل
اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد الة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال وانفاقه وامساكه
فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد
ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا يعني امسكت
ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج فرد الله تعالى عليهم فقال انا الجواد الكريم
وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعا على اليهود علمنا الله كيف ندعوا عليهم

وقالت غلت ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اى شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في
النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا
في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الاخرة لهم عذاب النار وقوله
تعالى بل يداه مبسوطتان يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم
عما افتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم
واما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء
اهل السنة وبعض المتكلمين ان اليد لله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها علينا
والتسليم وتمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التاويل
فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان
عندي يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار فسروه بذوي القوى
والعقول ويقال لا يد لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في
يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك اما الجارحة فمستنفى في صفة
الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان يكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من
الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله
بمعنى الجارحة واما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد
في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وها هنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت انها
بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القران ناطق باثبات اليدين في قوله بل يداه مبسوطتان
واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على
وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اى ليس الامر كما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل
الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنطق القران
ناطق باثبات اليدين ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين
انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة
الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى
اخبر عن ادم انه خلقه بيده ولو كان معنى خلقه لادم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية
ادم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه فلما خص
الله ادم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه
على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن ابي الحسن الاشعري قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة

سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفا هذا اخر كلامه واجيب عن قولهم
بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا
ثني لا يودي الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يودي عن الجنس ايضا قالوا وخطا في كلام
العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدرهم
اذا ثني لا يودي في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يودي عن جنسه كما تقول
العرب ما اكثر الدرهم في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الواحد يودي عن الجميع
فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة الله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول
المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى ينفق كيف يشاء يعني انه يرزق كما يريد ويختار
فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يد الله تعالى
ملأى لا يغيضها نفقة سحا الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم
ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا احد احاديث
الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا يعني كلما نزلت عليك اية من القران كفروا بها فازدادوا شدة
في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم
فيه والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة يعني القينا العداوة والبغضاء بين اليهود
والنصارى وقيل القى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين
الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى
فرقا كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق
المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حدثت
في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما في الصدر الاول
فلم يكن شيء من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي
نزل فيه القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله يعني
كلما افسد اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكهم فافسدوا فبعث عليهم
بخت نصر البابلي ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس
وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة ابدا وقال
مجاهد معنى الاية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاه الله تعالى وقال السدي
كلما اجمعوا امرهم على شيء ليفسدوا به امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله وكلما اوقدوا نارا في حرب
محمد صلى الله عليه وسلم اطفاها الله واخمد نارهم واطفا حسدهم وقذف في قلوبهم الرعب

وقتالهم ونصر نبيه ودينه ويسعون في الارض فسادا يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل التي يقدرون على غير ذلك والله لا يحب المفسدين يعني ان الله لا يحب من كان هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به واتقوا يعني اليهودية والنصرانية لكفرنا عنهم سياتهم يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله ولادخلناهم جنات النعيم يعني مع المسلمين يوم القيامة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل يعني اقاموا احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يامر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القران وقوله تعالى وما انزل اليهم من ربهم فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود وفي هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القران لانهم مامورون بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم يعني ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على يهوديتهم وكفرهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله تعالى انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم منهم امة مقتصدة اي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من امن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه الذين اسلموا وكثير منهم يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود ساء ما يعملون يعني بئس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذ النصارى عيسى حنانا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الاية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء الاية وقيل نزلت هذه الاية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم

ه

له فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سالت عنه اليهود ومعنى الاية يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تتركن شيئا مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيئا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعني ان كتمت اية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيئا مما اوحي اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما انزل اليه فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى والله يعصمك من الناس يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال فمن يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحارث وعن عائشة قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة قالت فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعد ما شج راسه في يوم احد لان سورة المائدة من اخر القران نزولا وقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه

ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جيت به من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء يعني قل يا محمد لهولا اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا ما جاكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جا رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام مشكم ومالك بن الصيف ومالك بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتومن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه للناس فانا بري من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى ولا نومن لك ولا نتبعك فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم الاية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيها ومن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين يعني فلا تحزن يا محمد على هولا اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يومنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى لما بين الله عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يومنوا بين في هذه الاية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابيون فظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابيين وكذا قراة ابي بن كعب وابن مسعود وقراة الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابيون بالابتدا على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابيون كذلك فحذف خبره والفايدة في ذكر عطفهم على من قبلهم هي ان الصابيين اشد الفرق المذكورين في هذه الاية ضلالا فكانه قال كل هولا الفرق اذا امنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابيون فانهم اذا امنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابيين لانهم صبوا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جات به الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في اول الاية ان الذين امنوا ثم قال في اخر الاية من امن فما فايدة هذا التكرار قلت فايدته ان المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون انهم مومنون ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المومنين فيكون معنى ان الذين امنوا بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من امن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فايدة

اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الاخر ففايدة التكرار التنبيه على اشرف اقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله من امن بالله حذف تقديره من امن بالله واليوم الاخر منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين وعمل صالحا يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل يعني اخذنا العهود عليهم في التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتها عما نهيناهم عنه وارسلنا اليهم رسلا يعني لبيان الشرايع والاحكام كلما جاهم رسول بما لا تهوى انفسهم يعني بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرايع فريقا كذبوا يعني من الرسل الذين جاوهم وفريقا يقتلون يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراة على الله عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى وحسبوا يعني وظن هولا الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبيا الا تكون فتنة يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الذي فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاهم بشرع اخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما اقدموا على ذلك لاعتقادهم ان اباهم واسلافهم يرفعون عنهم العذاب في الاخرة فعموا وصموا يعني انهم عموا عن الحق فلم يبصروا وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل ثم تاب الله عليهم يعني لما تابوا من عبادة العجل تاب الله عليهم ثم عموا وصموا يعني بذلك في زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لان بعضهم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل الانبيا وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبيا وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها لانهم يقولون ان الاله حل ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وقد كان قال المسيح هذا لبني اسرايل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرار

لله بالربوبية وان دلايل الحدوث ظاهرة عليه انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني انه
من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه ومأواه النار يعني وانه
يصير الى النار في الاخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك من انصار
يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان
احدهما وهو قول المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة وان الالهية
مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة الالهة او واحد
من ثلاثة الالهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة
الالهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو
رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم
اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة
وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان
الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله
والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة
لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من
مقالة النصارى وعلى هذا فالذي اخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم
بعد هذا هو اله واحد فيه منا قضة لما قالوه اولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله
عز وجل عليهم فقال تعالى وما من اله الا اله واحد يعني انه ليس في الوجود اله واحد موصوف
بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى وان لم
ينتهوا عما يقولون يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم يعني ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس مرضي عذاب
وجيع في الاخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا
القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى
افلا يتوبون الى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام بمعنى الامر اي توبوا
الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب والله غفور يعني لمن استغفره وتاب
اليه رحيم به وبسائر خلقه قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني ان المسيح

رسول

رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا الهة واتى عيسى عليه
السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما اتى الذين قبله بالمعجزات الدالة على صدقهم وامه صديقة
يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بايات ربها وكتبه وقوله تعالى
كانا ياكلان الطعام فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وامه
مريم كانا بشرين ياكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني ادم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام
ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما تزعمون لدفع عن نفسه ٢
وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان من اكل وشرب فلا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه
صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه
ثم قال تعالى انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي انظر يا محمد كيف نبين لهم الايات يعني الدالة على
بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى قل اتعبدون
من دون الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهولاء النصارى اتعبدون من دون الله
ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله من البلايا والمصايب
في الانفس والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق
فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون
الها والله هو السميع العليم يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما في ضمايركم قوله عز وجل
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط
فمجاوزة الحد والتقصير مذموم في الدين غير الحق يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك
انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في
عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فبالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلو النصارى
فمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين مذموم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من
قبل الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في
القران الا وذمه وقال ابو عبيد لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير
انما يقال يحب الخير ويريده والخطاب في قوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين
كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوايهم
وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة واضلوا كثيرا يعني من
اتبعهم على ضلالتهم واهوايهم وضلوا عن سواء السبيل يعني واخطوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى
لعن الذين كفروا من بني اسرايل على لسان داود قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا في
السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة
وستاتي قصتهم في سورة الاعراف وعيسى ابن مريم يعني وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار اصحاب

المايدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يومنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير
فمسخوا خنازير وسنا في قصتهم وقال بعض العلما ان اليهود كانوا يفتخرون بابايهم ويقولون
نحن من اولاد الانبيا فاخبر الله تعالى بانهم ملعونون على لسان الانبيا عليهم السلام وقيل ان داود
وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يعني ذلك اللعن
بسبب عصيانهم واعتدايهم ثم فسر المعصية والاعتدا فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه اذ لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر وقيل معناه لا ينتهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن
الاصرار عليه لبيس ما كانوا يفعلون اللام في لبيس لام القسم اي اقسم لبيس ما كانوا يفعلون
يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اول ما دخل النقص على بني اسرايل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع
فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده
فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرايل على لسان
داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس
ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبيس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون
ثم قال كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتاخذن على يد الظالم ولتاطرنه على
الحق اطرا او ليقتصرن على الحق قصرا زاد في رواية او ليضربن الله على قلوب بعضكم ببعض ثم ليلعنكم
كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت
بنوا اسرايل في المعاصي نهتهم علماوهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم
فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكيا فقال لا والذي نفسي بيده حتى
تاطروهم على الحق اطرا قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه هو المواكل
والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتاطرنه الاطر العطف يعني لتعطفنه
ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر القهر على الشي قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يعني من
اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا يعني يوالون المشركين من اهل مكة
وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه
ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود لبيس ما قدمت لهم انفسهم اي لبيس ما قدموا من
العمل لمعادهم في الاخرة ان سخط الله عليهم يعني بما فعلوا من موالاة الكفار وفي العذاب
هم خالدون يعني في الاخرة ولو كانوا يومنون بالله والنبي يعني ولو كان هولا الذين يتولون
الكفار يومنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق
وما انزل اليه يعني ويومنون بالقران الذي انزل اليه من ربه ما اتخذوهم اوليا يعني ما اتخذوا

الكفار

الكفار انصارا واعوانا من دون المومنين ولكن كثيرا منهم فاسقون يعني ولكن اكثرهم خارجون
عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيومن مثل عبد الله بن سلام واصحابه لتجدن
اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله
يا محمد انك لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله
شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرنا المشركين عبدة الاصنام في العداوة
للمومنين وذلك حسدا منهم للمومنين ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى
ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق وقال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم
ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع من
المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذا في مذهبهم حرام فحصل الفرق
بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة
ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها
وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق
فلهذا قال تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الاية نزلت فيمن امن من
النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس هم رؤسا النصارى والجمع قسيسين وقال
قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية
واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف
مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم في مقابلة ذم اليهود ووصفهم
بشدة العداوة للمومنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من
امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامنوا به واتبعوه فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح لان النصارى ينازعون
في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فينكرون نبوة بعض النبيين ويكفرون
ببعضهم والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس هو
مدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود
ومدح النصارى الذين امنوا منهم واختلف العلما فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في النجاشي ملك
الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الاية قال
ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا ان
قريشا ايتمرت ان يفتنوا المومنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من امن منهم فاذوهم وعذبوهم فافتتن من
افتتن منهم وعصم الله من شا منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما راى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يوم بعد بالجهاد امر اصحابه
بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى
يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا ومنهم عثمان بن عفان وزوجته
رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف
وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته
ام سلمة بنت ابي امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل
ابن بيضا فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة
الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب
وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى النسا
والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم
اليهم فدخل اليه عمرو وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه
نبي وانه قد بعث اليك رهطا من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان ناتيك ونخبرك خبرهم
وان قومهم يسالونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسالهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي قالوا
تستاذن اوليا الله فقال ايذنوا لهم فمرحبا باوليا الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين
ايها الملك الا ترى انا صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني
بتحيتي فقالوا انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية الملايكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في
عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم
العذرا ويقول في مريم انها العذرا البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم
على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيا مما انزل
على صاحبكم قالوا نعم قال اقروا فقرا جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان وساير النصارى
فعرفوا ما قرا فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى اخر الايتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم
بارضي يعني انتم امنون فرجع عمرو وصاحبه خايبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير
جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداه وذلك في سنة ست
من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة
بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة
الى ام حبيبة تخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك واعطت الجارية
اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق
مبلغه اربعماية دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي وانفذ اليها بجميع الصداق

على يد جاريته ابرهة فلما جاتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تاخذها وقالت
ان الملك امرني ان لا اخذ منك شيا وقالت انا صاحبة ذهب الملك وثيابه وقد صدقت محمدا
صلى الله عليه وسلم وامنت به وحاجتي اليك ان تقريه مني السلام قالت نعم وقالت قد امر الملك نساه
ان يبعثن اليك بما عندهن من عود وعنبر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره
قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج
اليه ممن قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسالني
عن النجاشي فقرات عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل
الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزويج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة
قال ذلك الفحل لا يقدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابنه ازهى في ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقا
مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ازهى
وان شيت اتيتك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا
كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع
جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من
الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكى القوم حين سمعوا القران
وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله عز وجل فيهم هذه الاية
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر
وهم السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين اربعين من نصارى نجران من بني
الحارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام وقال قتادة نزلت
في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم امنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا
انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان
والاذعان للحق قوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول يعني واذا سمعوا القران الذي انزل الى
الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم ترى اعينهم تفيض من الدمع يقال فاض الانا اذا امتلا حتى يخرج منه
ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكا ورقة القلب عند سماع القران قال ابن عباس يريد
النجاشي واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من
القران مما عرفوا من الحق يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق يقولون ربنا يعني القسيسين
والرهبان الذين سمعوا القران من جعفر عند النجاشي امنا يعني بهذا القران ونشهد انه حق وصدق فاكتبنا

مع الشاهدين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق وما لنا لا نؤمن بالله
وما جانا من الحق قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم
على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب
ومعنى الاية وما لنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جانا من الحق من عنده على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونطمع يعني ونرجو بذلك الايمان ان يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا يعني بالتوحيد
الذي قالوا وانما علق الثواب وهو قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار بمجرد القول
لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكا المؤذنان بحقيقة
الاخلاص واستكانة القلب والقول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه
بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سالوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين
خالدين فيها يعني في الجنات وذلك جزا المحسنين يعني المومنين الموحدين المخلصين
في ايمانهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا لما ذكر الله عز وجل الوعد لمومني اهل الكتاب وما
اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واطلق القول بذلك ليكون هذا
الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال علما
التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع
عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن
مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان
الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا
مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا
يقربوا النسا ولا الطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان
ابن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب
وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا
بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلك ثم قال
صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم
وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم
فقال ما بال اقوام حرموا النسا والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست امركم ان تكونوا

قسيسين

قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة
امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله
عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني الطيبات
اللذيذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة
فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من
ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان يجتنب الطيبات المباحات فان اعتقد تحريم شي احله الله
فقد كفر اما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعبادته من غير
اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مامور بها وقوله تعالى ولا تعتدوا
يعني ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتدا
وقيل معناه ولا تتعدوا بالاسراف في الطيبات ان الله لا يحب المعتدين يعني المجاوزين الحلال الى
الحرام وقوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يعني وكلوا ايها المومنون من رزق الله الذي
رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه
والطيب ما غذا وانما فاما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه الا على وجه التداوي
عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا اصبت اللحم انتشرت
للنسا واخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وله عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل
وله عن ابي هريرة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها
قالت عايشة ما كان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا
غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي ايضا وقوله تعالى واتقوا الله
الذي انتم به مومنون هذا تاكيد للوصية بما امر الله به وزاد تاكيدا بقوله الذي انتم به مومنون
لان الايمان به يوجب التقوى في الانتها الى ما امر به وعما نهى عنه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل
قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا
تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعد الله وتكفل به
فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد والله اعلم قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم قال ابن
عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع
بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية لا يواخذكم

الله باللغو في ايمانكم وقد تقدم تفسيرا للغو في الايمان في سورة البقرة قوله تعالى ولكن
يواخذكم بما عقدتم الايمان يعني ولكن يواخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول العزيز دق
ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزايم وفي الاية حذف تقديره ولكن يواخذكم
بما عقدتم اذا احنثتم تحذف هذا لانه معلوم عند السامع فكفارته يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتم
اذا حلفتم اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم يعني من اقصد ذلك لان من الناس من
يسرف في الطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل في ادا الكفارة وقيل اراد بالاوسط
في القيمة فلا يكون غاليا من اغلا الموجود ولا خسيس الثمن من ارذى الموجود بل الوسط في القيمة
وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شي في كتاب الله تعالى اوسط فهو افضل فعلى هذا
يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله او كسوتهم هو معطوف على محل اوسط اى كما
تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك تكسوهم من اوسط الكسوة او تحرير رقبة
يعني عتق رقبة والمراد به جملة الشخص فصل في حكم الاية وفيه مسايل المسلة الاولى في بيان
الكفارة وهي اربعة انواع النوع الاول من الكفارات الاطعام فيجب طعام عشرة مساكين واختلفوا
في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم كل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلى الله
عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب قوت البلد وكذلك ساير الكفارات وهذا قول
ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار
وعطا والحسن واليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعايشة انه يطعم لكل مسكين
مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف
صاع وان اطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال
احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدا من البر او نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن
شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك
ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدراهم والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج
الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى
مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلما في قدرها فذهب
قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا او ردا او قميصا او سراويل
او عمامة او كسا ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطا وطاوس واليه ذهب
الشافعي وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ما تجوز فيه الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة ثوبين
درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو ادنى ما يجزي في الصلاة وقال
ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب
وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب

اعتاق

٤٨٤

اعتاق رقبة مومنة وكذلك يجب في جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة
الكافرة في جميع الكفارات الا كفارة القتل لان الله قيد الرقبة فيه بالايمان في كفارة القتل
ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة بالاجماع ويشترط
ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق في الكفارة مكاتبا او ام ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق
او اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هولا لا يجزي في اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراي عتق
المكاتب في الكفارة اذا لم يود من نجوم الكتابة شيا وجوزوا عتق القريب في الكفارة ويشترط
ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزي مقطوع اليد او الرجل ولا الاعمى ولا الزمن
والمجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها
لا تضر بالعمل وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فجوز عتق مقطوع
احد اليدين ولم يجوز عتق مقطوع الاذنين في الكفارة النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو
قوله قوله فمن لم يجد يعني الكفارة فصيام ثلاثة ايام يعني فاذا عجز من لزمه كفارة اليمين عن الاطعام
او الكسوة او العتق وجب صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعني فعليه صيام
ثلاثة ايام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة
مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة
يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال
الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع
في الصيام عن كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار
والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطا وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة واحمد
واصح قولي الشافعي والقول الثاني انه لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شا تابع وان شا فرق والتتابع
افضل وبه قال الحسن ومالك وهو القول الثاني للشافعي المسلة الثانية كلمة او للتخيير بين
الاطعام والكسوة والعتق فان شا اطعم وان شا كسا وان شا اعتق فبايها اخذ المكفر فقد
اصاب وخرج عن العهدة المسلة الثالثة لا يجوز صرف شي من الكفارات الا الى مسلم حر
محتاج فلو صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة
واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لا يجوز المسلة الرابعة اختلفوا في تقديم الكفارة
على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه الترمذي
ق عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسال
الامارة فانك ان اتتك عن مسلة وكلت اليها وان اتتك عن غير مسلة اعنت عليها واذا
حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر

وابن عباس وعايشة وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان
الشافعي قال لا يكفر بالصوم قبل الحنث فانه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله **ذلك**
اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز **كفارة ايمانكم اذا**
حلفتم يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة
الى ان تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم **واحفظوا ايمانكم** يعني
قللوا ايمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر • قليل الالايا حافظ ليمينه • وصفه
بانه لا يحلف وقيل في معنى الاية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير
وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب وفعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث
نفسه ويكفر لما روي عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله
لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير اخرجاه في الصحيحين
وقوله تعالى **كذلك يبين الله لكم اياته** يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم كذلك يبين لكم
جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم **لعلكم تشكرون** يعني نعمه التي انعم بها عليكم ان بين لكم اياته
ومعالم شريعته قوله عز وجل **يايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس** لما انزل
الله تعالى يايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا
وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم فبين الله في هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين في
جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كلما خامر العقل فغطاه والميسر القمار وقد
تقدم تفسيرها في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون
عندها والازلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك كله والرجس في اللغة
الشيء المستقذر وهو المستقذر **من عمل الشيطان** يعني من تزيينه واغوايه ودعايه اياكم اليها وليس
المراد انها من عمل يديه **فاجتنبوه** يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عايد الى
الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة الاشيا كلها رجس فاجتنبوه **لعلكم تفلحون**
يعني لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى **انما يريد الشيطان**
ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فروى ابو ميسرة
ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفا فنزلت الاية التي في سورة البقرة يسالونك
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الاية فدعا عمر فقريت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفا
فنزلت التي في سورة النسا يايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعا عمر فقريت عليه
ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفا فنزلت التي في المايدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضا في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعي عمر فقريت عليه فقال انتهينا انتهينا
اخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية ابي ميسرة هذه اصح واخرجه ابو داود والنساي

وروى مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل
ان تحرم الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال
سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد ففزره
فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزلت تحريم الخمر في قبيلتين من قبايل الانصار شربوا حتى اذا ثملوا
عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا اخي فلان
وكانوا اخوانا ليس في قلوبهم ضغاين فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الاية يايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون واما تفسير الاية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضا يعني انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر
ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضا بسبب شرب الخمر والميسر واما العداوة
والبغضا بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة
وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضا بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في
الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورث
ذلك العداوة والبغضا فنهى الله عن ذلك وقدم فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك
ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضا بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا
وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهي قوله تعالى **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** لان شرب الخمر
يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة
فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الاية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه
الاية قلت لان الخطاب مع المومنين بدليل قوله تعالى يايها الذين امنوا والمقصود نهيهم
عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتاكيد تحريم الخمر
والميسر فلما كان المقصود من الاية النهي عن شرب الخمر والميسر لا جرم افردهما بالذكر في اخر الاية
والله اعلم وقوله تعالى **فهل انتم منتهون** لفظه استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ
ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل قد تلي عليكم فيهما من انواع
الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا
ولم تزجروا وفي هذه الاية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام
وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما ثم قال في اخر الاية فهل
انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر
فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام
الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر

لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل صلاة اربعين
صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله
عليه فان عاد في الرابعة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه
من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر
وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه
اخرجه ابو داود قوله عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني فيما امركم به او نهاكم
عنه واحذروا يعني واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به او
نهاكم عنه فان توليتم يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه فاعلموا انما على رسولنا البلاغ
المبين وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم
واعراضكم قد استحقيتم العذاب والسخط قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا الاية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر
فلما نزل تحريم الخمر قال اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها
قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من القمار في وقت الاباحة قبل التحريم
قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر، فان شئت حرمت النساء سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا، النقاخ الماء والبرد النوم اذا ما اتقوا يعني اذا ما اتقوا
الشرك وقيل اتقوا ما حرم عليهم وامنوا يعني بالله ورسوله وعملوا الصالحات اي وازدادوا من
عمل الصالحات ثم اتقوا وامنوا يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا
عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم
امروا باتقائها والايمان بتحريمها ثم اتقوا يعني ما حرم عليهم في المستقبل واحسنوا يعني العمل
وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم
الاحسان اليه ثم قال تعالى والله يحب المحسنين يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال
الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه
المقامات من اشرف الدرجات واعلاها م عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى اخر الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي

انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين
امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء
من الصيد نزلت هذه الاية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش
تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله تعالى هذه الاية يا ايها الذين
امنوا ليبلونكم الله بشيء اللام في ليبلونكم لام القسم اي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى
يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون صيد البحر وقيل اراد الصيد في
حالة الاحرام دون الاحلال وقيل ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها اقدام
الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل
كما ابتلي اصحاب السبت من صيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله
عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير
وقوله تعالى تناله ايديكم يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد ورماحكم يعني كبار
الصيد مثل حمر الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من
الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاءوا نالوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه
ليعلم الله اي ليرى الله لانه قد علمه فهو مجاز لانه عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل
معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم
اولياء الله من يخافه بالغيب يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حال الاحرام شيئا فمن اعتدى بعد
ذلك يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي فله عذاب اليم يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوسع
ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين في معنى هذه الاية لانه قد سمى الجلد عذابا
وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المومنين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم جمع حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة وقيل المراد منه دخول الحرم
يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالاية فلا يجوز قتل الصيد
للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الاية في ابي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا
الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان
متوحش ماكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان ماكولا
او لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا او نمرا ونحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق
فاجاز قتلهن ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم
في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من
قتلهن في الحرم والاحرام ق عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فاسق
يقتلن في الحرم الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم

وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب الابقع والكلب
العقور وقال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضاري يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يوكل لحمه
قال لان الحديث يشتمل على الحيات بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا تدخل في
معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب
عليه الحكم وذهب اصحاب الراي الى وجوب الجزا في كل ما لا يوكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث
وقاسوا عليها الذيب فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا قال مجاهد والحسن وابن
زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه جزا اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه
فلا جزا عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزا وان تعمد القتل
مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقها اما اذا قتل الصيد خطا بان قصد غيره بالرمي فاصابه
فهو كالعمد في وجوب الجزا وهذا مذهب جمهور المفسرين والفقها قال الزهري نزل القران بالعمد وجرت
السنة في الخطا يعني الحقت المخطي بالمتعمد في وجوب الجزا وقال سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيا وهذا
قول شاذ لا يوخذ به فجزا مثل ما قتل من النعم يعني فعليه جزا من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه
واحد واختلفوا في هذه المماثلة اي بالخلقة ام بالقيمة فالذي عليه جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم
ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الاية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل
الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذه الانواع
فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في ساير الصور كذلك لان اللفظ الواحد
لا يجوز حمله الا على معنى واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى
الامكان وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفا بها للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار
المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة
وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم
انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ويجب في الظبي
شاة وفي الارنب عناق وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمام وكل ما عب وهدر
كالفواخت والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي اصيب
فيه وروي عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة وروي عن عمر انه قضى في الضبع بكبش
وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم يعني يحكم
بالجزا في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظران
الى اشبه الاشيا به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جا اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت
من الصيد كذا وكذا فسال ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي اني اتيتك اسالك وانت تسال غيرك فقال
ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شي امرناك

به وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة يعني ان الكفارة هديا تساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة
لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة
وعندها ملاصقا لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على
مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شا اذا وصل الهدي
الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة
او في هذه الاية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس
قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشيا ان شا ذبح المثل من النعم وتصدق به
على مساكين الحرم وان شا قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان
شا صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد
روايتان كالقولين واصل هذه المسيلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند
ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شا لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقها
الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة الاشيا الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله
اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شا وقال محمد بن
الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان
كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك
ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة
لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شا صرف تلك القيمة الى شي من النعم وان شا الى الطعام
فيتصدق به وان شا صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع
التقويم فقال جمهور الفقها يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة
لانه يصرف بها وقوله تعالى ليذوق وبال امره يعني جزا ذنبه والوبال في اللغة الشي الثقيل الذي
يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سماه الله وبالا لان اخراج الجزا ثقيل
على النفس لان فيه تنقيص المال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لانه
فيه انهاك البدن عفا الله عما سلف يعني قبل التحريم ومن عاد يعني الى قتل الصيد مرة ثانية فينتقم
الله منه يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزا في المرة الثانية
والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزا وهذا قول جمهور العلما وقد روي عن ابن
عباس والنخعي وابي داود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزا عليه لان الله وعده
بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سيل هل قتلت قبله شيا من الصيد فان قال
نعم لم يحكم عليه ويقال اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيا حكم عليه فان عاد بعد
ذلك لم يحكم عليه ولكن يملا ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

في صيد وج وهو واد بالطايف والله عزيز ذو انتقام يعني ممن عصاه واذا اتلف المحرم شيا
من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطاير صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم
يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى احل لكم صيد
البحر وطعامه المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه
فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب
وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب
والسدي ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الما على قسمين سمك وغير سمك فاما
السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور
ماوه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنساي ولا فرق بين ان يموت بسبب وبغير سبب
فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما عدا السمك فقسمان قسم يعيش في البحر
والبر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا في
الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلما الى انه من صيد البر وانه لا يحل
للمحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن
ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الما فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يوكل كل ما في البحر الا الضفدع
والتمساح قال لان التمساح يفترس وياكل الناس وقال ابن ابي ليلى وما لك يباح كل ما في البحر وذهب
جماعة الى ان ما له نظير في البر يوكل فيوكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الما ونحوه ولا يوكل ما لا يوكل
نظيره من البر مثل كلب الما وخنزير الما فلا يحل اكله قوله تعالى متاعا لكم وللسيارة يعني ينتفع به
المقيمون والمسافرون فيتزودون منه وقوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ذكر الله عز وجل تحريم
الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة وهو قوله غير محلي الصيد
وانتم حرم والثاني قوله يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الاية وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتاكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلما هل يجوز
للمحرم ان ياكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي
انه اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابوا وبودان فرده عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما راى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في الصحيحين
وذهب جمهور العلما الى انه يجوز للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له
ولا باشره ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وابي هريرة وبه قال عطا ومجاهد وسعيد بن جبير
وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن ابي قتادة الانصاري
قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى

الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول
اخصف نعلا فلم يوذنوني واحبوا لو اني ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت
ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح فقالوا لا والله لا نعينك عليه فغضبت
فنزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جيت به وقد مات فوقعوا فيه ياكلونه
ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبات العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالته عن ذلك فقال هل معكم منه شي فقلت نعم فناولته العضد فاكلها وهو محرم زاد في رواية ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي
رواية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال
كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن
جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم لا ياكل ما صيد لاجله
واتقوا الله يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله الذي اليه تحشرون
يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام جعل بمعنى صير
وقيل معناه بين وحكم قال مجاهد سمي البيت الكعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي
البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم ان يصاد عنده وان يختلا خلاه
وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم صح من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البيت حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة
الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلا خلاه
وقوله تعالى قياما للناس اصله قواما لانه سبب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم واخرتهم
اما في امر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه يجبى اليه ثمرات كل شي ويامنون
فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه وابنه في الحرم لم يهجه واما في امر الاخرة فان البيت
جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات
وتكفير الخطيات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه
الاشيا كانت سببا لقيام الناس والشهر الحرام يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر
الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل
الاشهر الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يغير بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض
وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها وكانوا يامنون في الاشهر الحرم فكانت
سببا لقيام مصالح الناس والهدي والقلايد يعني وكذلك جعل الهدي والقلايد سببا لقيام
مصالح الناس وذلك انهم كانوا يامنون بسوق الهدي الى البيت الحرام على انفسهم بذلك وكذلك
كانوا يامنون اذا قلدوا انفسهم من لحي شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في

السموات وما في الارض يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل
الكعبة والبيت الحرام والهدي والقلايد يامنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في
ما في الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى وان الله بكل
شي عليم يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية اعلموا ان الله شديد العقاب يعني لمن انتهك محارمه
واستحلها وان الله غفور رحيم يعني لمن تاب وامن ولما ذكر الله انواع رحمته بعباده ذكر بعدها
انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجا والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة
رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم
الا التبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففي الاية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر
الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك
ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يعني انه تعالى لا يخفى عليه
شي من احوالكم ظاهرا او باطنا قل لا يستوي الخبيث والطيب يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة
والرتبة ولا يستوي الردي والجيد ولا المسلم ولا الكافر ولا الصالح ولا الطالح ولو اعجبك كثرة
الخبيث يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سو والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال
وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم قال
ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك
المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب
وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج ابني بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة
فاتقوا الله يعني فيما امركم به ونهاكم عنه ولا تعتدوه يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول السليمة لعلكم
تفلحون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم اختلفوا في سبب نزول
هذه الاية فروي عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط
فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوههم لهم خنين فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الاية لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم
وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر
الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسال عن شي فليسال فلا تسالوني عن شي الا اخبرتكم
ما دمت في مقامي فاكثر الناس البكا واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي فقال
ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار انفا في عرض هذا الحايط فلم ار كاليوم في الخير
والشر قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة
ما سمعت قط اعق منك اامنت ان تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين

الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية قال
قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الاية لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم واخرجاه
في الصحيحين خ عن ابن عباس قال كان قوم يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزا فيقول
الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الاية يا ايها الذين امنوا
لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم الاية كلها وقيل نزلت هذه الاية في شان الحج عن علي بن
ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل
عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي
هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال
رجل افي كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما
استطعتم وانما اهلك من كان قبلكم كثرة سوالهم واختلافهم على انبيايهم اذا امرتكم بشي فاتوا
منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسالوا عن اشيا
قال هي البحيرة والوصيلة والسايبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا
ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسالونه عن الايات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سالها قوم من قبلكم
ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا جمع شي ان تبد لكم
اي تظهر لكم وتبين لكم تسوكم يعني ان امرتم بالعمل بها فان من سال عن الحج لم يامن ان يومر به فلا يقدر
عليه فيسوه ذلك ومن سال عن نسبه لم يامن ان يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح
ويسوه ذلك وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم معناه ان صبرتم حتى ينزل القران بحكم
من فرض او نهي او حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سالتم
عنه فحينيذ تبد لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل
ولم يكن في عدد هولاء دليل على عدة التي ليست بذات قرو ولا حامل فسالوا عنها فانزل الله عز وجل جوابهم
في قوله واللاي يئسن من المحيض الاية عفا الله عنها يعني عن مسالتكم عن الاشيا التي سالتم عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السوال عنها فلم يواخذكم بها ولم يعاقبكم عليها والله غفور
يعني لمن تاب منكم حليم فلم يعجل بعقوبتكم وقال عطا غفور لمن كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم
منذ امنتم وصدقتم قال بعض العلما الاشيا التي يجوز السوال عنها هي ما يترتب عليه امر الدين والدنيا
من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السوال عنه ق عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شي لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسالته ق
عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة
المال وكثرة السوال عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو داود الاغلوطات

صعاب المسايل التي نزل فيها القران العلما وبوخيه ذلك قول النبي صلعم من شرار الناس الذين يتبعون
عن شرار المسايل كي يغلطوا بها العلما وعن سلمان قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا فقال
الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرمه في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تتكلفوا
وعن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرض فرايض فلا تضيعوها وحد
حدودا فلا تعتدوها وحرم اشيا فلا تنتهكوها وترك اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها اخرج هذان
الحديثان اخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى قد سالها قوم من قبلكم
ثم اصبحوا بها كافرين قال المفسرون يعني قوم صالح سالوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها
كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السوال وبالا عليهم وقوم عيسى سالوا نزول
المايدة عليهم ثم كذبوا بها فكانه تعالى يقول ان اوليك سالوا فلما اعطوا سولهم كفروا بها فلا تسالوا
انتم اشيا فلعلكم ان اعطيتم سولكم ساءكم ذلك قوله تعالى ما جعل الله اي ما انزل الله ولا احكم به
ولا شرعه ولا امر به من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحرت ناقته اذا شققت اذنها فهي
فعيلة بمعنى مفعولة ولا سايبة يعني المسيبة المخلاة ولا وصيلة الوصيلة بمعنى الشاة وكانت العرب
في الجاهلية اذا ولدت خمسة ابطن وانثى قالوا وصلت اخاها ولا حام والحام هو الفحل من الابل يحمي ظهره
فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت ولم يركبوا
ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الما والكلا ولم ينظروا الى حاجتهم ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله
الرجال والنسا وان كان انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النسا لبنها ومنافعها وكانت منافعها
للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنسا وقيل كانت الناقة اذا تابعت اثنتي عشرة سنة
اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى
شقوا اذنها ثم سيبت مع امها وفعل بها كما فعل بامها وقيل السايبة البعير الذي يسيب لالهتهم
وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفي
مريضي او قدم غايبي فناقتي هذه سايبة ثم يسيبها فلا تحبس عن مرعى ولا عن ما ولا يركبها احد فهي
بمنزلة البحيرة واما الوصيلة فهي من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا
ذبحوه واكل منه الرجال والنسا وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت
اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى واما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل
اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلا ولا مرعى فاذا مات
اكله الرجال والنسا خ عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من
الناس والسايبة كانوا يسيبونها لالهتهم لا يحمل عليها شي قال وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان اول من سيب قال ابو هريرة قال رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف ابا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ عن عايشة

قالت

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمروا يجر قصبه
وهو اول من سيب السوايب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعا كان اهل الجاهلية
تفعل هذه في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك كله بقوله ما جعل
الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سايبة ولا وصل
من وصيلة ولا حما من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم خ عن ابن
مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون وقوله تعالى ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب يعني بقولهم ان الله امرنا بها واكثرهم لا يعقلون اراد بالاكثر الاتباع يعني الاتباع لا يعقل
ان هذا كذب وافترا من الرؤسا على الله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني واذا قيل
لهولاء الذين بحروا البحاير وفعلوا هذه الاشيا ويضيفونها الى الله كذبا عليه تعالوا الى ما انزل الله
يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه
الى الله ويبين لكم الشرايع والاحكام وان الذي تفعلونه ليس بشي قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا
يعني قد اكتفينا بما اخذناه عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله رادا عليهم اولو كان اباوهم لا يعلمون شيا ولا
يهتدون يعني انما يصح الاقتدا بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان اباهم
ما كانوا كذلك فلا يصح الاقتدا بهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم قال بعض العلما هذا امر من الله ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار
على المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا فمعناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا
في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني
لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير
ومجاهد نزلت هذه الاية في اهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل
الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبل الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف يقبل
الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الاية وقيل ان المومنين كانوا يشتد عليهم بقا الكفار على كفرهم
فقيل لهم عليكم انفسكم فاجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم
انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل
على ذلك والذي عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون موخذا بذنوب العاصي فاما وجوب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة ق عن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر الصديق
انه قال ايها الناس انكم تقرون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم
الله منه بعقاب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود وزاد فيه ما من قوم
يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال قوم

في معنى الاية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا
بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القران نزل منه اي قد
مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه اي وقع تاويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه اي قد وقع تاويلهن بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع تاويلهن في اخر الزمان ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيمة وهي ما
ذكر من الحساب والجنة والنار فاذا ما دامت قلوبكم واهواكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس
بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواكم والبستم شيعا وذاق بعضكم باس
بعض فامرو نفسه فعند ذلك جا تاويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تامر
ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا
لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم الغايب
ولكن هذه الاية لاقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية الشعباني قال اتيت ابا
ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الاية قال اية اية قلت يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب
كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورايكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على
الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وقيل في معنى الاية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل او
هلك قال ابن عباس في قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعني
فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل
على شاب من اصحاب الاهوا فذكر شيا من امره فقال له صفوان الا ادلك على خاصة الله التي خص بها
اولياءه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مومن فيما
مضى ولا مومن فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الاية لا يضركم من كفر بالله وحاد
عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في اهل الكتاب
وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك
ان تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم قال الطبري واولى هذه الاقوال واصح التاويلات عندنا في هذه الاية ما روي عن ابي بكر
الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما الزمه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم
لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن البر والتقوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الاية اوكد اية في وجوب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعني اهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا

بان يرغبه في الخيرات وينفره عن القبايح والمكروهات والذي يوكد ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم
اي احفظوا انفسكم وهذا امر بان نحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والله اعلم وقوله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعني في الاخرة الطايع والعاصي والضال والمهتدي
فينبيكم بما كنتم تعملون يعني فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة
بينكم سبب نزول هذه الاية ما روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بدا خرجا من المدينة في تجارة
الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل
فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه
اوصى الى تميم وعدي وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا
متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثماية مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما
وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى اهل الميت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان
معه فجا اهل الميت الى تميم وعدي فقالوا هل باع صاحبنا شيا من متاعه قالا لا قالوا فهل
اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه شيا قالا لا فقالوا انا وجدنا في متاعه
صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلثماية مثقال فضة
قالا ما ندري انما اوصى الينا بشي وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا فانزل الله تعالى هذه الاية هذا قول المفسرين وروى
الترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر
احدكم الموت قال بري الناس منها غيري وغير عدي بن بدا وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما
قبل الاسلام فاتيا الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم بتجارة ومعه جام
من فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات
اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمنا انا وعدي فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا
وفقدوا الجام فسالونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر وادبت اليهم خمسماية
درهم واخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة فلم يجدوا
فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم به على اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم
اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل اخر فحلفا
فنزعت الخمسماية درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح قال الترمذي
وقد روي عن ابن عباس شي من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم
مع تميم الداري وعدي بن بدا فمات السهمي بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة
مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم

وعدي فقام رجلان من اوليا السهمي فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم
قال وفيهم نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع
والتشاجر اذا حضر احدكم الموت يعني اذا قارب وقت حضور الموت حين الوصية اثنان لفظه خبر
ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت واردتم الوصية ذوا عدل منكم يعني من
اهل دينكم وملتكم يا معشر المومنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان
على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الاية نزلت فيهما ولانه تعالى قال فيقسمان بالله والشاهد
لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تاكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت
وصية فلان بمعنى حضرت او اخران من غيركم يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابي موسى
الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح واكثر المفسرين
وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلما في حكم هذه الاية فقال ابراهيم
النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة في الابتدا ثم نسخت بقوله واشهدوا
شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار واهل الذمة
لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري
وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدان
على وصيته وهو في ارض غربة فليشهد كافرين او ذميين او من اي دين كانا لان هذا موضع ضرورة
قال شريح من كان بارض غربة لم يجد مسلما يشهده وصيته فليشهد كافرين على اي دين كانا من اهل
الكتاب او من عبدة الاوثان فشهادتهم جايزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال
الا على وصية في سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه
ولم يجد احدا من المسلمين يحضره يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة
فاتيا ابا موسى الاشعري فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي
كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا
كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوا
عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم او اخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الاية كلها في
المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شي من الاحكام وهذا مذهب
الشافعي ومالك وابي حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض
واحتج من قال بان هذه الاية محكمة بان سورة المايدة من اخر القران نزولا وليس فيها منسوخ
واحتج من اجاز شهادة غير المسلمين في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الاية يا ايها الذين امنوا

فعم بهذا الخطاب جميع المومنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم او اخران من غيركم
فعلم بذلك انهما من غير المومنين ولان الاية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين
واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في ارض غربة
ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون وعنده وديعة
فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضره من اهل الذمة وغيرهم
من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي ابيح له اكل الميتة في حالة
الاضطرار والضرورات قد تبيح شيا من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال
ممن ترضون من الشهدا والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة في حال من
الاحوال وقوله تعالى ان انتم ضربتم في الارض يعني ان انتم سافرتم في الارض فاصابتكم مصيبة
الموت يعني نزل بكم اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما تحبسونهما يعني ان
اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه ان يوقفوهما من بعد الصلاة يعني من
بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويتجنبون فيه الحلف الكاذب
وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر فيقسمان بالله
يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في الدما والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مايتي
درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان
بالمدينة فعند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي ساير البلاد في اشرف المساجد واعظمها
ان ارتبتم يعني ان شككتم ايها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين
اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع لا نشتري به ثمنا يعني لا نبيع
عهد الله بشي من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض ناخذه او حق نجحده ولو كان ذا قربى
ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لانا نميل اليهم اكثر من غيرهم ولا نكتم
شهادة الله انما اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها انا اذا لمن الاثمين يعني
ان كتمنا الشهادة او خنا فيها ولما نزلت هذه الاية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
ودعا بتميم وعدي وحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيا دفع اليهما فحلفا على
ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الانا بعد ذلك قال ابن عباس وجد الانا بمكة
فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك
فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيا من متاعه قالا لم يكن عندنا
بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عثر يعني فان
اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفي عليه فقيل له
قد عثر عليه على انهما استحقا اثما يعني الوصيين ومعنى الاية فان حصل العثور والوقوف على ان

الوصيين خانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة فآخران يعني من اولياء الميت
واقربائه يقومان مقامهما يعني مقام الوصيين في اليمين من الذين استحق عليهم يعني من الذين
استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان
اخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته الاوليان يعني بامر الميت وهم اهله وعشيرته
فيقسمان بالله يعني فيحلفان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما يعني ان ايماننا احق واصدق
من ايمانهما وما اعتدينا يعني في ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين
ولما نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وهما من اهل الميت
فحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على اولياء الميت لان الوصيين ادعيا
ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيئا من مال الميت
وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصة
كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى ذلك ادنى
ان يأتوا بالشهادة على وجهها يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم
ادنى اي اجدر واحرى ان يأتوا بالشهادة على وجهها يعني ان يأتي الوصيان وسائر الناس بالشهادة
على وجهها فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم يعني واقرب ان يخاف الوصيان ان
ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين
اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا
يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني
والله لا يرشد من كان على معصيته وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله وخان امانته
او حلف ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القران من الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم
باسرار كتابه قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله
يوم يجمع الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة
في ذلك اليوم وهو يوم القيمة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله
الرسل وذلك يوم القيمة فيقول ماذا اجبتم يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم اممكم
وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال
توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل لا علم لنا قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك
فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ
فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال
في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم
لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم

لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم
ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن
على الحوض رجال ممن صاحبني اذا رفعوا الى اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري
ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين
ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب
ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله قال في حق الانبياء
لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله
تعالى عالم لا يجهل وحكيم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب
في السكوت وفي تفويض الامر الى الله وعدله فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم
ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى
عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سالتنا عنه ليس يخفى لانك انت علام الغيوب ومعناه
العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس يخفى عليه خافية وبنا فعال بنا التكثير ودلت
الاية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق فيه وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال بعضهم ان اذ قال الله تعالى يا عيسى صلة لما ذا اجبتم ولما كان المراد
بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ الامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله وكان اشد الامم احتياجا وافتقارا
الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم
انما كان طعنهم على انبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هولاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث
وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد فذكر في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى عليه
السلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح
مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيمة
ما خص به عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه
اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على
سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه واحد
والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد من ذكرها شكرها وعلى والدتك
يعني نعمته على امه انه تعالى انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم
ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى اذ ايدتك بروح القدس يعني بجبريل عليه السلام لان الله
هو الله تعالى اضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل
المراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف بالماهية فمنها روح طاهرة مقدسة

نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية
المشرقة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حال الكهولة من غير
ان يتفاوت كلامه في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة لم تحصل لاحد قبله
قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم
رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار
العلوم والتوراة والانجيل اي وعلمتك التوراة التي انزلتها على موسى والانجيل الذي انزلته عليك
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني يعني واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ
فيها ذكر ههنا فيها وفي سورة آل عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة وتجعلها مصدرا
كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في المهيا ذي الهيئة ويجوز ان
يعود الضمير الى الطير لانها مونثة قال الله تعالى ولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير
المذكور في آل عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فتكون طيرا
باذني انما كرر قوله باذني تاكيدا ان الكون في ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى
وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشيا كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان
الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص
باذني يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر واذ تخرج الموتى يعني من
قبورهم احيا باذني تفعل ذلك كله بدعايك والفاعل لهذه الاشيا في الحقيقة هو الله تعالى لانه
هو المبري للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشيا معجزات
لعيسى عليه السلام وقعت باذن الله وقدرته وقوله تعالى واذ كففت بني اسرايل عنك يعني واذكر
نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك اذ جيتهم بالبينات
يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكر في هذه الاية وذلك ان عيسى لما اتى بهذه
المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السما فقال الذين كفروا
منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يومنوا بهذه المعجزات ان هذا الا سحر مبين
يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم وقذفت في
قلوبهم فهو وحي الهام كما اوحى الى ام موسى والى النحل والحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه ان امنوا
بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا امنا واشهد باننا مسلمون لما وفقهم الله تعالى للايمان
قالوا امنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو الانقياد
والخضوع في الظاهر والمعنى انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لاحد ان يتوهم على الحواريين
انهم يشكوا في قدرة الله عز وجل لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي مع علمه

بانه

بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل تخف ان
تقوم معي فكذلك معنى الاية لان الحواريين كانوا مومنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين
بكمال القدرة وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمانينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن
ليطمين قلبي ولا شك ان مشاهدة هذه الاية العظيمة تورث مزيد الطمانينة في القلب ولهذا
السبب قالوا وتطمين قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك
قبل احكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم غلطهم
بقوله اتقوا الله ان كنتم مومنين يعني اتقوا الله ان تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الاول اصح
وقيل في معنى الاية هل يقبل ربك دعاك وهل يعطيك باجابة دعايك وسوالك انزال المايدة
فقد ورد في بعض الاثار من اطاع الله اطاعه ان ينزل علينا مايدة من السما المايدة الخوان الذي
عليه الطعام ولا يسمى مايدة اذا لم يكن عليه طعام وانما يقال الخوان او طبق واصلها من ماد يميد
اذا تحرك كانها تميد بما عليها من الطعام قال يعني عيسى مجيبا للحواريين اتقوا الله ان كنتم مومنين
يعني اتقوا الله في هذا السوال ان كنتم مومنين لانه سوال تعنت وقيل امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا
السوال ومعنى ان كنتم مومنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله
ان تسالوه شيا لم يساله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان قالوا نريد ان
ناكل منها يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المايدة علينا لان ناكل
منها فان الجوع قد غلبنا وقيل معناه نريد ان ناكل للتبرك بها لا لاكل حاجة وتطمين قلوبنا يعني
وتسكن قلوبنا وتستيقن قدرة الله عز وجل لانا وان علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا
نزول المايدة ازداد اليقين وقويت الطمانينة ونعلم ان قد صدقتنا يعني وتزداد ايمانا ويقينا
بانك رسول الله ونكون عليها من الشاهدين يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه
ونكون لك من الشاهدين عند بني اسرايل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا
ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وافطرتم فلا تسالون الله شيا الا اعطاكم ففعلوا
ذلك وسالوا نزول المايدة فعند ذلك قال عيسى ابن مريم قيل انه اغتسل ولبس المسوح وصلى ركعتين
وطاطا راسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ربنا انزل علينا مايدة من السما تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا
يعني عايدة من الله الينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى
نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المايدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجي من بعدنا فنزلت
في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه ياكل منها اول الناس كما ياكل اخرهم
واية منك اي وتكون المايدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة لصدق رسولك وارزقنا
اي ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة وانت خير الرازقين يعني وانت خير من
تفضل ورزق قال الله عز وجل مجيبا لعيسى اني منزلها عليكم يعني المايدة فمن يكفر بعد منكم يعني

بعد نزول المايدة فاني اعذبه عذابا يعني جنسا من العذاب لا اعذبه احدا من العالمين يعني
من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المايدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون
هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز ان يكون موخرا في الاخرة قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس
عذابا يوم القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب المايدة وال فرعون واختلف العلما في نزول
المايدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المايدة لان الله لما وعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول
المايدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول
يكون معنى قوله تعالى اني منزلها ان سالتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلما والمفسرين
انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في خبره
ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المايدة من
السما خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا
قردة وخنازير اخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو اصح قال ابن
عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسلوا الله ما شيتم يعطيكم
فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا عملا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المايدة
فاقبلت الملايكة بمايدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم
فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي لما سال الحواريون المايدة لبس عيسى
عليه السلام صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مايدة من السما الاية فنزلت سفرة حمرا بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين
ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
عقوبة واليهود ينظرون الى شي لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام
ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويسمي الله فقال شمعون الصفا راس الحواريين انت اولى بذلك
منا فقام عيسى عليه السلام فتوضا وصلى صلاة طويلة وبكى بكا كثيرا ثم كشف المنديل عنها
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هي سمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من
الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة
ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شي مما
ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شي افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سالتم
يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال عيسى معاذ الله ان اكل
منها ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرض والبرص والجذام
والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الهنا ولغيركم البلا فاكلوا منها وهم الف وثلاثماية رجل

وامراة

وامراة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباعا واذا السمكة بحالها حين انزلت
ثم طارت المايدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم ياكل منها مريض او زمن او مبتلى
الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم ياكل منها فمكثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت
اجتمع اليها الاغنيا والفقرا والصغار والكبار والرجال والنسا ياكلون منها ولا تزال منصوبة
يوكل منها حتى يفي الفي فاذا فا الفي طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا
يوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مايدتي ورزقي للفقرا
دون الاغنيا فعظم ذلك على الاغنيا حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المايدة حقا تنزل
من السما فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلاثماية وثلاثون رجلا باتوا ليلتهم مع نسايهم على فرشهم
ثم اصبحوا خنازير يسعون في الطرقات ياكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما راى
الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت
تطيف به وجعل عيسى يدعوهم باسمايهم فيشيرون برووسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا
ثلاثة ايام ثم هلكوا قال كعب نزلت المايدة منكوسة تطير بها الملايكة بين السما والارض
عليها كل شي الا اللحم وقال ابن عباس نزل على المايدة كل شي الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها
خبز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا وكان القوم ياكلون ويخرجون
ثم يجي اخرون فياكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا
حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرايل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها
ما شا الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا
ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد به فتنة رجع الى كفره فمسخوا خنازير
ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك
كل ممسوخ قوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
الاية اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام
حين رفعه الى السما بدليل ان حرف اذ يكون للماضي وقال ساير المفسرين انما يقول الله له هذا القول
يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك في يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وذلك في يوم القيمة واجيب عن حرف اذ بانها قد تجي بمعنى اذا كقوله ولو ترى
اذ فزعوا وقال الراجز • ثم جزاك الله عني اذ جزاه جنات عدن في السموات العلى • ولفظ الاية في
قوله اانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام
من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقله فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة

ثم اوجه هذا السوال له مع علم الله تعالى بانه لم يقله قلت وجه هذا السوال تثبيت الحجة على قومه والكذاب لهم في ادعايهم ذلك عليه وانه امرهم به كما يقول القايل لاخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما ادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله وراوا ان مريم ولدته لزمتهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام قال سبحانك يعني تنزيها لك عن النقايص وبراءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا لله تعالى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي كيف اقول هذا الكلام ولست لها باهل ولست استحق العبادة حتى ادعو الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقوله وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله شرع في بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال ان كنت قلته فقد علمته اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في دار الاخرة وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن جملة الشي وحقيقته يقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريق المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال انك انت علام الغيوب يعني تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب قوله تعالى اخبارا عن عيسى ما قلت لهم الا ما امرتني به يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به ان اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم يعني وحده ولا تشركوا به شيا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت اشهد ما يفعلون واحضره ما دمت مقيما فيهم فلما توفيتني يعني فلما رفعتني الى السما فالمراد به وفاة الرفع لا الموت كنت انت الرقيب عليهم يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شي وانت على كل شي شهيد يعني انت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني اليك لا يخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد ما كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شي فلا يعزب عن علمك شي قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ان تعذبهم يعني ان تعذب هولاء الذين قالوا هذه

المقالة

المقالة بان تميتهم على كفرهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع ضرك عنهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا وان تغفر لهم يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك فانك انت العزيز يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سوال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السما قبل يوم القيمة واما على قول جمهور المفسرين ان هذا السوال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه كيف يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه ان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة لهم ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في قوله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته انه يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن امن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله لم يقع لعيسى لان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسال لهم المغفرة والله اعلم بمراده في اسرار كتابه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تبارك وتعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النساي قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم جمهور المفسرين على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الاخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمومنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان يخطبان يوم القيامة عيسى عليه السلام فانه يقوم فيقول ما قال الله عنه ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية فكان صادقا في الدنيا والاخرة فنفعه صدقه واما المتكلم الاخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطا هذا يوم من ايام الدنيا لان الاخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الاية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول

ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السما والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدايم الذي لا انقطاع له ولا انتها رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له ورضوا عنه يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك اشارة الى ما ذكره من ثوابهم الفوز العظيم يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار لله ملك السموات والارض وما فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا كما قالت النصارى من الهية المسيح لان المسيح وامه من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسايل يضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم فقيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السموات والارض وهو على كل شي قدير والله اعلم باسرار كتابه تفسير سورة الانعام فضلها قد ذكرته ولما روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة ونزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست ايات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلاث ايات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي الى اخر الايتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد ايتين وهي قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الاية وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم الاية وروي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا هي مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشا جنات معروشات الاية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قاله البغوي وروي عنه مرفوعا من قرا سورة الانعام صلى عليه اوليك السبعون الف ملك ليله ونهاره ذكره بغير سند بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات والارض قال كعب الاحبار هذه الاية اول اية في التوراة واخر اية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية عنه ان اخر اية في التوراة اخر سورة هود قال ابن عباس فتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليما لعباده كيف يحمدونه اي قولوا الحمد لله وقال اهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جا على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى

الحمد في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض اي احمدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السما بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع وجعل الظلمات والنور الجعل هنا بمعنى الخلق اي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون واصل العدل مساواة الشي بالشي والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن اي عن ربهم يميلون وينحرفون من العدول عن الشي وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المومنين من ذلك ومثال ذلك ان يقول الرجل اكرمتك واحسنت اليك وانت تشكوني وتجحد احساني اليك فيقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني انه تعالى خلق ادم من طين وانه خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما انكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم اعلمهم بهذه الاية انه تعالى خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما اراد الله عز وجل ان يخلق ادم بعث جبريل الى الارض لياتيه بقبضة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع ولم ياخذ منها شيا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكايل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وانا اعوذ بالله ان اخالف امره واخذ من وجه الارض فخلط الحمرا والسودا والبيضا فلذلك اختلفت الوان بني ادم ثم عجنها بالما العذب والملح والمر فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكايل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك عن ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه ابو داود والترمذي اما قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فاختلف المعنى في ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثاني من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ وروي نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص

من عمره الا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل الثاني اجل الاخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو اجل القيامة وهو ايضا معلوم عند الله لا يعلمه الا هو وقال ابن عباس في رواية عطا عنه ثم قضى اجلا يعني النوم يقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى اجلا يعني قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها واجل مسمى عنده يعني ان ذلك الاجل مسمى عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره ثم انتم تمترون يعني ثم انتم تشكون في البعث قوله عز وجل وهو الله في السموات وفي الارض يعني هو اله السموات واله الارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من اعمال القلوب وبالجهر ما يظهره الانسان فهو من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض ويعلم ما تكسبون يعني من خير او شر بقي في الاية سوال وهو ان الكسب اما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسر او من اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف الشي على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك واجيب عنه بانه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان اي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والا لزم عطف الشي على نفسه ذكره الامام فخر الدين وما تاتيهم يعني لاهل مكة من اية من ايات ربهم يعني من المعجزات الباهرات التي جا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالايات ايات القران الا كانوا عنها معرضين يعني الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين فقد كذبوا بالحق يعني بايات القران وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وما اتى به من المعجزات لما جاهم يعني لما جاهم الحق من عند ربهم كذبوا به فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون يعني فسوف ياتي اخبار استهزائهم اذا عذبوا في الاخرة قوله تعالى الم يروا الخطاب لكفار مكة يعني اولم ير هولا المكذبون باياتي كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة من الناس واهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا لانه زمان زمان وامة بامة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة الاصح لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة

فعلى هذا القول المراد بالقرن اهل القرن الذين وجدوا فيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني الصحابة والتابعين وتابعي التابعين مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم يعني اعطيناهم ما لم نعطكم يا اهل مكة وقيل امددناهم في العمر والبسطة في الاجسام والسعة في الارزاق ومثل ما اعطى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وارسلنا السما عليهم مدرارا مفعالا من الدر يعني وارسلنا المطر متتابعا في اوقات الحاجة اليه والمراد بالسما المطر سمي بذلك لنزوله منها وجعلنا الانهار تجري من تحتهم يعني واجرينا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين فاهلكناهم بذنوبهم يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين يعني وخلقنا من بعد هلاك اوليك القرن اهل قرن اخرين وفي هذه الاية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع اهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو اضعف منهم واقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الاية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نومن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى هذه الاية ولو نزلنا عليك كتابا يعني من عندي في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها فلمسوه بايديهم يعني فعاينوه ومسوه بايديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لانه ابلغ في ايقاع العلم بالشي من الروية لان المرئيات قد يدخلها التخييل كالسحر ونحوه بخلاف الملموس لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يعني لو انزلنا عليهم كتابا كما سالوا لما امنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر وانه لا ينفع معهم شي لما سبق فيهم من علمي بهم وقالوا يعني مشركي مكة لولا يعني هلا انزل عليه يعني على محمد ملك يعني نزوله عيانا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر يعني لفرغ من الامر ولوجب العذاب وهو سنة الله في الكفار انهم متى اقترحوا اية فانزلت ثم لم يومنوا استوجبوا العذاب واستوصلوا به ثم لا ينظرون يعني ثم انهم لا يمهلون ولا يوخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يعني ولو ارسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك لان البشر لا يستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لصعق عند رويته ولذلك كانت الملائكة تاتي الانبيا في صورة الانس كما جا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جا الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهم السلام ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه وقوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون يقال لبست الامر على القوم اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبس عليه الامر اذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الاية وخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا الملك هو

امر ادمي وقيل في معنى الاية انا اذا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتعود المسيلة بحالها انا لا نرضى
برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله تعالى مثل فعلهم في التلبيس وانما كان تلبيسا
لانهم يظنون انه ملك وليس بملك او يظنون انه بشر وليس هو بشرا وانما كان فعلهم تلبيسا
لانهم لبسوا على ضعفتهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو راوا الملك رجلا
للحقهم من اللبس مثل ما لحق لضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم
من التخليط في السؤال واللبس على الضعفا قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك يعني كما
استهزوا بك يا محمد وفي هذه الاية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب
المشركين اياه واستهزايهم به اذ جعل له اسوة في ذلك بالانبيا الذين كانوا قبله فحاق اي فنزل وقيل
احاط وقيل حل بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم
من النقمة والعذاب جزا استهزايهم وفي هذه الاية تحذير للمشركين ان فعلوا بنبيهم كما فعل
من كان قبلهم بانبيايهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم قل سيروا في الارض هو سير الاقدام ثم انظروا فعلى
القول الاول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد
بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى اثار الامم الخالية والقرون السالفة وهو قوله
تعالى كيف كان عاقبة المكذبين يعني كيف كان جزا المكذبين وكيف اورثهم الكفر والتكذيب
الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل قل لمن ما في السموت والارض قل لله هذا
سوال وجواب والمعنى قل يا محمد لهولا المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والارض
فان اجابوك والا فاخبرهم ان ذلك لله الذي قهر كل شي وملك كل شي واستعبد كل شي لا للاصنام
التي تعبدونها انتم فانها موات لا تملك شيا ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وانما امره بالجواب عقيب
السوال ليكون ابلغ في التاكيد واكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في ساير مخلوقاته
اردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى كتب على نفسه الرحمة يعني انه تعالى اوجب وقضى
على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بانه رحيم بعباده
وانه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب واناب ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق ولمسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده
فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية للبخاري ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان
رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم
لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم
اتفقا ان رحمتي تغلب غضبي ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله
الرحمة ماية جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم
الخلايق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه زاد البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر

بكل

بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن
من العذاب ولمسلم ان لله ماية رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهايم والهوام فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم
الله بها عباده يوم القيمة م عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
يوم خلق السموات والارض ماية رحمة كل رحمة طباق ما بين السما والارض فجعل منها في الارض
رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيمة
اكملها بهذه الرحمة ق عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امراة من السبي تسعى
قد تحلب ثديها اذ وجدت صبيا في السبي اخذته والزقته ببطنها فارضعته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ان لا تطرحه فقلنا
لا والله فقال الله ارحم بعباده من هذه المراة بولدها وقوله تعالى ليجمعنكم لام القسم
تقديره والله ليجمعنكم الى يوم القيمة يعني في يوم القيمة لا ريب فيه اي لا شك فيه انه ات
الذين خسروا انفسهم يعني بالشرك بالله وغبنوا انفسهم وغبنوها باتخاذهم الاصنام فعرضوا
انفسهم لسخط الله واليم عقابه فكانوا كمن خسر شيا واصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذا
غبن في بيعه فهم لا يومنون يعني لما سبق عليهم من القضا بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع
وله ما سكن في الليل والنهار يعني ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك فاكتفى بذكر احدهما عن
الاخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه اكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت
فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات
والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله
تعالى لا لغيره وهو السميع لاقوالهم واصواتهم العليم بسرايرهم واحوالهم قوله
عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا قال المفسرون لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى دين ابايه فانزل الله هذه الاية فقال قل لهم يا محمد اغير الله اتخذ وليا يعني ربا
ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار اي لا اتخذ غير الله وليا
فاطر السموات والارض اي خالق السموات والارض ومبدعهما ومبديهما وهو يطعم
ولا يطعم يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنا عن الخلق
وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته انه يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو
لا يطعم لاستغنايه سبحانه وتعالى عن الاطعام ومن كان كذلك وجب ان يتخذ ربا
وناصرا ووليا ومعبودا قل اني امرت ان اكون اول من اسلم يعني من هذه الامة
والاسلام بمعنى الاستسلام يعني امرت ان استسلم لامر الله وانقاد الى طاعته
ولا تكونن من المشركين يعني وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين قل اني اخاف

ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني قل يا محمد لهولا المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري ان ربي امرني ان اكون اول من اسلم ونهاني عن عبادة شي سواه واني اخاف ان عصيت ربي فعبدت شيا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيمة من يصرف عنه يعني العذاب يومئذ يعني يوم القيمة فقد رحمه يعني بان انجاه من العذاب ومن انجاه من العذاب فقد رحمه واناله الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة من صرف العذاب ليلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل يحصل له الرحمة مع صرف العذاب عنه وذلك الفوز المبين يعني ان صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى وان يمسسك الله بضر يعني بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من الم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه فلا كاشف له الا هو يعني فلا يرفع ذلك الضر الا الله عز وجل وان يمسسك بخير يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك فهو على كل شي قدير يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على ان يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا الله فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل احد والمعنى وان يمسسك الله بضر ايها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسسك بخير ايها الانسان فهو على كل شي قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشي لم ينفعوك الا بشي قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشي لم يضروك الا بشي قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف اخرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جا نحو هذا ومثله بطوله في مسند احمد بن حنبل قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته وهو القاهر والقهار ومعناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع احد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله عز وجل لانه القادر القاهر الذي لا يعجزه شي اراده ومعنى فوق عباده هنا ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر احد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف

نفسه

نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيا ان يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلا الذي تفرد به الله عز وجل وهو الحكيم يعني في امره وتدبير عباده الخبير يعني باعمالهم وما يصلحهم قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ارنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعني قل يا محمد لهولا المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك اي شي اكبر شهادة يعني اعظم شهادة فان هم اجابوك والا قل انت يا محمد الله شهيد بيني وبينكم قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال قريشا اي شي اكبر شهادة ثم امره ان يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولون والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة فبين الله تعالى بهذه الاية ان اكبر الاشيا شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله واوحي الي هذا القران لانذركم به يعني ان الله عز وجل يشهد لي بالنبوة لانه اوحى الي هذا القران وهو معجزة لانكم انتم الفصحا البلغا واصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله علي شهادة من الله باني رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحي الي هذا القران لاخوفكم به واحذركم مخالفة امر الله عز وجل ومن بلغ يعني وانذر من بلغه القران ممن ياتي بعدي الى يوم القيمة من العرب والعجم وغيرهم ومن ساير الامم فكل من بلغ اليه القران وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الاية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرايل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بابلاغ ما جا به صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قران وسنة وقوله حدثوا عن بني اسرايل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث انه مهما قلتم عن بني اسرايل فانهم كانوا في حال اكثر مما قلتم واوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسرايل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد لانه امر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا شيا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع اخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم

اخرجه ابو داود موقوفا وقوله تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى يعني قل يا محمد لهولا
المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة غيري انكم ايها المشركون لتشهدون ان مع الله الهة اخرى
يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال اخرى لان الجمع يلحقه التانيث كما قال تعالى ولله الاسماء
الحسنى فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاولين قل لا اشهد يعني قل يا محمد لهولا المشركين
لا اشهد بما تشهدون به ان مع الله الهة بل اجحد ذلك وانكره قل انما هو اله واحد يعني قل انما
الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك اشهد وانني بري مما تشركون يعني وانا بري من
كل شي تعبدونه سوى الله وفي هذه الاية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود
سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك
ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلما يستحب لمن
اسلم ان ياتي بالشهادتين ويتبرا من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانني بري مما تشركون
قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم المراد بالذين اوتوا الكتاب
علما اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة
لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم
ذكر وانكروا معرفته فبين الله عز وجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الاية
انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر
لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة لمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر
وكيف ذاك قال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادري ما يصنع النسا وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم
يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي
الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين
الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار اهل الكتابين فهم لا يومنون
يعني به والقول الثاني انه كلام مبتدا لا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يومنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وذكروا في معنى الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدايم الذي حصل لهم
بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني ادم
منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيمة جعل الله للمومنين منازل الكفار التي في الجنة
وجعل للكفار منازل المومنين التي في النار فذلك هو الخسران وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا يعني ومن اشد عنادا واخطا فعلا واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه
والها يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الاصنام او ادعى ان له صاحبة وولدا كما قاله

النصارى



النصارى او كذب باياته يعني كذب بحججه واعلام ادلته التي اعطاها رسله كما كذبت اليهود
بمعجزات الانبيا وقيل معناه او كذب بايات القران الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم انه
لا يفلح الظالمون يعني انه لا يفلح القايلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل ويوم نحشرهم
جميعا اي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا اين
شركاوكم الذين كنتم تزعمون يعني انها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم
يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سوالهم تجربة لاظهار
ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل
يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذه المحبوب
فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما راوا العذاب تبروا منها يقول الله تبارك وتعالى
ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان تبروا منها وهو قوله تعالى الا ان قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين وذلك اذا شاهدوا يوم القيمة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم
لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين
فيختم على افواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى انظر كيف كذبوا
على انفسهم يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتامل في حال هولا المشركين كيف كذبوا على
انفسهم يعني اعتذارهم بالباطل وتبريهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم
الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله وضل عنهم يعني زال
عنهم وذهب ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم
فبطل ذلك كله في ذلك اليوم وقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الاية قال الكلبي اجتمع ابو
سفيان صخر بن حرب وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحرث بن عامر يستمعون القران فقالوا للنضر يا ابا
قتيلة ما يقول محمد قال لا ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت
احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال ابو سفيان
اني لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقر بشي من هذا وفي رواية الموت اهون علينا
من هذا فانزل الله ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقراتك يا محمد وجعلنا على قلوبهم اكنة
يعني اغطية جمع كنان ان يفقهوه يعني لئلا يفقهوه وكراهية ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يعني
وجعلنا في اذانهم صمما وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى
والايمان فيقبله ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله عز وجل ولا تومن به وان يروا كل اية
يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يومنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا انها
دالة على صدقك حتى اذا جاوك يجادلونك يعني انهم اذا راوا الايات واستمعوا القران ثم جاوك

ليجادلونك ويخاصمونك لا ليومنوا بها يقول الذين كفروا ان هذا اى ما هذا القران الا اساطير
الاولين يعنى احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم وما سطروا يعنى كتبوا
والاساطير جمع اسطورة واسطاره وقيل واحدها سطر واسطار جمعه واساطير جمع الجمع
فعلى هذا لو قال قايل لم عابوا القران وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم الحكم
والعلوم النافعة ومما لا يعاب قايله واجيب عنه بانهم انما نسبوا القران الى اساطير الاولين
بمعنى انه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروى اخبار الاولين وقيل في معنى
اساطير الاولين انها الترهات وهى عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول
قايلهم اخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذى لا يعرف
فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة التى لا اصل لها قوله
عز وجل وهم ينهون عنه يعنى ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه
يعنى ويتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القران وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت
في ابى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبى صلى الله عليه وسلم ويمنعه
منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روى انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا
له خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ما انصفتمونا ادفع اليكم ابنى محمدا
لتقتلوه وانى لكم ابنكم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا ابا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرنى
قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال في ذلك ابياتا • والله لن يصلوا
اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا • فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وابشر وقر
بذاك منك عيونا • ودعوتنى وعرفت انك ناصحى • ولقد صدقت وكنت ثم امينا • وعرضت
دينا قد علمت بانه • من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتنى سمحا
بذاك مبينا • وقوله تعالى وان يهلكون الا انفسهم يعنى لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم
وما يشعرون يعنى بذلك قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار يعنى في النار فوضع على موضع
في كقوله على ملك سليمان اى في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف
والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا
وموقفا فظيعا فقالوا يعنى الكفار يا ليتنا نرد يعنى الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من
المومنين تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى حتى يومنوا ولا يكذبوا بايات ربهم فرد الله عز وجل
عليهم ذلك فقال تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يعنى ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا
لامنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر والمعاصى وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون
من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموه فاظهره الله عليهم حتى شهدت عليهم

جوارحهم

جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا
تكون الاية في المنافقين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون يعنى
في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بايات ربنا وكنا من المومنين وقالوا ان هى الا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا اخبر عن منكرى البعث وذلك ان النبى صلى
الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيمة واهوالها وما اعد الله في الاخرة من
الثواب للمومنين المطيعين وما اعد الله من العقاب للكفار العاصين قالوا يعنى الكفار
ان هى اى ما هى الا حياتنا الدنيا اى ليس لنا غير هذه الدنيا التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين
يعنى بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا اخبر من الله عن هولا الكفار
الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن
بمبعوثين قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على ربهم يعنى على حكم ربهم وقضايه
ومسالته وقال مقاتل عرضوا على ربهم قال اليس هذا بالحق اى يقول الله لهم
يوم القيامة اليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذى كنتم تنكرونه في الدنيا
وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا قالوا بلى وربنا يعنى انهم اعترفوا بما
كانوا ينكرونه فاجابوا فقالوا بلى والله انه لحق وقيل يقول لهم خزنة النار بامر
الله اليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس
للقيامة مواقف ففى موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفى
موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا قال فذوقوا العذاب اى يقول الله
لهم ذلك او الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق بالعذاب
لانهم في كل حال يجدون الم العذاب وجدان الذايق في شدة الاحساس بما كنتم
تكفرون يعنى هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعنى خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير
الى الله وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم
المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات الجحيم حتى اذا جاتهم الساعة بغتة
يعنى جاتهم القيمة فجاة وسميت القيمة ساعة لانها تفجا الناس بغتة في ساعة
لا يعلمها احد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها
لان حساب الخلايق يوم القيمة يكون في ساعة او اقل من ذلك قالوا يعنى منكرى
البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعنى
يا ندامتنا والحسرة التلهف على الشى الفايت وذكرت على وجه الندا للمبالغة
والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة على ما فرطنا يعنى قصرنا

فيها يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرا ومعنى الاية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة راوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم يعني اثقالهم والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شيء صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما راى هول صورته وقبحه زاده خوفا فيقول له بئس الجليس انت فيقول انا عملك طالما ركبتني فلاركبنك اليوم حتى اخزيك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال ثقل علي كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون من الم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الاية ان اوزارهم لا تزايلهم كما تقول شخصه نصب عيني اي ذكره ملازم لي الا ساء ما يزرون يعني بئس الشيء شيئا يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا قوله عز وجل وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر فيه قولان احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزداد بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعات ما يكون سببا لحصول السعادة في الاخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول الثاني ان هذا عام في حياة المؤمن والكافر لان

الانسان

الانسان يلتذ بها اللعب واللهو ثم عند انقضائه يحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذي يلعب به وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الاخرة وان كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يجدي ولاشتغالهم عما امروا به نسبوا الى اللعب واللهو وقوله تعالى وللدار الاخرة يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله للدار الاخرة خير يعني من الدنيا وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو افلا تعقلون ان الاخرة افضل من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الاية وقال ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فانزل الله هذه الاية عن علي بن ابي طالب رضي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين قال في احدهما وهذا اصح ففي هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم فانهم لا يكذبونك يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم عرفوا انك صادق ولكن الظالمين يعني الكافرين بايات الله يجحدون يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القران بعد معرفة صدق الذي نزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الاية يدل على انهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا بايات الله ومعنى القران الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لا يكذبونك لانهم عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الامم رسلهم كما كذبك قومك فصبروا على ما كذبوا واوذوا يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر انت يا محمد على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وازالة حزنه على تكذيب قومه له واذاهم اياه حتى اتاهم نصرنا يعني باهلاك من كذبهم ولا مبدل لكلمات الله يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين

ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به ولقد جاءك من نبا المرسلين يعني ولقد انزلنا عليك في القران من اخبار المرسلين ما فيه تسلية لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول اصابنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبيا واخبارهم كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك. قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الاية ان الحارث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال ايتنا باية كما كانت الانبيا تاتي قومها بالايات فان فعلت تابعناك فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس ومعنى الاية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هولا المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سالوا اية احب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل فان استطعت ان تبتغي يعني تطلب وتتخذ نفقا في الارض يعني سربا والنفق سرب في الارض يخلص منه الى مكان اخر او سلما في السما يعني مصعدا الى السما والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتاتيهم باية يعني بالاية التي سالوه عنها ومعنى الاية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في الارض او تصعد الى السما فتاتيهم باية تدلهم على صدقك فافعل وانما حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتاذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى ولو شا الله لجمعهم على الهدى اخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين يعني بان لو شا الله لجمعهم على الهدى وانه يومن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه ولا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل انما يستجيب الذين يسمعون يعني المومنين الذين فتح الله اسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله والموتى يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون يبعثهم الله يعني يوم القيامة ثم اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم وقالوا يعني روسا كفار قريش لولا يعني هلا نزل عليه اية من ربه يعني الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل المراد من الاية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبيا قل يعني قل لهم يا محمد ان الله قادر على ان ينزل اية يعني انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه وانزال ما اقترحوه من الايات والمعجزات الباهرات ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ما ذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يومنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال الايات وقيل انهم لا يعلمون

وجه المصلحة في انزالها وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال العلما جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما ان يدب على الارض او يطير في الهوى حتى الحقوا حيوان الما بالطير لان الحيتان تسبح في الما كما ان الطير يسبح في الهوى وانما خص ما في الارض بالذكر دون ما في السما وان كان من في السما مخلوقات ولكن الاحتجاج بالمشاهد اظهر واولى مما لا يشاهد فانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتاكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الا امم امثالكم قال مجاهد اي اصناف مصنفة تعرف باسمايها يريد ان كل جنس من الحيوان امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمايها مثل بني ادم يعرفون باسمايهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب امة ما روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم اخرجه ابو داود والترمذي والنساي فان قلت ثبت بالاية والحديث ان الدواب والطير امم امثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلما في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما انكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما انكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها تفهم بعضها عن بعض ويالف بعضها بعضا كما ان جنس الانسان يالف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل امثالكم في طلب الرزق وتوقي المهالك ومعرفة الذكر الانثى وقيل امثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجما من القرنا وهو قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي يعني في اللوح المحفوظ لانه يشتمل على جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القران يعني ان القران مشتمل على جميع الاحوال ثم الى ربهم يحشرون يعني الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال ابو هريرة يحشر الله تعالى الخلق كلهم يوم القيامة البهايم والدواب والطير وكل شي فياخذ للجما من القرنا ثم يقول كوني ترابا م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتودن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا قوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا يعني بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده صم يعني عن سماع الحق وبكم يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم في الظلمات يعني في ظلمة الكفر حايرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا من يشا الله يضلله يعني عن الايمان ومن يشا يجعله على صراط مستقيم يعني ومن يشا الله جعله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى فمن احب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن احب ضلالته تركه على كفره وذلك عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله تعالى قل ارايتكم يعني قل يا محمد لهولا الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني تقول العرب ارايتك يعني

اخبرنا بحالك واصله ارايتم والكاف فيه للتاكيد ان اتاكم عذاب الله يعني قبل الموت مثل ما نزل
بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب او اتتكم الساعة
يعني القيامة اغير الله تدعون يعني في كشف العذاب عنكم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعنى
الاية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعا وتركوا الاصنام فقيل
لهم اترجعون الى الله في الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخا بل اياه تدعون
يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم فيكشف ما تدعون اليه ان شا يعني فيكشف
الضر الذي من اجله دعوتموه وانما قيد الاجابة بالمشية رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها
بمشية الله تعالى وتنسون ما تشركون يعني وتتركون دعا الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها
لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعا الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى
قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناسي لها قوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك في الاية
محذوف والتقدير ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكذبوا وحسن هذا الحذف
لكونه معلوما عند السامع فاخذناهم بالباسا يعني بالفقر الشديد واصله من البوس وهو الشدة
والمكروه وقيل الباسا شدة الجوع والضرا يعني الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون
يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل للانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة
وهي الذلة ومقصود الاية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى
اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالباسا والضرا وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم
يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي
التضرع اي فلم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تتضرع ولم تخشع بل اقاموا
على كفرهم وتكذيبهم رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب وتزيين
الشيطان اغواوه بما في المعصية من اللذة وقال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا
عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به
وقيل تركوا العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشي معرض عنه كانه
قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم ابواب كل شي يعني بدلنا مكان الباسا الرخا والسعة في
الرزق والعيش ومكان الضر الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراجا منه لهم
وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شي من الخير كان مغلقا عنهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا يعني فرحوا
بما اوتوا من السعة والرخا والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا انما كان نزل بهم من الشدة لم
يكن انتقاما من الله تعالى لانهم لما فتح عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك من
باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا اخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاة
من حيث لا يشعرون قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخا والسلامة

يكون

ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذهم في
امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم فاذا هم مبلسون يعني ايسون من كل خير وقال الفرا المبلس
اليايس المنقطع رجاوه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس وقال
الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال ابو عبيدة اليايس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق
من الحزن والندم روي عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم
على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند واسنده
الطبري وقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا يعني اخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا
كان اخرهم والمعنى انهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين قال الزجاج
حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستاصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله
بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليم للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله على كفايته
اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه
الثنا الكامل والشكر الدايم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حجته على من
خالفهم واهلاك اعدايهم واستيصالهم بالعذاب قوله تعالى قل ارايتم اي قل يا محمد لهولا المشركين
ان اخذ الله سمعكم يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعون شيا وابصاركم يعني واخذ ابصاركم
التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصرون شيا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضا الثلاثة
لانها اشرف اعضا الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضا اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت
مصالحه في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره
ان القادر على ايجاد هذه الاعضا واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي
تعبدونها وهو قوله تعالى من اله غير الله ياتيكم به يعني ياتيكم بما اخذه منكم لان الضمير في به يعود
على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره انظر الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد كيف نصرف الايات يعني كيف نبين لهم العلامات
الدالة على التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعني يعرضون عنها مكذبين لها قل ارايتكم ان اتاكم
عذاب الله بغتة يعني فجاة او جهرة يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا او نهارا هل
يهلك الا القوم الظالمون يعني المشركين لانهم ظلموا انفسهم بالشرك قوله عز وجل وما نرسل المرسلين
الا مبشرين يعني لمن امن بالثواب ومنذرين يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم
ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة فمن امن واصلح يعني
امن بهم واصلح العمل لله فلا خوف عليهم يعني حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اذا حزن غيرهم
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب يعني يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يعني بسبب ما كانوا
يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى قل لا اقول لكم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل

يا محمد لهولاء المشركين لا اقول لكم **عندي خزاين الله** نزلت حين اقترحوا عليه الايات فامره الله
تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزاين الله جمع خزانة وهو اسم للمكان
الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزاين رزق
فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب
منه ان يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله تعالى لا بيدي **ولا اعلم الغيب**
يعني فاخبركم بما مضى وبما سيقع في المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا في
المستقبل حتى نشتغل بتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما
تريدون **ولا اقول لكم اني ملك** وذلك لانهم قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج
النساء فاجابهم بقوله ولا اقول لكم اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما
لا يشاهدون فلست اقول شيا من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولي وتجحدون امري وانما نفى عن
نفسه الشريفة هذه الاشيا تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الايات
العظام **ان اتبع الا ما يوحى الي** يعني ما اخبركم الا بوحي من الله انزل علي ومعنى الاية ان النبي صلى
الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزاين الله التي منها يرزق ويعطي وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان
وبما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه
عز وجل فما اخبر عنه من غيب يوحي الله اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم
ما كان يجتهد في شي من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه **قل هل
يستوي الاعمى والبصير** يعني المومن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل **افلا تتفكرون**
يعني انهما لا يستويان قوله عز وجل **وانذر به** يعني وخوف بالقران والانذار اعلام مع تخويف **الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم** قال ابن عباس يريد المومنين لانهم يخافون يوم القيمة وما فيه من شدة
الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين
يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلايق لان الحجة عليهم
اوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك
قال يخافون ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلق فيدخل فيه كل مومن معترف بالحشر
وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر سوا اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة
النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق **ليس لهم من دونه** يعني من دون الله **ولي** اي قريب ينفعهم
ولا شفيع يعني يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المومنين ففيه الاشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة
نبينا صلى الله عليه وسلم للمومنين من امته وكذلك تشفع الملايكة والانبيا والمومنون بعضهم لبعض

والجواب

والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله عز وجل لقوله من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني حتى ياذن
لهم في الشفاعة فاذا اذن فيها كان للمومنين ولي وشفيع **لعلهم يتقون** يعني ما نهيتهم عنه قوله
تعالى **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** قال سلمان وخباب بن الارت فينا
نزلت هذه الاية جا الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المولفة قلوبهم فوجدوا
النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفا المومنين فلما راوهم
حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هولا وارواح جبابهم
وكان عليهم جباب صوف لها رايحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المومنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به
العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هولا الاعبد فاذا نحن جيناك
فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شيت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال
فاتي بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين
فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد
معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها
قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي
معكم المحيا ومعكم الممات وروي عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
اطرد هولا لا يجترون علينا قال وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما
فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شا الله ان يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه اخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له
يعني اشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل
علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله هذه الاية قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد
يعني ابن مسعود لبايعناك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن مسعود مر ملا من قريش بالنبي
صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفا المسلمين فقالوا يا محمد
رضيت بهولا من قومك اهولا الذين من الله عليهم من بيننا انحن نكون تبعا لهولا اطردهم
فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الاية وقال عكرمة جا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في اشراف بني عبد مناف من اهل الكفر الى ابي طالب عم النبي صلى

الله عليه وسلم فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفانا فانما هم
عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا واطوع له عندنا وادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا
له فاتى ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت
ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون من قولهم فانزل الله عز وجل هذه الاية
وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فجا عمر
فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الرواية والرواية الاولى التي عن سلمان وخباب بن
الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان وكان بالمدينة وكان اسلام المؤلفة
قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود والكلبي
وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد بن ابي وقاص المخرج في صحيح مسلم من ان المشركين
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هولا يعني ضعفا المسلمين والله اعلم واما معنى الاية فقوله
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد
هولا الضعفا عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعف وفقرهم وضيقهم فقال تعالى الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي بعد صلاة
الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين
الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهم مواظبون عليها مع تبقية الصلاة ولان الصلاة تشتمل
على القراة والدعا والذكر فعبر بالدعا عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح
مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاصي فقال سعيد ما اسرع الناس الى
هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي قال
او في هذا هو انما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الان وقال ابن عباس ان ناسا من الفقرا
كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس نومن لك واذا صلينا فاخر
هولا الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعا والذكر والمعنى انهم
كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون وجهه يعني يطلبون بعبادتهم
وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى ما عليك
من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي يعني لا تكلف امرهم ولا يكلفون امرك
وقيل ليس عليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرازق لجميع
الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك فتطردهم فتكون من الظالمين يعني بطردهم عنك وعن
مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شي وقوله فتكون
من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة
الانبيا عليهم السلام بهذه الاية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقرا عن مجلسه

لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله
فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم
ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة
وهي التلطف بهولا الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو
اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى ان ادنا هولا الفقرا اولى من الهم بطردهم فقربهم منه وادناهم واما
قوله فتطردهم فتكون من الظالمين لان الظلم في اللغة وضع الشي في غير موضعه فيكون المعنى ان اوليك
الفقرا الضعفا يستحقون التعظيم والتقريب فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشي في غير موضعه
فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله اعلم قوله عز وجل وكذلك فتنا
بعضهم ببعض يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع
بالشريف فكل احد مبتلى بضده فكان ابتلا الاغنيا الشرفا حسدهم لفقرا الصحابة على كونهم
سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك
فتنة وابتلا لهم واما فتنة الفقرا بالاغنيا فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم
فكان ذلك فتنة لهم ليقولوا يعني الاغنيا والشرفا والروسا اهولا من الله عليهم من بيننا يعني من على
الفقرا والضعفا بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار
على الله تعالى فاجابهم بقوله اليس الله باعلم بالشاكرين يعني انه تعالى اعلم بخلقه وباحوالهم
واعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم
قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال عطا نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وابي
عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم
وابي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الاية على اطلاقها في كل مومن وقيل لما جا عمر بن الخطاب
واعتذر من مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير فنزلت واذا جاءك
الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم يعني فرض ربكم وقضى ربكم على نفسه
الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين انه من عمل منكم سوا
بجهالة قال مجاهد كل من عمل ذنبا وخطيئة فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا
الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم
ان عاقبة ذلك السو والفعل القبيح مذمومة الا انه اثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الاجل
ومن اثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن
جاهلا ثم تاب من بعده يعني من بعد ارتكابه ذلك السو ورجع عنه واصلح يعني اصلح العمل في المستقبل
وقيل اخلص توبته وندم على فعله فانه غفور يعني لمن تاب من ذنوبه رحيم بعباده قال خالد

ابن دينار كنا اذا دخلنا على ابى العالية قال واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية عن ابى سعيد الخدرى قال جلست فى عصابة من
ضعفا المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقارى يقرا علينا اذ جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارى وسلم ثم قال ما كنتم
تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارى لنا يقرا علينا وكنا نسمع الى كتاب الله عز وجل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من امتى من امرت ان اصبر نفسى معهم وجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيرى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا
يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بنصف يوم
وذلك خمسماية سنة اخرجه ابو داود وقوله عز وجل وكذلك نفصل الايات يعنى وكما فصلنا
لك يا محمد فى هذه السورة دلايلنا على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز
ونبين لك ادلة حججنا وبراهيننا فى تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين قرى بالتا على
الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وليظهر لك الحق يا محمد وتستبين لك سبيل المجرمين يعنى
طريق هولا المجرمين وقرى باليا على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيمة
اذا صاروا الى النار قوله عز وجل قل اى قل يا محمد لهولا المشركين انى نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله يعنى نهيت ان اعبد الاصنام التى تعبد ونها انتم من دون الله وقيل تدعونها عند
شدايدكم من دون الله لان الجمادات اخس من ان تعبد او تدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى
وهو قوله قل لا اتبع اهواكم يعنى فى عبادة الاصنام وطرد الفقرا قد ضللت اذا يعنى ان عبدتها
وما انا من المهتدين يعنى لو عبدتها قل يعنى يا محمد لهولا المشركين انى على بينة من ربى قال ابن
عباس يعنى على يقين من ربى وقيل البينة الدلالة التى تفصل بين الحق والباطل والمعنى
انى على بيان وبصيرة على عبادة ربى وكذبتم به يعنى وكذبتم بالبيان الذى جيت به من عند ربى
وهو القران والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التى تدل على صحة التوحيد وفساد
الشرك ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم
بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزا وكانوا يقولون يا محمد ايتنا بما تعدنا
يعنى من نزول العذاب فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول ما عندى ما تستعجلون به لان
انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله ولا يقدر احد على تقديمه ولا تاخيره وقيل كانوا
يستعجلون بالايات التى طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند احد من
خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله يستعجل بها الذين لا يومنون بها
ان الحكم الا لله يعنى الحكم الذى يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطايع والعقاب للعاصى

اى

٤٤٦

اى ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضى بانزال العذاب اذا شا
يقص الحق قرى بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرى يقض بالضاد
المعجمة من القضا يعنى انه تعالى يقضى القضا الحق وهو خير الفاصلين يعنى وهو خير من بين
وفصل وميز بين المحق والمبطل لانه لا يقع فى حكمه وقضايه جور ولا حيف على احد من خلقه
قل لو ان عندى ما تستعجلون به يعنى من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشى قبل
وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والاسراع تقديم الشى فى وقته فلذلك كانت السرعة محمودة
والمعنى قل يا محمد لهولا المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو ان عندى ما تستعجلون به
لم امهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو اناة لا يعجل بالعقوبة وقوله تعالى لقضى الامر بينى
وبينكم يعنى لانفصل ما بينى وبينكم ولاتيتكم ما تستعجلون به من العذاب والله اعلم
بالظالمين يعنى انه اعلم بما يستحقونه من العذاب والوقت الذى يستحقونه فيه وقيل علم
انه سيومن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك اخره عنهم وقال والله اعلم
بالظالمين وباحوالهم قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب المفتاح الذى يفتح به المغلاق
وجمعه مفاتيح وبيا لغية بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت
اضيق من الاشيا فهى من المفتح وجمعه مفاتح وقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل ان يكون
المراد منه المفاتيح الذى يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد منه الخزاين فعلى التفسير الاول فقد جعل
للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هى التى يتوصل بها الى ما فى الخزاين المستوثق
منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك هاهنا ان
الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى
بهذه العبارة وعلى التفسير الثانى يكون المعنى وعنده خزاين الغيب والمراد منه القدرة
الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف اقوال المفسرين فى قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو فقيل مفاتح الغيب خمس وهى ما روى عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يدرى احد ما يكون فى غد الا الله وما
يعلم احد ما يكون فى الارحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس
باى ارض تموت ولا يدرى احد متى يجى المطر وفى رواية اخرى لا يعلم ما تغيض الارحام
الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم متى ياتى المطر احد الا الله ولا تدرى نفس باى ارض
تموت الا الله ولا يعلم متى تاتى الساعة الا الله اخرجه البخارى وقال الضحاك ومقاتل
مفاتح الغيب خزاين الارض وعلم نزول العذاب وقال عطا هو ما غاب عنكم من الثواب
والعقاب وقيل هو انقضا الاجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم
اعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد ان يكون لم لا يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون

وقال ابن مسعود اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شي الا مفاتح الغيب وقال ابن عباس
انها خزاين السموات والارض من الاقدار والارزاق ويعلم ما في البر والبحر قال مجاهد البر
المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيهما شي الا وهو يعلمه وقال جمهور
المفسرين هو البر والبحر المعروف لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من
عجيب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه وما
تسقط من ورقة الا يعلمها يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عددها يسقط
من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان تسقط على الارض
ولا حبة في ظلمات الارض قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الوادي قبل ان ينبت وقيل
هي الحبة التي في الصخرة التي في اسفل الارضين ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس الرطب الما
واليابس البادية وقال عطا يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي
واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شي لان جميع الاشيا اما رطبة واما يابسة
فان قلت ان جميع هذه الاشيا داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم افرد هذه الاشيا
بالذكر وما فايدة ذلك قلت لما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من
بعض الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشيا المحسوسة ليدل بها على غيرها
فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجايب والغرايب من المدن والقرى والمفاوز والجبال
وكثرة ما فيهما من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات ما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر
بعد ذلك ما هو اقل من ذلك مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل احد
لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو اصغر من الورقة
وهو الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس وترك هذه الاشيا وانه
لا يخرج شي منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة
وقدرة غالبة وعلم واسع فسبحان العليم الخبير وقوله تعالى الا في كتاب مبين فيه قولان
احدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يتغير ولا يتبدل والقول الثاني ان المراد بالكتاب
المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل ان يخلق السموات
والارض وفايدة احصا الاشيا كلها في هذا الكتاب ليقف الملايكة على نفاذ علمه وانه
نبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شي مما يصنعون لان من اثبت
ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب اسرع قوله تعالى
وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل ويعلم ما جرحتم ما كسبتم بالنهار
ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم فيه اي في النهار ليقضى اجل مسمى يعني اجل الحياة الى الممات يريد
استيفا العمر على التمام ثم اليه مرجعكم في الاخرة ثم ينبيكم اي يخبركم بما كنتم تعملون قوله تعالى

وهو

وهو القاهر فوق عباده يعني وهو العالي عليهم بقدرته لان كل من قهر شيا وغلبه فهو مستعل
عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال امر فلان فوق امر فلان يعني انه اقدر منه واغلب هذا مذهب
التاويل في معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده واما مذهب السلف فيه فامرارها
كما جات من غير تكييف ولا تاويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره والمذلل له
والله تعالى هو القاهر لخلقه فقهر كل شي بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالعدم والغنى
بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة يعني من جملة قهره لعباده ارسال
الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملايكة الذين يحفظون اعمال بني ادم من الخير والشر والطاعة
والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكان ملك عن يمينه وملك عن
شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيية قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
اصبر لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها صاحب الشمال وفايدة جعل الملايكة موكلين
بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملايكة موكلا به يحفظ عليه اقواله وافعاله في صحايف
تنشر له وتقرا عليه يوم القيمة على روس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن فعل القبيح وترك المعاصي
وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملايكة الذين يحفظون بني ادم ويحفظون اجسادهم
وقال قتادة حفظة يحفظون على ابن ادم رزقه واجله وعمله حتى اذا جا احدكم الموت توفته
رسلنا يعني اعوان ملك الموت الموكلين بقبض ارواح البشر فان قلت قال الله تعالى في اية اخرى
الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا
توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الايات قلت وجه الجمع بين الايات ان المتوفي في الحقيقة
هو الله تعالى فاذا حضر اجل العبد امر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت اعوان من
الملايكة فيامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك
الموت بنفسه فحصل الجمع بين الايات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما
ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول من
حيث يشا وجعلت له اعوان ينتزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا ما من اهل بيت شعر
ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها
فتستجيب له قوله تعالى وهم لا يفرطون يعني الرسل لا يقصرون فيما امروا به ولا يضيعون قوله عز
وجل ثم ردوا الى الله مولاهم الحق يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الاخرة وانما قال مولاهم الحق
لانهم كانوا في الدنيا تحت ايدي موالي بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق الا له الحكم
يعني لا حكم الا لله وهو اسرع الحاسبين يعني انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية
وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه ولا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر يعني قل يا محمد لهولا المشركين الذين يعبدون الاصنام من دون الله

من الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه وتحيرتم اذا اظلمت عليكم الطرق ومن الذي ينجيكم
من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطاتم الطريق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات
البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدايد والاهوال فقيل حمله على الحقيقة اولى وظلمة البر هي
ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل منه الخوف الشديد لعدم الاهتدا الى الطريق
الصواب وظلمة البحر ما اجتمع اليه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة
والامواج الهايلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان
عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى
لانه القادر على كشف الكروب والمزيل للشدايد وهو المراد من قوله تدعونه تضرعا وخفية
يعني اذا اشتد بكم الامر تخلصون له الدعا تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية سرا مستقبلا
وحالا لين انجيتنا من هذه يعني قايلين في حال الدعا والتضرع لين انجيتنا من هذه الظلمة وخلصتنا
من الهلاك لنكونن من الشاكرين يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام
بجميع الحقوق المتعلقة بها قل الله ينجيكم منها يعني من الظلمات والشدايد التي انتم فيها ومن كل كرب
يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب ايضا والكرب الغم الشديد الذي ياخذ بالنفس ثم انتم
تشركون يريد انهم يقرون ان الذي انجاهم من هذه الشدايد هو الله ثم انهم بعد ذلك الاقرار
يشركون معه الاصنام التي لا تنفع ولا تضر قوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم اي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة
والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط او من تحت ارجلكم يعني
الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم
يعني ايمة السو والسلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم يعني عبيد السو وقال الضحاك من فوقكم
يعني من قبل كباركم او من تحت ارجلكم يعني السفلة او يلبسكم شيعا الشيع جمع شيعة وكل قوم
اجتمعوا على امر فهم شيعة واشياعه واصله من الشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم
بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله او يلبسكم شيعا
يعني يخلط امركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا
وهو معنى قوله تعالى ويذيق بعضكم باس بعض وقال ابن عباس في قوله او يلبسكم شيعا
يعني الاهوا المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض يعني انه يقتل بعضكم بيد بعض وقال
مجاهد يعني اهوا متفرقة وهو ما كان فيكم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي
فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهوا وسفك بعضكم دما بعض ثم اختلف المفسرون فيمن
عني بهذه الاية فقال قوم عني بها المسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه
الاية وقال ابو العالية في قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال هن

اربع وكلهن عذاب ثنتين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فالبسوا شيعا
واذيق بعضهم باس بعض وبقيت ثنتان فهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن ابي بن كعب
نحوه من اربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيمة حصلت ثنتان بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة البسوا شيعا واذيق بعضكم باس بعض واثنتان واقعتان
لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم او من تحت ارجلكم لامة محمد فاعفاهم
منه او يلبسكم شيعا ما كان فيهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم باس بعض
يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عن جابر قال لما نزلت هذه
الاية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ
بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال
هذا اهون او هذا ايسر بن م عن سعد بن ابي وقاص انه اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم
من العالية اذ مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف
الينا فقال سالت ربي ثلاثا فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة سالت ربي ان لا يهلك امتي بالسنة
فاعطانيها وسالت ربي ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالت ربي ان لا يجعل باسهم بينهم
فمنعنيها عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يا رسول
الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة اني سالت الله فيها ثلاثا
فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا يهلك امتي بسنة فاعطانيها وسالته ان لا يسلط
عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها اخرجه الترمذي
وقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات اي انظر يا محمد كيف نبين دلايلنا وحججنا لهولا المكذبين
لعلهم يفقهون يعني يفهمون ويعتبرون فينزجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب قوله تعالى
وكذب به قومك يعني القران وهو الحق يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع
الى العذاب وهو الحق يعني انه نازل بهم ان اقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع في
تصريف الايات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله قل لست عليكم بوكيل اي قل يا محمد لهولا المكذبين
لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انا منذر والله هو المجازي
لكم على اعمالكم وقيل معناه اني ادعوكم الى الله والى الايمان به ولم اومر بحربكم فعلى هذا القول تكون
الاية منسوخة باية السيف وقيل في معنى الاية قل لست عليكم بوكيل يعني حفيظا انما اطالبكم
بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضماير والاسرار فعلى هذا تكون الاية محكمة لكل نبا مستقر
يعني لكل خبر من اخبار القران حقيقة ومنتهى ينتهي اليه اما في الدنيا واما في الاخرة وقيل
لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تاخير فكان ما وعدهم به من
العذاب في الدنيا وقع يوم بدر وسوف تعلمون يعني صحة ذلك الخبر اما في الدنيا واما في الاخرة

قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الخطاب في واذا رايت للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى اذا رايت يا محمد هولاء المشركين الذين يخوضون في اياتنا يعني القران الذي انزلناه اليك والخوض
في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه ويستعار في الاخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا
في الحديث وتفاوضوا فيه لكن اكثر ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه
ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب في واذا رايت لكل فرد من الناس والمعنى واذا
رايت ايها الانسان الذين يخوضون في اياتنا وذلك ان المشركين كانوا اذا جالسوا المومنين وقعوا
في الاستهزاء بالقران وبمن انزله وبمن انزل عليه فنهاهم ان يقعدوا معهم في وقت الاستهزاء فاعرض عنهم
يعني فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى يكون خوضهم في غير القران والاستهزاء
واما ينسينك الشيطان يعني فتقعد معهم فلا تقعد بعد الذكرى يعني اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد
مع القوم الظالمين يعني مع المشركين قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قال ابن عباس
لما نزلت هذه الاية واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد
في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم
ولا ننهاهم فانزل الله هذه الاية وما على الذين يتقون الشرك من حسابهم يعني من حساب المشركين
من شيء يعني ليس عليهم شيء من حسابهم والاثام ولكن ذكرى يعني ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه
ولكن عليك ان تذكرهم لعلهم يتقون يعني فلعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء فصل
قال سعيد بن جبير وابن جريج هذه الاية منسوخة بالاية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى
وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها الاية وذهب الجمهور الى انها
محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب
نفسه لا بحساب غيره وقيل انما اباح لهم القعود معهم بشرط التذكر والموعظة فلا تكن منسوخة
قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذر يا محمد هولاء
المشركين الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني اتخذوا دينهم الذي امروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام
لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزوا به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لهوا ولعبا
وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القران لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا
فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه الا المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم
صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا
يعني انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لاجل انهم غرتهم الحيوة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم
فاعرضوا عن دين الحق فاتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى الاية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض
باية السيف وهذا قول قتادة والسدي وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله تعالى ذرني

ومن

ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الاية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم
ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله تعالى وذكر به يعني وذكر
بالقران وعظ به هولاء المشركين ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل نفس واصل البسل في اللغة
التحريم وضم الشيء ومنعه وهذا عليك بسل اي حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن
وتحبس في جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد توخذ يعني بما كسبت وقيل تفضح
والمعنى وذكرهم بالقران ومواعظه وعرفهم بشرايع الاسلام لكيلا تهلك نفس وترتهن في جهنم
بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الاخرة ليس لها يعني لتلك النفس
التي هلكت من دون الله ولي اي قريب يلي امرها ولا شفيع يعني يشفع لها في الاخرة وان تعدل
كل عدل يعني وان تفتدي بكل فدا والعدل الفدا لا يوخذ منها يعني ذلك العدل وتلك الفدية
اوليك الذين اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ابسلوا بما كسبوا
يعني اسلموا الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
ذلك لهم بسبب كفرهم قوله تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يعني قل يا محمد
لهولاء المشركين الذين دعوك الى دين ابايك اندعوا يعني انعبد من دون الله يعني الاصنام التي لا تنفع
لمن عبدها ولا تضر لمن ترك عبادتها ونرد على اعقابنا يعني ونرد الى الشرك بعد اذ هدانا الله يعني
الى دين الاسلام والتوحيد كالذي استهوته الشياطين في الارض يعني كالذي ذهبت به الشياطين
فالقوه في مهوية من الارض واصله من الهوي وهو النزول من علا حيران يقال حار فلان في الامر
اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب فيه ولا المخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى يعني لهذا
المتحير الذي استهوته الشياطين اصحاب على الطريق المستقيم ايتنا يعني يقولون له ايتنا وهذا
مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو الى عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعو الى عبادة الله عز وجل
الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم
فجعل اصحابه من اهل رفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان
يدعونه اليهم لا يدري اين يذهب فان اجاب الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى
وسلم قل ان هدى الله هو الهدى يعني ان طريق الله التي اوضحها للعباد ودينه الذي شرعه لهم هو
الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كانه يقول لا تفعل ذلك
فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره وامرنا لنسلم اي وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة لرب العالمين
لانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره وان اقيموا الصلاة واتقوه يعني وامرنا باقامة الصلاة
والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه وهو الذي اليه تحشرون يعني في يوم القيامة فيجزيكم باعمالكم قوله
عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض بالحق يعني اظهارا للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى
اللام وان تجعل صدقه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه

وكان ذلك حق وقيل خلقهما بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تعالى
ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق ويوم يقول كن فيكون وقيل انه راجع الى خلق
السموات والارض والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة
ويدل على سرعة البعث والحساب كانه قال ويوم نقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب
فيقومون احيا قوله الحق يعني ان قول الله تبارك وتعالى للشي الذي اراده كن فيكون حق وصدق
وهو كاين لا محالة وله الملك يوم ينفخ في الصور انما اخبر عن ملكه يوميذ وان كان الملك له سبحانه
وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا منازع له يوميذ يدعي الملك وانه المنفرد
بالملك يوميذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وساير الملوك الذين
كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له وعلموا ان
الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلما في الصور المذكور في الاية
فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيية البوق
ويدل على صحة هذا القول ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جا اعرابي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابو داود والترمذي عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا
جبهته واصغى سمعه ينتظر ان يومر فكان ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله
او كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلت وربما قال توكلنا على الله اخرجه
الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احياوها بنفخ الروح فيها وهذا
قول الحسن ومقاتل والقول الاول اصح لما تقدم من الحديث ولقوله تعالى في اية اخرى
ثم نفخ فيه اخرى ولاجماع اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
نفختان نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة يعني انه
تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه لا يغيب عن علمه شي وهو الحكيم يعني في
جميع افعاله وتدبير خلقه الخبير يعني بكل ما يفعلونه من خير او شر قوله عز وجل واذ قال
ابراهيم لابيه ازر اختلف العلما في لفظ ازر فقال محمد بن اسحاق والكلبي والضحاك ازر اسم
ابي ابراهيم وهو تارخ ضبطه بعضهم بالحا المهملة وبعضهم بالخا المعجمة فعلى هذا
يكون لابي ابراهيم اسمان ازر وتارخ مثل يعقوب واسرايل اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون
اسمه الاصلي ازر وتارخ لقب له وبالعكس فالله سماه ازر وان كان عند النسابين والمورخين
اسمه تارخ ليعرف بذلك وكان ازر ابو سليمان من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان
التيمي ازر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهم وهو بالفارسية
وهذا على مذهب من يجوز ان في القران الفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطي فكان ابراهيم

عابه وذمه بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم
كان والد ابراهيم يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيا او احبه جعل اسم
ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل معناه
واذ قال ابراهيم لابيه يا عابد ازر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والصحيح
هو الاول ان ازر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما قيل عن النسابين والمورخين
ان اسمه تارخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واهل السير من اهل الكتاب
ولا عبرة بنقلهم وقد اخرج البخاري في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يلقى ابراهيم عليه السلام اباه ازر يوم القيمة وعلى وجه ازر قترة وغبرة الحديث فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم ازر ايضا ولم يقل اباه تارخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلي ازر لا تارخ
والله اعلم قوله تعالى اتتخذ اصناما الهة معناه اذكر يا محمد قول ابراهيم لابيه ازر اتتخذ
اصناما الهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال
الذي يتخذ من خشب وحجارة او ذهب او فضة على صورة الانسان وهو الوثن ايضا اني
اراك وقومك في ضلال مبين يعني يقول ابراهيم لابيه ازر اني اراك وقومك الذين يعبدون الاصنام
معك وتتخذها الهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني لمن ابصر ذلك فانه لا يشك ان هذه
الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الاية احتجاج على مشركي العرب باحوال ابراهيم ومحاجته
لابيه وقومه لانهم كانوا يعظمون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر
الله قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين قوله عز وجل
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض معناه وكما ارينا ابراهيم البصيرة في دينه والحق في
خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض
فلهذا السبب عبر عن هذه الروية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نري ابراهيم لانه تعالى
كان اراه ان اباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بان اراه بعد ذلك ملكوت السموات
والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التا للمبالغة
كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات
والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني ايات السموات والارض وذلك انه اقيم على
صخرة وكشف له عن السموات حتى راى العرش والكرسي وما في السموات من العجايب وحتى راى
مكانه في الجنة وذلك قوله واتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وكشف له عن
الارض حتى نظر الى اسفل الارضين وراى ما فيها من العجايب قال البغوي روي عن سلمان
ورفعه بعضهم عن علي قال لما راى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة
فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فاراد ان يدعو عليه فقال له

تبارك وتعالى يا ابراهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فانما انا من عبدي على ثلاث
خلال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت غفرت
وان شئت عاقبت وفي رواية فان تولى فان جهنم من ورايه وقال قتادة ملكوت السموات الشمس
والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الروية هل كانت بعين
البصيرة ام بعين البصر على قولين احدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات
حتى راى العرش وشق له الارض حتى راى ما في بطنها والقول الثاني ان هذه الروية كانت بعين
البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا
ان هذه الروية كانت بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات
والارض وقوله تعالى وليكون من الموقنين عطف على المعنى ومعناه وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التامل
بعد زوال الشبهة لان الانسان في اول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلايل
وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمانينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك
قال ابن عباس في قوله وليكون من الموقنين جلى له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شي
من اعمال الخلايق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرده
الله كما كان قبل ذلك فمعنى الاية على هذا القول وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض ليكون
ممن يوقن علم كل شي حسا وخبرا قوله تعالى فلما جن عليه الليل يقال جن الليل واجن اذا اظلم
وغطى كل شي واجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده راى كوكبا قال هذا ربي ذكر
القصة في ذلك قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام
في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض
ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبيا وقال السدي
راى نمرود في منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من
ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسالهم عن ذلك فقالوا هذا مولود يولد في
ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك اهل دينك على يديه قالوا
فامر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة بناحيته وامر بعزل الرجال عن النسا وجعل على كل
عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المراة خلي بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون
في الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع ازر فوجد امراته قد طهرت من
الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحاق بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقرية فحبسها
عنده الا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم بحملها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحمل

في بطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النسا تخوفا من ذلك المولود
فمكث بذلك ما شا الله ثم حدث له حاجة الى المدينة فلم يامن عليها احدا من قومه الا ازر
فبعث اليه فاحضره الى عنده وقال له ان لي اليك حاجة احب ان اوصيك بها ولم ابعثك
فيها الا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من اهلك فقال ازر انا اشح على ديني من ذلك فاوصاه
بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم
فلما دخل على ام ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم قال
ابن عباس لما حملت ام ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت به امه
الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة
مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته في نهر يابس ثم وضعته في خرقة
ووضعته في حلفا ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق
ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا في النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة
السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحاق لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت
ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصلحت من شانه ما يصلح بالمولود ثم سدت
عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص
ابهامه وقيل البهوت قالت ام ابراهيم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ما ومن اصبع
لبنا ومن اصبع تمرا وسمنا ومن اصبع عسلا وقال محمد بن اسحاق كان ازر قد سال ام ابراهيم عن حملها
ما فعل قالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب اليوم كالشهر والشهر
كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشا
فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي
الذي ما لي اله غيره ونظر في السما فراى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره حتى غاب فلما
افل قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي واتبعه بصره ينظر حتى غاب ثم
طلعت الشمس قال هكذا الى اخره ثم رجع الى ابيه ازر وقد استقامت وجهته وعرف ربه
وبرى من دين قومه الا انه لم يبادهم بذلك فلما رجعت له امه اخبرته انه ابنه واخبرته بما
صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث
عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي
قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك ازر قال فمن رب ابي قالت له اسكت ثم رجعت الى زوجها
فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال
فاتاه ابوه ازر فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك
قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب

شب

فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي فقيل انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من
السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه فقال ابل
وخيل وغنم فقال ابراهيم ما لهذه بد من ان يكون لها الها هو ربها وخالقها ثم نظر فاذا
المشتري قد طلع ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من اخر الشهر فتاخر طلوع القمر فراى
الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يستر بظلامه راى كوكبا قال هذا ربي
ثم اختلف العلما في وقت هذه الروية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ او بعده على
قولين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن هذا القول
صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ
وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السما وما فيها من العجايب ونظر الى
الارض وما فيها من العجايب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه
وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر له وموالف الخلق ثم نظر في حال تفكره فراى الكوكب وقد ازهر
فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال الطفولية وقبل استحكام النظر الى معرفة
الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته بقوله لين لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام
الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبيا معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز
ان يكون لله عز وجل رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من
كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بري وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه وطهره
واتاه رشده من قبل واراه ملكوت السموت والارض وراى الكوكب قال معتقدا هذا ربي حاشا
ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه على واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني
الذي عليه جمهور المحققين ان هذه الروية وهذا القول كان بعد ابراهيم او حين شرفه الله بالنبوة
وكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب هذا القول في تاويل الاية ومعناها فذكروا فيها وجوها
الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم
في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم انه يعظم ما عظموه
فلما افل الكوكب والشمس والقمر اراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطا
ما كانوا يعتقدون فيها من الالهة وهذا مثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعتقدون فيها من
الالوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه واكرموه لذلك
حتى صاروا يصدرون عن رايه في كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه في امر
هذا العدو فقال الراي عندي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول
الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيا فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر دعاهم الحواري وامرهم ان يدعوا الله

عز وجل

عز وجل ويسالوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون
فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو
استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستفهام كثير
في كلام العرب ومنه قوله تعالى افاين مت فهم الخالدون والمعنى اهذا يكون ربا ودلايل النقص
فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول
هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك انت العزيز
الكريم يعني عند نفسك وزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في الاية اضمارا تقديره يقولون
هذا ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسماعيل ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموت والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه
الليل راى كوكبا والفا تقتضي التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت
السموات والارض وبعد الايقان ومن كان بهذه المنزلة الرفيعة الشريفة لا يليق بحاله ان يعبد
الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
فان الانبيا عليهم السلام لم يزالوا يسالون الله التثبت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام اما قوله تعالى فلما افل يعني غاب والافول غيوبية النيرات قال يعني ابراهيم لا احب
الافلين يعني لا احب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدث فيه ظاهرة قوله تعالى فلما راى
القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضو قال هذا ربي معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب فلما افل
يعني غاب قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين يعني لين لم يثبتني ربي على الهدى وليس
المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبيا لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفي الاية دليل على ان الهداية
من الله لان ابراهيم عليه السلام اضاف الهداية الى الله تعالى فلما راى الشمس بازغة يعني طالعة
قال هذا ربي يعني هذا الطالع او انه اشار الى الضيا والنور لانه راى الشمس اضوا من الكوكب
والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقي فلهذا اتى بلفظ التذكير
هذا اكبر يعني من الكوكب والقمر فلما افلت يعني فلما غابت الشمس قال يقوم اني بري مما تشركون
يعني انه لما اثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح للربوبية
تبرا منها واظهر لقومه انه بري مما يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم اظهر ما هو عليه
من الدين والحق فقال اني وجهت وجهي يعني انصرفت عبادتي وقصدت بتوحيدي للذي فطر السموات
والارض يعني للذي خلقهما وابدعهما حنيفا يعني مايلا عن عبادة كل شي الا الله تعالى واصل الحنف
الميل وهو ميل عن الطريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة

في ضلالته وما انا من المشركين يعني انا برا من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل وحاجه قومه يعني وخاصمه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيبا لهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك قال اتحاجوني في الله يعني اتجادلونني في توحيد الله وقد هدان يعني وقد بين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته قال البغوي ولما رجع ابراهيم الى امه وصار من الشباب بحاله سقط عنه فيها طمع الذابحين وضمه ازر الى نفسه جعل ازر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب فيه روسها وقال اشربي استهزا بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاوه بها في قومه واهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه وجادله قومه في دينهم قال يعني ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هدان يعني الى التوحيد ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف ان تمسك بسوء من خبل او جنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما تشركون به لانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله الا ان يشاء ربي شيئا يعني لكن ان شاء ربي شيئا كان مما يشا لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شي علما يعني احاط علمه بكل شي فلا يخرج شي عن علمه افلا تتذكرون يعني افلا تعتبرون ان هذه الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع والضار هو الله الذي خلق السموات والارض ومن فيهما وكيف اخاف ما اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتم بها لانها جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله يعني وانتم لا تخافون وقد اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ما لم ينزل به عليكم سلطانا يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون يعني من اولى بالعذاب في يوم القيامة الموحد ام المشرك الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وهذا فصل قضاه الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن يوم القيامة هم الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك وعن ابن مسعود قال لما نزل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمع قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني لم يخلطوا ايمانهم بشي من معاني الظلم وذلك بان تفعل بعض ما نهى الله عنه او ترك ما امر الله به فعلى هذا القول تكون الاية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الاية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كان عاقبته الامن من النار لقوله اولئك يعني الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لهم الامن يوم القيمة من عذاب النار وهم مهتدون يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم انا نخاف عليك من الهتنا لسبك اياها فقال افلا تخافون انتم منها اذا سويتم بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة ام من يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة فقضوا على انفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشا يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حين اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشا في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال الصالحة ان ربك حكيم عليم يعني انه تعالى حكيم في جميع احواله عليم بجميع احوال خلقه لا يفعل شيا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل ووهبنا له اسحاق ويعقوب لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلايل الصحيحة التي فهمه الله اياها وهداه الى عدد نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته في عليين وابقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحاق ابنا من صلبه ويعقوب يعني ابن اسحاق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى الرشد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب ونوحا هدينا من قبل يعني من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيل الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم داود وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان الله تعالى ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا انها الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جايز لان ذكرهما جرى وداود هو ابن ايشا كان ممن اتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود وايوب هو ايوب بن اموص بن رازح بن عيصان بن اسحاق بن ابراهيم ويوسف هو ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهارون هو اخو موسى وكان اكبر منه بسنة انتهى وكذلك نجزي المحسنين يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن اذن بن بركيا ويحيى هو ابن زكريا وعيسى هو ابن مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرايل قال محمد بن اسحاق هو الياس بن بستا بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو

ادريس لان الله تعالى نسب الياس في هذه الاية الى نوح وجعله من ذريته كل من الصالحين يعني
ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين واسماعيل هو ابن ابراهيم وانما اخر ذكره الى هنا لانه ذكر
اسحاق وكذا اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسماعيل الى هنا واليسع هو
ابن اخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الاية من يقول ان الانبيا افضل من الملايكة لان العالم اسم
لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبيا افضل من الملايكة واعلم ان الله ذكر
هنا ثمانية عشر نبيا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل
لان الواو لا تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهي ان الله تبارك وتعالى
خص كل طايفة من طوايف الانبيا عليهم الصلاة والسلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا
وابراهيم واسحاق ويعقوب لانهم اصول الانبيا واليهم يرجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد
النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله تعالى داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب
الصبر عند نزول البلا والمحن والشدايد وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام ثم عطف على هاتين
المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلا والشدايد الى ان اعطاه الله
ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام كثرة المعجزات
وقوة البراهين وقد خص الله بذلك موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة
الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام
ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هولا الانبيا من لم يبق لهم اتباع ولا
شريعة وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه
كان هذا الترتيب احسن شي يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل ومن اباهم يعني ومن
ابا الذين سميناهم من هنا للتبعيض لان ابا بعض من ذكر لم يكن مسلما وذرياتهم يعني من ذرياتهم لان
يحيى وعيسى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح واخوانهم يعني من اخوانهم
والمعنى ان الله تعالى وفق من ابا المذكورين ومن ذرياتهم واخوانهم للهداية وخالص الدين وهو قوله
تعالى واجتبيناهم يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني وارشدناهم الى صراط مستقيم
يعني الى دين الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هولا الانبيا وقيل
المراد بهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركا والاضداد والانداد يهدي به من يشا من
عباده يعني يوفق من يشا من عباده ويرشدهم الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والانداد
ولو اشركوا يعني هولا الذين سميناهم لحبط عنهم يعني لبطل وذهب ما كانوا يعملون يعني من
الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا قوله عز وجل اوليك الذين
اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة يعني اوليك الذين سميناهم من الانبيا اعطيناهم الكتب الذي انزلنا

عليهم

عليهم واتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة والنبوة وان كانت
هي الاصل لان منصب النبوة اشرف المناصب والمراتب فذكر اولا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة
فان يكفر بها هولا يعني فان يجحد بدلايل التوحيد والنبوة كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة
هم الانبيا الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج والدليل عليه قوله اوليك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وقال رجا العطاردي هم الملايكة وقال بعد لان اسم القوم لا يقع الا على بني ادم
وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سوا كان ملكا او نبيا من الصحابة او التابعين
وفي الاية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله عاليا على الاديان
كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن غيب قوله تعالى اوليك الذين هدى الله يعني النبيين الذين
تقدم ذكرهم هم المخصوصون بالهداية فبهداهم اقتده اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني
بشرايعهم وسننهم اعمل واصلح والاقتدا في اللغة طلب موافقة الثاني الاول في فعله وقيل امره
ان يقتدي بهم في امر الدين الذي اجمعوا عليه وهو توحيد الله وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق
بجلاله والصفات والافعال وقيل امره الله ان يقتدي بهم في جميع الاخلاق الحميدة والافعال
المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفها والعفو عنهم وقيل امر
ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه دليل اخر فعلى هذا القول يكون في الاية دليل على ان شرع
من قبلنا شرع لنا فصل احتج العلما بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
من جميع الانبيا عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة
فيهم فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل
وكان اسحاق ويعقوب من اصحاب الصبر على البلايا والمحن وكان داود وسليمان من اصحاب الشكر
على النعمة قال الله فيهم اعملوا ال داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلايا قال الله تعالى
فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر
والشكر وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب
صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال الحميدة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم
كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم
وقوله عز وجل قل لا اسلكم عليه اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا وقيل
لما امره الله بالاقتدا بالنبيين وكان من جملة هذا هو ترك طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ
الشريعة لاجرم اقتدى بهم فقال قل لا اسلكم عليه اجرا ان هو يعني ما هو يعني القران الا ذكرى
للعالمين يعني ان القران الا موعظة وذكرى لجميع العالم من الانس والجن وفيه دليل على انه موعظة

له صلى الله عليه وسلم لانه كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته
عمت جميع الخلايق قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس معناه
وما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه وما امنوا ان الله على كل شي قدير وقال
ابو العاليه ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته
يقال قدر الشي اذا احذره واراد ان يعلم قدره ومقداره يقدره بالضم قدرا ثم
يقال لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال له انه لا يقدر
قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح وضعه جميع الوجوه المذكورة في معناه
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي يعني الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شي
ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقاله ثم اختلف العلما
فيمن نزلت هذه الايه على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول
من يقول ان جميع هذه السورة مدنية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد
وصححه الطبري وقال لان من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين وكان
قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ
قالوا ما انزل الله على بشر من شي خبر عن غيرهم واورد فخر الدين على هذا القول
اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبيا فكيف يمكن الزامهم نبوة موسى
وايضا بعد هذه الايه لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان
كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاهم بالتوراة وبالمعجزات
الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم يمكن الزامهم بقوله
قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى واجاب عن كون سياق الايه لا يليق الا بحال
اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فلا يبعد ان بعض الايه يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود القول الثاني
في سبب نزول هذه الايه وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول
من يقول ان هذه الايه نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التي في السور المكية
قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست ايات منها قوله وما قدروا الله حق
قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القايلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه
الايه فيهم قال سعيد ابن جبير جا رجل من اليهود يقال له مالك ابن الصيف يخاصم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل
التوراة على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا
فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شي فقال له اصحابه الذين معه ويحك ولا

على موسى فقال والله ما انزل الله على بشر من شي فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى قال البغوي وفي القصة ان مالك
ابن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس الله انزل الكتاب على موسى
فلم قلت ما انزل الله على بشر من شي فقال لهما مالك بن الصيف اغضبني محمد فقلته لك فقالوا له
وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال
السدي نزلت هذه الايه في فنحاص بن عازورا اليهودي لانه القايل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت
اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السما كتابا فانزل الله وما قدروا
الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى وقال محمد بن
كعب القرظي جا ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم الا تاتينا
بكتاب من السما كما جا به موسى الواحا يحملها من عند الله فانزل الله يسالك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى الايه التي في سورة النسا فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة
جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على احد منهم فانزل الله وما
قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي واورد الرازي على هذا القول اشكالا ايضا
وهو انه قال ان اليهود مقرون بانزال التوراة على موسى عليه السلام فكيف يقولون ما انزل الله على
بشر من شي مع اعترافهم بانزال التوراة على موسى ولم يجب عن هذا الاشكال بشي واجيب عنه بان
مراد اليهود انكار نزول القران على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار
من انزال التوراة على موسى فقال تعالى قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى اي قل يا محمد لهولا اليهود
الذين انكروا نزول القران عليك بقولهم ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى وفي
هذا السوال توبيخ لليهود بسو جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر نورا وهدى للناس يعني
التوراة ضيا من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق به بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل
وتغير يجعلونه قراطيس يعني يكتبونه في قراطيس مقطعة يبدونها يعني القراطيس ويخفون
كثيرا يعني ويخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته في التوراة ومما اخفوه ايضا اية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة وعلمتم ما لم
تعلموا انتم ولا اباوكم اكثر المفسرين على ان هذا خطابا لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد
صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم من قبل وقال الحسن جعل الله علم ما جا به محمد صلى الله عليه
وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطابا للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل الله هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جا به فان اجابوك
يا محمد والا فقل انت الله الذي انزله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون
من باطلهم وكفرهم ومعنى يلعبون يستهزون ويسخرون وقيل معناه انك يا محمد اذا اقمت الحجة عليهم

وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينيذ لم يبق عليك من امرهم شي
فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم
هذا منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى
وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني وهذا القران كتاب انزلناه من عندنا عليك
يا محمد كثير الخير والبركة دايم النفع تبشر المومنين بالثواب والمغفرة وتزجر عن
القبيح والمعصية واصل البركة النما والزيادة وثبوت الخير مصدق الذي بين يديه
يعني من الكتب الالهية المنزلة من السما على الانبيا يعني انه موافق لما في التوراة
والانجيل وساير الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل
عيب ونقيصة ويدل على البشارة والنذارة فتثبت بذلك كون القران مصدقا
لجميع الكتب المنزلة ولتنذر قرى بالتا يعني ولتنذر يا محمد وبالبا ومعناه ولينذر
الكتاب ام القرى يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر اهل ام القرى وسميت مكة
ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها
بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض ومن حولها يعني جميع البلاد التي حولها شرقا
وغربا والذين يومنون بالاخرة يومنون به يعني والذين يصدقون بقيام
الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتب فانه منزل من عند
الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي
يومن بالاخرة يومن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك في تحصيل
الثواب ودرء العقاب عنه وكذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم
بالضرورة ان دين محمد اشرف الاديان وشريعته اعظم الشرايع وهم على
صلاتهم يحافظون يعني يداومون عليها في اوقاتها والمعنى ان الايمان بالاخرة
يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك يحمل على المحافظة على الصلوات
وفايدة تخصيص الصلاة بالذكر دون ساير العبادات التنبيه على انها اشرف
العبادات بعد الايمان بالله عز وجل فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع
العبادات والطاعات قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني
ومن اعظم خطا واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا
وهو في زعمه كذاب مبطل او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي قال قتادة هذه
الاية في مسيلمة الكذاب وهو ابو ثمامة مسيلمة بن ثمامة وقيل مسيلمة بن
حبيب من بني حنيفة وكان صاحب مرجاة وجناية وسجع ادعى النبوة باليمن
وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين

فقال

فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم اذ اتيت خزاين الارض فوضع
في يدي سوارا من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فطارا
فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفي لفظ
الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدي سوارا
من ذهب فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيلمة صاحب
اليمامة والعنسي صاحب صنعا قوله فاوحي الي ان انفخهما يروى بالحا المهملة ومعناه
الرمي والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا وقعت ونحت برجليها ويروى بالخا المعجمة من النفخ يريد
نفخهما فطارا عنه وهو اقرب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة ومنعه قومه
من بني حنيفة وكان صاحب نرجات فاغر قومه وقتل مسيلمة في خلافة ابي بكر الصديق قتله وحشي
قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حمزة بن عبد المطلب وقتلت شر
الناس يعني مسيلمة الكذاب واما الاسود العنسي بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الحمار
ادعى النبوة في اخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يمت وذلك قبل موته
بيومين واخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز بقتله
الاسود العنسي فمن قال ان هذه الاية يعني قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي
ولم يوح اليه شي نزلت في مسيلمة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة
وهو قول لبعض علما التفسير تقدم ذكره في اول السورة ومن قال ان هذه الاية مكية وقال انها نزلت
في شانهما يقول انها اخبار عن غيب قد ظهر لك فيما بعد والله اعلم وقوله تعالى ومن قال سانزل مثل
ما انزل الله قال السدي نزلت في عبد الله بن ابي سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله
عليه وسلم فكان اذا املى عليه النبي صلى الله عليه وسلم سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى
عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
املاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفضيل خلق الانسان فقال فتبارك
الله احسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله بن ابي سرح وقال
لين كان محمد صادقا فقد اوحي مثل ما اوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله
بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس
نزل قوله تعالى سانزل مثل ما انزل الله في المستهزين وهو جواب لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا وقال
العلما وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع
خصوص السبب عموم الحكم ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت يعني ولو ترى يا محمد حال هولا

الظالمين اذا نزل بهم الموت لرايت امرا عظيما وغمرات شديدة وسكراته وغمرة كل شي معظمه
واصلها الشي الذي يغمر الاشيا فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدايد والمكاره والملايكة باسطوا
ايديهم يعني بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم اخرجوا
انفسكم يعني يقولون لهم اخرجوا انفسكم فان قلت انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه
فما فايدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المومن يحب لقا الله بخلاف
الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا
القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم من العذاب في ذلك اليوم تجزون عذاب الهون يعني
الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله
غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقران ولا تصدقونه قوله
تعالى ولقد جيتمونا فرادى يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز
وجل عن حال الكفار وكيف يحشرون اليه وما ذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكفار ولقد جيتمونا
فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل الولد والمال والجاه وافنوا اعمارهم في
عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيا في يوم القيمة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا
كما خلقناكم اول مرة يعني كما جيتمونا حفاة عراة غرلا يعني قلفا كما ولدتهم امهاتهم في اول مرة في الدنيا
لا شي عليهم ولا معهم ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال
ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
ق عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا
فقالت عايشة فقلت الرجال والنسا ينظر بعضهم الى بعض فقال الامر اشد من ان يهمهم ذلك
وروى الطبري بسنده عن عايشة انها قرات قول الله عز وجل ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
فقالت يا رسول الله وا سوتاه ان الرجال والنسا يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوة بعض فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرى منهم يوميذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النسا ولا النسا الى
الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم ورا ظهوركم يعني وتركتم الذي اعطيناكم
وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول كلما اعطى الله العبد وخوله فيه من المال والعبيد ورا
ظهوركم في الدنيا وما نرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم شركا يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا
هذه الاصنام لانها شفعاهم عند الله تعالى يوم القيمة شركا تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيمة وبخ الله
المشركين وقرعهم بهذه الاية ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرى بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع
ما بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرى بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع
وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني وبطل ما كنتم
تكذبون في الدنيا قوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى لما تقدم الكلام من تقرير التوحيد وتقرير

النبوة اردفه بذكر الدلايل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بذلك على ان المقصود
الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله فانه مبدع الاشيا وخالقها
ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف منه ما كانوا
عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فالق
الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى الفلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الاية على هذا
القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل
قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله
الشي بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه قال وقيل الفلق الخلق واذا تاملت الخلق
تبين لك انه اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشيا كانت قبل الوجود في العدم
فلما اظهرها الله تعالى من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثر
من ان الفلق هو الشق واختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحبة
من السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة
والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في
الحبة والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى
جمع نواة وهو ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ومعنى قوله فالق
الحب والنوى وذلك اذا وقعت الحبة او النواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان
اظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب
ويظهر من النواة شجر قصاعدة في الهوى وعروقا ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشيا
بقدرته وابداعه وخلقه وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس
في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا من الميت ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي
ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج
النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية اخرى يخرج المومن من الكافر
ويخرج الكافر من المومن فجعل الايمان بمنزلة الحيا والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل
معناه يخرج الطايع من العاصي والعاصي من الطايع وقال السدي يخرج النبات من الحب
والحب من النبات وهذا اختيار الطبري قال لانه قال عقيب قوله ان الله فالق الحب والنوى فان
قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت هو كالبيان
والتفسير لقوله فالق الحب والنوى لان اصل الحب والنوى اليابسين واخراج النبات والشجر منه من
جنس اخراج الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله تعالى ذلكم الله يعني ذلكم الله
المدبر الخالق الصانع لهذه الاشيا كلها المحيي المميت لها فانى تؤفكون يعني فانى تصرفون عن الحق

فتعبده من غير الله الذي هو خالق الاشيا وفيه دليل على صحة البعث بعد الموت لان القادر
على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب قوله تعالى **فالق الاصباح**
اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر يسمى به الصبح وقال الزجاج
الاصباح والصبح واحد وهو اول النهار فان قلت ظاهر هذه الاية يدل على انه تعالى فلق الصبح
والظلمة التي هي تتعلق بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلما فيه وجوها الاول ان يكون
المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد
في الافق كذنب السرحان وهو الذيب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب
لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضو المستطير
في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى
فالق ظلمة الصبح الاول والصبح الثاني الوجه الثاني انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح
فكذلك يشق نور الصباح بضيا النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح اي فالق الصباح بنور
النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في اخر الليل الذي يلي الصبح الوجه الرابع
ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق
الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعني خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو
الضو الذي يبدو والنهار والمعنى انه تعالى مبدي ضو الصبح وخالقه ومنوره وقوله تعالى **وجاعل
الليل سكنا** السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة
لان الله تعالى جعل لهم الليل كذلك قال ابن عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان الانسان قد اتعب نفسه
في النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل **والشمس والقمر حسبانا**
يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس يجريان الى اجل مسمى
لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا
الى اقصى منازلهما **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشيا التي خلقها بقدرته
وكمال علمه وهو المراد بقوله ذلك **تقدير العزيز العليم** فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة
الى كمال علمه قوله عز وجل **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** جعل
هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها اذا ضللتم الطريق
وتحيرتم فيه فمن الله على عباده بان جعل لهم النجوم يهتدوا بها الى المسالك والطرق في البر
والبحر الى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم ايضا على القبلة ويستدلون على ما يريدون
في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها زينة
للسما كما قال تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلها رجوما للشياطين **قد فصلنا**
يعني قد بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا **لقوم يعلمون** ان ذلك مما يستدل به

على

٤٦١

على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى **وهو الذي انشاكم من نفس
واحدة** يعني والله الذي ابتدا خلقكم ايها الناس من ادم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم
وحوا مخلوقة منه وعيسى ايضا لانه ابتدا خلقه من مريم وهي من بنات ادم فثبت ان جميع
الخلق من ادم عليه السلام **فمستقر ومستودع** قرى فمستقِر بكسر القاف وفتحها فالمستقِر في
مكانه واستقر فمن كسر القاف جعله مكانا والمستقر يعني المقر فيكون المعنى ولكم مقر
والمستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز
ان يكون المكان نفسه فمن قرا بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار
ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من
استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات من
المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض بان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين
في معنى هذين اللفظين ويروى عن ابن عباس انه قال المستقر يعني في ارحام الامهات والمستودع
في اصلاب الابا ثم قرا ونقر في الارحام ما نشا ويويد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب
الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام اكثر من
صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب ويروى عنه انه قال بالعكس يعني ان
المستقر صلب الاب والمستودع رحم المراة ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب
الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود
المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على الارض
في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله في الاخرة وقال
الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في اهلك الى ان
تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما الى الجنة واما الى النار والمقام
فيهما يقتضي الخلود والتابيد **قد فصلنا الايات** يعني قد بينا الدلايل الدالة على التوحيد بالبراهين
الواضحة والحجج القاطعة **لقوم يفقهون** يعني لقوم يفهمون عن الله اياته ودلايله الدالة على
توحيده لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل **وهو الذي انزل من السما ما** يعني المطر وقيل ان الله
ينزل المطر من السما ومن السحاب الى الارض **فاخرجنا به** يعني بالما الذي انزلناه من السما **نبات كل
شي** يعني من كل شي ينبت وينمو من جميع اصناف النبات وقيل معناه اخرجنا بالما الذي انزلناه
من السما غذا كل شي من الانعام والبهايم والطير والوحش وارزاق بني ادم واقواتهم مما يتغذون به
فينبتون عليه وينمون **فاخرجنا منه خضرا** يريد اخضر مثل عور واعور والخضر هو جميع الزروع
والبقول الرطبة **نخرج منه حبا متراكبا** يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب مركب بعضه
فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وساير الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل

على الافضلية لان حاجة الناس اليه افضل لانه القوت المالوف ومن النخل من طلعها قنوان دانية
يعني من بسرها قبل ان تطلعت النخلة اذا اخرجت طلعها وطلعها بسرها قبل ان ينشق على الاغريض والاغريض
يسمى طلعا ايضا وهو اول ما يكون في قلب الطلع والطلع اول ما يبدو ويخرج من بسر النخل كالكراث يكون
فيه العذوق فاذا انشق عنه كيزانه سمي عذقا وهو العنقود وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة
للمتناول ينالها القايم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه
اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنوانه قريبة ومنها ما هي بعيدة عاليه واكتفى بذكر قريبة عن
البعيدة لشدة الاهتمام بها لانها اسهل تناولا ولان البعيدة تحتاج الى الكلفة وجنات
من اعناب يعني اخرجنا من ذلك بساتين من اعناب والزيتون والرمان يعني اخرجنا شجر الزيتون
وشجر الرمان مشتبها قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان
وغير متشابه يعني ومنها غير متشابه في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية
اربعة انواع من الشجر بعد الزرع وانما قدم الزرع على ساير الاشجار لان الزرع غذا وثمار الاشجار
فواكه والغذا مقدم على الفواكه وانما قدم النخل على غيرها لان ثمرتها تجري مجرى الغذا وفيها من المنافع
والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانه اشرف انواع الفواكه
ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وساير وجوه الاستعمال
ثم ذكر عقبه الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودوا وقال تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر
وينعه يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبروا كيف اخرج الله تعالى هذه
الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله تعالى ان في ذلكم لايات
لقوم يومنون يعني يصدقون ان الذي اخرج هذه الثمار وهذا النبات قادر على ان يحيي الموتى
ويبعثهم وانما احتج الله عليهم لتصريف ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا
ويشاهدونه من احيا الارض بعد موتها واخراج انواع ساير النبات والثمار منها وانه لا يقدر
على ذلك احد الا الله تبارك وتعالى فانه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم ليوم
القيمة وانما احتج عليهم بهذه الاشيا لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى وجعلوا لله شركا
الجن قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم اطاعوا
الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله وقال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشركة لاثنين
في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات
والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب ونقله الامام فخر الدين الرازي عن ابن عباس
قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زروشد انه نزل
من السما سماه بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع زنادقة ثم ان المجوس
قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني

ابليس

ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال
عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على انه شريك الله في تدبير
هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت
فعلى هذا القول انهم اثبتوا لله تعالى شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركا
قلت ان ابليس له اعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون اعماله فصح ما حكاه الله
عنهم من انهم جعلوا له شركا الجن ومعنى الاية وجعلوا الجن شركا لله واختلفوا في معنى هذه الشركة
فمن قال ان الاية في كفار العرب قال انهم لما اطاعوا الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم
شركا ومن قال انها في المجوس فقد اثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا ان
الملايكة بنات الله وهم شركاوه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملايكة من الجن وذلك لانهم مستورون
عن الاعين وقوله تعالى وخلقهم وفي معنى الكناية قولان احدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى
والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثاني ان الكناية تعود الى
الجاعلين لله شركا فيكون المعنى وجعلوا الله الذي خلقهم شركا لا يخلقون شيا وهم يخلقون
وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي
اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطايفة
من اليهود ادعوا ان لله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملايكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا
فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول
لان الولد جزء من الاب والله سبحانه لا يتجزا فثبت تنزيهه عن ايجاد الولد وعن هذه الاقاويل
الفاسدة فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه عن كل ما لا يليق
بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد او يكون المعنى المتعالي عن
ايجاد الولد والشريك وقوله تعالى عما يصفون يعني عما يصفونه من الكذب قوله عز وجل
بديع السموات والارض الابداع عبارة عن تكوين الشي على غير مثال سابق والله خلق السموات
والارض على غير مثال سابق انى يكون له ولد يعني من اين يكون له الولد ولم تكن له صاحبة لان الولد
لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغي ان يكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شي وخلق كل شي يعني
ان الصاحبة والولد في جملة من خلق لانه خالق كل شي وليس كمثله شي فكيف يكون الولد لمن لا مثل
له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل فتعالى عن المثلية وهذه الاية حجة
قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شي عليم يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن
علمه مثقال ذرة وعلمه محيط بكل شي قوله تعالى ذلكم الله ربكم يعني ذلكم الله الذي من صفته
انه خلق السموات والارض وابدعهما على غير مثال لانه بكل شي عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة
لا من تدعونه من دونه من الاصنام لانها جماد لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو

الخالق الضار النافع لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه يعني انه هو الذي يستحق العبادة فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني انه تعالى على كل شيء خلق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه
قوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته فالابصار ترى الباري جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة فتمسك بظاهر الاية قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجية وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه احد من خلقه وان رويته مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك الابصار عبارة عن الروية اذ لا فرق بين قوله ادركته ببصري ورايته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار لا تراه وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة ان المومنين يرون ربهم يوم القيمة في الجنة وان رويته غير مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الاحاطة بكنه الشيء واحتجوا لصحة مذهبهم بظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تبارك وتعالى للمومنين في الاخرة قال الله تعالى وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي الاية دليل على ان المومنين يرون ربهم يوم القيمة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون قال الشافعي حجب قوما بالمعصية وهم الكفار فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان فقال مالك لو لم ير المومنون ربهم يوم القيمة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى الله تبارك وتعالى يوم القيمة واما دلايل السنة ما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك اخرجه ابو داود بدليل عنده في اوله ان ناسا سالوه ولا في اخره ليس دونها سحاب عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا نرى ربنا مخليا به قال نعم قلت وما اية ذلك في خلقه فقال يا ابا رزين اليس كلكم ترون القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود واما الدلايل العقلية فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الاية على جواز روية المومنين ربهم يوم القيمة وتقريره انه تعالى يمدح بقوله لا تدركه فلو لم يكن جايز الروية لما حصل هذا التمدح لان العدم لا تصح رويته فثبت ان قوله لا تدركه الابصار

يفيد

يفيد المدح وهذا يدل على كونه تعالى جايز الروية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث يمتنع رويته فحينيذ لا يلزم من عدم رويته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جايز الروية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الاية دالة على انه تعالى جايز الروية واذا ثبت بهذا وجب القطع بان المومنين يرونه يوم القيمة لان موسى عليه السلام سال الروية بقوله رب ارني انظر اليك اذ لا يسال مثل موسى ما لا يجوز او يمتنع وقد علق الله الروية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جايز والمعلق على الجايز جايز واما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر الاية على نفي الروية فاعلم ان الادراك غير الروية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والروية المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون الروية بلا ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الروية بقوله كلا والله تعالى يجوز انه يرى في الاخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئي وهو من كان محدودا وله جهات والله منزه عن الحد والجهة لانه العظيم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يدرك ولا يدرك وقال قوم ان الاية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الاية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والروية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يوميذ ناضرة يفيد يوم القيمة وعلى هذا يمكن الجمع بين الايتين وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا والله اعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس اللطيف باوليايه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق وقيل هو الذي ينسي عباده ذنوبهم لييلا يخجلوا واصل اللطف النظر في الاشيا وقال ابو سليمان الخطابي اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف من اسما الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن ان تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى قد جاكم بصاير من ربكم البصاير جمع البصيرة وهو الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم والمعنى قد جاكم القران فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الايات والبراهين ليست

في انفسها بصاير الا انها لا تركها المنزع فيها ووقع على حقايقها فلما كانت هذه الايات
والحجج والبراهين انسابا لحصول البصاير سميت الايات بصاير فمن ابصر يعني فمن عرف الايات
واهتدى بها الى الحق فلنفسه يعني فلنفسه ابصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك اليه ومن عمي
يعني ومن جهل ولم يعرف الايات ولم يستدل بها الى الطريق فعليها يعني فعلى نفسه عمي ولها
ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه وما انا عليكم بحفيظ يعني وما
انا عليكم برقيب احصي عليكم اعمالكم وانما لكم انما انا رسول من ربكم اليكم ابلغكم ما ارسلت
به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شي من اعمالكم واحوالكم وقيل معناه لا اقدر
ان ادفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست اخذكم بالايمان وقال احد الحفيظ الوكيل
وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف
وعلى القول الاول ليست بمنسوخة والله اعلم قوله عز وجل وكذلك نصرف الايات يعني
وكذلك نبين الايات ونفصلها من كل وجه كما صرفنا وبيناها من قبل وليقولوا دارست
وقيل معناه ليلا يقولوا درست يعني قرات على غيرك يقال درس الكتاب جيد درسه دراسة
اذا اكثر قراءته وذلله للحفظ وقال ابن عباس وليقولوا اهل مكة حين يقرا عليهم القران
درست يعني تعلمته من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرات علينا تزعم انه
من عند الله وقال الفرا معناه تعلمت من اليهود وقرئ دارست بالالف قارات اهل
الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يقولون قرات على اهل الكتاب وقروا عليك
وقرئ درست بفتح الدال والرا والسين وسكون التا ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها
عليك قديمة قد درست وانمحت من قولهم درس الامر اذا محي وذهب اثره ولنبينه لقوم
يعلمون يعني القران وقيل معناه نصرف الايات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اولياءه
الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الاية وكذلك نصرف الايات ليسعد بها قوم ويشقى
بها اخرون فمن اعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست اودارست فهو شقي ومن
ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحاق الذي اداهم الى ان
قالوا درست هو تلاوة الايات عليهم وهذه اللام تسميها اهل اللغة لام الصيرورة
يعني صار عاقبة امرهم الى ان قالوا درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على
ان الله تعالى جعل تصريف الايات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم
قوله تعالى اتبع ما اوحي اليك من ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اتبع يا محمد ما امرك به بذلك
في وحيه الذي اوحاه اليك وهو القران فاعمل به وبلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من
يقول دارست او درست وفي قوله اتبع ما اوحي اليك من ربك تقوية لقلب النبي صلى الله
عليه وسلم وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم دارست ونبه بقوله تعالى لا اله الا هو

يعني

يعني انه سبحانه وتعالى واحد فرد احد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته ولا
يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزايغين وقوله تعالى واعرض عن المشركين
قيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم
فعلى هذا يكون الامر بالاعراض منسوخا باية القتال قوله عز وجل ولو شا الله
ما اشركوا قال الزجاج معناه لو شا الله لجعلهم مومنين وهذا نص صريح في ان شركهم
كان بمشية الله خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرض من احد الكفر والشرك فالاية رد عليهم
وما جعلناك عليهم حفيظا يعني وما جعلناك يا محمد على المشركين رقيبا ولا حافظا
تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطا وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم
مني ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب انما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم
فان ذلك بمشية الله تعالى وما انت عليهم بوكيل يعني وما انت عليهم بوكيل تقوم بارزاقهم
وما انت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وفي قول
ابن عباس لا تكون منسوخة والله اعلم قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم الاية قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله عن
سب اوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المومنون يسبون اوثان الكفار
فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم
بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت ابو طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على
هذا الرجل فلنامره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب
كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية
ابن خلف وابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي
طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب
ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا بسوء ولندعه والهه فدعاه فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ابو طالب ان هولاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
يريدون فقالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال له ابو طالب قد انصفك
قومك فاقبل منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا فهل انتم معطوا
كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادت الخراج فقال ابو جهل نعم
وابيك لنعطينها وعشرة امثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا
فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني
بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة ان يوسيهم فقالوا لتكفن عن شتمك

القتال ولنشتمنك او لنشتمن من يامرك فانزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
يعني ولا تسبوا ايها المومنون الاصنام التي يعبد ونها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم
يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك
الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير
علم وقال ابن الانباري هذه الاية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة
فلما قوي اصحابه نسخ هذه الاية ونظايرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما ترتب على ذلك من
المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد
فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب الهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب
الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وقوله تعالى كذلك زينا لكل
امة عملهم يعني كما زينا لهولا المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان
كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي الاية دليل على تكذيب القدرية
والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى ثم الى ربهم مرجعهم
يعني المومن والكافر والطايع والعاصي فينبيهم بما كانوا يعملون يعني في الدنيا فيجازيهم
على ذلك قوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت
قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان له عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا
وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا باية حتى نصدقك ونومن بك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي ما تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك
احق ما تقول ام باطل وارنا الملايكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض
ما تقولون اتصدقوني قالوا نعم والله لين فعلت لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يومنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله
عز وجل ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال ان شيت اصبح ذهبا ولكن
ان لم يصدقوك لنعذبنهم وان شيت تركهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل يتوب تائبهم وانزل الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني حلفوا بالله جهد ايمانهم
يعني اوكد ما قدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو
جهد يمينه لين جاءتهم اية يعني كما جاءت من قبلهم من الامم ليومنن بها يعني ليصدقن بها قل
يعني قل يا محمد انما الايات عند الله يعني انه تعالى قادر على انزالها وما يشعركم يعني وما يدريكم
ثم اختلف العلما في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل هو

خطاب للمومنين واختلفوا في قوله انها اذا جاءت لا يومنون فقرأ ابن كثير واهل البصرة
وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتدا وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على
معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدا فقال انها اذا جاءت لا يومنون فمن جعل الخطاب
للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المشركون انها يعني الايات اذا جاءت امنتم ومن جعل
الخطاب للمومنين قال معناه وما يشعركم ايها المومنون انها اذا جاءت امنوا لان المومنين كانوا
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ان يريهم ما اقترحوا حتى يومنوا فخاطبهم الله بقوله
وما يشعركم ثم ابتدا فقال تعالى انها اذا جاءت لا يومنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله
عز وجل عليهم بانهم لا يومنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون انها بفتح الالف وجعلوا
الخطاب في ذلك للمومنين لان المومنين هم الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات
لذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يشعركم ايها المومنون ان الايات اذا جاءت لا يومنون
فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يومنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت
يومنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يومنون او لا يومنون
وقيل انه بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة ابي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا
شايع في كلام العرب تقول العرب ايت السوق انك تشتري لنا شيا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد
اعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد يعني لعل منيتي قوله تعالى ونقلب
افيدتهم وابصارهم قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جيناهم بالايات التي سالوا
ما امنوا بها والتقليب هو تحويل الشي وتحريكه عن جهته الى وجه اخر لان الله تعالى اذا صرف
القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر كما لم يومنوا به اول مرة كما لم يومنوا بما قبل ذلك من تلك
المعجزات الباهرات وقيل ان اول مرة يعني الايات التي جاء بها موسى وغيره من الانبيا وقال ابن عباس
المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة الى الدنيا نقلب افيدتهم وابصارهم عن الايمان فلا يومنون
كما لم يومنوا به اول مرة قبل مماتهم وفيه دليل على ان الله تعالى يهدي من يشا ويضل من يشا وان الايمان
والقلوب بيده وفي تصرفه فيقيم ما شا منها ويزيغ ما اراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله ونقلب افيدتهم نزيغها عن الايمان ونقلب
ابصارهم عن روية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الاية التي سالوها فلا يومنون بها كما لم
يومنوا بالله ورسوله وبما جا من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عايدة على الايمان بالقران وبما
جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سوالهم الايات التي اقترحوها وقوله تعالى ونذرهم في
طغيانهم يعمهون يعني ونترك هولا المشركين الذين سبق في علم الله انهم لا يومنون في تمردهم على الله
واعتدايهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق قوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة قال ابن جريج
نزلت في المستهزين وذلك انهم اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا

بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل أو أرنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله أو ايتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الآية جوابا لهم والمعنى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة حتى يشهدون لك بالرسالة وكلمهم الموتى يعني بما يسألوا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا يعني وجمعنا عليهم كل شيء قبيلا قبيلا وقيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا وهو قوله ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله يعني إلا أن يشاء الله الإيمان منهم وفيه دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله تعالى حتى الإيمان والكفر وموضع المعجزة أن الأشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فإذا أنطق الله الكل حتى يشهدون له بصحة ما يقول كان ذلك في غاية الإعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله أخبر الله أن الإيمان بمشيئته لا كما ظنوا أنهم متى شاؤوا آمنوا ومتى شاؤوا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا هم أهل الشقاء إلا أن يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أنهم يدخلون في الإيمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لأن الله عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الإيمان وقوله تعالى ولكن أكثرهم يجهلون يعني يجهلون أن ذلك كذلك ويحسبون أن الإيمان إليهم متى شاؤوا آمنوا ومتى شاؤوا كفروا وليس الأمر كذلك بل الإيمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة أن الأشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم إن الله أراد الإيمان من جميع الكفار قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا قيل هو مسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل أمة عملهم أي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الأنبياء أعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ليعظم ثوابه على ما يكابده من أذى أعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي أعداء شياطين الإنس والجن اختلف العلماء في معنى شياطين الإنس والجن على قولين أحدهما أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متمرد من الجن والإنس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشيطان الإنس أشد تمردا من شيطان الجن لأن شيطان الجن إذا عجز عن إغواء المؤمن الصالح وأعياه ذلك استعان على إغوائه بشيطان الإنس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والإنس قلت يا رسول الله وهل للإنس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند وأسنده الطبري وقال مالك ابن دينار إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي القول الثاني أن الجميع من ولد إبليس

واضيف

واضيف الشياطين إلى الإنس على معنى أنهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الإنس التي مع الإنس وشياطين الجن التي مع الجن وذلك أن إبليس قسم جنوده قسمين فبعث فريقا منهم إلى الجن وفريقا إلى الإنس فالفريقان شياطين الجن والإنس بمعنى أنهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولأوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب إلى هذا القول قال يدل على صحته أن لفظ الآية يقتضي إضافة الشياطين إلى الإنس والجن والإضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوع مغاير للإنس والجن وهم أولاد إبليس وقوله تعالى يوحي بعضهم إلى بعض يعني يلقي ويسر بعضهم إلى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها إلى من يريد إغواءه فعلى القول الأول أن شياطين الإنس والجن يسر بعضهم إلى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني أن أولاد إبليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيقول شياطين الإنس لشياطين الجن أضللت صاحبي بكذا وكذا فأضلل أنت صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك فذلك وحي بعضهم إلى بعض وقوله زخرف القول يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وكل شيء حسن مموه فهو زخرف غرورا يعني أن الشياطين يغرون ويزينون القول الكذب المزخرف غرورا وذلك أن الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم ويغرونهم بها غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى أن الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من إلقاء الوسوسة إلى الإنس والجن ولكن الله تعالى يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم أنه الأجزل له في الثواب إذا صبر على المحنة فذرهم وما يفترون يعني فخلهم يا محمد وما زين لهم إبليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فإني من ورائهم قوله تعالى ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال ابن عباس ولتميل إليه وأصل الصغو في اللغة الميل يقال صغى إلى كذا إذا مال إليه ويقال صغوت أصغو وصغيت أصغى لغتان قال ابن الأنباري اللام في ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير في إليه يرجع إلى زخرف القول والمعنى أن قلوب الكفار تميل إلى زخرف القول وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله وليرضوه يعني يرضون ذلك القول المزخرف الباطل وليقترفوا ما هم مقترفون يعني وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل أفغير الله أبتغي حكما أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فأمره الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعاني قال الحكم أكمل من الحاكم لأن الحاكم من

سانه ان يحكم والحكم اهل ان يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق فالله حكم لا يحكم الا بالحق
فلما انزل الله على محمد القران فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا
يعني مبينا امره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم والذين اتيناهم الكتاب يعني علما اليهود
والنصارى يعلمون انه منزل من ربك بالحق يعني يشهدون ان هذا القران منزل من عند الله وذلك لما
ثبت عندهم بالدلايل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علما الصحابة ورؤساهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان
وعلى ونظرايهم يعلمون ان هذا القران منزل من ربك بالحق فامنوا به وصدقوه فلا تكونن من الممترين
يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علما اهل الكتاب يعلمون ان هذا القران حق وانه منزل من عند
الله وقيل معناه فلا تكونن في شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهييج لانه صلى
الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به
غيره والمعنى فلا تكونن ايها الانسان السامع لهذا القران في شك انه منزل من عند الله لما فيه من
الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى وتمت كلمت ربك وقرئ كلمات ربك على
الجمع فمن قرا على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد
كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته فكذلك القران كلمة واحدة لانه شي واحد في اعجاز
النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرا بالجمع قال لان الله تعالى قال في سياق الاية لا مبدل
لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول اتباعا للثاني صدقا وعدلا يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما
حكم وقيل ان القران مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما اخبر عن القرون الماضية والامم
الخالية وعما هو كاين الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار
وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وساير الاحكام لا مبدل لكلماته يعني لا مغير لقضايا
ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام
في كلمات الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف
والتغيير باقية الى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا
ولا الشقي ينقلب سعيدا انما السعيد من سعد في الازل والشقي من شقي في الازل واورد على هذا ان
الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا بالاسلام واجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة
فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل
والله اعلم وقوله تعالى وهو السميع يعني لما يقول العباد العليم يعني باحوالهم قوله عز وجل وان
تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمومنين في اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم ولا
تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع اكثر من في الارض في اكل
الميتة وكان الكفار يومئذ اكثر اهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي

شرعه

شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن
عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر عن حال الكفار وما هم عليه
فقال تعالى ان يتبعون الا الظن يعني ان هولا الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم
عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على الحق لانهم اتبعوا اهواهم
وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل وان هم الا يخرصون يعني يكذبون واصل
الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كم فيها من التمر على الظن من غير يقين وسمي الكذب خرصا
لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قايله لم يقله
عن علم ويقين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يقول الله لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم يا محمد ان ربك هو اعلم منك ومن جميع خلقه اي الناس يضل عن سبيله وهو ايضا اعلم بمن
كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شي من احوال خلقه فاخبر تعالى انه اعلم بالفريقين
الضال والمهتدي وانه يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا جواب لقول المشركين
حيث قالوا للمسلمين انا كلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما ذكر
اسم الله عليه من الذبايح ان كنتم باياته مومنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الميتة فقيل
احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الاية خطابا للمشركين وعلى القول الاول
تكون الاية خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله في اخر الاية ان كنتم باياته مومنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر
اسم الله عليه يعني واي شي لكم من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تاكيد في اباحة
ما ذبح على اسم الله دون غيره وقد فصل لكم ما حرم عليكم يعني وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون
فقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله حرمت عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام فخر الدين الرازي هاهنا اشكالا فقال في سورة
الانعام مكية وسورة المايدة من اخر ما انزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب ان يكون ذلك المفصل
متقدما على هذا المحل والمدني متاخر عن المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى
بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير
وهذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه الاية بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد
قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه لان الله علم ان سورة المايدة متقدمة في قوله وقد فصل لكم ما حرم
عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية والله اعلم بمراده وقوله تعالى الا ما اضطررتم
اليه يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار وان كثيرا
ليضلون باهوايهم بغير علم يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم
انا كلون ما تذبحون ولا تاكلون ما يذبحه الله انما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون
بل يتبعون اهواهم ليضلوا انفسهم واتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه

اول من بحر البحاير وسيب السوايب واباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام ان ربك هو اعلم بالمعتدين يعني ان ربك يا محمد هو اعلم بمن يتعدى حدوده واحل ما حرم الله وحرم ما احل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم وهو الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الاية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب الرايات واما الباطن فالمراة يتخذها الرجل صديقة فياتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النسا بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جا الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الاية وذروا ما اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الاثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة السو للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها سيجزون يعني في الاخرة بما كانوا يقترفون يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الاثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شا عاقبه وان شا عفا عنه بفضله وكرمه وقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطا الاية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام فصل اختلف العلما في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سوا تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقل الامام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطا انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الاية وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا يحل وان تركها ناسيا حل وقال الشافعي تحل الذبيحة سوا ترك التسمية عامدا او ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن احمد روايتين فيما اذا ترك

التسمية

التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فمن اباح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الاية الميتات وما ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الاية وانه لفسق واجمع العلما ان اكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عايشة قالت قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديثا عهدهم بشرك ياتوننا بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قالوا فلو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وقال الشافعي في اول الاية وان كان عاما بحسب الصيغة الا ان اخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو المخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في الذبح كما قال في اخر السورة كما قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذي اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق مخصوص بما اهل لغير الله به والله اعلم قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليايهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية في تحريم الميتة كتب فارس وهم المجوس الى مشركي قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليايهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في خفية وان اطعتموهم يعني في اكل الميتة وما حرم الله عليكم انكم لمشركون يعني انكم اذا مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيا مما حرم الله او حرم شيا مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل او من كان ميتا فاحييناه يعني او من كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني وجعلنا له نورا يستضي به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القران لانه بينة من الله مع المومن بما يعمله كمن مثله في الظلمات يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة ليس بخارج منها يعني من تلك الظلمة وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المومن والكافر فبين ان المومن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحييا واعطاه

نورا يهتدى به فى مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو فى ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها
فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون فى هذين المثلين هل هما مخصوصان بانسانين
معينين او هما عامان فى كل مومن وكافر فذكروا فى ذلك قولين احدهما ان الاية فى رجلين معينين
ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس فى قوله وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يريد حمزة بن عبد المطلب
عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله فى الظلمات يريد ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى
النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع من صيده وبيده
قوس وحمزة لم يومن بعد فاقبل حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل
ابو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى الى ما جا به سفه عقولنا وسب الهتنا
وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت
فى عمر بن الخطاب وابى جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت فى عمار بن ياسر وابى جهل وقال مقاتل
نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم وابى جهل وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف
حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نومن الا ان ياتينا وحى كما ياتيه
فنزلت هذه الاية والقول الثانى وهو قول الحسن فى اخرين ان هذه الاية عامة فى حق كل مومن وكافر
وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا فى الكل دخل فيه كل احد وقوله تعالى كذلك زين
للكافرين ما كانوا يعملون قال اهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم
ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصولها لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على
ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى وكذلك
جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها يعنى وكما جعلنا فى مكة اكابر وعظما جعلنا فى كل قرية اكابر
وعظما وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك
جعلنا فى كل قرية اكابر جمع لاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل فى الاية تقديم
وتاخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها اكابر وانما جعل المجرمين اكابر لانهم اقدر
على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة
الله انه جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاهم وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها قال ابو عبيدة
المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة
وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق
مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن
فكان هذا مكرهم وما يمكرون الا بانفسهم يعنى ما يحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم
وما يشعرون يعنى ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل واذا جاتهم اية قالوا

لن

لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله يعنى من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى
الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت انا اولى بها منك لانى اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل
الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت فى ابى جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف
حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحى كما
ياتيه فانزل الله هذه الاية واذا جاتهم اية يعنى حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى
الله عليه وسلم قالوا يعنى الوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام او كل واحد من روسا الكفر ويدل
عليه الاية التى قبلها وهى قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان مكر كفار
قريش انهم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله يعنى من النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة
حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفى قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله قولان احدهما وهو
المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا
متبوعين لا تابعين والقول الثانى وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاتهم اية
من القران تامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعنى لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما اوتى
رسل الله يعنى يوحى الينا وياتينا جبريل يصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا
النبوة وانما طلبوا ان تخبرهم الملايكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى
القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبيا ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعنى انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها
ومن ليس لها باهل وانهم ليسوا لها باهل ولان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد
ومكر وغدر وقال اهل المعانى الابلغ فى تصديق الرسل ان لا يكونوا قبل البعثة مطاعين فى قومهم
لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا روسا مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله
تعالى اعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها ليتيم ابى طالب دون ابى جهل والوليد وغيرهما من اكابر قريش
وروسايها وقوله تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار اى ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذى
يصغر الى المرء نفسه فيه عند الله يعنى هذا من عند الله وقيل معناه ان هذا الصغار ثابت لهم
عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم هذا الصغار فى الاخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار
بحكم الله حكم به عليهم فى الدنيا وعذاب شديد يعنى فى الاخرة بما كانوا يمكرون يعنى انما حصل
لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون قوله تعالى فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام والايمان يقال شرح الله صدره فانشرح اى وسعه لقبول
الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد فى عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح
وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر
وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره وشرح المسألة اذا كانت

مشكلها وصححها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين احدهما الفتح ومنه قيل شرح
الكافر بالكفر صدرا اي فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا افمن شرح
الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله تعالى في قلب
العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان
بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهون عليه ويسهله
له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضي به ويتسع
له صدره ولما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور
يقذفه الله في قلب المومن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار
الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت واسنده الطبري عن ابن مسعود
قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف
بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقي الموت وقوله
تعالى **ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا** يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان
وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع لذكر الله اشماز قلبه واذا سمع ذكر
الاصنام ارتاح الى ذلك وقرا عمر بن الخطاب هذه الاية وعنده اعرابي من كنانة فقال له
ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها شي من الخير واصل
الحرج الضيق وهو ماخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها
شي وقرا ابن عباس هذه الاية فقال هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قالوا
الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني
لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح
والانفساح ونوره فقبل ما اودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته
بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى يصير قلب الكافر بحيث
لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله والايمان به وفي الاية دليل على ان جميع الاشيا بمشية
الله وارادته حتى ايمان المومن وكفر الكافر وقوله تعالى **كانما يصعد في السما** يعني ان الكافر اذا
دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السما ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون المعنى
كان قلب الكافر يصعد الى السما نبوا عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا
ان يصعد الى السما وليس يقدر على ذلك وقيل يلوح من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى
ان الكافر اذا دعي الى الاسلام فكانه قد كلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود
الى السما وليس يقدر على ذلك **كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون** الكاف في كذلك

تفيد

تفيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعل الرجس عليهم كجعل صدورهم ضيقة
حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني
قال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اي
يسلطه عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب
وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الاخرة العذاب قوله عز وجل **وهذا صراط ربك مستقيما**
يعني وهذا الذي بينا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القران هو صراط ربك يعني دينه
الذي شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله وهذا
صراط ربك مستقيما يعني الاسلام وقال ابن مسعود يعني القران لانه يودي من تبعه وعمل به الى طريق
الاستقامة والسداد **قد فصلنا الايات** يعني قد فصلنا ايات القران بالوعد والوعيد والثواب والعقاب
والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك من احكام القران **لقوم يذكرون** يعني لمن يذكر بها ويتعظ بما فيها
من المواعظ والعبر قال عطا يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان **لهم دار السلام عند**
ربهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في اسما الله
تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لانه تعالى ذو السلامة من جميع الافات والنقايص فعلى هذا القول
اضيفت الدار الى السلام الذي هو اسم الله اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله
وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا ان اضافة
الدار الى الله تعالى في نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيم امرها وقيل ان
السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدايمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانه
قال لهم دار السلام التي لا يلقون فيها شيا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلامة
كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام امنين والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عند ربهم
يعني ان الجنة معدة مهياة لهم عنده حتى يوصلهم اليها **وهو وليهم بما كانوا يعملون** يعني انه تعالى
يتولى امرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولى امرهم في الدنيا بالتوفيق
والهداية وفي الاخرة بالجزا والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم
في الاخرة بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا قوله تعالى **ويوم يحشرهم جميعا** اي
اذكر يا محمد يوم نحشر العادلين بالله الاصنام مع اوليايهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين
جميعا في يوم القيمة **يا معشر الجن** فيه حذف تقديره فيقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد
من الجن الشياطين **قد استكثرتم من الانس** يعني من اضلالهم واغوايهم وقال ابن عباس معناه اضللتم
كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تاويل اخر لان الجن لا يقدرون على اضلال الانس واغوايهم
بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار احد الا الله لانه هو المتصرف في خلقه بما يشا فوجب ان يكون

المعنى قد استكثرتم من الدعا الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس وقال اولياوهم من الانس
ربنا استمتع بعضنا ببعض يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال
الكلبي كان الرجل من الجاهلية اذا سافر فنزل بارض قفر خاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا
الوادي من شر سفها قومه فيبيت في جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا اسدنا الانس
مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن
هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل
سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل
استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على انواع الشهوات واصناف الطيبات ويسهلونها عليهم
واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يامرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالروسا للانس
والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع
الجن بالانس وبالعكس امر نادر لا يكاد يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر يوجب
حمل الكلام عليه وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت
محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث
للحساب في يوم القيمة قال يعني قال الله لهولا الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس النار
مثواكم يعني ان النار مقامكم ومنزلكم فيها ومصيركم اليها خالدين فيها يعني مقيمين في نار جهنم ابدا الا
ما شا الله اختلفوا في معنى هذا الاستثنا فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب
الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثنا هو اوقات
نقلهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه
فينقلون الى النار فكان مدة نقلهم هو المراد من هذا الاستثنا ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال
ان هذا الاستثنا يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون
من النار قالوا فعلى هذا التاويل تكون ما في قوله الا ما شا بمعنى من يعني الا من شا الله ونقل الطبري
عن ابن عباس انه كان يتاول هذا الاستثنا ان الله عز وجل جعل امر هولا القوم في مبلغ عذابهم الى مشيته
وقال في هذه الاية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول
الاول اولى لان معنى الاستثنا انما هو من يوم القيمة لان قوله ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيمة
ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شا الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم
ان ربك حكيم يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله
وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطايع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازات عليم يعني بعواقب امور
خلقه وما هم اليه صايرون كانه قال انما حكمت لهولا بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك قوله عز
وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا الكاف في ذلك للتشبيه تقتضي شيئا تقدم ذكره فالتقدير

١٧

٤٧٠

كما انزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا اي
نسلط بعضهم على بعض فناخذ من الظالم بالظالم كما جا في الاثر من اعان ظالما سلطه الله عليه
وقال قتادة يجعل بعضهم اوليا بعض فالمومن ولي المومن حيث كان واين كان والكافر ولي الكافر حيث
كان واين كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه
نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير
هذه الاية هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم
شرارهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمتى ارادوا
ان يتخلصوا من ظلم ذلك الظالم فليتركوا الظلم وقوله تعالى بما كانوا يكسبون يعني نسلط عليهم من يظلمهم
بسبب اعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى يا معشر الجن والانس المعشر هو كل جماعة امرهم واحد
الم ياتكم رسل منكم اختلف العلما في معنى هذه الاية وهل كان من الجن رسول ام لا فذهب اكثر العلما
الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسل منكم يعني من احدكم
وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من احدهما
وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وهذا جائز في كلام العرب
ان يذكر شيئان ثم يخص احدهما بفعل كما في اصله فكذلك لما انتظم ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى احد الفريقين وهم الانس
وهذا قول الفرا والزجاج ومذهب جمهور اهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لانه
قال يريد انبيا من جنسهم ولم يكن من جنس الجن انبيا وذهب قوم الى ان الله ارسل الى الجن رسلا منهم كما ارسل
الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الاية يدل على ذلك لان الله تعالى
قال الم ياتكم رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله عز وجل قال يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع وكان هذا القول اولى من
حمل لفظ الاية على ظاهرها فاثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل ايضا ان يقال ان كافة
الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس
ثم ياتوا قومهم من الجن فيخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين فكان اوليك
النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من
الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وابو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من
الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي
يعني يخبرونكم بما اوحي اليهم من اياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي وينذرونكم لقا يومكم
هذا يعني ويخوفونكم وينذرونكم لقا عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيمة وذلك ان الله
تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ كما اخبر في كتابه وهو قوله يا معشر

الجن والانس لاية فيجيبونه بما اخبر عنهم في قوله تعالى قالوا يعني كفار الجن والانس شهدنا على
انفسنا اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذرتهم لقاء يومهم هذا وانهم
كذبوا الرسل ولم يومنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى
وغرتهم الحيوة الدنيا يعني انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحيوة الدنيا ومالوا اليها وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين يعني في الدنيا فان قلت كيف اقروا على انفسهم بالكفر في هذه الاية
وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيمة يوم طويل والاحوال فيه
مختلفة فاذا راوا ما حصل للمومنين من الخير والفضل والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار
ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك
والكفر فذلك قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على انفسهم
قلت شهادتهم الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل
وفي قوله وشهدوا على انفسهم ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم
قوم غرتهم الحيوة الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم انهم اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر
والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجر لهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل ذلك اشارة
الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي
قصصنا عليك من امر الرسل وامر عذاب من كذبهم ان لم يكن ربك يعني انه لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم واهلها غافلون قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان تاتيهم الرسل فتنهاهم
فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم
بظلم منه وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها
وعلى قول الفراء انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول
الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله غير انه
اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا
يعني ولكل عامل بطاعة الله او معصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير
وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا
انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا
وهذا قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ
الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون مختص باهل الكفر والمعاصي وفيه
وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المومن
والكافر والطايع والعاصي وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله
وبما يليق به من ثواب وعقاب قوله عز وجل وربك الغني يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل

عامل

عامل بطاعة او معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين
بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع او منتفع بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان
جميع الخلق فقرا اليه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليايه واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز
عنهم ومن رحمته تاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون ان يشا يذهبكم يعني يهلككم وهو
الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم ويستخلف يعني وينشي ويخلق من بعدكم يعني من بعد
اهلاككم ما يشا يعني خلقا غيركم امثل واطوع منكم كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اختلفت عبارات
المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني ابايهم الماضين قرنا بعد قرن وبنحو قال الواحدي وقال
صاحب الكشاف يعني من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام
وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف
لا يكون الا على طريق البدل من فايت واما قوله ما يشا فالمراد منه خلق ثالث ورابع واختلفوا فقال
بعضهم خلقا اخر من امثال الجن والانس قال القاضي وهذا الوجه اقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه
تعالى قادر على انشا امثال هذا الخلق فمتى حمل على خلق ثالث ورابع يكون اقوى في دلالة القدرة فانه تعالى
نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي
الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى برحمته لهولا الاقوام الحاضرين ابقاهم وامهلهم ولو شا لاماتهم
وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان المرء
اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك لمحض
القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصية فكذلك يقدر على تصويرهم
خلقا اخر مخالفا لها هذا اخر كلامه وقال الطبري في قوله كما انشاكم من ذرية قوم اخرين يقول كما
احدثكم وابتدعكم من بعد خلق اخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام
اعطيتك من دينارك ثوبا بمعنى مكان الدينار ثوبا لا ان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا
بقوله كما انشاكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم انشوا مكان قوم اخرين قد هلكوا قبلهم قوله تعالى ان ما
توعدون لات يعني ما توعدون به من مجي الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيمة
لات يعني انه كاين قريب وما انتم بمعجزين يعني بفايتين حيث ما كنتم يدرككم الموت قوله عز وجل قل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد يا قوم اي قل لقومك من كفار قريش اعملوا على مكانتكم وقرئ
مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان
ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل ان يكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى
استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان
يثبت على حالة مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على
ناحيتكم اني عامل يعني اني عامل على مكانتي التي انا عليها وبما امرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه

من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر هذه الاية يدل على امر
الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد
والمبالغة في الزجر عن ما هم عليه من الكفر وكانه قال اثبتوا على ما انتم عليه من الكفران رضيتم
لانفسكم بالعذاب الدايم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شيتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل
الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى فسوف تعلمون
يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم اينا كان على
الحق في عمله نحن ام انتم من تكون له عاقبة الدار يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن تكون عاقبة الدار وهي
الجنة انه لا يفلح الظالمون قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك ثم في هذه الاية قولان
احدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد
والقول الثاني انها منسوخة باية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال قوله تعالى
وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا
عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على
ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرا يعني مما خلق من
الحرث يعني الزرع والثمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزا
قال المفسرون وكان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وانعامهم وساير اموالهم
نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام
انفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شي مما جعلوه لله في نصيب الاصنام تركوه وقالوا ان الله غني
عن هذا وان سقط شي من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه
وكانوا اذا هلك شي مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا
وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا فقالوا
هذا لله بزعمهم يعني قولهم الذي هو غير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب
وكذلك لا يكاد الا في موضع ذم لقايليه وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشيا
كلها لله لا ضافتهم نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم وهذا لشركاينا يعني الاصنام وانما سموا
الاصنام شركا لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فما كان لشركايهم يعني ما جعلوه لها من
الحرث والانعام فلا يصل الى الله يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله
فهو يصل الى شركايهم والمعنى انهم كانوا يتركون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يتركون ما جعلوه
لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط وشدة استعانوا بما جعلوه
لله واكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركايهم ولم ياكلوا منه شيا وقال الحسن والسدي كانوا اذا اهلك
ما جعلوه لشركايهم اخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركايهم فلذلك ذمهم فقال

لا ياكلون منه بدل ما جعلوه لشركايهم
واذا هلك ما جعلوه لشركايهم اخذوا
بدله مما جعلوه لله

تعالى سا ما يحكمون يعني بيس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب
الله في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشيا كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما
جعلوا للاصنام جزا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى الاساة في
الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد
بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل قوله عز وجل وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرا من
الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل اولادهم شركاوهم
والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم ولشركايهم نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم
لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل اولادهم في نهاية
الجهالة ايضا فكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطا وضلالا كذلك زين
يعني حسن لكثير من المشركين قتل اولادهم يعني به واد البنات احيا مخافة الفقر والعيلة شركاوهم
يعني شياطينهم امروهم ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركا لانهم اطاعوهم
فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم واضيف الشركا
الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبي شركاوهم سدنة الهتهم يعني خدامها
وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف
لين ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول
الشركاهم السدنة وخدام الاصنام سموا شركا لانهم اشركوا في الطاعة ليردوهم يعني ليهلكوهم
بذلك الفعل الذي امروهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار وليلبسوا عليهم
دينهم يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين
اسماعيل فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه
اسماعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم
ولو شا الله ما فعلوه يعني ولو شا لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث
والانعام وقتل الاولاد اخبر الله عز وجل ان جميع الاشيا بمشيته وارادته اذ لو لم يشا لما
فعلوا ذلك فذرهم يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان
الله لهم بالمرصاد قوله تعالى وقالوا يعني المشركين هذه انعام وحرث حجر اي حرام واصله المنع لانه
منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون اشيا من انعامهم
وحرثهم لالهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسايبة والوصيلة والحام لا يطعمها الا
من نشا بزعمهم يعني ياكلها خدام الاصنام والرجال دون النسا وانعام حرمت ظهورها يعني الحوامي
وهي الانعام التي حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها يعني
لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها اسما الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها

ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذمهم على ترك فعل الخير
افترا عليه يعني انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب
على الله عز وجل سيجزيهم بما كانوا يفترون فيه وعيد وتهديد لهم على افترايهم على الله الكذب
قوله عز وجل وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يعني نساءنا
قال ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة البحاير والسوايب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون
النسا وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنسا جميعا وهو قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركا وادخلت
الها في خالصة للتاكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفرا دخلت الها لتانيث
الانعام لان ما في بطنها مثلها فانث بتانيثها وقال الكساي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة
وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مونث جاز تانيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الاية
فانه انث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ سيجزيهم وصفهم يعني سيكافيهم بسبب
وصفهم على الله الكذب انه حكيم عليم فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر
استحقاقهم قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم قال عكرمة نزلت في من يئد البنات
من ربيعة ومضر وكان الرجل يشارط امراته على ان يستحيي جارية ويئد اخرى فاذا كانت الجارية التي
يئد غدا الرجل او راح من عند امراته وقال لها انت علي كظهر امي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها
في الارض خدا وترسل الى نسايها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها بينهن حتى اذا ابصرته راجعا
دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل الجاهلية كان احدهم
يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه اما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين
قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في زوال هذه النعمة
عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في
نقص عدده وازال ما انعم الله به عليه واما خسارته في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم
وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه
السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وقوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله يعني البحاير والسوايب والحوامي
وبعض الحروث وبعض ما في بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهالة افترا على الله يعني انهم
فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا ان الله امرهم بذلك وهذا افترا على الله وكذب وهذا ايضا
من اعظم الجهالة لان الجراة على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب واكبر الكباير ولهذا قال تعالى قد
ضلوا يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد وما كانوا مهتدين يعني الى طريق الحق والصواب في
فعلهم خ عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والماية من سورة الانعام
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين قوله عز وجل وهو الذي

الشا

انشا جنات معروشات يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات وغير
معروشات يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شي مسقف يجعل
عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة
السقف واعترش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات
فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك
وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وساير الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم
خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات
ما غرسه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته
الله في البراري والجبال من كرم او شجر والنخل والزرع يعني وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب
التي تقتات وتدخر مختلفا اكله يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردي ونحو
ذلك والزيتون والرمان متشابها يعني في المنظر وغير متشابه يعني في الطعم كالرمانتين لونهما واحد
وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة في الجنس والطعم كلوا من
ثمره اذا اثمر لما ذكر الله ما انعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو
المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا
بعضهم فقال الامر قد يرد في غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لرفع الحرج وقال بعضهم المقصود
منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل ان يحرم على
المالك ان ياكل منها شيا لمكان شركة الفقرا والمساكين معه فاباح الله له ان ياكل قبل اخراج الحق
الواجب عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من
ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشيا التي انعم بها على عباده هو الاكل
واتوا حقه يوم حصاده يعني يوم جداده وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال
ابن عباس وانس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد
ابن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله واتوا حقه يوم حصاده هو الصدقة المفروضة
ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السما والعين السايحة او سقاه الطل والطل الندا او كان
بعلا العشر كاملا وان سقي بنضح او سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة او الزرع وبلغ
خمسة اوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى
واتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض
الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله واتوا حقه على الزكاة المفروضة قلت
ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا تكون الاية محكمة
نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الاية مكية تكون منسوخة باية الزكاة لانه قد روي عن ابن عباس

انه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى
الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر وهذا قول علي بن الحسين
وعطا ومجاهد وحماد قال ابراهيم قال هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد
كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا النخل
يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجي المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه اكله فعلى
هذا القول هل هذا الامر امر وجوب واستحباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا
بآية الزكاة ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول
الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر باخراجه
في ابتدا الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن
واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى القول
الاول كيف تؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف
قلت معناه قدروا اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التصفية والجفاف ولان النخل
يجب اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية
وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد
مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى ولا تسرفوا الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله
الانسان وان كان في الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة
ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه
عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسماية نخلة في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فانزل الله هذه الآية
ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تقطعوا اموالكم وتقعدوا فقرا قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان
كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن
المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك
حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف مجاوزة الحد
الا ان الاول في البذل والاعطا والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام
في الحرث والانعام وهذا القول ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاصنام في الحرث
والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال
مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله عز وجل ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله
لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا
السلطان نهى ان يأخذ من رب المال فوق الذي الزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا
اي لا تأخذوا بغير حق وكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى انه لا يحب المسرفين

فيه وعيد وتهديد وزجر عن الاسراف في كل شي لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار قوله تعالى ومن الانعام
يعني وانشأ من الانعام حمولة وهي كل ما يحمل عليها من الابل وفرشا يعني صغار الابل التي لا تحمل قال
ابن عباس الحمولة هي الكبار من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في رواية اخرى عنه ذكرها الطبري
اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شي يحمل عليه واما الفرش فالغنم وقال الربيع بن انس الحمولة
الابل والبقر والفرش المعز والضان فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي
فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره كلوا مما رزقكم الله يعني كلوا مما احل الله لكم
من هذه الانعام والحروث ولا تتبعوا خطوات الشيطان يعني لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم
الحرث والانعام كما فعله اهل الجاهلية انه يعني الشيطان لكم عدو مبين يعني انه مبين العداوة لكم
ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل ثمانية ازواج يعني وانشأ من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية
اصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على
الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوجة من الضان اثنين يعني الذكر والانثى
والضان ذوات الصوف من الغنم والواحد ضاين والانثى ضاينة والجمع ضوائن ومن المعز اثنين
يعني الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى قل آلذكرين حرم ام
الانثيين استفهام انكار اي قل يا محمد لهولاء الجهلة آلذكرين من الضان والمعز حرم الله عليكم ام الانثيين
منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل اناثها حرام
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين يعني ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من الضان والمعز فانها
لا تشتمل الا على ذكر وانثى نبئوني اخبروني وفسروا لي ما حرمتم بعلم ان كنتم صادقين يعني ان الله حرم ذلك
عليكم ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وهذه اربعة ازواج اخر بقية الثمانية قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين وتفسير هذه على نحو ما تقدم وفي هاتين الآيتين تقريع وتوبيخ من الله
تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسايبة والوصيلة
والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنسا وبعضها على النسا دون الرجال كما اخبر الله عنهم
في كتابه فلما جا الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف
الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اشيا مما كان اباونا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن
اين جا هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لمالك يا مالك لا تتكلم فقال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال جا التحريم من قبل
الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث
وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر وانثى واما تخصيص

التحريم بالولد الخامس أو السابع أو بالبعض دون البعض فمن أين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان
دعواهم بهاتين الآيتين وأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قالوه من ذلك وأضافوه إلى الله
فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيئا من ذلك وأنهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكر
الإمام فخر الدين في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما إلى نفسه فقال إن هذا الكلام ما ورد على
سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الإنكار يعني أنكم لا تقرون بنبوة
نبي ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بأن هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني أنكم حكمتم
بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوصا بالإبل فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن
هذه الأنواع الأربعة وهي الضأن والمعز والبقر والإبل فلم تحكموا بهذه الأحكام في الأنواع الثلاثة
وهي الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الإبل بهذا الحكم دون هذه الأنواع الثلاثة قوله تعالى
أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين
الذين يزعمون أن الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الأنعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا
عليكم ووصاكم به فإنكم لا تعترفون بنبوة أحد من الأنبياء فكيف تثبتون هذه الأحكام وتنسبونها
إلى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى **فمن أظلم ممن افترى**
على الله كذبا ليضل الناس بغير علم يعني فمن أشد ظلما وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم
ما لم يحرمه الله إلى الله ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه لأنه ليس هو على بصيرة وعلم
في ذلك الذي ابتدعه ونسبه إلى الله ويقول إن الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمرو بن لحي لأنه هو أول من بحر البحائر
وسيب السوائب وغير دين إبراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته أو ابتدع
شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك إلى الله تعالى لأن اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من
أدخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا الوعيد **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** يعني أنه لا يرشد
ولا يوفق من كذب على الله وأضاف إليه ما لم يشرعه لعباده قوله عز وجل **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما**
على طاعم يطعمه اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحريم والتحليل
من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموه من المطعومات أتبعه بالبيان الصحيح في ذلك
وبين أن التحريم والتحليل لا يكون إلا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال تعالى قل أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين
الجاهلين الذين يحلون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحي إلي وقيل إنهم قالوا فما المحرم إذا
فنزل قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه يعني على آكل يأكله **إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا**
يعني سائلا مصبوبا **أو لحم خنزير فإنه رجس** أي نجس **أو فسقا أهل لغير الله به** يعني ما ذبح على غير اسم
الله فبين الله في هذه الآية أن التحريم والتحليل لا يكون إلا بوحي منه وأن المحرمات محصورة في الأربعة
الأشياء المذكورة في هذه الآية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله
وهذا يفيد أن التحريم لا يخرج عن هذه الأربعة الأشياء وذلك لأنه ثبت أنه لا طريق إلى معرفة

المحرمات

المحرمات إلا بالوحي وثبت أن الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الأربعة الأشياء ولهذا اختلف العلماء
في حكم هذه الآية فذهب بعضهم إلى ظاهرها وأنه لا يحرم شيء من سائر المطعومات والحيوان إلا ما ذكر
في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا
على ذلك بأن هذه الآية محكمة لأنها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بأن هذه الآية وإن كانت مكية
لكن يعضدها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما أهل به لغير الله وكلمة إنما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية في هذا
الحكم وذهب جمهور العلماء إلى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الأشياء المنصوص عليها في هذه الآية فإن
المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء وجب القول بها منها تحريم الحمر
الأهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما
وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإنما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما حرم الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولأبي داود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن
فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي
ناب من السباع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فله أن
يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه
وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو
وتلا قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود **م** عن ابن
عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير **م** عن أبي
هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر الأهلية **ق** عن جابر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في الخيل وفي رواية أكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الأهلي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه
أخرجه أبو داود وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح أكل
ذلك وقد تقدم دليله والأصل في ذلك عند الشافعي أن كل ما لم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمر الشارع
بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب
العقور وروي عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخاري ومسلم
وزاد فيه وسماه فويسقا عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة
والنحلة والهدهد والصرد أخرجه أبو داود فهذا كله حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه
إلى الأغلب من عادة العرب فما يستطيبه الأغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الأغلب منهم فهو

ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير
ما يحل وما يحرم من المطعومات واما الجواب عن الاية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون المعنى لا اجد
محرما ماكان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير والسوايب وغيرها الا ما يوحى الي في هذه الاية
الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الاية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه في هذه الاية
ثم حرم بعد نزولها اشيا اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل اخر وهو
ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الاية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم بقي في الاية احكام في قوله تعالى او دما مسفوحا وهو ما سال
من الحيوان في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال
فانهما حلال لانهما دمان جامدان فقد ورد الحديث باباحتهما ولا ما اختلط باللحم من الدم لانه
غير سايل قال عمران بن جرير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم
فقال لا باس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق او مخ الا
المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون الدم من العروق كما تتبع اليهود وقوله تعالى فمن
اضطر غير باغ ولا عاد بين الله المحرمات في هذه الاية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا
عدوان وفي قوله فان ربك غفور رحيم دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى وعلى
الذين هادوا يعني اليهود حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب
وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهايم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال
القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر حافرا على الاستعارة
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما يعني شحوم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما
يعني الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي
وابو صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية او الحوايا وهي
المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين
وهي الدوابر التي تكون في بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على
اليهود او ما اختلط بعظم يعني شحم الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام
التي تكون في الجنب والراس والعين فكل هذه حلال على اليهود فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم
هو شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم ق عن جابر بن عبد الله قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام
فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها
الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله
لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه يقال اجملت الشحم

وجملته

وجملته اذا اذبته وجملته اكثر وافصح وقوله تعالى ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم جزيناهم
عقوبة ببغيهم يعني بسبب بغيهم وظلمهم وهو قتلهم الانبيا واخذهم الربا واستحلالهم
اموال الناس بالباطل وانا لصادقون يعني في الاخبار عن بغيهم وفي الاخبار عن تخصيصهم
بهذا التحريم فان كذبوك يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما اخبرناك انا حرمنا عليهم او حللنا لهم
مما بيناه في هذه الاية المتقدمة فقل ربكم ذو رحمة واسعة يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته
تسع المسي والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من كفر به او عصاه ولا يرد باسه يعني فلا يرد عذابه
ونقمته اذا جاء وقتها عن القوم المجرمين يعني الذين كذبوا الانبيا وهم الكفار واليهود قوله عز وجل
سيقول الذين اشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم
يحرمه الله اخبر الله عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش والعرب
لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شا الله ما اشركنا حجة
على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله
فلولا انه رضي ما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شي يعني ما حرموه
من البحاير والسوايب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا وتكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم يعني
من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياهم وقالوا مثل قول هولا حتى ذاقوا باسنا يعني
عذابنا فضل استدل القدرية والمعتزلة بهذه الاية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شا الله ما اشركنا
كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى حكى عن هولا الكفار
صحيح مذهب المجبرة وهو قولهم لو شا الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث
لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا واجيب عن هذا بان الله تعالى حكى
عن هولا الكفار انهم قالوا لو شا الله ما اشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم
وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شا الله ما اشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب
في قولهم ان الله امرنا به ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فرد الله عليهم ذلك بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشا
والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله امرنا بهذا ورضيه منا في قولهم لو شا الله ما اشركنا قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شا الله ما اشركنا
لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن
ابن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك
ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الاية
انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شا الله ما اشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا
لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان امر الله بمعزل عن مشيته وارادته

فانه تعالى مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد فعلى العبد ان يتبع امره وليس له ان يتعلق
بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد
عليه في فعله فهو تعالى شاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يامر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد
ويامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم
يتمسكون بمشيئة الله في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم
من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبيا عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى قل اي
قل يا محمد لهولا المشركين القائلين لو شا الله ما اشركنا ولكنه رضي ما نحن عليه من الشرك هل عندكم
يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم فتخرجوه لنا يعني
فتظهروا ذلك العلم وتبينوه كما بينا لكم خطا قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته في العقول
ان تتبعون الا الظن يعني فيما انتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله وتحسبون انكم على حق
وانما هو باطل وان انتم الا تخرصون يعني وما انتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل
قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد لهولا المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم
فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن انس لا حجة
لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده فلو شا لهداكم اجمعين يعني
ولو شا الله لوفقكم اجمعين للهداية ولكنه لم يشا ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشا ايمان الكافر
ولو شا لهداه لا يسال عما يفعل وهم يسالون قل هلم شهداكم الذين يشهدون يعني هاتوا وادعوا
شهداكم وهلم كلمة دعوة الى الشي يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى وفيها لغة
اخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمي واللغة الاولى افصح ان الله حرم
هذا وهذا تنبيه من الله تعالى باستدعا الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم
وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم فان شهدوا
فلا تشهد معهم وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد انت يا محمد معهم
لانهم في شهادتهم كاذبين ولا تتبع اهوا الذين كذبوا باياتنا يعني ان وقع منهم شهادة فانما
هي باتباع الهوى فلا تتبع انت يا محمد هواهم ولكن اتبع ما اوحى اليك من كتابي الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يومنون بالاخرة اي ولا تتبع اهوا الذين لا يومنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون يعني يشركون قوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لما بين الله
تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه على انفسهم فكانهم سالوا وقالوا
اي شي حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا وتعال من الخاص الذي
صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل اصله
ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو ومن ارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى ما فيه رفعه وشرف

ثم

ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم اتل يعني اقرا ما حرم ربكم عليكم يعني
الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه
الله الي الا تشركوا به شيئا فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله الا تشركوا به شيئا لانه
كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه
الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله النصب واختلفوا
في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا ويكون لا صلة وقيل ان حرف لا على
اصلها ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك اي ان لا تشركوا او يكون المعنى وصيكم ان لا تشركوا
لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على وصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام
قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاغراء او بمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به
شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع
مخلوقا في معصية الخالق او يريد بعبادته ريا وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله تعالى
وبالوالدين احسانا اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان
الى الوالدين لانه اعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه
واوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم ما لهما
عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من الهلاك في حال صغره ولا تقتلوا اولادكم من املاق
يعني من خوف الفقر والاملاق الافتقار والمراد بالقتل واد البنات وهن احيا وكانت العرب
تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم نحن نرزقكم واياهم يعني لا تئدوا بناتكم
خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على
الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش
يعني الزنا ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية
ولا يرون به باسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش
على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا
النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وايضا
فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن
دقيقة وهي ان الانسان اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على ان
احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما امر به او نهاه عنه ولكن لاجل الخوف من روية
الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا او باطنا لاجل خوف الله
وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق حرم الله
تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش

واتما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبائر وقيل انما افرده
بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالافراد فلذلك
قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله يعني قتلها الا بالحق وهو الذي يبيح قتلها من ردة او قصاص
او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس
بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات
وصاكم به يعني امركم به واوجبه عليكم لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من
الفوائد والمنافع فتعملوا بها قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن يعني ولا تقربوا
مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال
الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا ياخذ من ربحه شيئا هذا اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو
كان الوصي فقيرا فله ان ياكل بالمعروف حتى يبلغ اشده يعني احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده
فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى
في الثبات الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات
وقال ابو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة
وقيل اربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد
ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين
في هذه الاية انما هي لنهاية الاشد لا لابتدائه والمراد بالاشد في هذه الاية هو الابتداء وبلوغ
الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الاية وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان
بالقسط يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان لا نكلف نفسا الا وسعها يعني طاقتها وما
يسعها في ايفاء الكيل والميزان وانما لم يكلف المعطي ان يعطي اكثر مما وجب عليه ولم يكلف
صاحب الحق الرضى باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا حرج
فيه واذا قلتم فاعدلوا يعني في الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى يعني المحكوم عليه وكذا المشهود
عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان واداء الامانة وغير ذلك من جميع
الاقوال التي يعتبر فيها العدل والصدق وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به
واوجب عليهم او ما اوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به ذلكم يعني الذي ذكر
في هذه الايات وصاكم به يعني بالعمل به لعلكم تذكرون يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فتاخذون
بما امرتكم به قوله عز وجل وان هذا صراطي يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم به في هاتين
الايتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه

فاتبعوه

فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به مفصلا اجمله
في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيها ايضا جميع احكام الشريعة
وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين
الذي ارتضاه لعباده المؤمنين وامرهم باتباع جملته وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة
والاهواء المضلة والبدع المردية وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل
والاديان المخالفة لدين الاسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن
دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال
هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرا ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل الاية ذلكم وصاكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه لعلكم تتقون
يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الايات محكمات في جميع الكتب لم
ينسخهن شيء وهن محرمات على بني ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل
النار عن ابن مسعود قال من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم
فليقرا هؤلاء الايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات الى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فان قلت اتينا موسى
الكتاب كان قبل نزول القران وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت دخلت ثم لتاخير الخبر
لا لتاخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات جميع الامم وجميع الشرائع
فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني
بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد
انا اتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى تماما على الذي احسن
اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من اي
تماما على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء على قراءة ابن مسعود تماما على الذين
احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن اي فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين وهم الانبياء
والمؤمنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما
اي على ما احسن وتقديره واتينا موسى الكتاب تماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة
وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره اتينا موسى الكتاب تماما على الذي
احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى وتفصيلا
لكل شيء يعني وفيه بيانا لكل شيء يحتاج اليه من شرائع الدين واحكامه وهدى يعني فيه هدى من
الضلالة ورحمة يعني انزلناه عليهم رحمة مني عليهم لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون قال ابن عباس لكي

يومنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني القران
لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ فاتبعوه يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي
والاحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني ليكون الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي
ترحموا على جزا التقوى ان تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعني انزلنا اليكم
الكتاب كراهية ان تقولوا انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان يكون ان متعلقة بما قبلها فيكون المعنى
واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا انما انزل الكتاب
اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل على طايفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وان كنا
اي وقد كنا وقيل وانه كنا عن دراستهم يعني عن قراتهم لغافلين يعني لا علم لنا بما فيهما لانه ليس
بلغتنا والمراد بهذه الاية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القران على محمد صلى الله
عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القران عليهم لئلا يقولوا يوم القيمة ان التوراة والانجيل انزلا على
طايفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله عز وجل عذرهم بانزال القران
عليهم بلغتهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وذلك ان جماعة من الكفار
قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم
على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل فقد جاكم بينة من ربكم يعني هذا
القران فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها وهدى يعني من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة
انعم الله به عليكم فمن اظلم اي لا احد اظلم واكفر ممن كذب بايات الله وصدف عنها يعني واعرض عنها
سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب يعني اسوا العذاب واشده بما كانوا يصدفون
اي ذلك العذاب جزاوهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بايات الله قوله تعالى هل ينظرون يعني هل ينتظرون
هولاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القران وصدهم عن ايات الله وهو استفهام معناه النفي وتقدير
الاية انهم لا يومنون بك الا اذا جاتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاتهم احدها امنوا وذلك
حين لا ينفعهم ايمانهم الا ان تاتيهم الملايكة يعني لقبض ارواحهم وقيل تاتيهم بالعذاب او ياتي ربك
يعني للحكم وفصل القضا بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الاية في سورة البقرة
عند قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجي والنهاية على الله
محال فيجب امرارها بلا تكييف او ياتي بعض ايات ربك قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من
مغربها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة
الارض اخرجه مسلم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او ياتي بعض ايات ربك
قال طلوع الشمس من مغربها اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه او قال
يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض
مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس
من مغربها فاذا راها الناس امن من عليها وفي رواية فاذا طلعت وراها الناس امنوا
اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا م
عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر
فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال
والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم م عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان
والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس
ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود
في تفسير هذه الاية قال يصبحون والشمس والقمر من هاهنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين
زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله
ارتفعي اعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعي
من حيث جيت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة
فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جيت فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس
منها شيا حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة
من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال كنت ردف
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حمية
تنطلق الى ربها ساجدة تحت العرش حتى ياذن لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول
يا رب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات
فقال لهم عباد الله توبوا الى الله بقراب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت
حبست التوبة وطوي العمل فقال الناس هل لذلك من اية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان آية تلك الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون
صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا
راوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم راث عليهم طلوع الشمس
فبينما هم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الايات وينفع اهل الايمان عند الايات ان كانوا
اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين
زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم
وقيل بل ذلك بعض الايات الثلاث الدابة او ياجوج وماجوج او طلوع الشمس من مغربها يروى
عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن ادم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة او طلوع
الشمس من مغربها او ياجوج وماجوج ويروى عن عائشة قالت اذا خرج اول الايات طرحت
التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن ابي هريرة في قوله تعالى او ياتي
بعض ايات ربك قال هي مجموع الايات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض
وروا مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال
في ذلك ما تظاهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس
من مغربها وقوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الاية العظيمة التي
تضطرهم الى الايمان والتوبة او كسبت في ايمانها خيرا اي وعملت قبل ظهور هذه الاية خيرا من
عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الايات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه
العمل بعد نزول الاية كما قبل منه قبل ذلك فاما من امن من شركه او تاب من معصيته عند ظهور هذه
الاية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو ارسل الله عذابا على امة فامنوا وصدقوا فانه لا ينفعهم
ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدائد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله تعالى قل انتظروا
يعني ما وعدتم به من مجي الاية ففيه وعيد وتهديد انا منتظرون يعني ما وعدكم ربكم من العذاب
يوم القيامة او قبلها في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تاخر في الوجود من المشركين
والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا
فاذا ماتوا وظهرت الايات لم ينفعهم ايمانهم وحلت بهم العقوبة اللازمة ابدا وقيل ان قوله قل
انتظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن قتال المشركين فتكون الاية منسوخة باية القتال
وعلى القول الاول تكون الاية محكمة قوله عز وجل ان الذين فرقوا وقرئ فارقوا دينهم وكانوا شيعا
يعني احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قرا

فرقوا

فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السهلة اديانا مختلفة كاليهودية
والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرا فارقوا دينهم قال معناه
باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شيء واحد في الحقيقة وهو ان من
فرق دينه فاقر ببعض وانكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الاية فقال
الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبد الاصنام وقالوا هذه شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبد
الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبد الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود
وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال
ابو هريرة في هذه الاية هم اهل الضلالة من هذه الامة وروي ذلك عنه مرفوعا قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع والاهواء من هذه الامة ذكره البغوي
بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه
فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه
موعظة مودع فما تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش
منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا
عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود
والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب
افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب
بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث
وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه
واصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من
الملة والدين اذ جعلهم من امته وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجاري تفاعل من الجري
وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب قال ابن مسعود ان
احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى لست منهم في شيء يعني في قتال الكفار فعلى هذا تكون الاية
منسوخة باية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الاية اليهود والنصارى والكفار ومن قال
ان المراد من الاية اهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء اي انت منهم بريء وهم
منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست مني اي كل واحد منا بريء من صاحبه انما امرهم
الى الله يعني في الجزاء والمكافاة ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون يعني اذا وردوا القيامة قوله تعالى من جا

بالحسنة فله عشر امثالها يعني عشر حسنات امثالها ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها يعني مثلها
في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة
هي الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزا قائلها عشر امثالها
واجيب عنه بان جزا الحسنة قدر معلوم عند الله فهو تعالى يجازي على قدر ايمان المومن بما يشا من الجزا
وانما قال عشر امثالها للترغيب في الايمان لا للتحديد وكذلك جزا السيئة بمثلها من جنسها والقول
الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد او سيئة وهذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى
قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله تعالى يضاعف لمن يشا في حسناته الى سبعماية
ويعطي من يشا بغير حساب واعطا هذا الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى وهذا مذهب
اهل السنة وجزا السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى او يغفر وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون
يعني لا ينقص من ثواب الطايع ولا يزاد على عقاب العاصي ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها حتى يلقى الله تعالى
م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها
وازيد ومن جا بالسيئة فجزا سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني
ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك
بي شيا لقيته بمثلها مغفرة ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى
واذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي
فاكتبوها له حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة وان عملها فاكتبوها له
بعشر امثالها الى سبعماية لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تبارك وتعالى واذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا
اكتبها بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها
له بمثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملايكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو
ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراي
زاد الترمذي ثم قرا من جا بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل قل يعني قل يا محمد لهولا المشركين من قومك
انني هداني ربي الى صراط مستقيم يعني قل لهم انني ارشدني ربي الى الطريق القويم وهو دين الاسلام
الذي ارتضاه لعباده المومنين دينا قيما يعني هداني صراطا مستقيما دينا قيما ويحتمل ان يكون محمولا على
المعنى تقديره وعرفني دينا قيما يعني دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل قيما ثابتا مقوما
لامور معاشي ومعادي وقيل هو من قام وهو ابلغ من القايم ملة ابراهيم والملة بالكسر الدين والشريعة
يعني هداني وعرفني دين ابراهيم وشريعته حنيفا الاصل في الحنف الميل وهو ميل عن الضلال الى
الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم عليه السلام

وما كان من المشركين يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على
دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين وممن يعبد الاصنام قوله تعالى قل اي قل
يا محمد ان صلاتي ونسكي قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي اراد بالنسك في هذا
الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل المناسك اعمال الحج
وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله عز وجل من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحدي عن ابن
الاعرابي قال النسك سبايك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه يخلص
نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل
على ان جميع العبادات يوديها العبد على الاخلاص لله ويوكد هذا في اخر قوله لله رب العالمين
لا شريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تودى الا على وجه التمام والكمال لانه ما كان لله لا
ينبغي ان يكون الا كاملا تاما مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كانت
مقبولة ومحياي ومماتي اي حياتي وموتي بخلق الله وقضايه وقدره اي هو يحييني ويميتني وقيل معناه
ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على الايمان لله وقيل معناه ان طاعتي في حياتي لله وجزاي
بعد مماتي من الله وحاصل الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه
وساير عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضايه وقدره وهو المراد بقوله رب العالمين
لله رب العالمين لا شريك له يعني في العبادة والخلق والقضا والقدر وساير افعاله لا يشاركه فيها
احد من خلقه وبذلك امرت يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت وانا اول المسلمين قال قتادة
يعني من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضايه وقدره قوله عز وجل قل اغير الله ابغي
ربا وهو رب كل شي اي قل يا محمد لهولا الكفار من قومك اغير الله اطلب سيدا وسيدا وهو رب
كل شي يعني وهو سيد كل شي ومالكه لا يشاركه فيها احد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي احمل عنكم اوزاركم فقال الله
عز وجل ردا عليه ولا تكسب كل نفس الا عليها يعني ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى
يعني لا تواخذ نفس اثمة باثم اخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يواخذ احد بذنب اخر
غيره ثم الى ربكم مرجعكم يعني يوم القيمة فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون يعني في الدنيا من الاديان
والملل قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلايف الارض يعني والله الذي جعلكم يا امة محمد خلايف
في الارض فان الله اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلايف منهم في الارض
تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا وهو اخرهم وامته اخر
الامم ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعني انه تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق
بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير
والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات

ليس لاجل العجز او الجهل او البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلا
والامتحان وهو قوله تعالى **ليبلوكم فيما اتاكم** يعني ليعاملكم معاملة المبتلي والمختبر وهو اعلم باحوال
عباده والمعنى ليبتلي الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر
وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لان العبد اما ان يكون
مقصرا كان نصيبه التخويف والترهيب وهو قوله تعالى **ان ربك سريع العقاب** يعني لاعدائه
واهلاكهم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات فهو قريب وان كان العبد موفيا
حقوق الله فيما امره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو قوله تعالى
وانه لغفور يعني لذنوب اوليائه واهل طاعته **رحيم** يعني بجميع خلقه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

وهذا اخر ما تيسر من كتابة الربع الاول من تفسير الخازن

ونسال الله العظيم ان يعين على تمامه بمنه وكرمه

انه على ما يشاء قدير ولا حول ولا قوة

الا بالله العلي العظيم

وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى اله

وصحبه

وسلم





